السيد السيد النشار

تاريخ المكتبات في مصر
العصر المملوكي



الدار المصرية اللبنانية

تاريخ المكتبات في مصر
العصر المملوكي

الطبعة الاولى

١٤١٣ هـ-١٩٩٣م



الدار المصرية اللبنانية

طباعة • نشر • توزيع

١٦ شارع عبدالخالق ثروت - تليفون ٣٩٢٣٥٢٥ - ٣٩٣٦٧٤٣ - فاكس. ٣٩٠٩٦١٨ - برقياً: دار شادو - ص.ب: ٢٠٢٢ - القاهرة

AL-DAR AL-MASRIAH AL-LUBNANIAH — PRINTING — PUBLISHING — DISTRIBUTION

16 ABD EL KHALEK SARWAT St. P.O.Box 2022-Cairo-Egypt PHONE: 3936743-3923525 FAX: 3909618 CABLE DARSHADO

تاريخ المكتبات في مصر
العصر المملوكي

السيد السيد النشار
قسم المكتبات والمعلومات
كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

تقديم

الدكتور محمد فتحي عبد الهادي
أستاذ المكتبات والمعلومات
كلية الآداب - جامعة القاهرة

الدكتور جوزيف نسيم يوسف
أستاذ تاريخ العصور الوسطى
كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

الناشر
الدار المصرية اللبنانية

قدم هذا البحث أصلاً كأطروحة لنيل درجة الماجستير فى الآداب من
جامعة الإسكندرية تحت إشراف الاستاذ الدكتور جوزيف نسيم يوسف ومنح
صاحبها الدرجة بتقدير ممتاز

إهداء

إلى...

الذين تحملوا معى عناء رحلة إعداد هذا الكتاب

فوقفوا إلى جوارى

وإمدونى بعونهم وتأييدهم

وأعطونى بغير سؤال

إلى جميع أشقائى الثمانية

أهــدى هــذا الكـتاب

وفاءً وعرفاناً

وحباً وتقديراً.

السيد النشار

قائمة المحتويات

الاهداء	٥
قائمة المحتويات	٧
تقديم بقلم دكتور محمد فتحى عبد الهادى	١٣
تقديم بقلم دكتور جوزيف نسيم يوسف	١٥
المقدمة	١٩
دراسة تحليلية نقدية لأهم مصادر الكتاب ومراجعه	٢٧
ـ الوثائق المملوكية: أهميتها ـ أماكن تواجدها ـ أنواعها	٢٩
ـ المصادر العربية	٢٤
بدر الدين بن جماعة ـ الإدفوى ـ ابن الأكفانى ـ السنجارى ـ تاج الدين السبكى ـ القلقشندى ـ المقريزى ـ ابن حجر العسقلانى ـ شمس الدين السخاوى ـ جلال الدين السيوطى ـ ابن اياس الحنفى.	
ـ المراجع العربية	٣٨
ـ المراجع الأجنبية	٤٤
تمهيد	
أحوال المجتمع المصرى فى عصر سلاطين المماليك «نبذة مركزة»	٤٧
ـ المماليك : نشأتهم والظروف التى مهد لقيام دولتهم	٤٩
ـ الأحوال السياسية	٥١

- الأحوال الاقتصادية ٥٢
- الأحوال الاجتماعية ٥٤
- الأحوال العلمية والثقافية ٥٧
- مدى انعكاس ذلك على موضوع البحث ٥٨

الفصل الأول
المكتبات في مصر في عصر سلاطين المماليك
«نشأتها وأنواعها»

١- نشأة المكتبات فى مصر وتطورها قبيل العصر المملوكى ٦٤
٢- أنواع المكتبات المملوكية ٧٢
- المكتبات الخاصة ٧٦
- مكتبات المساجد والجوامع ٨٠
- مكتبات المدارس ٨٧
- مكتبات البيمارستانات ١٠١
- مكتبات الخوانق والربط والزوايا والخلاوى ١٠٤
- مكتباب الترب والمدافن والقباب ١٠٧

الفصل الثاني
الموارد المادية والبشرية فى المكتبات المملوكية

١ - المبنى والتجهيزات : الموقع ومواصفاته - الأثاث والأدوات الخاصة بحفظ الكتب - صناديق الكتب ورفوفها - كراسى الكتب - أدوات الكتابه - أدوات أعداد الكتب وتسجيلها وصيانتها. ١١٣
٢ - الموارد المالية ووجوه الإنفاق: إيرادات المكتبة المملوكية - ريع الوقف - المهبات والتبرعات - وجوه الإنفاق - مرتبات العاملين بالمكتبات - صيانة ١٢٨

وترميم المكتبة ومجموعاتها وتجهيزاتها وأدواتها.

٣ ـ الموارد البشرية : فئات العاملين بالمكتبات وواجباتهم ومؤهلاتهم ـ خازن الكتب أو أمين المكتبه ـ المناولون ـ الوراقون. ١٣٧

٤ ـ المجموعات المكتبية: أحجام مقتنيات المكتبات ـ أنواعها وموضوعاتها. ١٥١

الفصل الثالث

النظم والإجراءات الفنية فى المكتبات المملوكية

١ـ التزويد : سياسته ومصادره ـ الشراء ـ الوقف ـ الإهداء ـ النسخ. ١٥٩

٢ـ الإجراءات الفنية الخاصة باعداد المجموعات المكتبية للتداول: ١٧٥

التسليم والتسليم ـ التسجيل والسجلات ـ الجرد ـ الفهرسة والفهارس ـ التصنيف ـ التنضيد.

٣ـ الإجراءات الفنية الخاصة بصيانة المجموعات المكتبية: ١٩٠

التجليد ـ الترميم.

الفصل الرابع

الخدمات والانشطة في المكتبات المملوكية

١ـ مواعيد فتح المكتبات المملوكية ١٩٧

٢ـ المستفيدون من المكتبات المملوكية: فئاتهم، وأنواعهم. ١٩٩

٣ـ أنواع الخدمات المكتبية ٢٠١

ـ خدمات الاطلاع الداخلى والنسخ ٢٠١

ـ خدمات الإعارة الخارجية ٢٠٢

ـ خدمات أخرى: إرشاد القراء ـ الخدمات البليوجرافية ـ الخدمات التعليمية. ٢٠٩

٤ـ تقييم الدور التربوى للمكتبة المملوكية ٢١١

٥ـ أوجه الشبه والاختلاف بين المكتبات المملوكية والمكتبات الأوربية المعاصرة لها، ومدى الاتصال بينهما. ٢١٥

الفصل الخامس
مصائر المكتبات المملوكية

١ـ تدهور أوضاع المكتبات المملوكية والتفريط في محتوياتها: ٢٣٢
ـ التلف والتبديد : أسبابه ومظاهره ٢٣٣
ـ استغلال الكتب ونهبها من قبل العلماء والقضاة ٢٣٦
ـ تفريط المشرفين على المكتبات وسوء إداتهم لها ٢٣٧
ـ تدهور الأوقاف ونظامها في أواخر العصر المملوكي وأثر ذلك على المكتبات. ٢٣٩
٢ـ الفتح العثماني لمصر وتأثيره على المكتبات المملوكية ٢٤٢
ـ تعرض المكتبات المملوكية للسطو والنهب من قبل الولاة الاتراك والعوام. ٢٤٤
ـ مكتبات مصر إبان الحكم العثماني وما بعده ٢٤٩
ـ الخاتمة ٢٥١

الملاحق

ـ الملحق الأول : ١٢ لوحة مصورة لنصوص وقفية لها صلة بموضوع البحث ٢٦١
ـ الملحق الثاني : جدول إحصائي بمرتبات أمناء المكتبات في العصر المملوكي. ٢٧٥
ـ الملحق الثالث : نص السخاوي عن تولي ابن حجر العسقلاني أمر خزانة كتب المدرسة المحمودية وقضية الإعارة في المكتبات نقلا عن : السخاوي: «الجواهر والدرر». ٢٨١

قائمة المصادر والمراجع

- الوثائق المملوكية ٢٩١
- المصادر العربية المخطوطة والمصورة ٢٩٤
- المصادر العربية المنشورة ٢٩٧
- المراجع العربية والمعربة ٣١٢
- رسائل الماجستير والدكتوراه ٣٢٦
- المراجع الأجنبية ٣٣٥

بسم الله الرحمن الرحيم

تقـديم

بقلم دكتور محمد فتحى عبد الهادى
أستاذ المكتبات والمعلومات
بجامعة القاهرة والسلطان قابوس

يعتبر هذا الكتاب ـ بحق ـ واحدا من الكتب ذات الأهمية فى تاريخ المكتبات العربية والاسلامية عامة وتاريخ المكتبات فى مصر بصفه خاصة. ويرجع ذلك إلى قلة أو حتى ندرة الدراسات العربية الجادة التى تؤرخ لمكتباتنا من قبل متخصصين فى التاريخ أو فى علم المكتبات، ومن ناحية أخرى فلم يتناول الأولون المكتبات التى عاصروها بالوصف والتحليل مثلما تناولوا أشياء أخرى عديدة، بل ان ما كتبوه عن المكتبات لا يربو عن صفحات متناثرة فى كتبهم الضخمة. ومن هنا يجد الباحث فى الوقت الحاضر صعوبة كبيرة فى تتبع أخبار المكتبات وأحوالها فى عصور التاريخ المختلفة، وربما يرجع ذلك حسبما ذكر مؤلف الكتاب إلى أن فن الكتابة فى تاريخ المؤسسات، ومنها المكتبات ـ إنما هو اتجاه جديد لم يعرف فى العالم الاسلامى إلا متأخراً. ولذلك فإن الكتاب الذى بين أيدينا يسد فجوة واضحة فى تاريخ المكتبات فى مصر.

ويعتمد الكتاب، الذى كان فى أصله أطروحة قدمها المؤلف للحصول على درجة الماجستير فى المكتبات، على منهج بحثى جيد وقد جمع المؤلف المعلومات اللازمة لدراسته من المصادر التراثية الأصيلة التى أرخت للعصر المملوكى، وهى كتب التاريخ

والسير والطبقات وكتب الرحلات والخطط، فضلا عن الوثائق، والمراجع الحديثة التى تناولت تاريخ المكتبات فى العصر الوسيط.

وقد حرص المؤلف على تغطية موضوع دراسته، وهوالمكتبات فى مصر فى العصر المملوكى، تغطية شاملة، وتتباعت الفصول تتابعا منطقيا، وهى تعرض الموضوع بطريقة واضحة. ولم يستخدم المؤلف أسلوب التسلسل الزمنى فى العرض وإنما استخدم أسلوب المعالجة الموضوعية لجوانب المكتبات المختلفة، وهو الأسلوب المألوف بالنسبة للمشتغلين بالمكتبات.

يبدأ الكتاب بعرض لأهم مصادر البحث ووثائقه ومراجعه وهذا يشير الى اطلاع الباحث الواسع على عدد كبير من المصادر القديمة والحديثة. يلى ذلك مقدمة عن أحوال المجتمع المصرى فى عصر سلاطين المماليك، ثم خمسة فصول يتناول أولها نشأة المكتبات فى مصر فى العصر الملوكى وأنواع هذه المكتبات، ويتناول الفصل الثانى الموارد المادية والبشرية فى المكتبات المملوكية، أما الفصل الثالث فهو يتناول النظم والإجراءات الفنية المتعلقة بالتزويد والفهرسة والتصنيف، بينما يتناول الفصل الرابع الخدمات والأنشطة المكتبية ويتتبع الفصل الخامس مظاهر تدهور أوضاع المكتبات المملوكية وأسبابها.

وهكذا فإن الكتاب يقدم صورة موثقة لحركة المكتبات فى العصر المملوكى، وهو بمثابة مصدر لاغنى عنه لدارسى تاريخ المكتبات فى مصر.

تحية لصاحب هذا الكتاب الذى يبشر بمستقبل زاهر، والذى وضع بكتابه هذا لبنة طيبة فى سيرته العلمية.

والله ولى التوفيق

د. محمد فتحى عبد الهادى

تقديم

بقلم

دكتور جوزيف نسيم يوسف

أستاذ تاريخ العصور الوسطى بكلية الآداب بجامعة الإسكندرية

يسعدنى أن أقدم لقراء العربية الكرام باحثا ممتازا وكتابا قيما. الباحث الاستاذ السيد السيد محمود النشار المدرس المساعد بقسم المكتبات والمعلومات بكلية الآداب بجامعة الإسكندرية. والكتاب «تاريخ المكتباب فى مصر : العصر المملوكى».

أما عن الباحث فهو من خريجى قسم المكتبات والمعلومات. حصل على درجة الليسانس فى مايو ١٩٨٦ بتقدير «ممتاز» مع مرتبة الشرف. وفى نوفمبر من نفس العام عين معيدا بالتكليف بالقسم. وفى نوفمبر ١٩٨٩ إجتاز امتحان السنة التمهيدية للماجستير بتقدير «جيد جدا». وفى يناير ١٩٩٠ سجل تحت إشرافى لنيل درجة الماجستير فى موضوع هذا الكتاب. وفى مارس من نفس العام حصل على شهادة التويفل من مركز خدمة المجتمع بجامعة الاسكندرية بتقدير «جيد» وفى يناير ١٩٩٢ حصل على درجة الماجستير بتقدير «ممتاز». وفى فبراير ١٩٩٢ عين مدرسا مساعدا بالقسم. فى نفس الشهر سجل للحصول على درجة الدكتوراه تحت الإشراف المشترك منى ومن الزميل الاستاذ الدكتور السيد محمود الشنيطى استاذ المكتبات والمعلومات بجامعة القاهرة فى موضوع «الضبط الببليوجرافى للمخطوطات العربية فى مصر : دراسة وتخطيط».

يمتاز الباحث بنشاطه العلمى وحبه الكبير لكل ما يمت بصلة للكتاب والمكتبات. وهو عضو فى العديد من الجمعيات العلمية، من بينها الجمعية المصرية للمعلومات والمكتبات والأرشيف، وجمعية المكتبات المدرسية بالقاهرة والجمعية العربية لنظم وتكنولوجيا المعلومات. وله العديد من المقالات والدراسات النقدية الطيبة التى نشرت فى عدد من

الدوريات المتعلقة بالحركة المكتبية مثل «عالم الكتاب»، و«صحيفة المكتبة»، و«مجلة المكتبات والمعلومات العربية». لعلنا نستشف، مما سبق، أننا أمام شاب جاد عطاء يعشق الكتاب والمكتبة. وقد ترك هذا كله بصماته على كتابه الذى نحن بصدده.

هذا عن المؤلف، أما عن الكتاب فهو يتميز بأسلوبه السليم، ومنهجه العلمى الصحيح، وتماسك بنيانه. ويشتمل على خمسة فصول، تسبقها المقدمة، ثم الدراسة التحليلية لأهم وثائق البحث ومصادره، ثم التمهيد وبآخره الخاتمة، وثلاثة ملاحق تلقى المزيد من الضوء على قضايا البحث، وقائمة الوثائق والمصادر والمراجع التى اعتمد عليها وأفاد منها فائدة واضحة.

فى المقدمة أشار الباحث إلى أهمية الموضوع، وأهدافه، ومجاله، وحدوده الزمنية. ثم نقد الدراسات السابقة عنه مبينا أنها لم تتعرض له إلا عرضا وبشكل عام. بينما تناول هذا الكتاب الموضوع بالتفصيل من كل جوانبه، وناقش كل قضاياه ومشاكله اعتمادا على مختلف مصادره ووثائقه. وخرج بعدد من التساؤلات التى تتعلق بجوهر الحركة المكتبية فى مصر فى العصر المماليكى، والتى تناولها بالشرح والتحليل والتفسير والتعليل فى فصول الكتاب.

وأتبع ذلك بدراسة تحليلية نقدية لأهم وثائق البحث ومنابعه تتميز بقيمتها الواضحة وذكر أنه لم يصلنا عن المكتبات فى العصر الإسلامى الوسيط بعامة وعصر المماليك بصفة خاصة مصنف قائم بذاته بتاريخها ومواردها نظمها وخدماتها ومصائرها، وأن الوثائق والحجج المملوكية هى التى أمدتنا بمادة من الطراز الأول بهذا الخصوص. وتأتى فى المرتبة الثانية من الأهمية المصادر العربية التى تتصف بالعمومية دون التفصيل والتحديد. وتبين أن الوثائق والمصادر معا ساعدا على استكمال الصورة العامة للبحث. وتعتبر هذه الدراسة إضافة لها وزنها إلى الدراسات الوثائقية والببلوجرافية المتعلقة بالحركة المكتبية فى مصر فى العصر الإسلامى الوسيط.

وفى التمهيد تحدث بتركيز عن الأحوال السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعلمية فى مصر فى عصر سلاطين المماليك، وكيف أنها تركت بصماتها على الحركة المكتبية آنذاك. ذلك أن استقرار أحوال مصر أدى إلى الرخاء وإثراء الحياة الفكرية، الأمر الذى ترتب عليه ازدهار المكتبات بمختلف أشكالها، وبما حوته من نفائس المخطوطات، ويعتبر هذا التمهيد مدخلا طبيعيا لفصول الكتاب.

اما الفصل الأول وعنوانه «المكتبات المملوكية فى مصر : نشأتها وأنواعها» فقد تحدث فيه عن ظروف نشأة المكتبات فى مصر الإسلامية، موضحا أن المكتبات المملوكية هى امتداد طبيعى للمكتبات فى العهود السابقة عنها. ثم تناول بالتفصيل أنواع المكتبات المملوكية ومسمياتها. وتوصل إلى نتيجة هامة وهى أن المكتبة وجدت داخل كل منشأة، كبيرة كانت أم صغيرة، بهدف تلبية احتياجات مجتمعها ولو كان محدوداً وأن الكتاب والمكتبة كان جزءاً لا يتجزأ من حياه الإنسان وقتذاك.

وتناول فى الفصل الثانى وعنوانه «الموارد المادية والبشرية» عددا من القضايا الهامة مثل المبانى والتجهيزات، والموارد المالية ومصادرها ووجوه إنفاقها، والمجموعات المكتبية، والعاملين في المكتبات وفئاتهم ومشاكلهم. وأدلى بدلوه فى مناقشة هذه القضايا التى تعالج للمرة الأولى بالنسبة للمكتبة المملوكية فى مصر، وتوصل إلى نتائج تتسم بقيمتها وأهميتها وتضيف جديدا إلى الموضوع. وفى الفصل الثالث وعنوانه «النظم والإجراءات الفنية فى المكتبات المملوكية» ناقش موضوعين هامين : أولهما بناء وتنمية المجموعات المكتبية، وثانيهما التنظيم والإعداد الفنى للمكتبة. وفيما يتعلق بالموضوع الأول أثبت أن المكتبات المملوكية عرفت سياسة التزويد متمثلة فى وثائق الوقف التى كانت بمثابة لوائح تنظيمية لها. وأوضح أن مصادر التزويد تعددت ما بين شراء ووقف وإهداء ونسخ. وحدد، أيضا، كيفية اختيار الكتب مبينا أنها كانت تتم عادة بالتشاور بين أمناء المكتبات وأولى الأمر فى المؤسسات التى تتبعها. وبالنسبة للموضوع الثانى أكد أن المكتبات المملوكية عرفت نظم التسليم والتسلم، وإجراءات التسجيل، والجرد، والفهرسة، والتصنيف، والتجليد، والترميم، والصيانة.

واستعرض فى الفصل الرابع وعنوانه «الخدمات والأنشطة فى المكتبات المملوكية» أنواع تلك الخدمات والأنشطة والتى يدخل فى نطاقها مواعيد فتح المكتبة، وعدد ساعات العمل بها، مبينا أن ذلك كان يختلف من مؤسسة إلى أخرى وفقا للائحة كل منها وشروط الواقف. وتحدث عن المستفيدين من تلك المكتبات وفئاتهم، مؤكدا أن أنماط الإفادة تعددت بين خدمات الاطلاع الداخلى، والإعارة الخارجية، والنسخ، وإرشاد القراء، إلى جانب الخدمات الببلوجرافية والتعليمية. وأنهى الفصل بتقييم عام للدور التربوى لتلك المكتبات. وفى الفصل الخامس والأخير وعنوانه «مصائر المكتبات المملوكية» تتبع المؤلف أسباب ومظاهر تدهور أوضاع تلك المكتبات والتفريط فى محتوياتها خاصة فى الفترة الأخيرة

من عصر دولة المماليك الجراكسة. وأرجع ذلك إلى عدة عوامل منها سوء إدارة بعض المشرفين على تلك المكتبات، واستغلال بعض العلماء والقضاة لها ونهب محتوياتها، وفقد عدد منها لمصادر تمويلها، بالإضافة إلى عوامل الجو الطبيعية. كما أن تلك المكتبات تعرضت للسلب والنهب خلال فترة الانتقال من الحكم المملوكى إلى الحكم العثمانى.

وفى خاتمة الكتاب استعرض المؤلف أهم القضايا والمشاكل التى تعرض لها، وأبرز النتائج التى توصل إليها. ولم يكتف بذلك، بل قدم عددا من التوصيات كحلول للمشكلات التى ناقشها. بحكم ارتباط الكتاب بتاريخنا الممتد وتراثنا العربى العريق، وبحكم ارتباطه الوثيق بالحركة المكتبية بمفهومها الدقيق بالنسبة للمعنيين بعلم المكتبات. وفى هذا الصدد أوضح أن التجربة المملوكية فى مجال الحركة المكتبية، إلى جانب غيرها من التجارب العربية، يمكن أن نفيد منها وأن نعتبرها الأساس المتين الذى يرتكز عليه علم المكتبات والمعلومات فى عالمنا العربى المعاصر.

يتضح مما تقدم أن المؤلف تصدى بشجاعة لموضوع صعب لندرة مادته التى اعتصرها من بطون الوثائق والأصول. وهو، فى نفس الوقت، موضوع هادف لأنه ألقى ضوءا كاشفا على الحركة المكتبية فى مصر فى عصر دولة سلاطين المماليك الأولى والثانية الذى يشغل أكثر من قرنين ونصف من الزمان، كشف فيه عن تجربة حية نابضة لهذه الحركة بكل أبعادها ومن مختلف زواياها وجنباتها. والموضوع، فوق هذا وذاك جديد فى بابه، لأنه يمثل أول دراسة علمية مستقلة متكاملة قائمة بذاتها فى هذا الميدان الحيوى الهام. كذلك ناقش المؤلف فى ثنايا فصول الكتاب العديد من القضايا البالغة الأهمية فى حيدة وموضوعية وأمانة، وتوصل إلى العديد من الآراء والنتائج التى تتميز بدقتها وبجدتها وأصالتها، مما يكشف عن حاسة مكتبية أصيلة يتمتع بها، وعن فهم واع دقيق لموضوع الكتاب بكل أبعاده.

ويعتبر هذا الكتاب إضافة لها وزنها إلى الدراسات المتعلقة بالحركة المكتبية فى العالم العربى بعامة وفى مصر على وجه الخصوص،

الإسكندرية فى ١٠ أكتوبر ١٩٩٢

دكتور جوزيف نسيم يوسف

المقدمة

شهدت مصر فى عصر سلاطين المماليك نشاطا علميا وثقافيا متعدد الأطراف[١] ساعدت عليه عوامل عدة، منها الازدهار الاقتصادى الذى عاشته مصر إبان تلك الفترة والذى حقق لها الأمن والأمان، ومنها أيضا إحياء الخلافة العباسية فى القاهرة بعد سقوطها فى بغداد على أيدى التتار[٢]. وقد تمثل هذا النشاط فيما أنشىء من مؤسسات تعليمية وتربوية. ولأن الكتب تعتبر جزءا لا يتجزأ من العملية التعليمية التى لا تقوم إلا بها، فقد حرص المماليك على توفير المكتبات داخل كل مؤسسة. فكانت هناك إلى جانب المكتبات الخاصة، المكتبات الملحقة بالمساجد والمدارس والبيمارستانات ومؤسسات الصوفية حتى وصل الأمر إلى إقامة مكتبات فى الترب والمقابر. وقد وفر لها أولو الأمر جميع مقومات الخدمات والأنشطة من موارد مادية وبشرية، ومن نظم وإجراءات فنية وإدارية.

ورغم أهمية الدور الذى لعبته المكتبات إبان الفترة الزمنية موضوع الدراسة والتى امتدت أكثر من قرنين ونصف قرن من الزمان، فقد أغفل معظم الذين كتبوا عن تاريخ المكتبات هذه الفترة وأسقطوها من حسابهم[٣]. وربما أشار بعضهم إلى هذه الفترة إشارت

---

(١) انظر ص ٥٤ ـ ٥٨ من الكتاب

(٢) انظر ص ٥٠ من الكتاب

(٣) انظر على سبيل المثال : عبد الستار عبد الحق الحلوجى: لمحات من تاريخ الكتب والمكتبات، القاهرة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ١٩٨٢، محمد ماهر حمادة: المكتبات فى الاسلام، نشأتها وتطورها ومصائرها، بيروت، مؤسسة الرسالة ١٩٧٩م؛ عبد اللطيف الصوفى: لمحات من تاريخ الكتب والمكتبات، دمشق، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، ١٩٨٧م. راجع أيضا.

Youssef Eche, Les Bibliothéques Arabes Publiques et Semi Publiques en Mésopotamie, en Syrie et en Egypt au Moyon age, Damas, Instiute Francaise de Damas, 1967

عابرة مفادها خلو عصر سلاطين المماليك من هذا النشاط المكتبى لأنه - فى زعمهم كان عصر انحطاط وتأخر. من ذلك ما ذهب إليه أحد الكتاب الغربيين بتاريخ المكتبات وهو تومبسون J.W. Thompson من أن الشرق العربى الإسلامى قد إنها وأصبح خرابا بعد غزوات المغول، وأنه لم يفق من كبتوته حتى قيام دولة العثمانيين[١] وسوف يكشف هذا البحث بالأدلة والأسانيد الموثقة عكس هذا الرأى تماما.

أما مؤرخون المكتبات فى مصر فقد تجاوزوا العصر المملوكى فى مؤلفاتهم، سواء فى ذلك من كتب فى تاريخ المكتبات عن الفترة السابقة للعصر المملوكى[٢]، أو من كتب عن الفترة اللاحقة له[٣] . وربما كان سبب الإحجام عن الخوض فى هذا الميدان، هو تلك الفكرة السائدة عن المظالم التى ارتكبها بعض السلاطين المماليك، والتى استووا فيها مع سابقيهم من الحكام من عباسيين وغيرهم. ولكن هذا لا يبرر، فى رأينا، إسقاط الصفحات المشرفة للنهضة المكتبية فى العصر المملوكى، التى لازلنا نتمتع بثمارها حتى يومنا هذا. آية ذلك الموسوعات والمؤلفات التى تعج بها مكتبات العالم من أقصاه إلى أقصاه والتى ترجع إلى ذلك العصر.

ومهما يكن من نظام المكتبات فى العصر المملوكى، فإن الواجب يحتم علينا ألا نهمل جانبا من حياتنا العلمية ونقتطع حلقة من حلقات تطور المكتبة العربية، ذلك لأن حياتنا المعاصرة متصلة دون شك اتصالا وثيقا بحياتنا فى العصر الإسلامى الوسيط.

---

(١) - Thompson, J.W., The Medieval Library, New York, 1967, p 368.

(٢) من ذلك راجع: متولى محمد متولى: المكتبة ودورها التربوى فى مصر الفاطمية شبين الكوم، ١٩٨٣ .(رسالة ماجستير- كلية التربية- جامعة المنوفية).

(٣) لعل من أهم الدراسات التى تناولت الحركة المكتبية فى العصر الحديث والمعاصر مستخدمة فى ذلك المنهج التاريخى:

- سيدة ماجد محمد ربيع: تبادل المطبوعات بين مصر والولايات المتحدة الأمريكية، دراسة تاريخية تقويمية، القاهرة، ١٩٨٩ ، (رسالة دكتوراه، كلية الآداب- جامعة القاهرة).

- شعبان عبد العزيز خليفة : حركة نشر الكتب فى مصر، القاهرة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ١٩٧٤م.

عايدة ابراهيم نصر: حركة نشر الكتب فى مصر فى القرن التاسع عشر، القاهرة ١٩٨٩م (رسالة دكتوراه، كلية الآداب- جامعة القاهرة).

ولا نغالى إذا قلنا إن عصر سلاطين المماليك فى حياتنا المعاصرة من الآثار والتجارب والخبرات ما لم تخلفه العصور السابقة عليه. وكان هذا السبب من بين الأسباب التى شجعت الباحث على وصل هذه الحلقة المكتبية المنسبة بالحلقات السابقة عنه واللاحقة لها، وباستكمال هذه الحلقة يكون قد تم وضع لبنة فى تاريخ المكتبات الإسلامية بشكل عام، وتاريخ المكتبات المصرية بشكل خاص. هذا عن **أهمية البحث وسبب اختياره** موضوعا للدراسة. أما عن **أهدافه** فهو يعنى فى المقام الأول التعرف على عناصر ومكونات الخزمة المكتبية فى مصر المملوكية من حيث الموارد المادية والبشرية، والنظم والإجراءات الفنية، والخدمات والأنشطة، بغرض تقديم صورة واقعية للحركة المكتبية وقتها حتى يتسنى الوقوف على المتغيرات التى حدثت فى هذا العصر وانعكاساتها على حركة المكتبات بعامة مما يمكننا من الاستفادة منها فى حياتنا المعاصرة.

لذلك يتجه البحث إلى الإجابة عن الاستفسارت التالية:

١ ـ إذا كانت المكتبات جزءا من العملية التعليمية لا تقوم إلا به، وأن العصر المملوكى شهد نهضة علمية كبيِرة، فهل وجدت مكتبات فى هذا العصر أم لا؟ وإن وجدت فما هى أنواعها؟

٢ ـ هل كانت هناك مواصفات خاصة بمبانى المكتبات المملوكية؟ وما مدى مساهمة ذلك فى تقديم الخدمة المطلوبة؟

٣ ـ ما هى التجهيزات التى استخدمت من قبل المكتبات وإلى أى مدى ساهمت فى تقديم الخدمة؟

٤ ـ ما هى الموارد المالية الخاصة بالمكتبات المملوكية وأوجه إنفاقها؟

٥ ـ من هم العاملون بالمكتبات المملوكية وصفاتهم ورواتبهم، ومدى التزامهم بهذه الواجبات؟

٦ - المقتنيات بالمكتبة المملوكية ما هى، أنواعها، وأحجامها، وتغطيتها الموضوعية؟

٧ - هل كانت هناك سياسة للتزويد من المكتبة المملوكية؟. وما هى مصادر التزويد؟

٨ - هل كانت هناك نظم أو إجراءات فنية استخدمت من قبل المكتبة المملوكية؟ وما هى إن وجدت؟.

٩ - هل كانت هناك مواعيد محددة لفتح المكتبة للجمهور فى العصر المملوكى؟.

١٠ - من هم المستفيدون من المكتبات؟ وفئاتهم وأعدادهم؟.

١١ - ما هى أوجه الإفادة من الخدمة المكتبية فى المكتبات المملوكية؟

١٢ - هل كان هناك دور تربوى تعليمى للمكتبات المملوكية؟ وما مظاهره؟.

١٣ - ما هى أوجه التشابه والاختلاف بين المكتبات المملوكية والمكتبات الأوروبية المعاصرة لها؟ وهل كان هناك اتصال أو تعاون فيما بينهما؟.

١٤ - ما مدى تأثير الفتح العثمانى لمصر على المكتبات المملوكية؟.

١٥ - وأخيراً، ما مدى تأثير وانعكاس المتغيرات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعلمية على المكتبات إبان العصر المملوكى؟

تلك هى التساؤلات التى حاولنا أن نجد إجابات واضحة محددة لها اعتمادا على الوثائق والمصادر التى تحت أيدينا.

وفيما يتعلق بمجال البحث وحدوده، فمن المعروف أن دولة المماليك شملت مصر والشام وبلاد اليمن والحجاز. ونظرا لهذا الاتساع الجغرافى اقتصر البحث على دراسة المكتبات فى مصر باعتبارها عاصمة دولتى المماليك الأولى والثانية، فى الفترة الواقعة بين عامى ٦٤٨و٩٢٣هـ (١٢٥٠-١٥١٧م)

وعلى الرغم من عدم ظهور دراسة متخصصة متكاملة قائمة بذاتها عن المكتبات فى العصر المملوكى، إلا أنه يجب القول إنه نشرت أبحاث تناولت جانبا من جوانب الموضوع أو زاوية من زواياه، وأفدنا فى دراستنا. ويأتى على رأسها بحث الدكتور عبد اللطيف ابراهيم على، الذى قدم فيه دراسة عن المكتبة فى المدرسة المملوكية[١]، وخص بالذكر أهمية المكتبة ومكانتها بالنسبة للمدرسة وصفات العاملين فيها. وقد ساعدتنا هذه الدراسة فى التعرف على بعض مصادر الموضوع. غير أن سيادته[٢] لم يتعرض فى بحثه للأنواع الأخرى من المكتبات المملوكية، ومواردها المادية ونظمها وإجراءاتها الفنية لاسيما ما يتصل منها بالفهرسة والتصنيف والتجليد والجرد والصيانة. كذلك لم يتناول موضوع المستفيدين من المكتبات المملوكية، وساعات العمل بها، وأنماط الإفادة من الخدمة المكتبية، وإن كان هناك ذكر لبعض جوانب الخدمة. كل هذا تناولنا تفصيلا على امتداد صفحات الرسالة. كذلك تناولنا تقييم الدور التربوى للمكتبات المملوكية ومصائرها وما لحق بها من مصائب ورزايا، ومدى تأثير الفتح العثمانى عليها، وعقدنا مقارنة مركزة بينها وبين المكتبات الأوروبية المعاصرة لها مع بيان أوجه الشبه والخلاف بينها.

وظهرت دراسات أخرى تناولت عرضا للمكتبات المملوكية ضمن دراستها لجانب أو أكثر من جوانب الحياة الاجتماعية فى مصر المملوكية [٣]. غير أن هذه الدراسات لم تأت

---

(١) عبد اللطيف إبراهيم على: المكتبة المملوكية؛ فى كتابه دراسات فى الكتب والمكتبات الإسلامية، القاهرة، ١٩٦٢م، ص١٥-٤٠.

(٢) جدير بالذكر أن الدكتور عبد اللطيف قام بدراسة ونشر وتحقيق عدد من الوثائق المملوكية منها ما يتصل بالمكتبات، ومنها ما يتصل بالمؤسسات الأخرى، وكانت خير معين لنا فى هذا البحث. راجع الدراسة التحليلية للمصادر، ص١٤ - ١٧ من الكتاب.

(٣) راجع على سبيل المثال:

- عبد الغنى محمود عبد الغنى: التعليم فى مصر زمن الأيوبيين والمماليك، القاهرة، دار الفكر العربى، ١٩٨١م، ص٢٤٧-٢٦٢.

- على سالم النباهين: نظام التربية الاسلامية فى عصر دولة المماليك فى مصر، القاهرة، دار الفكر العربى، ١٩٨١م، ص٢٧٦ - ٢٨٠.

- محمد محمد أمين: الأوقاف والحياة الاجتماعية فى مصر (٦٤٨ - ٩٢٣هـ/ ١٢٥٠ - ١٥١٧م)، دراسة تاريخية وثائقية، القاهرة، دار النهضة العربية ١٩٨٠م. ص٢٥٥-٢٥٩.

بجديد، كما أنها جاءت مبتورة إذ اعتمد مؤلفاها على تلخيص بعض جوانب بحث الدكتور عبد اللطيف سالف الذكر، كما أن معالجتها جاءت من زوايا مختلفة وذلك خدمة للسياق المدروس فيه. والخلاصة أن هذه الأبحاث لا تغطي سوى جانب محدود للغاية من الموضوع ولا تفي بالغرض المطلوب، خاصة أن ما ورد فيها عن المكتبات المملوكية لا يتعدى، بضع صفحات لا تشفي من غل. وجاءت بعض المعلومات أحيانا مبعثرة متناثرة هنا وهناك. وهي فوق هذا وذاك، لا تعتمد سوى على عدد محدود جدا من المصادر.

أما من ناحية المنهج الذي اتبعناه في هذه الدراسة فقد اعتمدنا على منهج البحث التاريخي، الذي يقوم أساسا على جمع المعلومات والبيانات ذات الصلة بالموضوع من مصادره الأصلية والتي أرخت للعصر المملوكي، وتشمل عل كتب التاريخ والتراجم والسيَر والطبقات وكتب الرحلات والخطط، فضلا عن الوثائق الوقفية، مع التركيز على كل ما له صلة بالمكتبات ومواردها ونظمها وخدماتها. هذا بالإضافة إلى المراجع الحديثة، من عربية وغير عربية التي تعرضت لتاريخ الكتب والمكتبات في العصر الاسلامي الوسيط.

وقد فرضت طبيعة الموضوع تقسيمه إلى خمسة فصول لا تتبع نظام التسلسل الزمني، وإنما يأتي ذلك في إطار المعالجة الموضوعية بكل جانب من جوانب البحث في فصل بعينه. وقد مهدنا لذلك بدراسة تحليلية نقدية لأهم وثائق ومصادر البحث ومراجعه، وتمهيد عن أحوال المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك وانعكاس ذلك على الحركة المكتبية وقتها. وفي الفصل الأول وعنوانه «المكتبات في مصر في عصر سلاطين المماليك: نشأتها وأنواعها» قدمنا دراسة لنشأة المكتبات في مصر وتطورها قبيل العصر المملوكي، ثم استعرضنا أنواع المكتبات المملوكية، وهي المكتبات الخاصة، ومكتبات المساجد والجوامع، ومكتبات المدارس، ومكتبات البيمارستانات، ومكتبات الخوانق والرُبط والزوايا والخلاوي، ومكتبات التُرب والمدافن والقباب. مع ذكر أمثله لكل نوع من أنواع المكتبات الست والتركيز على اسم المكتبة ومؤسسها وسنة التأسيس ومكانها.

أما الفصل الثاني فقد تناولنا فيه «الموارد المادية والبشرية في المكتبات المملوكية»، وعالجنا في الفصل الثالث وعنوانه «النظم والإجراءات الفنية»، وفي الفصل الرابع درسنا

«الخدمات والأنشطة فى المكتبات المملوكية» أما الفصل الخامس والأخير وعنوانه «مصائر المكتبات المملوكية» فقد تناولنا فيه تدهور أوضاع المكتبات المملوكية، والتفريط فى محتوياتها وبحثنا أسباب ومظاهر هذا التدهور وذلك التفريط. كما درسنا مدى تأثير الفتح العثمانى لمصر على المكتبات المملوكية وما تعرضت له من نهب وسطو.

وفى الخاتمة عرضنا لأهم القضايا التى عرضت على بساط البحث، وأبرز النتائج والاستنتاجات التى أمكننا التوصل إليها. وذيلنا الدراسة بثلاثة ملاحق تتصل بالموضوع اتصالا وثيقا، يشتمل الملحق الأول على مجموعة لوحات لنصوص وقفية تحمل نص الوقفية وتبرز التفاوت بين هذه النصوص كما تحمل ختم تمليكة المكتبة. والملحق الثانى عبارة عن جدول يوضح المرتبات الشهرية والستحقات الإضافية التى كان يتقاضاها أمناء المكتبات المملوكية. أما الملحق الثالث فهو نص لا يزال مخطوطا قمنا بنشرة لأول مرة وهو مأخوذ من مخطوطة «الجواهر والدرر فى ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر» وتناول فيه قضية الإعارة فى المكتبة الملموكية. وقد مهدنا لهذه الملاحق بمقدمة وذيلنا الملحق الثالث بعدد من الهوامش للتعريف ببعض الأعلام والمصطلحات. وفى نهاية الكتاب ثبت بالمصادر والوثائق العربية والمراجع العربية والأجنبية التى رجعنا إليها واستقينا مادتنا العلمية منها.

وبعد فأجد لزاماً وقعاً علىّ أن أسجل شكرى وحبى وتقديرى الكبير لاستاذى الفاضل الاستاذ الدكتور جوزيف نسيم يوسف الذى كان لعونه الكبير وتوجيهاته القيمة أكبر الأثر فى إنهاء هذا البحث، إذ أعطانى من وقته الثمين جزءً كبيراً ولم يبخل علىّ بأى توجيه أو نصيحة وكان له بعد توفيق الله تعالى الفضل فى ظهور هذا العمل بهذه الصورة المشرفة فكان نعم الاستاذ المشرف العالم المدقق، فجزاه الله على كل خير وأمد فى عمره وأبقاه زخراً لكل باحث وطالب علم.

كما أسجل شكرى الخالص إلى الوالد العزيز الاستاذ الدكتور السيد محمود الشيطى وإلى الاخت العزيزة الدكتورة سيدة ماجد ربيع الذين تفضلا وقبلا مناقشتى وتوجيهى ولما

أبدوه من ملاحظات، فقد حرصت على الإفادة من آرائهم القيمة عندما شرعت في تقديم الكتاب إلى المطبعة

لهم جميعاً ولزوجتي السيدة/ جيهان محمود السيد ـ التي كانت دوماً عوناً لي ـ اهدى محبتي وتقديري، ولو أني اهديت هذا البحث إلى كل واحد منهم فلن أوفيه حقه ولكن أدعو الله عز وجل أن يجزيهم عني خيراً.

والله تعالى من وراء القصد وهو الهادى إلى سواء السبيل

السيد النشار.

دراسة تحليلية نقدية
لأهم وثائق ومصادر البحث ومراجعه

- الوثائق : أهميتها ـ أماكن تواجدها ـ أنواعها.

- المصادر العربية :

بدر الدين بن جماعة ـ الإدفوى ـ ابن الأكفانى السنجارى ـ تاج الدين السبكى ـ القلقشندى ـ المقريزى ـ ابن حجر العسقلانى ـ شمس الدين السخاوى ـ جلال الدين السيوطى ـ ابن إياس الحنفى.

- المراجع العربية.

- المراجع الأجنبية.

ينبغي الإشارة بادئ ذي بدء، وقبل الخوض في عرض وتحليل أهم الوثائق والمصادر والمراجع التى اعتمدنا عليها فى هذه الدراسة، إلى أنه لم يصلنا عن المكتبات فى العصر الإسلامى الوسيط بما فى ذلك عصر سلاطين المماليك، مصنف خاص بتاريخ المكتبات ومواردها ونظمها وخدماتها ومصائرها، يمكن أن نعتمد عليه فى إعادة كتابتنا لهذا التاريخ. وربما يرجع ذلك إلى أن فن «الكتابة فى تاريخ المؤسسات إنما هو اتجاه جديد»[1]، لم يعرف فى العالم الإسلامى إلا متأخرا[2]. وفى غياب مثل هذا التاريخ لتلك المؤسسات الحضارية، وفى مقدمتها المكتبات، كان لزاما علينا أن ننقب فى بطون الوثائق والمصادر والمراجع المختلفة، سواء تلك التى تعالج تاريخ مصر العام أو تلك التى تتعلق بالأحوال السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية والعلمية للفترة الزمنية موضوع الدراسة.

ومن ثم رجعنا إلى مجموعة متنوعة ومتعددة من الوثائق والحجج والأصول، والمصادر العربية الخطية والمطبوعة، فضلا عن المراجع الحديثة المتخصصة العربية منها والأجنبية التى تعالج من قريب أو من بعيد المكتبات فى مصر فى عصر سلاطين المماليك.

وتأتى الوثائق المملوكية فى المقام الأول من الأهمية، ومرجع ذلك إلى أنها أمدتنا

(١) يونان لبيب رزق: مقدمة كتاب: عبد المنعم الدسوقى الجميعى: مجمع اللغة العربية، دراسة تاريخية، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٣م ص٥.

(٢) يرجع أن إرهاصات هذا الفن من التاريخ - تاريخ المؤسسات - يمكن أن نؤرخ له فى العالم الإسلامى بكتاب «النعيمى الدمشقى»، عبد القادر بن محمد (ت٩٢٧هـ / ١٥٢١م): الدارس فى تاريخ المدارس، تحقيق جعفر الحسنى، دمشق، المجمع العلمى العربى، ١٩٤٨. وقد تناول النعيمى فى هذا الكتاب ذكر المدارس التى ظهرت فى الشام فى العصر الإسلامى بصفة عامة، والمماليكى بصفة خاصة. ونعتقد أن هذا الفن نشأ جنينا فى أحشاء الموسوعات العربية التى ظهرت بكثرة فى العصر المماليكى، مثال ذلك ما ذكره القلقشندى فى «صبح الأعشى» عن نشأة وتطور وظائف ديوان الإنشا كمؤسسة رسمية، وكذلك ما ذكره المقريزى فى «الخطط» عن المساجد والمدارس وغيرها من المؤسسات التعليمية والصوفية والتربوية.

بمادة وفيرة من الطراز الأول عن النظم والموارد والإجراءات والخدمات فى المكتبات المملوكية . وهو ما أغفلته معظم المصادر العربية إلا فيما ندر. هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى، فإن هذه الوثائق مصادر نزيهة لا شك فى صحتها، يستقى منها الوثائق والمؤرخ معلوماته وهو مطمئن إلى صحة ما جاء بها لأنها لم تكتب أصلا بغرض التأليف التاريخى، لهذا انتفت عنها الأهواء الذاتية[1] . كما أن كتابها من موثقين وكُتاب اتبعوا فى أغلب الأحوال فى إخراجها قواعد وأساليب جرت التقاليد المرعية فى تلك الدواوين على اتباعها بدقة . لهذا اعتمدنا بصفة أساسية على الوثائق التى ترجع إلى عصر سلاطين المماليك، والتى يُحتفظ بها فى أرشيف وزارة الأوقاف، ودار الوثائق القومية (مجموعة المحكمة الشرعية)، ودار الكتب المصرية (قسم المخطوطات) بالقاهرة والتى تزيد فى مجموعها عن ثمانمائة وثيقة [2]، منها حوالى ستين وثيقة وقف خاصة بالمؤسسات التعليمية والتربوية والصوفية التى وجدت فى العصر المملوكى سواء التى أنشئت إبانه أو قبله. وتضم هذه الوثائق وصفاً كاملاً لهذه المؤسسات بما فيها مكتباتها والحياة التعليمية

---

(١) سلوى على ميلاد : وثائق أهل الذمة فى العصر العثمانى وأهميتها التاريخية، القاهرة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ١٩٨٣م. ص٣ .

(٢) جدير بالذكر أن هذه المجموعة الوثائقية تعد مصدر أصيل وخصب لدراسة تاريخ مصر فى عصر سلاطين المماليك، ولايسما فى النواحى الاقتصادية والاجتماعية والآثارية فهى تقدم للباحث من المعلومات مالا يتوافر عادة فى المصادر التاريخية المعروفة، ولعل من أبرز المجالات التى تسهم هذه الوثائق فى دراستها : دراسة تراجم مشاهير الرجال ومعرفة أنساب المماليك وأمرائهم وسلاطينهم وألقابهم الفخرية والرسمية والوظائف المختلفة، والشروط التى يجب أن تتوافر فيمن يقوم بها، وطريقة تعيين الموظفين ومرتباتهم واجازاتهم وأحوالهم المعيشية، طوائف المماليك وطبقاتهم، تنظيم الجيش، خطط القاهرة وظاهرها، الألفاظ الاصطلاحية الخاصة بصناعة البناء وموادة، أسماء وألقاب المهندسين، وصف تفصيلى للعمائر الدينية والمدنية فى العصور الوسطى، بل ويمكن الاعتماد عليها فى ترميم الآثار الإسلامية وإعادتها إلى الصورة التى كانت عليها فى الماضى، وكذلك الحياة الاجتماعية والنقود التى يتعاملون بها وقيمتها وأسعار الأراضى والعقارات ونظام إيجار الأراضى الزراعية، وأنواع مختلف الصناعات وغيرها من المجالات التى تتصل بأحوال المجتمع المصرى إبان العصر المملوكى. (راجع : محمد محمد أمين، فهرست وثائق القاهرة حتى نهاية عصر السلاطين المماليك مع نشر وتحقيق تسعة نماذج، القاهرة، المعهد العلمى الفرنسى للآثار الشرقية ١٩٨٠ ، ص٣، عبد اللطيف ابراهيم : الوثائق فى خدمة الآثار، كتاب المؤتمر الثانى للآثار فى البلاد العربية، ١٩٥٧م) .

والتربوية فيها وأرباب الوظائف المختلفة بها والنواحي المعمارية لها، وتحديد الأوقاف التى عينت للصرف من ريعها عليها.

وفيما يتعلق بموضوع البحث فقد أمدتنا الوثائق المملوكية بتفصيلات عن إنشاء المكتبات والهدف من تأسيسها، وعن موقع المكتبة بالنسبة للمؤسسة الأم، ومواصفات المقر ومساحته، والتجهيزات الخاصة بالمكتبة، من أثاث وأدوات لحفظ المجموعات وصيانتها كصناديق الكتب ورفوفها. كما أسهبت فى ذكر موارد المكتبة المالية ووجوه إنفاقها، وفئات العاملين بها، وتحديد واجباتهم ومؤهلاتهم ومرتباتهم. فقلما نجد وثيقة من وثائق العصر المملوكى الخاصة بالمؤسسات التعليمية والصوفية إلا وتحدثت عن هذه الأمور بالتفصيل. كما أمدتنا الوثائق بمعلومات كافية عن نظام التزويد وسياسته ومصادره. أما فيما يتعلق بموجودات المكتبة من الكتب وأعدادها وموضوعاتها وإعدادها ببليوجرافيا وفنيا، فقد أغفلت معظم الوثائق ذكر أية معلومات تتعلق بهذا الخصوص، وذلك فيما عدا وثيقتين هما وثيقة الإبشادى[1] ووثيقة الزوواى[2] والتى استطعنا من خلال استنطاق نصوصهما الخروج بمؤشرات عامة من ذلك.

وأمدتنا كذلك بعض الوثائق بمعلومات أصلية عن بعض الإجراءات الفنية الأخرى مثل التسليم والتسلم، والتسجيل والجرد والصيانة والترميم. من ذلك وثيقة وقف أزبك من ططخ[3] ووثيقة وقف السلطان فرج بن برقوق[4]، ووثيقة وقف السلطان حسام الدين لاجين[5]، ووثيقة السلطان حسن بن قلاوون[6]، ووثيقة الشيخ على بن سليمان

---

(١) انظر ص٣٢، حاشية رقم ١ من هذا الفصل.

(٢) انظر ص٣٤، حاشية رقم ١ من هذا الفصل.

(٣) وثيقة الأتابكي أزبك من ططخ، محكمة رقم ١٩٨، محفظة ٣١ (دار الوثائق).

(٤) وثيقة السلطان فرج بن برقوق، محكمة رقم ٦٦، محفظة ١١ (دار الوثائق). وجدير بالذكر أن صالح لمعى مصطفى قام بنشر جزء من هذه الوثيقة فى كتابه: الوثائق والعمارة، بيروت، دار النهضة العربية، (بدون تاريخ)، ص ٧-٢٩.

(٥) وثيقة السلطان حسام الدين لاجين، محكمة رقم ١٧، ١٨ محفظة ٣، (دار الوثائق)

(٦) وثيقة السلطان حسن بن قلاوون رقم ٨٨١ أوقاف، وصورها رقم ٣٧، ٤٠، ٤١، ٤٤، محفظة ٦ (دار الوثائق). وجدير بالذكر أن الدكتور محمد محمد أمين قد قام بنشر هذه الوثيقة مقارنة بصورها فى ملحق الجزء الثالث من كتاب: ابن حبيب، الحسن بن عمر (ت ٧٧٩هـ/١٣٧٧م): تذكرة النبيه فى أيام المنصور وبنيه، تحقيق محمد أمين، مج ٣، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٦م.

الإبشادى[١] وربعة بكتمر الساقى [٢] وغيرها من الوثائق. كما زودتنا الوثائق الخاصة بالسلطان الغورى[٣]. والصفوى جوهر اللالا[٤]، والسلطان برقوق [٥] وجمال الدين يوسف الاستادار[٦] وفرج ابن برقوق، والقاضى يحيى زين الدين[٧]، بمعلومات عن مواعيد فتح المكتبات للمستفيدين. واستطعنا من استنطاق بعض النصوص الوثائقية، التعرف على فئات المستفيدين من الكتاب وأعدادهم. مثال ذلك وثيقة وقف السلطان حسن بن قلاوون ووثيقة محمد بن البدر العباسى[٨]، ووثيقة الأمير صرغتمش[٩]، ووثيقة السلطان برسباى[١٠]، ووثيقة المؤيد شيخ المحمودى[١١]، ووثيقة الأمير سودون من

---

(١) وثيقة الشيخ على بن سليمان الابشارى رقم ٢٧٨، محفظة ٤٣ (دار الوثائق)، قد قام بدراستها وتحقيقها الدكتور عبد اللطيف ابراهيم على فى : دراسات فى الكتب والمكتبات الإسلامية ، البحث الثالث، القاهرة، ١٩٦٢م.

(٢) ربعة بكتمر الساقى، رقم ٧٢ مصاحف، دار الكتب المصرية، وراجع الملحق الأول، لوحة ١ بآخر الكتاب.

(٣) وثيقة وقف السلطان قانصوه الغورى رقم ٨٨٣ أوقاف. وقد قام بدراستها وتحقيقها الدكتور عبد اللطيف إبراهيم فى : دراسات تاريخية أثرية فى دقائق من عصر السلطان الغورى، رسالة دكتوراه لم تنشر بعد، كلية الآداب جامعة القاهرة ١٩٥٦م.

(٤) وثيقة الصفوى جوهر اللالا رقم ١٠٢١ أوقاف.

(٥) وثيقة السلطان برقوق، رقم ١٥ محفظة ٩ (دار الوثائق).

(٦) وثيقة جمال الدين يوسف الاستادار، رقم ١٠٦، محفظة ١٧ (دار الوثائق) وقد قام بدراسة هذه الوثيقة ونشرها الدكتور/ محمد عبد الستار عثمان فى : وثيقة وقف جمال الدين يوسف الاستادار/ دراسة تاريخية أثرية وثائقية، الاسكندرية، دار المعارف، ١٩٨٣م.

(٧) وثيقة القاضى يحيى زين الدين، رقم محفظة ١٧ (دار الوثائق).

(٨) وثيقة محمد البدر العباسى، رقم ٤٣، محفظة ٧ (دار الوثائق).

(٩) وثيقة الأمير صرغتمش رقم ٣١٩٥ أوقاف. وجدير بالذكر أن الدكتور عبد اللطيف ابراهيم على قام بنشر جزء من هذه الوثيقة فى : نصان جديدان من وثيقة الأمير صرغتمش، مجلة كلية الأدب. جامعة القاهرة، مج ٢٧، جـ ١ - ٢ (مايو- ديسمبر ١٩٦٥م)، مج ٢٨ (١٩٦٦).

(١٠) وثيقة السلطان برسباى رقم ٨٨٠ أوقاف. وقد قام بنشر هذه الوثيقة كملحق لرسالته الماجستير: محمد عبد الستار عثمان: الأعمال المعمارية للسلطان الأشرف برسباى بالقاهرة، رسالة ماجستير لم تنشر بعد. كلية الآداب - جامعة القاهرة، ١٩٧٧م.

(١١) وثيقة المؤيد شيخ رقم ٩٣٨ أوقاف. وقد قام بنشر جزء منها عبد الغنى محمود عبد العاطى فى التعليم فى مصر فى زمن الأيوبيين والمماليك، القاهرة دار المعارف، ١٩٨٤م، ص ٣٣١ - ٣٤٨، كما قام فهمى عبد العليم بنشر نفس الجزء من الوثيقة فى : جامع المؤيد شيخ: دراية أثرية معمارية، رسالة ماجستير لم تنشر بعد كلية الآثار - جامعة القاهرة، ١٩٧٨).

زادة(١)، وغير ذلك من الوثائق التى ترجع إلى العصر المملوكى.

وأما عن سبل الإفادة من المكتبات، فقد أوردت الوثائق تفاصيل تقديم هذه الخدمات. وعلى الرغم من أن هذه الوثائق قد أجمعت على أن خدمتى الاطلاع الداخلى والنسخ كانتا متوفرة إلى حد كبير فى جميع المكتبات المملوكية، حيث كان الهدف المستهدف من إنشائها، إلا أنها أغفلت ما يفيد أنه كانت هناك إجراءات فنية تنظم هذه الخدمة. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى أوردت بعض الوثائق مثل وثيقة فرج بن برقوق ووثيقة جمال الدين الاستادار، وثيقة على سليمان الابشادى، ووثيقة الجمالى يوسف (٢) ووثيقة المؤيد شيخ المحمودى، ووثيقة الغورى. أوردت تفصيلات عن موقف المكتبات المملوكية من قضية الإعارة الخارجية تفيد أنه كان موقفا متباينا يختلف باختلاف المكتبة ولائحتها وشروط منشئها والتى كانت عادة ما ترد فى وثيقة الوقف(٣).

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى كانت وثيقتا الابشادى والزواوى من أكثر الوثائق أهمية للبحث، ومرجع ذلك أنهما وثائق وقف خاصة بمكتبات بذاتها، وليست - كغيرها من الوثائق - خاصة بمؤسسات أم، كانت المكتبات جزء منها. وقد أمدتنا هاتان الوثيقتان ببعض التفصيلات عن موضوع البحث. فوثيقة وقف على بن سليمان الابشادى(٤) أمدتنا بحصر شامل لمحتويات مكتبة الإبشادى الخاصة التى وقفها على طلاب العلم بالجامع الأزهر، وما رتبه لها من أوقاف ليصرف من ريعها على هذه المكتبة وتعيين أمين المكتبة وصفاته وراتبه، كما زودتنا بمعلومات عن نظام التزويد والتسجيل فى المكتبة المملوكية، والتجهيزات الخاصة بالمكتبة من خزانات خشبية لحفظ الكتب وأدوات استخدامها(٥).

---

(١) وثيقة الأمير سودون من زاده رقم ٥٨، محفظة ١٠، دار الوثائق القومية وقد قام بنشرها حسنى نويصر فى: مدرسة جركسية على نمط المساجد الجامعة، القاهرة، مكتبة نهضة الشرق، (دون تاريخ).

(٢) وثيقة الجمالى يوسف ناظر الخواص الشريفة رقم ١٠٥، محفظة ١٦، دار الوثائق.

(٣) راجع، ص ٢٠٥ من الفصل الرابع من الكتاب..

(٤) وثيقة الابشادى، رقم ٢٧٨، محفظة ٤٣، (دار الوثائق) راجع ص٥، حاشية ٥ من الكتاب.

(٥) جدير بالذكر أن هذه الوثيقة تفيدنا فى دراسة فن التجليد فى ذلك العصر، اذ تذكر لنا أنواعا مختلفة من الجلود الخاصة بالكتب والمصاحف منها مصحف بجلد أحمر شغل ظهر، وآخر بجلد أحمر ترخيم، والجلد المذهب، والجلد الأحمر العتيق، والجلد الأسود. راجع الوثيقة.

وأما وثيقة الزواوى[١] فهى وثيقة إدارية، عبارة عن كشف بالكتب المقدمة من قبل السيخ شرف الدين عيسى الزاووى المالكى والتى وقفها على طلاب العلم برواق المغاربة بالجامع الأزهر، والتى تسلمها خازن الكتب[٢] بمكتبه الرواق. وهذه الوثيقة تعتبر نموذجا طيبا لما كان عليه العمل فى إدارة مكتبة مصرية فى العصر المملوكى، إذ تؤكد على وجود إجراءات التسليم والتسلم، كما أن التصنيف الذى اتبعته فى ترتيب الكتب إنما هو تصنيف موضوعى يعكس فلسفة التصنيف التى كانت تستخدم فى المكتبات المملوكية.

وبالإضافة إلى هذه الوثائق، هناك العديد من الوثائق المملوكية الأخرى التى أطلعنا عليها وأفدنا منها فى عقد بعض المقارنات والموازنات بين النصوص الوقفية أو لتوضيح بعض زوايا البحث وغوامضه. وتأتى **المصادر العربية**، من خطية ومطبوعة، معاصرة ومتأخرة، فى المرتبة الثانية بعد الوثائق ، لأنها ضنت علينا بالكثير من المعلومات المتعلقة بموضوع البحث والتى سجلتها الوثائق من ناحية، ولأنها لا تأخذ صفة الوثائق الرسمية من ناحية أخرى ولذا كان اعتمادنا بصفة أساسية على الوثائق. أما المصادر العربية، فكانت لسد الفجوات، واستكمال الصورة، وتدعيم بعض الآراء والنظريات، وقبل أن نستعرض أهم المصادر العربية بالنسبة لهذا البحث، تجدر الإشارة إلى أن هناك ملاحظات على هذه المصادر. منها أنها تكاد تكون مطابقة لبعضها وذلك جريا على عادة المؤرخين القدامى فى النقل عن بعضهم مع الإشارة أحيانا إلى المصادر التى نقلوا عنها، أو إغفال ذلك. كما أن المعلومات ذات الصلة بالموضوع التى أوردتها هذه المصادر تتصف بعموميتها ولا تجنح إلى التفصيل، فضلا عن أنها مبعثرة ومتناثرة بين طيات صفحات

---

(١) وثيقة الشيخ عبد الرحمن الزواوى المغربى، رقم ١٨٦، محفظة ٢٨، دار الوثائق وقد قام الدكتور عبد اللطيف ابراهيم بنشر هذه الوثيقة فى كتابه دراسات فى الكتب والمكتبات الإسلامية، عام ١٩٦٢م. راجع ترجمة الزواوى فى : السخاوى : الضوء اللامع، جـ ٦، ص١٥٩.

(٢) هو الشيخ سمش الدين محمد بن جمال الدين عبد الله بن عبد العزيز المغربى المراكش. راجع نص الوثيقة رقم ١٨٦ محفظة ٢٨، دار الوثائق، سطر ٢ ـ ٣.

تلك المصادر، بل وترد فى كثير من الأحيان بشكل عرضى فى سياق الحديث عن الحوادث والأخبار والموضوعات الأخرى وفقا لطريقة السرد الحولى التى درج عليها المؤرخون المسلمون فى العصر الإسلامى الوسيط. وقد ضاعف من حدة المشكلة أن عددا غير قليل من هذه المصادر لم يذيل بالكشافات والفهارس التى تعيننا فى الوصول للمعلومات بسرعة ودقة. ومن ثم كان لزاما علينا قراءة هذه المصادر كلمة كلمة لعلنا نخرج بإشارات نستطيع من استنطاقها رسم صورة لحركة المكتبات فى مصر إبان العصر المملوكى.

وقد رتبنا هذه المصادر حسب أهميتها بالنسبة لموضوع البحث، مع مراعاة التسلسل الزمنى لها فى نفس الوقت، ويأتى فى مقدمتها، كتاب «تذكرة السامع والمتكلم فى أدب العالم والمتعلم» [١] لبدر الدين بن جماعة (ت٧٣٣هـ/١٣٣٢م)[٢].

والكتاب يعد من المصادر الأساسية التى تناولت مناهج البحث العلمى عند المسلمين فى العصر الإسلامى الوسيط. وقد أفرد مؤلفه، كما يتضح من عنوانه، لدراسة الآداب والتقاليد التى ينبغى على طالب العلم ومعلمه اتباعها فى بحثه وقراءاته، وعلاقته بأساتذته وأقرانه من الطلاب داخل المؤسسات التعليمية وخارجها. وفيما يتعلق بالمادة التى أمدنا بها والتى تهمنا، فقد أشار فى الباب الرابع إلى الآداب التى ينبغى مراعاتها مع الكتب التى هى «آلة العلم» وما يتعلق بتصحيحها وحملها وصفها وشرائها وعاريتها ونسخها وغير ذلك، كما أمدنا بمادة طيبة عن آداب الإعارة الخارجية وتقاليدها[٣].

وأما كتاب «الطالع السعيد الجامع أسماء نجباء الصعيد» [٤] لأبى الفضل كمال الدين

---

(١) إبن جماعة، بدر الدين إبراهيم : تذكرة السامع والمتكلم فى أدب العالم والمتعلم، تحقيق أحمد عبد الغفور العطار، بيروت، ١٩٦٧م.

(٢) محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة ولد سنة ٦٣٩هـ/١٢٣٧م بحماه، وتوفى بالقاهرة فى ٧٣٣هـ/١٣٣٢م وكان عالما فاضلا محدثا تولى وظائف دينية عديدة أهمها مشيخة كل من المدرسة الصالحة والمدرسة الناصرية وجامع ابن طولون، وتولى القضاء بالديار المصرية. عن ترجمته. راجع: ابن حجر العسقلانى : الدرر الكامنة جـ٣، ص٢٨١-٢٨٣.

(٣) راجع ص ٢٠٣ من الكتاب.

(٤) نشر فى القاهرة عام ١٩١٤م فى طبعة غير محققه بعنوان «الطالع السعيد الجامع لاسماء الفضلاء والرواه بأعلى الصعيد» وهى الطبعة التى اعتمدنا عليها فى هذا البحث. كما نشر عام ١٩٦٦م بالقاهرة أيضا تحقيق سعد محمد حسن بعنوان «الطالع السعيد الجامع أسماء نجباء الصعيد».

الإدفوى (١) فى أنه يعتبر المصدر الوحيد الذى أمدنا بمعلومات عن المكتبات التى وجدت فى مدن صعيد مصر ومؤسسيها ومجموعاتها والعاملين بها، لا سيما المكتبات المدرسية منها والخاصة.

ويعد كتاب «إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد» (٢) لابن الأكفانى السنجارى (٣) (ت٧٤٩هـ/١٣٤٨م) من أبرز المؤلفات العربية التى تناولت تصنيف المعرفة البشرية وقد اتخذ من الأساس الاكسيولوجى (٤) أساسا لتصنيف العلوم فى كتابه. وقسم خطة تصنيفه إلى قسمين رئيسيين، يتفرع كل منهما إلى فروع. ثم بدأ فى بسط الفروع، وذلك بذكر العلم وتعريفه وموضوعه ومنفعته، مع ذكر نماذج مختارة من الكتب المؤلفة. وتبدو أهمية هذا الكتاب فى أنه يعكس نظرة العلماء العرب للعلوم وتصنيفها وتنظيمهم لها، لاسيما الذين عاشوا فى ظل دولة المماليك. ومن المرجح أن بعض المكتبات المملوكية قد استفادت من تصنيف الأكفانى فى تنظيم مجموعاتها. كما أن هذا التصنيف كان أساسا لنظم تصنيفية أخرى ظهرت بعد ذلك كتصنيف طاش كبرى زادة (٥).

---

(١) هو جعفر بن ثعلب بن على الدين أبو الفضل الإدفوى ولد سنة ٦٧٥هـ/ ١٢٧٦م توفى سنة ٧٤٩ هـ/١٣٤٩م. وكان عالما باللغة وأديبا وشاعرا، تولى التدبير فى مدارس ومساجد إدفو بصعيد مصر. وله العديد من المؤلفات منها «صنف الامتناع فى أحكام السماع» و«البدر السافر فى تحفة المسافر فى التاريخ» راجع ترجمته فى مقدمة الكتاب فى مقدمة الكتاب، ص ٤٤ ـ ٤٦.

(٢) نشر وتحقيق د. عبد اللطيف محمد العبد، القاهرة، مكتب الانجلو المصرية ١٩٧٨م.

(٣) هو الشيخ الإمام العلامة شمس الدين محمد ابن ابراهيم بن ساعد الأنصارى ويعرف بابن الأكفانى السنجارى (ت٧٤٩هـ/١٣٤٨) وكان طبيبا باحثا عالما بالحكمة والرياضيات والفلك والأدوية وله العديد من المؤلفات مثل الدرر النظيم فى أحوال العلوم والتعليم، وغنية اللبيب فى غيبة الطبيب، ونهاية القصد فى صناعة الفصد، وغيرها كثير. وراجع ترجمته فى ابن حجر العسقلانى : الدرر الكامنة جـ٣ ص٢٧٩ ـ ٢٨٠؛ الشوكانى : البدر الطالع جـ٢ ص٧٩ ـ ٨٠.

(٤) أى القيمى الأخلاقيى وهو أحد الأسس الفلسفية لتصنيف العلم عند العرب راجع أحمد عبد الحليم عطية، دراسات فى تاريخ العلوم عند العرب، بالقاهرة دار الثقافة للنشر والتوزيع، ١٩٩١م ص١٠٣، ١٢١ ـ ١٣٠.

(٥) راجع ص ١٨٤ من الكتاب.

ويتناول تاج الدين السبكى[١] (ت٧٧١هـ/١٣٦٩م) فى كتابة «معيد النعم ومبيد النقم»[٢]، وهو أحد كتب الحسبة[٣]، جميع المهن والوظائف فى عصره، وآداب كل مهنة وصفات القائم بها، وتفصيل ذلك دون الاقتصار على الأخلاق العادية، كالأمانة والإخلاص والصدق. ويعد هذا الكتاب بمثابة علامة بارزة فى تاريخ الاصلاح الاجتماعى، وهو مرجع قيم فى تقويم الشعوب وتثقيف اعوجاجهم. وقد اعتمدنا عليه بصفة خاصة فى الفصل الثانى، وذلك فيما يختص بالموارد البشرية فى المكتبة المملوكية، من حيث التعرف على صفات وواجبات ومؤهلات العاملين من خازنى الكتب والنساخ والوراقين. والمجلدين والمذهبيين ودلالى الكتب. وذلك فضلا عن تحقيق بعض المصطلحات المكتبية ووظائف الأمراء التى وردت فى سياق النصوص الوثائقية.

وأما القلقشندى (ت٨٢١هـ/١٤١٨م)[٤] فيعتبر كتابه «صبح الأعشى فى صناعة الإنشاء»[٥] من المصادر العربية الهامة لدراسة تاريخ مصر إبان العصر المماليكى فقد

---

(١) هو عبد الوهاب بن على بن الكافى الملقب بتاج الدين السبكى ولد سنة ٧٣٨هـ/١٣٢٨م وتوفى سنة ٧٧١هـ/١٣٦٩م. ينتمى إلى بيت عريق فى العلم والتقوى، فكان أبوه تقى الدين السبكى قاضى القضاه، تقلد تاج الدين مناصب عديدة فى التدريس والقضاء، وله مؤلفات عديدة منها «طبقات الشافعية الكبرى» وقد طبع فى ستة مجلدات. راجع ترجمته فى ابن حجر العسقلانى: الدرر الكامنة، جـ٢، ص٤٢٦؛ السبكى: معيد النعم، ص هـ - م.

(٢) السبكى، تاج الدين عبد الوهاب: معيد النعم ومبيد النقم، تحقيق محمد على النجار، وابو زيد شلبى، ومحمد أبو العيون، القاهرة، ١٩٤٨م.

(٣) الحسبة فى الأصل تعنى الأمر بالمعروف إذا ظهر تركه والنهى عن المنكر إذا ظهر فعله، وقد تعدت هذه الوظيفة هذا المعنى الدينى إلى أمور تتفق ومصالح المجتمع من حيث المحافظة على النظافة فى الطرق، ومراقبة الأسواق والكشف عن صحة الموازين، ومنع الغش، وتوصيف المهن والوظائف، إلى غير ذلك من الأمور. للمزيد راجع: ابراهيم دسوقى الشهاوى: الحسبة فى الإسلام، القاهرة، ١٩٦٢م، ص٩؛ سهام مصطفى أبو زيد: الحسبة فى مصر الإسلامية من الفتح العربى إلى نهاية العصر المملوكى، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٦م، ص٤١-٥١.

(٤) هو أحمد بن على بن أحمد بن عبد الله الشهاب بن الجمال أبى اليمن الفزارى القلقشندى ولد عام ٧٥٦هـ/١٣٥٥م فى قرية قلقشنده إحدى قرى القليوبية واشتغل بالفقه وبرعه فى العربية والأدب وكتب الإنشاء بداية من عام ٧٩١هـ/١٣٨٨م، وناب فى الحكم. ومن أشهر كتبه «صبح الأعشى فى صناعة الإنشاء» و«أنساب العرب»، و«ضوء الصبح المسفر وجنى الدوح المثمر»، وغير ذلك، توفى عام ٨٢١هـ/١٤١٨م. راجع: القلقشندى: صبح الاعشى جـ١١، ص٨-٢٠؛ السخاوى: الضوء اللامع، جـ٢، ص٨.

(٥) نشر فى القاهرة بدون تحقيق فى أربعة عشر مجلدا فيما بين عامى ١٩١٣-١٩١٥.

عاصر جانبا كبيرا من عصر دولة المماليك كما أنه عمل فى شطر كبير من حياته بديوان الإنشا. الأمر الذى الذى مكنه من جمع العديد من الوثائق ما بين مكاتبات ومعاهدات ومراسلات أثبتها في موسوعته التى تبلغ أربعة عشر مجلدا. وقد كان على علم بمجريات الأمور والأحوال فى البلاد لتوفر تلك الوثائق تحت يديه. كما فرضت عليه طبيعة عمله أن يعرف مواقع المدن والبلدان التى يكتب عنها، وما يتعلق بذلك من أحوال اقتصادية وسياسية واجتماعية وعلمية وفكرية. وقد خص المؤسسات التعليمية والتربوية والصوفية ومكتباتها بنصيب وافر من المعلومات. كما أفادنا فى التعرف والتحقق من معانى بعض المصطلحات الفنية التى وردت فى سياق الوثائق المملوكية[١].

ومن المصادر التى أثرت البحث في العديد من نقاطه كتاب «مواعظ الاعتبار بذكر الخطط والآثار» لتقى الدين المقريزى (ت٨٤٥هـ/١٤٤١م) [٢]، الذى يعد سجلا شاملا بجغرافية مصر وأحوالها الزراعية والصناعية والمالية والإدارية والعلمية والفكرية. وقد اعتمدنا عليه في العديد من النقاط لاسيما حصر المكتبات المملوكية، حيث قدم المقريزى حصرا بالمؤسسات التعليمية والتربوية والصوفية من مدارس ومساجد وخوانق وربط وبيمارستانات، والتى وجدت فى عصره، مع بيان منشىء كل مؤسسة وظروف الإنشاء وموقعها، وما إذا كانت بها مكتبه أم لا، ومصيرها إن هى قد تلاشت. كما انفرد المقريزى بذكر الإشكال الذى وقع بين أسرة جمال الدين يوسف الاستادار والسلطان فرج بن برقوف بعد موت الأول، نتيجة لاستيلاء فرج بن برقرق على المدرسة الجمالية ومكتبتها وأوقافها،

---

(١) نظرا لأهمية هذه الموسوعة وما تعج به من معلومات، قام محمد قنديل النقلى بإعداد كشافات تحليلية للألفاظ والمصطلحات الفنية والوثائق والبلدان وغيرها من البيانات والمعلومات. وتعتبر هذه الكشافات بمثابة مفتاح البحث فى هذه الموسوعة، وبدونها يصعب على الباحث الحصول على ما يريد من معلومات بدقة وسرعة. راجع : محمد قنديل النقلى : فهارس صبح الأعشى فى صناعة الإنشا للقلقشندى، القاهرة، عالم الكتب، ١٩٧٢م.

(٢) هو تقى الدين أبو العباس أحمد بن على المقريزى ولد بالقاهرة عام ٧٦٦هـ/١٣٦٤م، وتوفى عام ٨٤٥هـ/١٤٤١م. وقد عمل موقعا بديوان الانشاء بالقلعة ثم تقلد عدة مناصب متعلقة بالقضاء وتولى الحسبة أكثر من مرة، وصنف عددا من المؤلفات مثل «الخطط» و«السلوك» و«اتعاظ الحنفا» و«إغاثة الأمة بكشف الغمة». راجع ترجمة فى ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ١٠، ص٤٩٠ ـ ٤٩١؛ السخاوى : التبر المسبوك، ص٢١ ـ ٢٢؛ الضوء اللامع : جـ٢ ص٢١ ـ ٢٥.

وما آلت إليه الأمور بعد ذلك على نحو ما سترى فى صفحات الرسالة. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى أمدنا المقريزى بجانب من أسباب تدهور بعض المكتبات فى عصره.

وهناك كتاب آخر للمقريزى يلى كتاب «الخطط» فى الأهمية بالنسبة لهذا البحث هو الموسوم «بالسلوك لمعرفة دول الملوك»[(١)]. وقد انتهج المقريزى فى تأليفهالمنهج الحولى أو الكتابه حسب السنين. والكتاب يعد تاريخا لفترة حكم مصر والشام إبان الأيوبيين والمماليك، حيث ضمنه كافة الوقائع والأحداث التى مرت بها البلاد وأثرت تأثيرا عميقا فى التاريخ السياسى والاقتصادى والاجتماعى والفكرى وما يلاحظ أنه لم تفته حادثة هامة إلا وذكرها، إذ كتب عن جميع المنازعات بين الأمراء وفتن الأعراب، والزلزال الذى تعرضت له البلاد، وغير ذلك، ولاشك أن كل هذا كان له أثره على حركة الكتب والمكتبات كما سيتضح من البحث. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى أفادنا «السلوك» فى معرفة مواضع بعض المكتبات وتاريخ إنشائها، وأسماء العاملين فى بعضهما.

وتناول ابن حجر العسقلانى (ت٨٥٢هـ/١٤٤٩م) [(٢)]فى كتابه «الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة»[(٣)] بالتعريف للمشاهير من علماء ورجال القرن الثامن وترجماتهم ويعد هذا الكتاب من أهم المصادر العربية التى اعتمدنا وأفدنا منها فى العديد من قضايا

---

(١) نشر الكتاب فى أربعة أجزاء كل جزء يتكون من ثلاثة أقسام، قام بتحقيق الجزئين الأول والثانى فى ستة أقسام المرحوم الدكتور/ محمد مصطفى زيادة فى الأعوام من ١٩٣٩م إلى ١٩٥٨م، بينما قام الدكتور سعيد عاشور بتحقيق الجزئيين الثالث والرابع فى ستة أقسام أخرى، وصدرت عن الهيئة المصرية للكتاب فى الأعوام من ١٩٧٠م- ١٩٧٣م. وجدير بالذكر أن السخاوى أعد تعديلا لهذا الكتاب سماه «التبر المسبوك فى ذيل السلوك» عالج فيه الفترة التالية لوفاة المقريزى وقد أطلعنا عليه ولكن لم نفد منه إلا نادرا. هذا و قد نشر الكتاب فى القاهرة عام ١٨٩٦م عن مطبعة بولاق.

(٢) هو قاضى القضاه شهاب الدين أبو الفضل احمد بن على بن محمد الكنانى العسقلانى، الملقب بابن حجر، ولد عام ٧٧٣هـ/١٣٧٢م وتوفى عام ٨٥٢هـ/ ١٤٤٩م. وقد تولى إلى جانب القضاء بمصر عدة مناصب مثل مشيخة البيبرسية والافتاء بدار العدل، والخطابة بالجامع الأزهر، وخزن الكتب بخزانة المدرسة المحمودية. وكان محدثا مؤرخا أديبا لغويا. وقد ذكر السخاوى عند ترجمته ما يقرب من مائة وخمسين مصنفا. راجع:
- السخاوى: الجواهر الدرر فى ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر، مخطوط رقم ١١٤٧٠، دار الكتب المصرية.

(٣) ابن حجر العسقلانى: الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة، ٥ أجزاء، ط٢، القاهرة، ١٩٦٦م.

البحث. ومرجع ذلك أنه أمدنا بالكثير من المعلومات عن صفات العاملين بالمكتبات من خلال الترجمة لعدد غير قليل ممن عملوا فى وظائف مكتبية كخازنى الكتب وغيرهم من العاملين. كما أفادنا فى التحقيق من وجود بعض المكتبات لاسيما الخاصة منها. وترك ابن حجر العسقلانى كتابين آخريين أطلعنا عليهما وأفدنا منهما فى مواضع قليلة ومتفرقة من البحث. ويعتبران من المصادر المساعدة على فهم بعض الأحداث والقضايا المتعلقة بالموضوع، وهما: «رفع الإصر عن قضاه مصر»(١) ترجم فيه لبعض قضاه مصر، «أنباء الغمر بأنباء العمر»(٢) وهو كتاب اتبع فيه المنهج الحولى حيث جمع فيه الحوادث التى أدركها منذ ولد سنة ٧٧٣هـ/١٣٧٢م حتى عام ٨٥٠هـ/١٤٤٧م، وأورد فى كل سنة أحوال الدول ووفيات الأعيان ورواة الحديث.

وجاء بعد ابن حجر العسقلانى تلميذه شمس الدين السخاوى (ت٩٠٢هـ/١٤٩٨م)(٣) الذى استدرك فى كتابه «الضوء اللامع لأهل القرن التاسع» (٤)ما فات شيخه ابن حجر فى «الدرر الكامنة». وجمع فيه تراجم مشاهير القرن التاسع الهجرى (الخامس الميلادى) من العلماء والقضاة والرواة والأدباء والشعراء والخلفاء والملوك والأمراء، ورتب التراجم على حروف المعجم، ويشترك كتاب «الضوء اللامع» مع الدرر الكامنة» فى أهميتهما بالنسبة لموضوع البحث، حيث أمدنا فيهما بفيض من المعلومات عن العلماء والقضاة والأدباء

---

(١) قام بتحقيق هذا الكتاب الدكتور حامد عبد المجيد ومحمد أبو سنة، ونشر فى القاهرة فى جزئيين عامى ١٩٥٨، ١٩٦١م.

(٢) قام بتحقيق هذا الكتاب الدكتور حسن حبشى، ونشر فى القاهرة، فى ثلاثة أجزاء فى أعوام ١٩٦٩، ١٩٧٠، ١٩٧٢م.

(٣) هو الحافظ شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن أبى بكر بن عثمان بن محمد السخاوى ولد فى عام ٨٣١هـ/ ١١٢٧م وتوفى عام ٩٠٢هـ/١٤٩٨م. وقد برع فى الفقه وأصوله والحديث والقراءات والعربية والتاريخ، وأخذ على الكثير من علماء عصره وأشهرهم ابن حجر العسقلانى واشتغل بالتأليف وصنف عددا من الكتب أشهرها «الضوء اللامع» و«التبر المسبوك فى ذيل السلوك» و«الإعلام بالتوبيخ لمن ذم التاريخ». راجع السخاوى: الضوء اللامع جـ١ ص٢ - ٣.

(٤) السخاوى، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ١٢ جزءا، القاهرة، ١٩٧٠م.

والتجار وغيرهم ممن ملكوا مكتبات خاصة فى منازلهم. كما أمدنا بمعلومات غزيرة عن خازنى الكتب والنساخ والمذهبين والمجلدين وغيرهم ممن كانوا يشغلون بمهنة ذات صلة بالمكتبات المملوكية. كما استطعنا من خلال استقراء بعض النصوص الواردة فى «الضوء اللامع» تكوين فكرة عامة عن حركة نسخ الكتب وأسواق الوراقين وكيفية التعامل فيها، وآداب وأخلاق هذه الطبقة من المجتمع. وأمدنا أيضا بمعلومات عن خدمات الإعارة فى المكتبة المملوكية. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى يعتبر كتاب «الضوء اللامع» مصدرا خصيبا لمعرفة أحوال بعض القضاة والعلماء والمشرفين على المكتبات الذين استغلوا مناصبهم فى السطو على ما تحت أيديهم من الكتب، وساهموا بذلك فى تقويض بنية المكتبة المملوكية.

وأما جلال الدين السيوطى (ت٩١١هـ/١٥٠٥م) (١)فهو يعد من أغزر العلماء العرب تأليفا وأكثرهم انتاجا فكريا . فقد. تعددت مؤلفاته الكبرى والصغرى التى ناهزت الستمائة كتاب(٢). وقد أفدنا فى هذه الدراسة من كتاب ورسالة له. والكتاب هو «حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة» (٣) الذى جمع فيه تاريخ مصر منذ بداية الخليقة حتى قرب نهاية عصر سلاطين المماليك. وأمدنا هذا الكتاب بتراجم الكثير ممن عملوا أو استخدموا المكتبات المملوكية من العلماء والفقهاء والأدباء. وأما الرسالة الموسومة« بذل المجهود فى خزانة محمود»(٤)، والتى أفتى فيها بجواز إعارة الكتب إعارة خارجية من المكتبات

---

(١) ولد جلال الدين عبد الرحمن بن كمال الدين أبو بكر السيوطى فى عام ٨٤٩هـ/١٤٤٥م وتوفى عام ٩١١هـ/١٥٠٥م. وكان عالما فاضلا موسوعيا محدثا ومفسرا. تولى التدريس فى العديد من المؤسسات التعليمية فى عصره. راجع ترجمته فى السخاوى: الضوء اللامع جـ٤، ص٦٥ - ٧٠؛ السيوطى: حسن المحاضرة. جـ١، ص١٠ - ١٦؛ ابن العماد الحنبلى: شذرات الذهب جـ٨، ص٥٠ - ٥٤؛ الشوكانى: البدر الطالع، جـ١، ص٣٣٤ - ٣٣٥.

(٢) راجع: السيوطى: فهرست مؤلفات السيوطى، مخطوط رقم ١٤٤٢٠ج بمكتبة بلدية الاسكندرية.

(٣) السيوطى: حسن المحاضرة فى اخبار مصر القاهرة، ٢ جزء، القاهرة ١٣٢١هـ.

(٤) السيوطى: بذل المجهود فى خزانة محمود، تحقيق فؤاد سيد، مجلة معهد المخطوطات، مج ٤ مجـ١ (١٩٥٨م) ص٣٦ - ٣٨.

الوقفية لمن هم جديرون بحفظها وصيانتها(١) . وتبدو أهمية هذه الرسالة بالنسبة للبحث - إضافة إلى ما سبق - في أمرين أولهما أنها أمدتنا بمادة خصبة عن جانب من جوانب العمل المكتبي في العصر المملوكي وهو الإعارة الخارجية وشروطها وموقف العلماء منها، والأمرالثاني أنها تعد الرسالة الفريدة أو المؤلف الوحيد الذي وصلنا من العصر المملوكي ويتعلق بالمكتبات المملوكية رغم أن عدد صفحاتها لا تزيد عن ثلاثة صفحات .

ومن المصادر التي اعتمدنا عليها أيضا كتاب «بدائع الزهور في وقائع الدهور»(٢) . لمؤلفه ابن إياس (ت٩٣٠هـ/١٥٢٣هـ/١٥٢٣م)(٣) الذي سار فيه على سنة من قبله من كتاب الحوليات، حيث سجل فيه تاريخ مصر منذ بدء الخليقة حتى السنوات الأولى من العصر العثماني. وقد اعتمدنا عليه في دراسة أحوال المكتبات المملوكية في نهاية عصر المماليك الجراكسة والسنوات الأولى للفتح العثماني . وذلك باعتبار أن المؤلف كان معاصرا لهذه الفترة الزمنية وشاهد عيان الكثير من أحداثها . وقد زودنا بمعلومات وفيرة عن هذه الفترة انفرد بها دون غيره من المؤرخين، وتتعلق بموقف العثمانيين والعوام من المكتبات المملوكية عقيب هزيمة طومان باى آخر سلاطين المماليك الجراكسة .

وبالإضافة إلى ما سبق، رجعنا الى العديد من المصادر العربية الأخرى من خطية

---

(١) راجع ص٢٠٦ الكتاب.

(٢) ابن إياس الحنفي، محمد بن أحمد : بدائع الزهور في وقائع الدهور، ٥ جزء، تحقيق محمد مصطفى، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٤م.

(٣) هو أبو البركات محمد بن أياس الجركسي الحنفي، ولد بالقاهرة عام ٨٥٢هـ/١٤٤٨م، وتوفي عام ٩٣٠هـ/١٥٢٣م. ويعرف أنه لم يعمل بوظائف الدولة، وتقوم شهرته على مؤلفه التاريخي موضوع هذا الحديث، والذي أرخ فيه لفترة هامة من فترات التاريخ المصري الوسيط ونعني بها تلك الفترة التي كان معاصرا لأحداثها وهي أواخر العصر المملوكي وإلى أن تحولت مصر إلى ولاية عثمانية. وقد مكنته صلاته الطيبة ببعض رجال الدولة أن ذاك معرفة الأخبار أول بأول فجاءت كتابته دقيقة، علاوة على تمتعه بحاسة النقد لمجريات الأحداث، فكان يقف بين الحادثة والأخرى شارحا ومفسرا، راجع : محمد مصطفى زيادة : المؤرخون في مصر، ص٤٦ - ٥٥١، أحمد عزت عبد الكريم وآخرون: إياس، ودراسات وبحوث، القاهرة ١٩٧٧، ص١٢، ١٤، ٢٨ - ٢٩، وغيرها.

ومنشورة، المتقدمة على الفترة الزمنية موضوع البحث، وكذلك المعاصرة لها والمتأخرة عنها، بهدف استكمال الصورة العامة للموضوع، ومن بينها مؤلفات «الكامل فى التاريخ لابن الأثير (ت٦٠٦هـ/١٢٣٣م)، و«الروضتين فى أخبار الدولتين» لأبى شامة (ت٦٦٥هـ/١٢١٧م)، و«عيون الأنباء فى طبقات الأطباء» لابن أبى أصيبعة (ت٦٦٨هـ/١٢٧٠م)، و«وفيات الأعيان» لابن خلكان (ت٦٨١هـ/١٢٨٣م) و«تعريفات العلوم وموضوعاتها» لناصر الدين البيضاوى (ت٦٨٥هـ/١٢٨٦م) و«نهاية الأرب» لشهاب الدين النويرى (ت٧٣٢هـ/١٣٣١)، و«كنز الدرر وجامع الغرر» لابن أيبك أبو بكر (ت٧٣٢هـ/١٣٣١م). و«تذكرة الحفاظ» الذهبى (ت٧٤٨هـ/١٣٤٧م)، و«الوافى بالوفيات» لابن أيبك الصفدى (ت٧٦٤هـ/١٣٦٢م) و«فوات الوفيات» لابن شاكر الكتبى (ت٧٦٤هـ/١٣٦٣م)، «تذكرة النبية فى أيام المنصور وبنيه» لابن حبيب (ت٧٧٩هـ/١٣٧٧م) «وتحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار» لابن بطوطة (ت٧٧٩هـ/١٣٧٧م)، و«إعلام الساجد بأحكام المساجد» للزركشى (ت٧٩٤هـ/١٣٩٠)، و«العبر» و«المقدمة» لابن خلدون (ت٨٠٨هـ/١٤٠٥م)، و«الانتصار لواسطة عقد الأمصار» لابن دقماق (ت٨٠٩هـ/١٤٠٦م) و«عقد الجمان» و«السيف المهند» لبدر الدين العينى (ت٨٥٥هـ/١٤٥١م، و«النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة» و«المنهل الصافى المستوفى بعد الوافى» لابن تغرى بردى (ت٨٧٤هـ/١٤٧٠م) و«أنباء الهصر بأبناء العصر» و«نزهة النفوس والأبدان فى تاريخ الزمان» لابن الصيوفى (ت حوالى ٩٠٠هـ/١٤٩٥م)، و«الطبقات الكبرى» للشعرانى (ت٩٧٣هـ/١٥٦٥) و«الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة» (ت١٠٦١هـ/١٦٥١م)، و«البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع» للشوكانى (ت١٢٥٠هـ/١٨٣٤م)[١]. وهى جميعا - وغيرها ممن أثبتناها فى قائمة المصادر بنهاية الرسالة - لا غنى عنها فى دراستنا من أجل سد الفجوات الناقصة فى البحث، والخروج بأفضل النتائج بغية الوصول للحقيقة البحتة المجردة عن أى هوى أو افتعال.

---

(١) للوقوف عل البيانات البيليوجرافية الكاملة عن هذه المصادر. راجع : قائمة المصادر والمراجع المثبتة فى نهاية الرسالة.

هذه دراسة تحليلية نقدية لأهم منابع البحث وأصوله . وبالإضافة إلى ذلك فقد رجعنا إلى العديد من المراجع الثانوية المتخصصة العربية والأجنبية التى أفدنا منها فى القراءت التمهيدية لتحديد عناصر الموضوع، وللتعرف على بعض مصادره وأصوله. كما أفادتنا فى تفسير بعض قضايا البحث حيث زودتنا بمعلومات وآراء ذات قيمة، وقد غطت المراجع العربية موضوعات عدة، وأهمها أربعة تخصصات هى : المكتبات وتاريخها، تاريخ مصر فى العصر الإسلامى الوسيط، العمارة والآثار الإسلامية، والتربية الإسلامية وتاريخها. ومن حسن الحظ أنه توجد فى مصر مدارس علمية متخصصة فى هذه العلوم خلفت لنا مؤلفات عديدة وقيمة أنارت لنا الطريق.

ومن بين المؤلفات العربية فى مجال المكتبات وتاريخها التى اعتمدنا عليها مؤلفات محمد ماهر حمادة، وعبد الستار الحلوجى، وفيليب دى طرازى، ويحيى محمود ساعاتى، وشعبان عبد العزيز خليفة. أما المؤلفات العربية فى تاريخ مصر فى العصر الإسلامى الوسيط فمنها مؤلفات جوزيف نسيم يوسف، وأحمد مختار العبادى وسعيد عبد الفتاح عاشور، ومحمد محمد أمين، وإبراهيم طرخان ومحمد جمال الدين سرور، ومحمود رزق سليم، وعبد الوهاب عزام، ومن المؤلفات التى أفدنا منها فى قطاع الآثار والعمارة الإسلامية مؤلفات أحمد فكرى، وحسن عبد الوهاب، وذكى محمد حسن، وحسن الباشا، وسعاد ماهر، وحسنى نويصر. وأما عن التآليف فى مجال تخصص التربية الإسلامية وتاريخها فمنها كتابات أحمد فؤاد الأهوانى وأحمد شلبى، ومحمد عطية الإبراشى، ومحمد عبد الرحيم غنيمة، وعلى سالم النباهين، وعبد الغنى عبد العاطى.

وأما عن المراجع الأجنبية فمن المؤلفات التى اعتمدنا عليها مؤلفات كريزويل Crswell[1]، وجونسون Johnson، وأحمد خان كبير Ahmed Khan Kabir، وماكينزن Mackcensen ، وبينتو Pinto وأمام الدين Imamudin[2]،

---

(١) يعد كتاب كريزويل "The muslim Architecture of Egypt" من أهم المؤلفات الأجنبية التى تناولت تاريخ العمارة الإسلامية فى مصر لاسيما فى العصرين الأيوبى والمملوكى.

(٢) يعد كتاب إمام الدين الذى صدر فى لندن عام ١٩٨٥ بعنوان "Arabic Writing & Arab libraries" من العلامات البارزة فى تاريخ الانتاج الفكرى لعلوم المكتبات كما أنه يمثل ذلك التيار المتدفق لكتابات مسلمى الباكستان والهند فى هذا المجال.

وتـــومســـون Thomeson[1] ويـــوســـف العـــش[2] Youssef EL Eche ، ومكـــى سباعى Makky Sibai.[3] وتبدو أهمية هذه المؤلفات أنها تعكس وجهة النظر الأجنبية الأوروبية عن المكتبات الإسلامية، ولاسيما وأن المستشرقين هم أول من لفت النظر إلى ذلك. ومع ذلك، تجدر الإشارة أن المراجع العربية والأجنبية التى أسلفنا إليها، لم تتعرض لموضوع البحث تعرضا مباشرا ولم تتناول مفرداته من قريب أو بعيد، وإنما أعانتنا - فى المقام الأول- على تحديد الإطار العام لهذا، الدراسة، والاسترشاد بماورد فيها من معلومات، بهدف طرح عدد من القضايا والنقاط التى عرضنا على بساط البحث محاولين الإجابة عنها بما تيسر لنا من وثائق وأصول ترجع إلى العصر المملوكى. ومن هنا تعتبر هذه الدراسة هى أول دراسة متكاملة قائمة بذاتها فى هذا الموضوع الهام الحيوى الهادف، تظهر فى الشرق أو الغرب على السواء، وتلم بكل زواياه وجوانبه وتعتمد على كل وثائقة ومنابعه.

---

(١) تناول ترمسون فى أحد فصول كتابه "The Medieval Library تاريخ المكتبات الإسلامية: وهذا الكتاب لم يخل من الافتراءات والتجاوزات، كما يعيبه الاستشهاد بمصادر أجنبية حديثة فى حالات غير قليلة، وفى موضوعات كتب عنها المصادر العربية التى أرخت للمكتبات الاسلامية.

(٢) يعد كتاب يوسف العش من الكتب الأساسية والهامة فى مجال المكتبات وقد أعده فى الأصل كرسالة علمية تقدم بها للحصول على درجة الدكتوراه من إحدى جامعات فرنسا. ونشره المعهد الفرنسى بدمشق عام ١٩٦٧ بعد وفاته. وتناول المؤلف فيه دراسة تاريخ المكتبات العربية العامة وشبه العامة فى بلاده الرافدين وسوريا ومصر فى العصور الوسطى. ولا شك أن ترجمة هذا الكتاب إلى اللغة العربية سيضيف الكثير من المعلومات ذات القيمة فى هذا المجال، لاسيما وأنه أشار فى المقدمة إلى كم هائل من المصادر التى أرخت للموضوع.

(٣) يعد كتاب مكى سباعى عن مكتبات المساجد من أحدث الكتب التى صدرت فى هذا الميدان، وقد تناول فيه تاريخ هذا النوع من المكتبات. ولكن يؤخذ عليه الاستشهاد بمراجع حديثه ودراسات أجنبية فى مواضع اسهبت فى تناولها المصادر والوثائق العربية.

تمهيد

أحوال المجتمع المصرى في عصر سلاطين المماليك

«نبذة مركزة»

- المماليك ، نشأتهم والظروف التي مهدت لقيام دولتهم.
- الأحوال السياسية.
- الأحوال الاقتصادية.
- الأحوال الاجتماعية.
- الأحوال العلمية والثقافية.
- مدى انعكاس ذلك على موضوع البحث.

تتطلب دراسة المكتبات بوصفها مؤسسات اجتماعية تعليمية تربوية فى مجتمع ما، الوقوف على مظاهر الحياة فيه من سياسية واقتصادية واجتماعية وعلمية وغيرها، عسى أن يساعد ذلك على فهم الجو العام الذى أتفق وجود المكتبات فيه، والتعرف على نوع التفاعل الذى قام بينهما. وقبل أن نتعرف على أحوال المجتمع المصرى إبان عصر سلاطين المماليك البحرية والجراكسة، وهو العصر الذى ندرس المكتبات فيه، يجب أن نمهد لذلك بكلمة سريعة مركزة عن المماليك ونشأتهم وقيام دولتهم.

يرجع تاريخ المماليك إلى أواخر العهد الأيوبى عندما أكثروا من شرائهم[1] . وفى عهد الملك الصالح نجم الدين أيوب حفيد صلاح الدين زاد من استخدامهم فى جيشه [2]حتى ضاقت بهم القاهرة[3] ولما توفى الصالح أيوب تولى شئون الدولة من بعده بصفة مؤقتة نؤقتة زوجه شجر الدر أم ابنه خليل، وهى أصلها من مماليكه. ثم جاء توران شاه ابن الملك الصالح وصاحب الحق الشرعى فى حكم البلاد واختلف مع زوجته أبيه فحرضت زعماء المماليك على التخلص منه بقتله فى فارسكور سنة ٦٤٨هـ/ ١٢٥٠م، وبذلك انتهت الدولة الأيوبية وبدأ عصر جديد من تاريخ مصر. إذ أقام المماليك شجر الدر سلطانة على البلاد وعينوا أحدهم وهو عز الدين أيبك التركمانى إلى جانبها. غير أن الخليفة العباسى المعتصم بالله لم يرض بتعيين إمرأة سلطانة على البلاد، وعاب على أهل مصر ذلك وأرسل إليهم يقول «إن كانت الرجال قد عدمت عندكم فأخبرونا حتى نسير لكم رجلا»[4] . ولكى تذلل شجر الدر هذه العقبة، وحتى لا يفلت الطائرة من أيدى المماليك، تزوجت من عز الدين أيبك، وتنازلت له عن العرش بعد أن قضت فى منصب السلطة ثمانين يوما برهنت فيها على «حسن سيرتها وغزير عقلها وجودة تدبيرها»[5].

---

(١) أحمد مختار العبادى : قيام دولة المماليك الأولى فى مصر والشام، الاسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، ١٩٨٨م ص٨١.

(٢) سعيد عبد الفتاح عاشور : مصر فى عصر دولة المماليك البحرية، القاهرة، ١٩٥٩، ص١٣.

(٣) إبن إياس: بدائع الزهور، جـ١، ص٨٣.

(٤) المقريزى: السلوك ، جـ١ ، ص٢٧٠ .

(٥) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة، جـ٦، ص٣٧٣.

وقد اصطلح المؤرخون على تقسيم عهد المماليك إلى دولتين هما : دولة المماليك الأولى أو دولة المماليك البحرية[١] (٦٤٨ ـ ٧٨٣هـ/ ١٢٥٠ ـ ١٣٨١م)، ودولة المماليك الثانية أو دولة المماليك الجراكسة[٢] (٧٨٤هـ ـ ٩٢٣هـ/١٣٨٢ـ١٥١٧م) . ويحتل السلطان الظاهر بيبرس ـ خليفة قطز ـ مكانه بارزة فى تاريخ سلاطين المماليك لما قام به من أعمال داخلية وخارجية عظيمة، جعلت منه المؤسس الحقيقى لتلك الدولة فقد عمل على تنظيم الجيش المملوكى، وتعبئة فرقاً حربية مساعدة من الأعراب، وتجديد بناء الأسطول المصرى، وإصلاح حصون الإسكندرية، والعناية بحراسة مداخل النيل عند دمياط ورشيد[٣] كما عمل على القضاء على الثورات الداخلية، والتخلص من العناصر الأيوبية المناوئة، وتحصين أطراف الدولة وثغورها، والعناية بالبريد والمدارس والمساجد [٤]على أن أهم أعمال بيبرس ـ إضافة إلى ما سبق ـ هو إحياء الخلافة العباسية فى القاهرة كرمز للمسلمين يجتمعون عليه . وكان بيبرس يرمى من وراء ذلك إلى أن يجعل حكمه شرعيا فتحقق له ما أراد بتفويض رسمى من الخليفة العباسى المستنصر بالله[٥] سنة ٦٥٩هـ/ ١٢٦٠م، وصار سلاطين المماليك من أيام بيبرس حتى نهاية دولتهم يتمتعون بمقام رفيع فى العالم الإسلامى، باعتبارهم حماة الخلافة والمتمتعين ببيعتها . وهكذا استطاع بأعماله الإصلاحية الواسعة النطاق أن يحول دولة المماليك الناشئة إلى دولة

---

(١) تداول على عرش مصر منهم أربعة وعشرون سلطانا ومعظمهم من حرس السلطان نجم الدين أيوب: للمزيد راجع : على ابراهيم حسن: تاريخ المماليك البحرية، القاهرة ، مكتبة النهضة العربية، ١٩٦٧م؛ أحمد مختار العبادى : المرجع السابق، سعيد عبد الفتاح عاشور: المرجع السابق.

(٢) تربع على عرش مصر منهم ثلاثة وعشرون سلطانا ويقال لهم المماليك الجراكسة أو، المماليك البرجية وهم من حرس السلطان قلاوون ، وقد وصفوا بالبرجية نسبة إلى أبراج القلعة التى أنزلهم بها. للمزيد راجع: ابراهيم طرخان: مصر فى عصر دولة المماليك الجراكسة، القاهرة ١٩٦١م؛ حكم أمين عبد السيد: قيام دولة المماليك الثانية، تقديم محمد مصطفى زيادة، القاهرة، الدار القومية للطباعة والنشر، ١٩٦٦م.

(٣) سعيد عبد الفتاح عاشور: المرجع السابق، ص ٥٩.

(٤) أحمد مختار العبادى ـ المرجع السابق ص١٧٧ ـ ٢٣٩؛ سعيد عبد الفتاح عاشور : الظاهر بيبرس، ص١٢٨ ـ ١٥٧.

(٥) محمد جمال الدين سرور : دولة الظاهر بيبرس فى مصر، القاهرة، دار الفكر العربى، ١٩٦٠ ص٥١ ـ ٥٥.

الأركان وأن يمهد الطريق لخلفائه من بعده كى يتمموا رسالته ويحققوا الهدف المنشود وهو القضاء على المغول والصليبيين[١].

وفيما يتعلق بالسياسة الداخلية، فإن سلاطين المماليك ساروا على وتيرة أسلافهم وسادتهم الأيوبيين فى نظام الحكم والإدارة[٢]. فالسلطان المملوكى هو رأس الإدارة المصرية والموجه لشئون البلاد، وهو أمير من الأمراء وزعيم مكنته قوته وشخصيته وكثرة مماليكه من التفوق على أقرانه والوصول إلى منصب السلطنة ومن ثم أصبح صاحب الحق فى الهيمنة على بقية الأمراء ومماليكهم[٣]. وكان بمصر ثلاثة نيابات، يحكم كل منها نائب عن السلطان وهى نيابات الإسكندرية التى استحدثت سنة ٧٦٧هـ/١٣٦٥م على عهد السلطان شعبان بن حسين، ونيابة الوجه القبلى ومقرها أسيوط، ونيابة الوجه البحرى ومقرها دمنهور. كما انقسم الوجهان القبلى والبحرى إلى عدد من الولايات يحكم كل منها والٍ من كبار الأمراء[٤]. وتعددت الدواوين الحكومية، وكان أهمها ديوان الإنشاء الذى اختص بتنظيم العلاقات الخارجية للدولة، وديوان الجيش، وديوان الأحباس الذى اختص بالأوقاف، وديوان النظر ويشبه وزارة المالية فى العصر الحديث ويقوم على أمر كل ديوان شخص يُدعى الناظر أو الصاحب ويليه نائب يسمى مستوفى الصحبة، لملازمته الناظر فى أعماله، ثم يليه موظفون آخرون[٥]. وقد عاشت مصر حياة سياسية شبة مستقرة وإن لم تخل عهود بعض المماليك من بعض الثورات الداخلية التى كان مصدرها العربان والمماليك أنفسهم. ولكن معظم هذه الثورات كانت تظهر عند قيام سلطان جديد أو أثناء حكم سلطان قاصر[٦].

---

(١) احمد مختار العبادى: المرجع السابق ص٢٣٩.

(٢) القلقشندى: صبح الاعشى، ج٧، ص١١٩.

(٣) سعيد عاشور: مصر فى عصر دولة المماليك البحرية ص١٣٨.

(٤) سعيد عبد الفتاح عاشور: صبح الأعشى – مصدر لدراسة تاريخ مصر فى العصور الوسطى، ص٣٧-٣٨.

(٥) راجع على إبراهيم حسن: تاريخ المماليك البحرية، ص٣٠٨-٣٣٧، وما بها من مصادر.

(٦) سعيد عبد الفتاح عاشور: العصر المماليكى فى مصر والشام، والقاهرة دار النهضة العربية، ١٩٦٩م، ص٣١٥.

وأما عن السياسة، فإن عصر سلاطين المماليك فى مصر كان من أنشط عصور التاريخ المصرى الوسيط فى السياسة الخارجية، لأن مصر فى ذلك العصر كانت تمثل قاعدة الخلافة العباسية والقوة الضاربة التى تذود عن الإسلام والمسلمين، والقلب النابض للعالم العربى الإسلامى بالحركة والحياة ومركز إمداده بالمال والرجال والمؤن والسلاح ومنها كانت تخرج دائما صيحة الجهاد ضد الغزاة. فلا أقل إذا من أن يتجه إليها ملوك العرب وحكامهم يخطبون ودها وينشدون تأييدها، ويطلبون مساعدة حكامها ضد خصومهم وأعدائهم. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى بدت مصر فى ذلك العصر فى نظر القوة غير الإسلامية فى صورة مركز المقاومة ضد أعداء العروبة والإسلام، والقوى المتحكمة فى أفضل طرق التجارة بين الشرق والغرب. فإن لم يكن الاتصال بها ضروريا فى شئون السياسة والحرب فلا غنى عن الاتصال بها فى عالم التجارة والمال[١] . وقد أورد القلقشندى كثيرا من المراسلات التى جرت بين سلاطين المماليك والدول المجاورة تشير كلها إلى حسن العلاقات التى تربطهم بتلك الدول فى الشرق والغرب على السواء[٢] .

وهكذا نعمت مصر المملوكية بحياة سياسية مستقرة إلى حد كبير، وكان هذا الاستقرار أحد عوامل الأزدهار الاقتصادى الذى تمتعت به إبان تلك الفترة من الزمن. فقد شجع على هجرة التجار إلى مصر، ومن ثم انتعاش حركة التجارة وما يرتبط بذلك من زراعة وصناعة. كما أن موقع مصر الجغرافى والاستراتيجى الممتاز كان أحد عوامل الرواج الاقتصادى والتجارى اللذين نعمت بهما. فقد كانت مصر هى المصدر الرئيسى لتجارة الشرق فى طريقها إلى الغرب ، وكانت همزة الوصل بين شقى العالم. كما كان لمرور التجارة الهندية إذ ذاك عن طريقها أثر كبير فى رواج تجارتها وزيادة ثرواتها[٣] . وليس

---

(١) سعيد عبد الفتاح عاشور: صبح الأعشى مصدر لدراسة مصر، ص٦٣.

(٢) القلقشندى: صبح الأعشى فى صناعة الإنشا، جـ٧، ص٢٣٦، ٢٥٣ـ٢٥٧، ٢٦٠؛ ٢٧٠، ٤٠٧ـ٤١١، جـ٨، ص٢٣ـ٣٦، ٤٦ـ٤٨، ٧٩ـ٨٤؛ راجع أيضا جوزيف نسيم يوسف : علاقات مصر بالمماليك التجارية الايطالية فى ضوء وثائق صبح الأعشى، فى كتاب: أبو العباس القلقشندى وكتابه صبح الأعشى، القاهرة ١٩٧٣، ص١٤٧ـ١٩٨؛ على ابراهيم حسن : المرجع السابق، ص١٤٠ـ١٨٢ وما بهامن مصادر.

(٣) على إبراهيم حسن : المرجع السابق، ص٤١٦.

أدل على ذلك من كثرة الأسواق العامرة بمختلف أنواع البضائع والتى بلغت خمسين سوقا فى القاهرة وحدها وفقا لرواية المقريزى[١]. وقد أدى ذلك إلى ازدهار اقتصادى واضح بحيث امتلأت خزانة الدولة بفيض لا ينضب من المال أشاع الرخاء والأمن فى البلاد، وانعكس ذلك إيجابا على الحركة المكتبية فيها.

وكان بمصر فى عصر سلاطين المماليك ديوان يطلق عليه «ديوان النظر» كان الغرض من إنشائه تحقيق التوازن بين موارد الدولة ومصروفاتها[٢]، فهو أشبه بوزارة المالية فى العصر الحاضر. وكانت هذه الموارد تتكون من عدة مصادر هى : الخراج أو ضريبة الأرض، والمعادن والزكاة التى يدفعها أصحاب الأموال، والجوالى أى الجزية المقررة على أهل الذمة، والتركات التى لا وارث لها. وقد أطلق القلقشندى على هذه المصادر اسم الموارد الشرعية فى مقابل الموارد غير الشرعية وهى المكوس أو الرسوم الجمركية التى كان يتم تحصيلها عن البضائع الواردة إلى الإسكندرية وغيرها من الموانى، وكذلك مكوس الملاهى[٣]. وكانت الأموال التى تجمع من تلك الموارد تدفع منها مرتبات الولاه والوزراء والقضاء ونظار الدواوين والكتاب والجند وغيرهم من موظفى الدولة، وما تتطلبه البلاد من إقامة المرافق وإصلاحها بما فى ذلك المساجد والمدارس وغيرها المؤسسات والجيش ومعداته. وبالتالى أسهمت إسهاماً واضحاً فى التقدم العلمى الذى شهدته البلاد إبان الفترة موضوع الدراسة.

واهتم معظم سلاطين المماليك بالزراعة، فعنوا بأمر مقياس النيل، وأنشأوا الجسور وشقوا الترع لتوفير مياه الرى للاراضى التى يتعذر وصول الماء إليها[٤]، وعنوا أيضا بالثروة الحيوانية، فاكثروا من انتاج الأغنام وجلبوا الأنواع الممتازة منها لتربيتها.[٥] وازدهرت

---

(١) المقريزى: الخطط، جـ٢، ص٤٥٩ـ ٤٨٢.

(٢) على إبراهيم حسن: تاريخ المماليك البحرية، ص٤٠٦.

(٣) القلقشندى : صبح الأعشى فى صناعة الإنشا، جـ٣ص٤٥٢ ـ ٤٦٨.

(٤) المرجع السابق، جـ٣ ، ص٤٤٨ ـ ٤٤٩، وراجع أيضا : سعيد عبد الفتاح عاشور: الايوبيون والمماليك فى مصر والشام، ص٣٤٣.

(٥) المقريزى : الخطط، جـ٢ ،، ص٢١٠.

الصناعة لكثرة الثروة، وخاصة صناعة المنسوجات والمعادن والزجاج والخزف، فضلا عن الصناعات الحربية والورق والأثاث[١] وغير ذلك من الصناعات المتعلقة بالكتب والمكتبات.

ورغم حالة الاستقرار التى عاشتها مصر خلال هذه المرحلة، إلا أنه كانت تتخللها بين الحين والآخر نوبات من الكساد والغلاء والقحط بل والمجاعة أحيانا، ولكن سرعان ما كانت تستعيد مصر حياتها العادية، وتستأنف رفاهيتها، ويعود إليها الرخاء الشامل[٢] وكثيرا ما كانت تتأثر خزينة الدولة نتيجة التبذير والإسراف الذى عاش فيه المماليك وأمراؤهم[٣]. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى كان من نتيجة هذا الانتعاش أن رصد السلاطين وأمراؤهم وأعيان دولتهم الأموال الوفيرة لإنشاء المؤسسات الخيرية والصوفية والتعليمية وتزويدها بالكتب والمكتبات[٤] وما نتج عنه من نهضة مكتبية كانت من مفاخر ذلك العصر.

وأما عن الحياة الاجتماعية فى مصر آنذاك فلم تكن حياة هادئة خامدة، وإنما كانت صاخبة نشطة مليئة بالحركة نابضة بالحياة. ففى الخارج حروب وتوسع وانتصارات نتج عنها تأمين العالم الإسلامى فى الشرق الأدنى، وفى الداخل حياة حافلة بالتيارات الاقتصادية والاجتماعية والدينية والعلمية نتج عنها انطلاق الفكر وتحريره. كما عاش المجتمع المصرى فى ظل طبقى غريب، فقد ظل المماليك طبقة منفصلة عن سائر السكان، ولم يختلطوا بهم ولم يتزوجوا منهم إلا فيما ندر، وقصروا أعمال الجندية على أشخاصهم، وعاشوا فى ترف ورفاهية وبذخ كبير[٥]. وقامت إلى جانب هذه الطبقة العسكرية الحاكمة طبقة الشعب أو الرعية التى انصرفت إلى العمل فى مجال الزراعة

---

(١) القلقشندى : صبح الأعشى، جـ٣، ص٤٧٢ - ٤٧٣؛ المقريزى : المملوك، جـ١ جـ١، ص٥١٢.

(٢) راجع : المقريزى : إغاثة الأمة بكشف الغمة، ص ٣٢ - ٤١، ٧٦ - ٨٠.

(٣) راجع: المقريزى : السلوك جـ٢ ص٧٣٣؛ ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة، جـ٥ ص١٩.

(٤) راجع الفصل الأول من هذه الدراسة.

(٥) راجع : سعيد عبد الفتاح عاشور : المجتمع المصرى فى عصر سلاطين المماليك، ص ١٠ - ٢٨ وما بها من مصادر.

والصناعة والتجارة ، فضلا عن الوظائف الديوانية والعلمية والقضاء التى كانت تتولاها فئة المعممين. وكان لهذه الفئة نفوذ لدى الدولة واحترام السلاطين لها، وعاش أفرادها فى سعة وبسطة من العيش(١) . وبالإضافة إلى ذلك، اشتملت طبقة الشعب على فئات أخرى كان لها دورها فى البناء الاجتماعى للدولة منها فئة التجار وقد تمتعوا باحترام كبير ومكانه بارزة لدى السلاطين لما يتميزون به من ثروة جعلتهم يعيشون فى يسر ورخاء، وفئة الفلاحين، وفئة العوام، والأعراب، وأهل الذمة، وبعض الجاليات الأجنبية(٢) .

ولم يكن الدين بمعزل عن الحياة الاجتماعية، فالشعب المصرى على مر السنين كان متدينا بطبيعته وفطرته. لذلك شهدت مصر نشاطا دينيا ملحوظا، وبخاصة بعد أن أصبحت قاعدة الخلافة العباسية ومقصد المسلمين جميعا من المشرق والمغرب. وخير ما يدل على اتساع دائرة النشاط الدينى فى ذلك العصر كثرة المنشآت الدينية التى أقيمت فيه والتى ساهم فى إنشائها السلاطين والأمراء والأثرياء من أبناء الشعب، حتى لقد قدر المؤرخ الجغرافى خليل بن شاهين عدد المساجد بمصر فى ذلك العصر بحوالى ألف مسجد(٣) . على أن أهم ظاهرة اتصفت بها الحياة الدينية هى انتشار التصوف واتساع نطاقه. ويعلل الباحثون هذه الظاهرة بكثرة من وفد على أرض مصر فى ذلك العصر من مشائخ الصوفية المغاربة والأندلسين أمثال السيد البدوى، وأبى الحسن الشاذلى، وأبى العباس المرسى، وغيرهم. وقد صادف أسلوبهم قبولا كبيرا لدى المصريين(٤) . وربما كان سبب هذه الظاهرة - فى رأينا - هو محاولة تنبيه الناس وتحذيرهم من عواقب الترف المادى وما صحبه من تدهور أخلاقى. ولم يلبث أن انقسم الصوفية إلى فرق، لكل فرقة شيخها وشعارها، فازداد عدد المصريين الذين أقبلوا على هذا اللون من التدين، واستتبع ذلك أن

---

(١) راجع المراجع السابق ص ٢٨ - ٢٩

(٢) عن هذه الفئات ودورها فى المجتمع المصرى فى العصر المملوكى. راجع: المرجع السابق، ص٣٤ - ٥٦ وما بها من مصادر.

(٣) خليل بن شاهين الظاهرى : زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك، ص ٣١.

(٤) سعيد عبد الفتاح عاشور: المجتمع المصرى فى عصر سلاطين المماليك، ص١٦٢ - ١٦٣ .

كثرت بيوت الصوفية من خانقاوات وربط وزوايا، و قد عدد المقريزى منها فى القاهرة فقط ثمان وخمسين[١] .

وكان لهذه الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية أثرها المباشر والإيجابى على الحياة العلمية والفكرية. ذلك أن ما أصاب العالم الإسلامى فى العراق على أيدى المغول، وفى الأندلس على أيدى الأسبان، وفى بلاد الشام على أيدى المغول والصليبيين جعل مصر هى البلد الوحيد الذى تطيب فيه الحياة للعلماء الوافدين من المشرق والمغرب على السواء[٢] . وقد عبر السيوطى عن ذلك بقوله « وسارت محل سكن ومحط رجال الفضلاء»[٣] . وإذا كان استقرار الأحوال السياسية يعتبر سببا رئيسيا فى تجميع صفوة العلماء فى مصر، فقد كان ازدهار الأوضاع الاقتصادية أيضا عامل جذب آخر. فقد ساعد على الإنفاق بسخاء على المؤسسات التعليمية وعلى العلماء وطلبة العلم. ومن ناحية ثالثة كان توفر المناخ الفكرى وحرية العلماء فى البحث والدرس من الأمور التى ترتب عليها تقدم الحركة العلمية فى البلاد . كما أن الثراء الذى أصاب التجار فى ذلك العصر جعلهم يقبلون على الاشتغال بالعلم وتشجيعه وبناء المدارس والمعاهد فى مختلف أنحاء البلاد من الإسكندرية حتى أسوان[٤] ، وحفزهم بالتالى على اقتناء الكتب وتزويد مؤسساتهم بها .

ولم يكن تشجيع سلاطين المماليك والأمراء والتجار وغيرهم للنهضة العلمية والإنفاق عليها بسخاء هو كل ما فى الأمر، بل كان لبعضهم باع واسع فى المشاركة الفعلية فى الحركة العلمية. فقد وصف ابن تغرى بردى السلطان بيبرس بأنه «كان يميل إلى التاريخ وأهله ميلا زائدا ويقول سماع التاريخ أعظم التجارب»[٥] . وكان السلطان المؤيد شيخ المحمودى يحمل إجازة براوية صحيح البخارى من حافظ زمانه سراج الدين البلقينى لم تفارقه حتى فى سفره وكانت موضع فخره[٦] . كذلك حرص السلطان الغورى على عقد

---

(١) المقريزى : الخطط، جـ٢ ، ص٤١٤ - ٤٣٦ .

(٢) سعيد عبد الفتاح عاشور : المرجع السابق، ص ١٤١؛ محمد رزق سليم: عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمى والأدبى، مج ٣ ،ص١٣، ١٧ .

(٣) السيوطى : حسن المحاضرة، جـ٢ ،ص٨٦ .

(٤) راجع ص ٧٩ - ٩٤ . من الكتاب .

(٥) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة، جـ٧ ،ص١٨٢ .

(٦) محمود رزق سليم عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمى، مج ٥ ،ص١٨٣ .

المجالس العلمية والدينية بالقلعة[1]، كما اشتغل بعض الأمراء وأبنائهم بالعلم، بل تصدى بعضهم للتدريس[2]، تذكر منهم على سبيل المثال المؤرخين ابن تغرى بردى وبيبرس الداودار هما من أصل مملوكي. فكان أن أزدهرت الحياة العلمية فى مصر ازدهارا عظيما. وليس أدل على ذلك من الثروة العلمية التى وصلتنا من ذلك العصر وتعج مكتبات العالم بمئات المخطوطات التى ترجع إلى عصر المماليك والتى تناولت معظم ألوان المعرفة البشرية السائدة وقتها من أدب وتاريخ وجغرافيا وعلوم شرعية وطب ورياضيات وفلك وتصوف وغير ذلك من العلوم. كذلك زاد الاهتمام باللغة العربية وعلومها وبرز عدد من علماء اللغة، منهم ابن منظور المصرى (ت٧١١هـ/١٣١١) صاحب «لسان العرب» المعجم اللغوى الشهير، وعالم النحو ابن هشام (ت٧٦١هـ/ ١٣٦٠م) [3].

على أن أبرز العلوم تقدما فى ذلك العصر كان بحق «علم التاريخ»، إذ ظهرت فيه طائفة كبيرة من المؤرخين تركوا لنا تراثا تاريخيا ضخما، نذكر منهم على سبيل المثال : ابن عبد الظاهر (ت٦٩٢هـ/١٢٩٣م) صاحب سير السلطان بيبرس والأشرف خليل بن قلاوون[4]، والقسطلانى (ت٩٢٣هـ/١٥١٧م) صاحب«النور الساطع فى مختصر الضوء اللامع»[5]. كما ظهرت فئة من المؤرخين وجهت اهتمامها نحو تأليف كتب السير والتراجم والطبقات منهم ابن خلكان صاحب «وفيات الأعيان»، والإدفوى صاحب «الطالع السعيد لأسماء نجباء الصعيد»، وابن حجر العسقلانى صاحب «الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامن»، والسخاوى صاحب «الضوء اللامع فى أعيان القرن التاسع». وهناك من تخصص فى كتابه تاريخ بلد معين أو عصر بذاته مثل جمال الدين بن واصل

---

(١) عبد الوهاب عزام : مجالس السلطان الغورى، القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٤١، ص٤٩.

(٢) السخاوى : التبر المسبوك، ص ٢٢١، ٤١٥، وراجع أيضا: سعيد عبد الفتاح عاشور: المرجع السابق، ص ١٤٢.

(٣) محمود رزق سليم : عصر سلاطين المماليك، جـ٣، ص ١٥٧.

(٤) الكتابان هما : «الروض الزاهر فى سيرة الملك الظاهر» و«الألطاف الخفية فى السيرة الشريفة السلطانية الملكية الأشرفية».

(٥) ذكر اسماعيل البغدادى أن له ثلاثة وعشرين وتسعمائة من التصانيف. راجع اسماعيل البغدادى : هدية العارفين فى اسماء المؤلفين وآثار المصنفين من كشف الظنون، بيروت، دار الفكر، ١٩٨٢م، جـ٥، ص١٣٩.

(ت٦٩٧هـ/١٢٩٨م) صاحب «مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب» و«التاريخ الصالحى»، وابن دقماق المصرى صاحب «الانتصار لواسطه عقد الأمصار»، والمقريزى صاحب«الخطط» و«السلوك»، وابن تغرى بردى صاحب «النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة»[١]، و«المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى» ، وابن أيبك (ت٧٣٢هـ/ ١٣٣١م) صاحب «درر التيجان وغرر تواريخ الأزمان» و«كنز الدرر وجامع الغرر» وغيرهم كثيرون. أليست مؤلفاتهم تلك هى التى توجت مكتبات مصر فى ذلك العصر؟ .

وأما علوم الجغرافيا والسياسة والادارة فقد وضع شرف الدين بن الجيعان (ت٧٧٧هـ/١٣٧٥م(كتاب «التحفة السنية فى أسماء البلاد المصرية «وهو معجم جغرافى يشتمل على معلومات جغرافية عن المدن والقرى المصرية وإحصاءات إدارية وخراجية عن أرض مصر. وهناك أيضا كتاب «بذل النصائح الشرعية فيما على السلطان وولاه الأمور وسائر الرعية «لنجم الدين بن الرمعة محتسب القاهرة(ت٧١٠هـ/١٣١٠م)[٢].

وكان للعلوم الشرعية نصيبها الوافى فى تلك الحركة العلمية الواسعة. من ذلك علماء الفقه والتفسير والحديث أمثال الفقية خليل بن إسحق المالكى (ت٧٦٧هـ/١٣٦٦م) وتقى الدين السبكى الشافعى ،وابن حجر العسقلانى ،وابن كثير المفسر والمؤرخ (ت٧٧٤هـ/١٣٧٣م) وغيرهم ممن تزدان بمؤلفاتهم المكتبات فى جميع أنحاء العالم والتى وضعت فى العصر المملوكى. ولم تكن العلوم البحتة والتطبيقية أقل شأنا من غيرها فقد وجد من العلماء من كتب فى الهندسة والفلك والنجوم مثل شباب الدين بن المجدى (ت٨٥١هـ/١٤٤٨م)، وابن النفيس فى الطب، وكمال الدين الدميرى (ت٨٠٨هـ/١٤٠٥م) فى علم الحيوان. فقد ألف الأخير كتاب «حياة الحيوان الكبرى»، ودرس فيه كل حيوان وخصائصه[٣].

---

(١) راجع : سعيد عبد الفتاح عاشور : الأيوبيون والمماليك فى مصر والشام، ص ٣٥٨ - ٣٥٩، وراجع أيضا: الدراسة التحليلية للمصادر، ٢٣ - ٢٩ من الكتاب .

(٢) السبكى : طبقات الشافعية الكبرى، جـ٥، ص ١٧٧ ؛ راجع أيضا : سعيد عبد الفتاح عاشور: المرجع السابق، ص ٣٦٠.

(٣) السيوطى : حسن المحاضرة جـ١ ص٢٠٧؛ راجع أيضا : سعيد عاشور: المرجع السابق، ص٣٦٢ .

وثمة ظاهرة جديرة بالتسجيل امتازت بها الحياة الفكرية فى ذلك العصر، هى الإقبال الشديد على تأليف الموسوعات التى تحوى الواحد منها كثيراً من المعلومات المتنوعة والمتباينة، حتى لقد أُطلق على العصر المملوكى «عصر الموسوعات» نسبة إلى كثرة هذا النوع من الكتب والمؤلفات، وربما كان إقبال علماء تلك الفترة على ذلك من قبيل رد الفعل للكارثة العلمية التى حلت بالتراث العربى فى بغداد على يدى المغول لتعويض المسلمين ما فقد من تراثهم من جهة، وللحفاظ على ما تبقى منه من جهة أخرى. وكان من أشهر هذه الموسوعات «نهاية الأرب فى فنون الأدب» لشهاب الدين النويرى (ت٧٣٢هـ/١٣٣٢م) وهو كتاب موسوعى يقع فى نيف وثلاثين مجلدا، و«صبح الأعشى فى صناعة الإنشا» للقلقشندى، و«مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار» لابن فضل العمرى (ت٧٤٨هـ/١٣٤٧م) ويقع فى ثلاثة وعشرين مجلدا. تناول فيها فنون الأدب والتاريخ والجغرافيا والطبيعيات وغير ذلك من العلوم، و«كتاب الإلمام» للنويرى السكندرى (ت٧٧٦هـ/بعد١٣٧٦م).

وهكذا فإن خير ما يعبر عن ازدهار الحياة العلمية فى عصر سلاطين المماليك هو العناية بإنشاء المؤسسات التعليمية والتربوية من مدارس ومكاتب ومساجد وبيمارستانات فضلا عن مؤسسات الصوفية، على نحو ما أسلفنا، وتخصيص المكتبات الكبيرة والغنية بالمؤلفات لها، والمدرسين للتعليم بها[1]، والمعيدين للدرس والتحصيل، والموظفين لإدارتها، ووقف الأوقاف الكثيرة عليها لتضمن للطلاب والمدرسين قدرا من الحياة الهادئة تجعلهم ينصرفون إلى الاشتغال بالعلم آمنين مطمئنين[2].

هذه بعض مظاهر الحياة فى مصر إبان عصر سلاطين المماليك عساها أن تساعد على فهم حركة المكتبات التى اتفق وجودها مع هذه المظاهر، والتى أسهمت بدورها فى إنعاشها، وكان بينهما نوع من التفاعل والتأثر والتأثير المتبادل، سنعرض له؟ فى مواضعه

---

(١) راجع: الفصل الأول من الكتاب.

(٢) سعيد عبد الفتاح عاشور: الأيوبيون والمماليك، ص ٣٦٢-٣٦٣.

المناسبة فى الكتاب. والآن ثمة سؤال يطرح نفسه فى ضوء ما ذكرناه، وهو ما المقصود بالمكتبات في ذلك العصر، نشأتها وأنواعها؟ هذا ما سنتناوله تفصيلا فى الفصل الأول من الكتاب.

الفصـــل الأول

المكتبات فى مصر فى عصر سلاطين المماليك
نشأتها وأنواعها

١ ـ نشأة المكتبات فى مصر وتطورها قبيل العصر المملوكى.

٢ ـ أنواع المكتبات المملوكية:

- المكتبات الخاصة.
- مكتبات المساجد الجوامع.
- مكتبات المدارس.
- مكتبات البيمارستانات.
- مكتبات الخوانق والرُبط والزوايا والخلاوى.
- مكتبات التُرب والمدافن والقباب.

يمكن تعريف المكتبة[1] بتركيز شديد، وبما يخدم أهداف هذه الدراسة، بأنها **«مجموعة من الأوعية الفكرية نُظمت بطريقة تيسر الإفادة منها».**

وينطوى هذا التعريف على عدد من العناصر الأساسية التى ترتكز عليها أية مكتبة فى أى زمان أو مكان. فالعنصر الأول هو «مجموعة من الأوعية الفكرية» سواء كانت فى شكلها التقليدى بدأ بالألواح الطينية وقطع الحجارة وأخشاب الأشجار وحتى أوعية المعلومات المطبوعة سواء كانت كتبا أو دوريات ومطبوعات حكومية وتقارير وبحوث مؤتمرات ومرورا بالرقوق والجلود وأوراق البردى والمخطوطات، أو كانت فى شكلها غير التقليدى من مصغرات فيلمية ومواد سمعية وبصرية أو مختزنات الكترونية. والعنصر الثانى فى هذا التعريف. هو «التنظيم»، ويقصد به الإعداد الفنى بمعناه الواسع من فهرسة وتصنيف وإعداد أدوات الاسترجاع. وبدون هذا التنظيم تصبح المكتبة مجرد مخزن لا يسهل الوصول إلى ما يحتويه من أوعية معلومات والإفادة منها، وتفشل بالتالى فى تأدية رسالتها. والعنصر الثالث هو «الخدمة المكتبية» مثل الإعارة والخدمات الببليوجرافية وخدمات المراجع؛ وهذه الخدمة هى الهدف المستهدف من إنشاء أى مكتبه، وهى واجهة المكتبة ومرآتها. وبالإضافة إلى هذه العناصر الثلاثة ينبغى بطبيعة الحال توافر الموقع والأثاث المناسبين لحفظ وتداول الأوعية الفكرية، وتوفير العاملين المدربين تدريبا يؤهلهم لإدارة العمل بالمكتبة، فضلا عن الموارد المالية التى تضمن للمكتبة استمرارية عملها.

---

(١) ثمة تعريفات عديدة لمفهوم المكتبة وماهيتها، وللاطلاع على هذه التعريفات انظر على سبيل المثال:

- أحمد أنور عمر: المكتبات العامة بين التخطيط والتنفيذ، القاهرة، دار النهضة العربية، ١٩٨٣، ص٣.

- أحمد محمد الشامى وسيد حسب الله: المعجم الموسوعى لمصطلحات المكتبات والمعلومات، الرياض، دار المريخ، ١٩٨٨، ص٦٥٢.

The AlA Glossary of Library and Informatin science Chicago, AlA, 1983. I3o.

١ ـ نشأة المكتبات فى مصر وتطورها قبيل العصر المملوكى :

والمكتبة بهذا المعنى عرفها الإنسان فى مصر القديمة وإن اتخذت مسميات مختلفة مثل «بيت الكتابات» و«دار علاج الروح». «وقد تناولت شتى أفرع المعرفة الإنسانية ويتولى الإشراف عيلها أمناء مكتبات»[١]. ولا خلاف أن أهم حدث فى تاريخ المكتبات فى مصر كان إنشاء مكتبة الإسكندرية التى تنسب إلى بطليموس الأول «سوتير» (٣٢٣ ـ ٢٨٤ ق.م)، والتى كانت نواتها مجموعة كتب المدرسة الأرسطية التى نقلها ديمتريوس الفاليرى Demetrios of phalern (٣٥٠ ـ ٢٨٠ ق.م) من أثينا إلى الإسكندرية، ومجموعة كتب المعابد المصرية القديمة[٢]. وكانت لها نظمها واجراءاتها التى تتفق ومجموعاتها البردية.

وعلى مدى حوالى ثلاثة قرون ونصف هى عمر مصر تحت الحكم البيزنطى (٢٨٤ ـ ٦٤٢م) كانت المكتبات المصرية عبارة عن مجموعات من الكتب فى الأديرة والكنائس

---

(١) لمزيد من التفاصيل عن المكتبات فى مصر القديمة أنظر على سبيل المثال:

ـ أحمد أمين سليم : المكتبات فى مصر فيما قبل مكتبة الإسكندرية، مجلة كلية الآداب ـ جامعة الإسكندرية، مج ٣٩، (١٩٩٠)، ص٧٩ـ١١٩.

ـ محمد ماهر حمادة : المكتبات فى العالم : تاريخها وتطورها حتى مطالع القرن العشرى، الرياض، دار العلم، ١٩٨١، ص٤٣ـ٥٢.

- Johnson,E.D. and Harris,M.H. ,History of Libraries in Western world, 1976,PP 36 - 39.

(٢). - The Oxford Classical Dictionary, Oxford, L950.p.503

محمد حسين : مكتبة الإسكندرية فى العالم القديم، القاهرة، مطبعة الاعتماد ١٩٤٧، ص١٦٦. ولمزيد من المعلومات عن مكتبة الإسكندرية القديمة ومحتوياتها وتنظيمها ومديريها ودورها كمركزا اشعاع ثقافى ونهايتها، أنظر أيضا:

ـ عبد الستار الحلوجى: لمحات من تاريخ الكتب والمكتبات، القاهرة، دار الثقافة للنشر، ١٩٨٣، ص١٥ ـ ٢٢.

ـ مصطفى العبادى: مكتبة الإسكندرية القديمة، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٧٧م.

- Persons, Edward, Alexander ,The Alexandrian Library, london, 1952.

التى كثرانتشارها فى تلك الفترة[١]، وكانت مصادر هذه المكتبات الكنسية والديرية تأتى بالدرجة الأولى من النسخ ثم من الهدايا والشراء، وقد زودت أغلب الأديرة بأماكن للنسخ تسمى «المنسخ»، وكان هناك النساجون الذين يأنسون فى أنفسهم الرغبة فى الكتابة والتأليف وكلهم من الرهبان والراهبات[٢]. ولم تكن فهارس هذه المكتبات أكثر من قوائم جرد «أشبه بقوائم الرفوف الحالية لتعطى حصرا يسهل الاحتفاظ بالكتب وتحديد أماكنها فى المكتبة[٣]، «وأما الكتب نفسها فكانت توضع فى خزائن لاعلى الرفوف[٤].

وفى منتصف القرن السابع الميلادى ظهر الإسلام فى شبه الجزيرة العربية يدعو الناس إلى عبادة الله وحده ونبذ عبادة الأصنام. ولم تمضى بضعة عقود حتى كان الدين الجديد قد انتشر فى مشارق الأرض ومغاربها داعيا إلى وحدانية الله وإلى التآلف والمحبة[٥].

كان الإسلام فتحا جديدا ورائعا فى تاريخ المعرفة الإنسانية، فهو قد كرم العلم والعلماء

---

(١) ذكر عمر طوسون أنه كان يوجد بمصر زمن الأنباء بطرس الرابع (٥٦٧ـ ٥٦٩م) ستمائة ديرا وكان فى كل دير مكتبة عظيمة تحوى جميع المعارف الإنسانية السائدة فى ذلك العصر ولعل أقدمها وأشهرها مكتبة دير السريان فى وادى النطرون ومكتبة دير المحرق فى صعيد مصر ومكتبة دير سانت كاترين فى سيناء ومكتبة الكنيسة القبطية بالإسكندرية. للمزيد أنظر:

ـ عمر طوسون: وادى النطرون ورهبانه وأديرته ومختصر تاريخ البطاركة، الاسكندرية، ١٩٣٥، ص١٦١.

ـ فيليب دى طرازى : خزائن العربية فى الخافقين، بيروت، ١٩٥١، ص٥٢٨ ـ ٥٢٩ وحول دير سانت كاترين ومكتبه أنظر:

ـ جوزيف نسيم يوسف : دراسات فى المخطوطات العربية بدير سانت القديسة كاترينة فى سيناء فى كتابه : دراسات فى تاريخ العصور الوسطى، الإسكندرية ودار المعرفة الجامعة، ١٩٨٨م، ص١٥٥ ـ ٢٠٤.

(٢) محمد ماهر حمادة : المكتبات فى العالم، ص ١٣٥.

(٣) شعبان عبد العزيز خليفة ومحمد عوض العايدى، الفهرسة الوصفية للمكتبات، المطبوعات والمخطوطات، القاهرة، دار الثقافة، ١٩٧٩م، ص١٧.

(٤) محمد ماهر حمادة : المكتبات فى العالم، ص١٣٧.

(٥) جوزيف نسيم يوسف: مجتمع الإسكندرية فى العصر المسيحى. فى كتابه: دراسات فى تاريخ العصور الوسطى، ص١١٢ـ١١٣.

ودعا إلى القراءة والتعلم، فأظلت سماء العالم الإسلامي حركة فكرية علمية وثقافية قوامها التأليف والترجمة. وكنتيجة لذلك انتشرت المكتبات في جميع أنحاء العالم الإسلامي من الهند إلى الأندلس. ولم تقتصر تلك المكتبات على العواصم فقط بل تعديها إلى المدن. ولم تخل المساجد أو قصور الحكام والأمراء والأغنياء وبيوت العلماء من وجود مكتبات بها غنية بمحتواياتها. غير أن المرء إذا أراد تكوين صورة واضحة عن حركة الكتب والمكتبات في مصر إبان عصر الولاة حتى نهاية الدولة الإخشيدية يقابله صمت شديد للمصادر التي تحدثت عن تلك الفترة من التاريخ. وفي محاولة لاستنطاق النصوص المتاحة يستطيع المرء أن يجزم بأن المكتبات في مصر الإسلامية قبل العصر الفاطمي كانت مكتبات خاصة. إذ عاش في مصر علماء خلفوا لنا مئات من الكتب. ولا شك أنها كانت ضمن مكتباتهم الخاصة التي كانوا يرجعون إليها لأغراض المراجعة والقراءة والتأليف[1].

ومع منتصف القرن الرابع الهجري (أواسط القرن العاشر الميلادي) شهدت مصر نهضة مكتبية رائعة. فقد استولى الفاطميون على مصر في عام (٣٥٧هـ/٩٦٢م) وكان اهتمامهم بالكتب والمكتبات شديدا باعتبارها أداة لنشر دعوتهم الشيعية ونفوذهم السياسي في الشرق الإسلامي[2]. ومن أجل هذا انتشرت المكتبات في القصور والمساجد ولدى

(١) منهم على سبيل المثال أبو عبد الرحمن بن عبد الله لهيعة المصري المتوفى سنة ١٧٤هـ/ ٧٩٠م. وقد ترك لنا مجموعة مدونة من الحديث تعتبر أقدم مجموعة أوراق البردي بمدينة هيدلبرج، سيدة اسماعيل الكاشف: مصر في عصر الولاة، ص١٨٣؛ وانظر ترجمته في: شمس الدين الذهبي: تذكرة الحفاظ، جـ١، ص٢١٥ ـ ٢١٦، منهم أيضا الإمام الشافعي محمد بن إدريس المتوفى سنة ٢٤٠هـ/ ٨٥٤م والذي صنف بمصر ما يربو على مائة كتاب، راجع ترجمته في ابن خلكان: وفيات الأعيان، تحقيق احسان عباس، جـ٤، ص١٦٣ ـ ١٦٩، ترجمة ٥٥٨؛ راجع أيضا: ديوان الإمام الشافعي، تحقيق عبد المنعم خفاجي القاهرة (مكتبة الكليات الأزهرية) ١٩٨٤م ص٣ـ٢٦.

(٢) يدلنا على ذلك ما ذكره المقريزي في خططه عن المعز لدين الله الفاطمي (ت٣٦٥هـ/٩٧٥م) وهو في المغرب حينما استدعى بعض أعوانه ولما دخلوا عليه وجدوا حوله أبوابا مفتحة تفضي إلى خزائن كتب.... وقال لهم هذا السبيل لكي يقرب الله علينا أمر الشرق ـ قاصدا مصر ـ كما قرب علينا أمر الغرب.
راجع المقريزي: الخطط، جـ١، ص٣٥٢.

ويذكر خطاب عطية أن معظم الخلفاء والوزراء الفاطميين كانوا يهتمون بالعلوم لاسيما العلوم الدينية، ذلك أنهم دعاة مذهب جديد والوسيلة إلى نشره هي المناقشة والمناظرة والإقناع بأحقية الفاطميين في الخلافة. فقد كانت الكتب هي الوسيلة الفعالة لنشر علوم مذهبهم ودراسته بين الناس بعامة وطلاب العلم بصفة خاصة.
راجع: خطاب عطية: التعليم في مصر في العصر الفاطمي، القاهرة، ١٩٤٧م ص١٨٨.

الأفراد. كما ظهرت المكتبات العامة وقامت بدور تربوى تعليمي وسياسى، ولإلقاء الضوء على خلفيات المكتبات المملوكية موضوع هذه الدراسة يحسن بنا أن نقف هنيهة عند النهضة المكتبية الفاطمية لاستجلاء أبرز ملامحها وسماتها.

بدأت المكتبات الفاطمية في النمو منذ وصول المعز لدين الله إلي مصر في عام (٣٤هـ/٩٥٣ حيث أقام أول مكتبة فاطمية شهدتها مصر، وألحقها بالقصر الذى كان قد بناه له قائد جيوشه جوهر الصقلى(ت٣٨١هـ/٩٩١م) لإقامته. وكانت نواة هذه المكتبة مجموعة عظيمة من الكتب تتناول المذهب الشيعى كان قد حملها المعز معه من القيروان، وقد بلغت هذه المكتبة فى عهد العزيز بالله (٣٦٥ ـ ٣٨٦هـ/٩٧٥ ـ ٩٩٦م) أربعين خزانة من خزائن القصر[1]، حوت كتب السنة والفقة واللغة والحديث والتاريخ والنجامة والروحانيات، فضلا عن كتب الكيمياء والسحر والطلسمات وغيرها من العلوم السائدة فى ذلك العصر.

وقد نهج الوزراء والعلماء والأطباء والأغنياء نهج خلفائهم. فحرص كل منهم على أن تكون له مكتبة خاصة ينهل منها ويستعين بها فى الرد على خصومه. ومن أشهر هذه المكتبات مكتبة الوزير يعقوب بن كلس[2]، ومكتبة المبشر بن فاتك[3] ومكتبة إفرائيم بن[4]

---

(١) المقريزى : الخطط، جـ١ ،ص٤٠٩ . ويذكر المقريزى روايات مختلفة عن حجم مكتبة القصر الفاطمى، فمنهم من قال إنها تضم ثمانية عشر ألفا من الكتب ومنهم من قال أنها كانت تزيد على مائة وعشرين ألف مجلدا، وفريق ثالث يرجح أنها كانت أكثر من مائتى ألف مجلد. المقريزى: الخطط، جـ١ ،ص٤٠٩ . أما أبو شامة فيقول إنها كانت تحتوى على مليونى كتاب. أبو شامة: كتاب الروضتين فى أخبار الدولتين، القاهرة، ١٢٨٧هـ، جـ١ ،ص٢٠٠ .

(٢) يعقوب بن كلس أول من تولى الوزارة في الدولة الفاطمية، وكان من العلماء المشهورين فى عصره، وكان مغرما بجمع الكتب وكانت مكتبته ملتقى العلماء والأدباء.

للمزيد أنظر : المقريزى : الخطط، جـ٢ ،ص٣٤١ ،ابن خلكان: وفيات الأعيان، جـ١ ،ص٢٨ .

(٣) أبو الوفا المبشر بن فاتك من أدباء وعلماء مصر فى العصر الفاطمى، وكان مشهورا بنبوغه وتفوقه فى علوم الهيئة والعلوم الرياضية الحكمية والطبية. راجع ترجمته فى : ابن أبى أصيبعة: عيون الأنباء فى طبقات الأطباء، جـ٢ ، ص٩٩ ، ياقوت الحموى: معجم الأدباء، جـ١٧ ، ص٧٧.

(٤) إفرائيم بن إسحق بن أبراهيم ابن يعقوب بن الزفان من أشهر أطباء مصر فى العصر الفاطمى، وقد تكونت مكتبته بفضل همته العالية فى تحصيل الكتب واستنساخها. راجع ترجمته فى: ابن أبى أصيبعة : عيون الأنباء فى طبقات الأطباء، جـ٢ ،ص١٠٥ ـ ١٠٦ .

الزفان، ومكتبة الأفضل بن أمير الجيوش بدر الجمالى[١]، ومكتبة الأستاذ برجوان[٢].

وفضلا عن المكتبات الملحقة بالقصور والمكتبات الخاصة، عرف الفاطميون المكتبات الملحقة بالمساجد . فقد كان المسجد فى العصر الفاطمى من أهم المراكز التعليمية إذ كانت تعقد فيه مجالس العلم ويتحلق فيه العلماء والفقهاء والدارسون. وكان لكل مسجد مكتبة تشتمل على الكثير من الكتب فى مختلف العلوم والفنون[٣]. ومن أشهر هذه المكتبات مكتبة الجامع الأزهر[٤]،ومكتبات جامع المقس، وجامع الحاكم، وجامع ابن طولون[٥].

غير أن أهم حدث فى تاريخ المكتبات الفاطمية هو إنشاء دار العلم التى تعزى إلى الخليفة الفاطمى الحاكم بأمر الله (٣٨٦ ـ ٤١١هـ/٩٩٦ـ ١٠٢٠م). وترجع هذه الدار إلى ارتباطها بفلسفة التربية والتعليم فى الدولة، حيث كان من جملة أهدافها الإساسية نشر المذهب الإسماعيلى. وفضلا عن ضخامة دار العلم التى لم تعرف مصر مكتبة عامة فى مثل حجمها بعد مكتبة الاسكندرية القديمة، تميزت عن المكتبات الفاطمية الأخرى بأن الفرصة كانت متاحة فيها للجميع للاستفادة من مراجعها وأساتذتها، هذا، بينما لم تكن مكتبات القصور ـ بصفة مستمرة ـ مفتوحة للجميع. كما تميزت عن مكتبات المساجد فى أن الأخيرة لم تكن لها ما لدار العلم من ذلك العدد الضخم من الكتب فى سائر الفنون الدينية والعقلية[٦].

---

(١) الأفضل بن أمير الجيوش بدر الجمالى وقد تقلد الوزارة فى مصر الفاطمية فيما بين عامى ٤٨٧هـ و٥١٥هـ. وكان الأفضل رجلا يحب العلم ويقدر العلماء ويغدق عليهم وكانت له مكتبة كبيرة حوت خمسمائة ألف مجلد من الكتب العلمية. راجع المقريزى: اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطمين الخلفاء، جـ٣،ص٧٠.

(٢) الأستاذ برجوان من علماء عصره الذين اشتهروا بالتدريس للأمراء والخلفاء، وكان يمتلك مكتبة كبيرة ويعد وفاته سنة ٣٩٠هـ/ ١٠٠١م وجد من بين ثروته من «الكتب مالا يحصى كثرة». إبن منجب الصيرفى: حادى الأرواح، حيدرإباد، ١٣١٢، ص١٣.

(٣) خطاب عطية : المرجع السابق، ص١٣٢.

(٤) المقريزى: الخطط، جـ٢ ،ص٢٧٣ ـ ٢٧٦ ، وانظر ايضا : محمد عبد الله عنان: تاريخ الجامع الأزهر فى العصر الفاطمى، القاهرة، ١٩٤٢م، ص٤١.

(٥) المقريزى : الخطط، جـ٢ ،ص٢٦٧، ٢٧٤.

(٦) للمزيد عن دار العلم ودور التربوى والتعليمى، انظر : خطاب عطية على : التعليم فى مصر فى العصر الفاطمى، ص١٥٩؛ متولى محمد متولى : المكتبة ودورها التربوى فى مصر الفاطمية، رسالة ماجستير لم تنشر بعد ـ جامعة المنوفية، ١٩٨٣م، ص١٠٨.

وهكذا عرفت مصر الفاطمية أنواعا متعددة من المكتبات، وهذا يدل على مدى إدراك الفاطميين لدور المكتبات فى رقى الأمم. ومن أجل هذا نالت قسطا كبيرا من اهتمامهم وعنايتهم، فتضخمت مجموعاتها وميزانياتها، وارتفع مستوى أمنائها، وتعددت مصادر تزويدها ما بين شراء وإهداء ووقف ونسخ. ولم تكن لهذه المكتبات أن تؤدى رسالتها ما لم تكن على درجة عالية من التنظيم والإعداد الفنى، ولهذا وجدت لها فهارس اتخذت شكل قوائم تلصق على كل خزانة بمحتوياتها(١).

وعند ما آلت الأمور إلى صلاح الدين الايوبى فى مصر أبطل المذهب الشيعى وقضى على خزائنهم ومكتباتهم لما كان يتضمنه بعضها من أفكار تتعلق بمذهب الفواطم، وتشتت ما تبقى من كتبها بيعا على تجار الكتب وعطاء لبعض العلماء والقضاة فضلا عما أهداه صلاح الدين للمقربين إليه(٢).

لقد أصبح ما تبقى من مجموعات المكتبات الفاطمية نواة للمكتبات التى ظهرت فى العصر الأيوبى. وعلى الرغم من أن دولة الأيوبيين قامت على أساس الجهاد ضد الصليبيين فى الأراضى المقدسة(٣)، ألا أن هذه الناحية العسكرية لم تشغلها عن النشاط

---

(١) المقريزى : الخطط جـ١ ،ص٤٠٩؛ انظر ايضا محمد ماهر حمادة: المكتبات فى الإسلام، ص١٠٦، عبد الستار الحلوجى : لمحات من تاريخ الكتب والمكتبات، ص٤٧.

(٢) ذكرت المصادر العربية أنه حدد لبيع الكتب يومين كل أسبوع واستمر عشر سنوات وتولى الدلالون هذه المهمة تحت إشراف قراقوش الذى كان قد ولاه صلاح الدين أمر القصر الفاطمى وخزائنه. ومن أكثر الذين استحوذوا على مجموعات كبيرة من مكتبات الفاطميين القاضى الفاضل وعماد الدين الأصفهانى، وقد بلغت جملة ما ناله الأول مائة ألف مجلد؛ بينما نال الثانى نصيبا كبيرا من الكتب بلغ ثمانية أحمال. عن ذلك أنظر : أبو شامة : كتاب الروضتين، جـ١ ، ص٢٠٨، ٢٦٨؛ البندارى: سنا البرق الشامى، تحقيق رمضان ششن، بيروت دار الكتاب الجديد، ١٩٧١م، جـ١ ،ص٢٣٤، ابن الفرات: تاريخ ابن الفرات، تحقيق حسن محمد الشماع، البصرة، ١٩٦٧م ،مج ٤، جـ١ ، ص١٦٧؛ المقريزى : الخطط ، جـ١ ،ص٤٠٨ ، ابن كثير : البداية والنهاية، جـ١٢ ، ص٢٢٦ السيوطى : حسن المحاضرة جـ٢ ، ص٣٤؛ ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة ، جـ٥ ،ص ٣٣٦ ، وانظر ايضا:

- Encyclopdia of Islam, Vol .3,part I,p353.

(٣) سعيد عبد الفتاح عاشور : مصر فى عصر دولة المماليك البحرية، القاهرة ، ١٩٥٩ ص٥١

الحضارى، إذ اشتهر سلاطين الأيوبيين بحبهم للعلم ومجالسة العلماء[١] . هذا وتعتبر ظاهرة انتشار المدارس من أبرز سمات الحياة العلمية فى ذلك العصر: تضرب مثالا لذلك بالمدرسة الناصرية التى أنشأها صلاح الدين (سنة ٥٦٦هـ/ ١١٧٠م) للشافعية، والمدرسة الصلاحية (سنة ٥٧٢ هـ/١١٧٦م) للشافعية أيضا، والمدرسة القمحية[٢] .

وقد سار أبناء البيت الأيوبى على منوال صلاح الدين حتى بلغ عدد المدارس التى أنشئت فى مصر آنذاك ستا وعشرين مدرسة كلها فى القاهرة ماعدا اثنتين فى الفيوم[٣] هذا فضلا عما أنشىء فى الإسكندرية وغيرها من مدن مصر من مدارس، مثل المدرسة التى أنشأها صلاح الدين على ضريح المعظم توران شاه بالإسكندرية[٤] .

وكانت المدارس فى ذلك العصر - والعصر الذى تلاه - أشبه بمعاهد التعليم العالى، ولكل مدرسة مذهبها الذى تتبعه وإن كان بعضها يشتمل على أربع كليات للمذاهب الأربعة[٥] . وإذا كان من المفروض فى المدرسة أن تكون معهداً لتعليم العلوم الشرعية من

---

(١) يذكر السبكى أن صلاح الدين كان يجمع حوله رجال العلم ويحضر مجالسهم ليستمع إليهم ويشاركهم فى بحثهم. كما يذكر المقريزى أن السلطان الكامل كان يحب أهل العلم ويؤثر مجالستهم عنده وكان يناظر العلماء. راجع : السبكى: طبقات الشافعية الكبرى، القاهرة، ١٩٠٦، جـ١، ص٣٣٩؛ بالمقريزى: السلوك، جـ١ ص٢٥٨ .

(٢) للمزيد عن هذه المدارس راجع : المقريزى : الخطط، جـ٢، ص٣٦٣ـ ٣٦٤، ٤٠٠؛ ابن دقماق: الانتصار لواسطة عقد الأمصار، جـ٤، ص١٩٣؛ السيوطى: حسن المحاضرة، جـ٢، ص١٨٦ .

(٣) للمزيد عن هذه المدارس راجع : المقريزى: الخطط، جـ٢، ص٣٦٢ـ ٣٧٥، وانظر ايضا : احمد فكرى : مساجد القاهرة ومدارسها، القاهرة، دار المعارف ١٩٦٩، جـ٢، ص٤٩ ـ ٥٥؛ أحمد بدوى الحياة العقلية فى عصر الحروب الصليبية بمصر الشام، القاهرة، مكتبة نهضة مصر، د. ت، ص٤٤ ـ ٦٠ وما بهما من مصادر.

(٤) المقريزى: السلوك، جـ١، ق١، ص٧٦ . وتوران شاه : هو الملك المعظم شمس الدين شاه بن أيوب الملقب بفخر الدين شقيق السلطان صلاح الدين الأيوبى. راجع ترجمته فى : ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ١، ص٣٠٦ـ ٣٠٩؛ السبكى : طبقات الشافعية، جـ٥، ص ٥٢ .

(٥) جدير بالذكر أن المدرسة الصالحية النجمية التى أنشأها الصالح نجم الدين أيوب سنة ٦٣٩هـ/ ١٢٤١م كانت أول مدرسة تجمع بين المذاهب الأربعة : راجع المقريزى : الخطط جـ٢، ص٣٧٤؛ السيوطى : حسن المحاضرة، جـ٢ ص١٥٩؛ ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ٦، ص٣٣٣، ٣٤١؛ المقريزى السلوك؛ جـ١، ص٢٩٤؛ السبكى : طبقات الشافعية؛ جـ٥، ص٨١ .

فقة وتفسير وحديث، فإن الوضع لم يلبث أن تطور حتى غدت المدارس لتدريس العلوم الدنيوية من نحو ولغة وفلسفة وفلك ورياضيات فضلا عن العلوم الشرعية[١] وقد ساعد هذا ـ بطبيعة الحال ـ على زيادة الاستنارة واتساع الآفاق. وكان لهذه المدارس مكتبات يرجع إليها المدرسون والطلاب ويعتمدون عليها فى التحصيل والاستزادة من العلم. مثال ذلك المدرسة الفاضلة التى أنشأها القاضى الفاضل عبد الرحيم البيسانى[٢] (٥٢٩ ـ ٥٩٦هـ/١١٣٨ ـ١٢٠٥م) بجوار داره بدرب ملوخية بالقاهرة سنة ٥٨٠هـ/١١٨٩م وما حوته من كتب فى شتى أفرع المعرفة البشرية[٣]. هذا، بالإضافة إلى مكتبته الخاصة التى كانت يحتفظ بها فى داره والتى آلت إلى ابنه الأشراف أحمد بعد وفاته[٤].

وثمة مكتبة الحقت بالمدرسة الكاملية التى أنشأها الملك الكامل ناصر الدين محمد سنة ٦٢٢هـ/١٢٢٥م،[٥] ومكتبة ثالثة الحقها ابنة الملك الصالح نجم الدين أيوب بمدرسته التى أنشأها عام ٦٣٩هـ/١٢٤١م[٦]. ولم يقتصر وجود المكتبات فى العصر الأيوبى على المدارس وحدها لاعتبارها جزءا ضروريا فى تكوينها، بل وجدت المكتبات الملحقة

(١) سعيد عبد الفتاح عاشور : المرجع السابق والصفحة.

(٢) انظر ترجمته فى ابن خلكان : وفيات الأعيان، جـ٣ ، ص١٥٨ ـ ١٦٣، ترجمة ٣٧٤.

(٣) يذكر المقريزى وابن العماد أن محتويات هذه المكتبة كانت تبلغ مائة ألف مجلد كان قد اشترى القاضى الفاضل بعضها من كتب الفاطميين وأهدى إليه البعض الآخر من قبل صلاح الدين وكان الرجل كثير العناية بمكتبة مدرسته فهو يقتنى الكتب من كل فن، ويجلبها من كل جهة، وله نساخ لا يفترون ومجلدون لا يبطلون، وكان له غرام خاص فى تحصيل الكتب حتى بلغت عند وفاته ألفا وأربعة وعشرين ألف مجلدا. ولعل من أجل ما كان فيها مصحف شريف مكتوب بالخط الكوفى كان قد اشتراه القاضى الفاضل بنيف وثلاثين ألف دينارا على أنه مصحف عثمان بن عفان رضى الله عنه. راجع : المقريزى: الخطط، جـ٢، ص٣٦٦ ـ ٣٦٧؛ السلوك، ج١، ص٨٧؛ ابن العماد: شذرات الذهب جـ٤، ص٣٢٦؛ انظر ايضا : احمد بدوى : المرجع السابق، ص١٤٨؛ عبد الغنى محمود عبد العاطى : التعليم فى مصر زمن الأيوبيين والمماليك، القاهرة، دار المعارف، ١٩٨٣، ص٧٩.

(٤) سعيد عبد الفتاح عاشور : الأيوبيين والمماليك فى مصر والشام، ص١٤٩؛ عبد الرحمن زكى: قلعة صلاح الدين وما حولها من آثار، ص٤٤.

(٥) للمزيد عن المدرسة الكاملة ومكتبتها انظر : المقريزى : الخطط، جـ، ص٣٧٥؛ راجع ايضا فيليب دى طرازى: خزائن الكتب العربية فى الخافقين، ص١٨٤.

(٦) انظر حاشية ٥ من ص ٦٨ من الكتاب. هذا، وتحتفظ مكتبة بلدية الاسكندرية بنسخة تحت رقم ١٧٢٧ب من كتاب «المغنى فى الأدوية المفردة» تأليف ابن البيطار (ت ٦٤٦هـ) كانت ضمن موجودات مكتبة مدرسة الصالح نجم الدين أيوب كما يفهم من نص الوقفية المثبتة على صفحة العنوان.

بالمساجد والجوامع فضلا عن المكتبات الخاصة [١]. وكان لكل مكتبة عدد من الموظفين يقومون بتنظيم الكتب ورعايتها والمحافظة عليها، فضلا عن خدمة المترددين عليها من طلاب العلم، وأهم هؤلاء الموظفين الخازن والنساخ والمجلدون والمناولون[٢].

هكذا شهدت مصر إبان العصر الأيوبى حركة علمية ثقافية ومكتبية، كانت مرحلة التمهيد للحياة الثقافية والنهضة العلمية والمكتبية فى العصر المماليكى. فمن المعروف أن دولة المماليك ورثت عن الدولة الأيوبية كل نظمها ومؤسساتها كما ورثت عنها تشجيعها للعلم والعلماء وحبها وإقبالها الشديد على بناء المؤسسات التعليمية والتربوية وإلحاق المكتبات بها.

لعلنا نخلص مما سبق أن مصر بحكم موقعها الجغرافى والاستراتيجى وتراثها الحضارى الممتد عبر القرون، كانت مركز إشعاع فكرى وثقافى ومنارة للعلم والمعرفة منذ أقدم عصورها. فلا عجب أن تزدهر فيها الحركة المكتبية على امتداد تاريخها الطويل ولا عجب أن يهتم أولو الأمر والمسئولون فيها بإنشاء المكتبات التى تضمن الآلاف المؤلفة من الكتب فى مختلف العلوم والفنون لينهل منها العالم المتخصص والقارىء العادى. ولا عجب أيضا أن تستمر وأن تتواصل هذه الإشراقة العلمية حتى عصر المماليك ليكون امتدادا طبيعيا لما سبق يقيمون فوقه صرحهم العلمى الضخم.

٢ - أنواع المكتبات المملوكية :

لقد شهد عصر المماليك فى مصر أنواعا عديدة من المكتبات، ولو تصورنا هذه الأنواع فى شكل مثلث أو هرم لوجدنا **المكتبات الخاصة** تحتل قاعدته، لأنها كانت

---

(١) من هذه المكتبات مكتبة أمين الدولة الحسن بن غزال وزير الملك الصالح، فقد ترك عند وفاته مكتبة تحوى عشرة آلاف مجلد من الكتب النفيسة والخطوط المنسوبة. انظر : العينى، بدار الدين محمود : عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان، عصر سلاطين المماليك حوادث وتراجم سنوات ٦٤٨ - ٦٦٤ هـ، تحقيق محمد محمد أمين، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٧م ص١٤٦ سبط ابن الجوزى: مرأة الزمان فى تاريخ أهل الزمان، حيدر أباد ١٩٥٢، ج٨، ص ٧٨٤ - ٧٨٥.

(٢) سعيد عبد الفتاح عاشور: المرجع السابق، ص١٥٣.

أسبقها ظهوراً وأكثرها انتشاراً. فمن المعروف أن حب التملك غريزة فطرية لدى الإنسان، وحيثما توجد كتب تجد تلك الغريزة مجالا للانطلاق. ومن أجل هذا انتشرت المكتبات الخاصة انتشارا ملحوظا. فحيثما قرأنا فى كتب التراجم والسير والطبقات[١] وجدنا عبارات لها دلالتها، مثل «وكان يقتنى الكتب النفيسة» و«خلف كتبا كثيرة» أو «وكان جماعا للكتب» أو «واقتنى من سائر الكتب شيئا كثيرا».

والحقيقة أن سلاطين المماليك أنفسهم- وإن كانوا امتداد للأيوبيين فى الجهاد ضد الصليبيين والمغول- إلا أنهم كانوا فى نفس الوقت أول من قدر أهمية الكتب فاحتفظوا فى قلعة الجبل- مقر السلطان المملوكى- بخزانة كتب جليلة القدر حوت مجموعة كبيرة من الكتب فى العلوم والمعارف المختلفة[٢] وكانت فى الأصل تتألف من مكتبة القاضى الفاضل عبد الرحمن البيسانى التى آلت إلى ابنه الأشرف أحمد حتى أمر السلطان الأيوبى الكامل محمد بوضع اليد عليها ونقلها إلى القلعة فى عام ٦٢٦هـ/١٢٢٩م، وكانت تتألف من ثمانية وستين ألف مجلدا[٣]. وبعد أيام حملت الخزائن الخشبية فى تسع وأربعين حملا، وكان من جملة الكتب المستولى عليها كتاب «الأتابك والعصور» لابى العلاء المعرى فى ستين مجلدا[٤]. وفى عام ٦٩١هـ/١٢٩١م وقع حريق عظيم بقلعة الجبل فتلف بها من الكتب فى الفقه والحديث والتاريخ وعامة العلوم شيئا كثيرا كان من ذخائر المملوك،

---

(١) انظر على سبيل المثال: السخاوى، محمد بن عبد الرحمن: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ١٢جـ، القاهرة، ١٣٥٣هـ؛ الكتبى، محمد بن شاكر، فوات الوفيات، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد، القاهرة، ١٩٥١؛ السيوطى جلال الدين عبد الرحمن : بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة، القاهرة ١٣٢٦هـ؛ الشوكانى، محمد بن على: البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، بيروت، (د. ت)؛ العسقلانى، شهاب الدين أحمد بن على: الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة، ٤جـ، حيدر أباد، ١٣٤٨هـ، الغزى نجم الدين بن محمد : الكواكب السائرة فى أعيان المائة العاشرة، ٣جـ، بيروت، ١٩٤٥ - ١٩٥٩م.

(٢) سعيد عبد الفتاح عاشور: العصر المماليكى، ص٣٢٣.

(٣) المصدر السابق، ص١٤٤، عبد الرحمن ذكى: قلعة صلاح الدين، ص٤٤.

(٤) عبد الرحمن زكى: المرجع السابق والصفحة.

فانتهبها الغلمان وبيعت أوراقا ممزقة ظفر الناس منها بنفائس ... وأخذوها بأبخس الأثمان»[(١)].

وإذا كان هذا الحريق قد قضى على هذه المكتبة السلطانية، فإن عصر سلاطين المماليك شهد العديد من المكتبات السلطانية الخاصة[(٢)]، حيث حرص كل سلطان - تقريبا - يجلس على عرش البلاد أن يكون قصره ملتقى للعلم والعلماء. إذ يذكر أن الناصر حسن ابن قلاوون (٧٤٨ - ٧٥٢هـ/١٣٤٧ - ١٣٥٢م) اشتغل بالعلم كثيرا، ونسخ العديد من الكتب بخطه منها «دلائل النبوة» للبيهقي[(٣)]. وكان السلطان المؤيد شيخ (٨١٥ - ٨٢٤هـ/١٤١٢م) يعقد المجالس العلمية كل يوم أحد وأربعاء حيث يجتمع عنده العلماء فيتباحثون ويتناقشون في مختلف العلوم «وهو فيما بينهم كأحدهم»[(٤)]. وقد أصبح إقامة مثل هذه المجالس العلمية تقليدا يحرص عليه سلاطين المماليك حتى آخر أيام دولتهم. إذ عرف السلطان قانصوه الغوري (٩٠٦ - ٩٢٢هـ/١٥٠١ - ١٥١٦م) حبه للعلم واجتماعه بالعلماء وكان ذا حظ من العلوم الدينية ومولعا بقراءة كتب التاريخ والسير، كما كانت تعقد بحضرته وتحت إشرافه مجالس علمية تتراوح من مرة إلى ثلاث مرات أسبوعيا تتناول موضوعات شتى[(٥)].

---

(١) المقريزي : الخطط، جـ٢ ،ص٢١٢ ؛ وأنظر أيضا : العيني : عقد الجمان ، جـ٣ ص٤١١٠؛ ابن كثير : البداية والنهاية، جـ٣، ص٣٢٦؛ المقريزي : السلوك جـ١ ، ص٧٧٧ ؛ ابن الفرات: تاريخ ابن الفرات، جـ٨ ،ص١٣٥؛ وكذلك الفصل الخامس من الكتاب.

(٢) منهم السلطان أبو سعيد جقمق (٨٤٢ - ٨٥٧ هـ/١٤٣٨ - ١٤٥٣م) الذي كان يقتني الكتب النفيسة ويعطي فيها الأثمان الزائدة. انظر ابن تغري بردي: المنهل الصافي، جـ١ ، ورقة ٤٨٤ب.

وهناك أيضا السلطان الظاهر خشقدم (٨٦٥-٨٧٢هـ/ ١٤٦٠-١٤٦٧م) حيث تجمعت لديه خزانة كتب معتبرة كان معظمها بخط يده، وتحتفظ مكتبة بلدية الاسكندرية بنسخة من كتاب المقصد الأسنى في شرح الأسماء الحسنى للشيخ عبد العزيز الديريني (ت٦٩٤هـ) تحت رقم ١٢٣٦ ب، كانت ضمن موجودات خزانة خشقدم وبخط يده. أنظر الكتاب، صفحة العنوان، والصفحة الأخيرة.

(٣) العسقلاني : الدرر الكامنة جـ٢ ، ص٤٠ ؛ المقريزي : السلوك ، ج٣،ق١ ،ص٥٢.

(٤) العيني : السيف المهند في سيرة الملك المؤيد ، ص٢٧٤ - ٢٧٥ ؛ السخاوي الضوء اللامع، جـ٣، ص٣٠٩؛ انظر ايضا : عبد الغني محمد عبد العاطي: التعليم في مصر زمن الأيوبيين والمماليك، ص١٥٦.

(٥) راجع : عبد الوهاب عزام: مجالس السلطان الغوري، ص٤٩؛ سعيد عاشور: المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك، ص١٢.

ولم يكن لمثل هذه الحلقات الدراسية أن تؤدى وظيفتها بغير كتب ومكتبات ، ويكفى أن نذكر هنا أن المكتبة السلطانية الغورية[١] كانت غنية بالكتب فى مختلف أنواع المعارف والعلوم . وكانت ضمن موجوداتها كتاب تاريخ التتار الذى أهداه الشاه إسماعيل الصفوى للغورى[٢] .

ولم يكن أمراء المماليك يقلون عن سلاطينهم تقديرا لأهمية الكتب وحرصا على اقتنائها وتكوين مكتبات خاصة بهم . فقد احتفظ العديد من الأمراء بخزانات كتب فى قصورهم . نذكر منهم على سبيل المثال تغرى برمش سيف الدين الجلالى الناصرى (ت٨٥٢هـ/١٤٣٣م) ،[٣] والأمير يشبك الداوادار (ت٨٨٥هـ/١٤٩٠م)[٤] وأمير أخور الجمال (ت٨٨٧هـ/١٤٩٢م)[٥] ، وأحمد بن أينال العلائى داودار برسباى[٦] .

---

(١) انظر : الملحق الأول ، لوحة رقم ١٢ .

(٢) عبد الوهاب عزام : المرجع السابق ، ص٤١ .

(٣) كان نائب القلعة بالقاهرة ويعرف بالفقيه ، ويذكر السخاوى أنه كان مستكثرا من الكتب أنظر : السخاوى : الضوء اللامع ، جـ٣ ص٣٣ - ٣٤ .

(٤) هو الأمير يشبك بن مهدى الظاهرى جقمق أحد أمراء المماليك . وقد «تحصل من الكتب النفسية شراء واستكتابا» . السخاوى : الضوء اللامع جـ١٠ ، ص٢٧٢ - ٢٧٤ ؛ انظر : الملحق الأول ، لوحة ١٠ ؛ وكتاب «الوافى بالوفيات» للصفدى جـ١ ص ب .

(٥) هو الأمير جكمق قرا العلائى الظاهرى جقمق ويعرف بأمير أخور الجمال ولى نيابة الاسكندرية بعد أتيال الأشراف قايتباى . وكان ذا همة عالية ورغبة فى لقاء العلماء وكان يجمع الكتب العلمية ويقتنيها . السخاوى : الضوء اللامع ، جـ٣ ص٧٥ . وأمير أخور اسم يطلق على القائم على أمر الدواب من خيل وبغال وأبل وغيرها فى الاصطبلات السلطانية . انظر : القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ٥ ، ص٤٤٦ ؛ السبكى : معيد النعم ومبيد النقم ، ص٣٧ ؛ أنظر أيضا : حسن الباشا : الفنون الإسلامية والوظائف ، جـ١ ، ص١٧٤ - ١٧٥ .

(٦) كان عالما فاضلا وتمتع بالإقبال على التحصيل من نفائس الكتب ، فحصل منها الكثير ولد فى عام (٨٣٧هـ/١٤٢٢م) ولم يعرف تاريخ وفاته . السخاوى : الضوء اللامع ، جـ٦ ، ص٦٩٥ .

والداودار هو من يحمل دواة السلطان ويقوم بإبلاغ الرسائل عنه وتقديم القصص والعرائض إليه ، والمشاورة على من يحضر إلى الباب الشريف ، ولأخذ خط السلطان على عامة المناشير والتوقعات . وكان يسمى قديما بالحاجب . أنظر : القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ٤ ، ص١٩ ؛ السبكى : معيد النعم ومبيد النقم ص٢٥ ، المقريزى : السلوك ، جـ١ ص٤٤١ ، هامش١ ؛ راجع أيضا : حسن الباشا : الفنون الإسلامية جـ٢ ، ص٥١٩ .

وكذلك كان لدى العلماء والفقهاء والقضاة بل وعامة الشعب أحيانا مكتباتهم الخاصة التى يرجعون إليها للقراءة والاطلاع والتأليف. من ذلك[١] الشيخ الصالح المحدث أبو الفتح محمد بن أبى بكر الكوفى (ت٦٦٧هـ/١٢٦٧م)، فقد كانت له خزانة كتب خاصة وقفها على طلبة العلم[٢]، والشيخ جلال الدين القونوى (ت٦٧٢هـ/١٢٧٢م) حيث ذكر العينى أنه كان يجلس فى بيته وحوله الطلبة والكتب. وقد احرقت خزانة كتبه إثر حريق أصاب البيت فى نفس العام الذى توفى فيه[٣]. وكان للشيخ الفاضل الفقيه النحوى يحيى بن عبد الوهاب الدمنهورى الشافعى)ت٧٢١هـ ـ ١٣٢١م) خزانةكتب خاصة وقفها على خزانة جامع الظاهر[٤]. وهناك أيضا القاضى برهان الدين بن جماعة (ت٧٩٠هـ/١٣٨٧م) الذى «اقتنى من الكتب النفسية بخطوط مصنفيها وغيرهم ما لم يتهيأ لغيره» كما يقول ابن حجر العسقلانى[٥]. وتعد هذه المكتبة الخاصة هى نواة مكتبة المدرسة المحمودية. فقد اشتراها الأمير محمود الاستادار[٦] (ت٧٧٩هـ ـ ١٣٩٦م) من تركته بعد موته ووقفها، وشرط ألا يخرج منها شيئ من مدرسته[٧]. وممن كانوا يمتلكون

(١) اكتفينا هنا بذكر نماذج محددة من المكتبات الخاصة على سبيل المثال لا الحصر.

(٢) العينى : عقد الجمان، جـ٢ ص٥٥، وأنظر ترجمته فى الذهبى: العبر، جـ٥، ص٢٨٦ ـ ٢٨٧ .

(٣) العينى، عقد الجمان، جـ٢، ص١٢٩ .

(٤) العسقلانى : الدرر الكامنة، جـ٤، ص٤٢١ ـ ٤٢٢ .

(٥) المصدر السابق، جـ١، ص٣٨؛ أنباء الغمر، جـ٣، ص٢٩٩ .

(٦) هو الأمير محمود بن على، تنقل فى وظائف عدة إلى أن عين زمن الظاهر برقوق فى وظيفة الاستادارية سنة سنة ٧٩٠هـ، واستقر بعد ذلك مشيرا للدولة. وحدثت له بعد وفاة برقوق أحداث كثيرة ما بين قبض وسجن ومصادرة لاملاكه. راجع ترجمته فى : العسقلانى الدرر الكامنة، جـ٢، ص٣٢٩؛ المقريزى: الخطط، جـ٢، ص٣٩٥ ـ ٣٩٧.

والاستدارية هى وظيفة من وظائف أرباب السيوف يتولى صاحبها شئون بيوت السلطان من المطابخ والشراب خانه والحاشية والغلمان، وله مطلق التصرف فى استدعاء ما يحتاجه كل من فى بيت السلطان من النفقات والكساوى، وما يجرى مجرى ذلك من المماليك وغيرهم. أنظر: ابن فضل العمرى: التعريف بالمصطلح الشريف، ص ٩٨؛ القلقشندى: صبح الأعشى، جـ٤، ص٢٠؛ السبكى: معيد النعم، ص ٢٦؛ راجع ايضا: حسن الباشا: الفنون الإسلامية جـ١، ص٤١.

(٧) فؤاد سيد: «نصان قديمان فى إعارة الكتب» مجلة معهد المخطوطات العربية، مج١، (١٩٥٨)، ص١٢٧ ـ ١٢٨.

مكتبات خاصة محمد بن محمد المراغى (ت٨١١هـ/١٤٠٨م) الذى خلف كتبا كثيرة جدا تلف أكثرها بالأرضة وغيرها[١]. وكان لأحمد بن سليمان (ت٨١٢هـ/١٤٠٩م) مكتبة خاصة فى بيته وقف عدة كتب منها وجعل مقرها برباط الخورى فى مكة المكرمة[٢]. ومن هؤلاء أيضا، أحمد الشهاب الحجرانى اللؤلوى (ت٨٢٧هـ/١٤٢٤م) فقد ذكر السخاوى فى ترجمته أنه حصل كتبا كثيرة[٣]. كذلك كان للإمام ابن حجر العسقلانى مكتبة خاصة، وقد أوصى بها قبل وفاته فى ذى الحجة ٨٥٢هـ/١٤٤٩م للمكتبة المحمودية[٤]. ومنهم كذلك محمد بن محمد عبد الله الخضيرى[٥](ت٨٦٠هـ١٤٥٥م) الذى اقتنى الكثير من الكتب النفسية، وبعد وفاته وضع ولده أحمد يده عليها فباعها[٦]. وكان الشيخ أحمد بن شهاب الدين الكنانى (ت٨٦٢هـ/١٤٥٧م) مستكثرا من تحصيل الكتب كما يقول السخاوى[٧].

وممن كان لديه مكتبة خاصة أيضا القاضى أحمد بن محمد بن بركوت الصلاح ابن الجمال الشهابى (ت٨٨١هـ/١٤٧٦م)، فقد ولع بالنظر فى دواوين الشعر واقتنى الكتب النفسية[٨]، وأحمد بن عبد الرحيم بن حسن بن الحسين (ت٨٩٨هـ/١٤٩٣م) الذى باع كتبه فى آخر أيامه بسبب الحاجة[٩]، وأحمد بن هارون الشهابى (ت فى القرن ٩هـ/١٥م) الذى وقف كتبه على الجامع الأزهر[١٠]، ومحمد الغزى الشافعى (ت ق

---

(١) السخاوى : الضوء اللامع، جـ٩، ص٢٩.

(٢) المصدر السابق جـ١ ، ص٣٠٨.

(٣) السخاوى : الضوء اللامع جـ٢ ، ص٢٥٦.

(٤) السخاوى : الجواهر والدرر، ورقة ٢٨٠ ظهر. وعن ترجمته انظر السخاوى: الضوء اللامع، جـ٢ ، ص٣٦-٤٠ ؛ التبر المسبوك : وفيات ٨٥٢هـ، ص٢٣٠-٢٣٦.

(٥) أنظر ترجمته فى : السخاوى : الضوء اللامع، جـ٥، ص٢٣٠.

(٦) المصدر السابق جـ٢ ، ص١٨٤.

(٧) المصدر السابق، جـ١ ، ص٢٢٤.

(٨) المصدر السابق ، جـ٢ ، ص١٠٠.

(٩) المصدر السابق، جـ١ ، ص٣٣٦.

(١٠) المصدر السابق، جـ٢ ، ص٢٤٠.

٩هـ/١٥) الذى ملك خزانة كتب كان من كتبها نسخة من كتاب الوافي بالوفيات للصفدى، وقد انتقلت إلى هذه الخزانه من خزانة كتب الأمير يشبك الداودار[١] وهناك أيضا أحمد بن أسد بن عبد الواحد الأسيوطى (ت ق٩هـ/١٥م). فقد كان عالما فاضلا برع في فنون كثيرة منها علم الشروط[٢]، مع صرف الهمة والمداومة على المطالعة والمقابلة. وقد اعتنى بكثير من كتبه فحشاها وقيد شكلها أى جعل لها حواشى وتعليقات وفوائد، وكان مكثرا من تحصيل نفائس الكتب[٣]، وكذلك القاضى الشيخ زكريا الأنصارى (ت٩٢٦هـ/١٥٢٠م) الذى جمع من الأموال والكتب النفيسة ما لم يتفق لمثله[٤].

والحقيقة أن هذه المكتبات بلغت من الضخامة وكثرة محتوياتها أن مكتبه أحدهم وهو الشيخ الإمام الأديب ناصر الدين شافع الكنانى العسقلانى (ت٧٣٣هـ/١٣٣٢م) كانت تحتوى «على ثمانى عشرة خزانة» كما يقول ابن تغرى بردى[٥]. وأيضا مكتبة يحيى بن محمد بن عمر بن حجى السعدى (ت٧٨٨هـ/١٤٨٣م) الذى يصفه السخاوى بأنه كان عالما فاضلا وقد اجتمع له من الكتب الكثير ميراثا وشراء واستكتابا لشدة شغفه بها لاسيما ما يجد لفضلاء وقته من التصانيف[٦]. ويحدد ابن إياس عدد هذه الكتب بثلاثة آلاف مجلداً من الكتب عند وفاته[٧]. وكذا بلغ مجموع كتب مكتبة عبيد الله بن يعقوب (ت ق١٠هـ/ق١٦م) حوالى عشرة آلاف مجلداً. وكان يجمع الكتب الكبيرة والصغيرة، القديمة منها والجديدة، وجعل لها فهرسا مجلدا مستقلا يذكر فيه الكتاب ومؤلفه[٨].

---

(١) الصفدى: الوافى بالوفيات، جـ١ ،ص ب.

(٢) هو العلم الذى يبحث في كيفية تدوين الأحكام الشرعية على وجه يصح الاحتجاج به. أنظر: طاش كبرى زاده: مفتاح السعادة، جـ١، ص٢٧٢؛ حاجى خليفة: كشف الظنون، جـ١، ص١٠٤٠.

(٣) السخاوى: الضوء اللامع، جـ١، ص٢٢٩-٢٣١.

(٤) الغزى: الكواكب السائرة جـ١ ص١٩٦.

(٥) ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة جـ٩ ص٢٨٩.

(٦) السخاوى: الضوء اللامع جـ١٠ ص٢٥٢-٢٥٣، ترجمة ١٠٣٠، الصفدى: فوات الوفيات جـ١ ص ب.

(٧) ابن إياس: بدائع الزهور جـ٣ ص٢٠١ حوادث ٨٨٨هـ.

(٨) الغزى: الكواكب السائرة، جـ١، ص١٨٨.

وقد أسرف البعض فى اقتناء الكتب وتجليدها وصيانتها وزخرفتها لدرجة ضياع الثروة والاستدانة من أجلها. فيذكر السخاوى عن أحمد بن على بن قرطاى بن يكتمر الساقى الحنفى (ت٨٤١هـ/١٤٣٧م) أنه نشأ فى ترف زائد ونعمة سابغة وثروة ظاهرة وأوقاف كثيرة حتى أن غلته تزيد عن عشرة دنانير كل يوم، ومع ذلك فلا يزال فى دين كثير لكونه يقتنى الكتب النفسية بالخطوط المنسوبة والجلود المتقنة[١].

ولقد اشتهر هؤلاء وأولئك بحبهم للكتب، وكانوا يتبارون فى جمعها وبذل الأموال من أجلها، وعنوا بها عناية كبيرة جعلتهم ينشئون الخزانات لها. وهذه المكتبات وإن كنا نسميها خاصة لأنها تخص أفراد معينيين أنشأوها لفائدتهم ومصلحتهم ومن أموالهم الخاصة فى أغلب الأحوال، إلا أن بعضهم كان يبيحها للناس جميعا، وخصوصا للعلماء وطلاب العلم ومن يوثق بهم كما فعل العلامة المحدث ابن حجر العسقلانى فقد كان يبيح لطلابه وللعلماء الانتفاع بها[٢]، وأيضا الشيخ على بن سليمان الإبشارى[٣] الذى حوت كتبه جميع المعارف الإنسانية السائدة فى عصره، وكان يسمح بإعارتها، وذلك قبل أن يوقفها على الجامع الأزهر، والقاضى إسماعيل بن أحمد النابلسى الذى جمع كتبا كثيرة وكان يكثر من إعارتها[٤]. وكان حسن بن على بن سالم ابن إسماعيل البدر الغوى يسمح باعارة كتبه لخلانه، فقد كان ابن العزم وغيره يستعير منه الكثير من الكتب[٥].

وعلى الجانب الآخر نجد منهم من كان يجمع الكتب لمجرد أن يقال إن فلانا عنده خزانه وليس لأغراض العلم والمعرفة، كما فعل إبراهيم بن أحمد بن أحمد بن الفرس (ت٨٨٨هـ/١٤٨٣م) حيث يذكر السخاوى أنه كان «عنده من الكتب وتصانيف شيخه ما لم ينتفع به وعطل على غيره الانتفاع بها لعدم سماحه بعاريتها حسبما استفيض عنه،

---

(١) السخاوى : الضوء اللامع، جـ٢ ص٣٠، ترجمة ٨٤.

(٢) المصدر السابق جـ٢ ص٣٦ - ٤٠؛ التبر المسبوك، ص٢٣٠ - ٢٣٦.

(٣) وثيقة الابشادى. محكمة ٢٧٨، محفظة ٤٣.

(٤) الغزى : الكواكب السائرة جـ٣، ص١٣٠.

(٥) السخاوى : الضوء اللامع جـ٣، ص١٥٠.

حتى نقل عنه أنه كان يقول : «إذا عانيت الموت ألقيتها فى البحر، وبعد موته تفرق الناس كتبه بأبخس ثمن»[١]. ويستفاد مما تقدم بصرف النظر عن هذا المثل الذى يشذ عن القاعدة العامة، أن المكتبات الخاصة قد انتشرت انتشارا واسعا فى طول البلاد وعرضها، وحرص على اقتنائها الناس من مختلف الفئات والطوائف والطبقات وأنها لم تعد مظهرا من مظاهر العلم فحسب وإنما أصبحت مظهرا من مظاهر الثراء يحرص عليه الأغنياء حرصا لا يقل عن حرص العلماء والفقهاء والقضاة[٢].

مكتبات المساجد والجوامع :

لم تكن هذه المكتبات الخاصة، رغم كثرتها كما وكيفا، هى النوع الوحيد الذى عرفته مصر إبان عصر المماليك. فقد وجد إلى جانبها نوع آخر هو مكتبات المساجد. فمنذ فجر الإسلام اتخذ المسلمون المسجد مركزا للتعليم، إذ كانت تعقد فيه مجالس العلم والحلقات الدراسية. ويتحلق فيه العلماء والفقهاء والدارسون. ولأن الكتب تعتبر ركنا أساسيا من العملية التعليمة لا تقوم إلا به، لذا انتشرت مكتبات المساجد فى العالم الإسلامى من أقصاه إلى أقصاه انتشارا واسعا.

وثمة دافع آخر لإلحاق المكتبات بالمساجد، هو أن المساجد لها من القدسية ما يجعلها بمنأى عن أن يصيبها التخريب أو يلحقها النهب والسلب وخاصة فى أوقات الفتن والحروب والثورات. ومن ثم كانت من أنسب الأماكن لإنشاء المكتبات بها[٣].

---

(١) السخاوى : الضوء اللامع، جـ١، ص١٢ - ١٣.

(٢) يذكرنا هذا الموقف بما صارت إليه أحوال الرومان فى القرنين الأول والثانى الميلاديين حينما أصبح اقتناء الكتب عندهم مظهراً من مظاهر الثراء، وغدت المكتبة قطعة من أثاث البيت، حتى كان من بينهم من ثار على هذا الجمود الفكرى ونعى عليهم هذا المظهر الكاذب من مظاهر الثقافة أمثال سينكا Seneca ولوسيان Lucian. راجع. عبد الستار الحلوجى : لمحات من تاريخ الكتب والمكتبات، ص٢٦ - ٢٧،

- Irwin, Raymond, The Origins of English Library, London, 1958,P.P.43 - 50.

(٣) عبد الستار الحلوجى : المرجع السابق ص٧٨.

وبالإضافة إلى ذلك، دعا الإسلام المسلمين إلى إنشاء المساجد وتعميرها وجعلها من صالح الأعمال. فيقول الله سبحانه وتعالى «إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر[١]»، ويقول النبي ﷺ الله عليه وسلم «من بنى لله مسجدا ..... بنى الله له بيتا فى الجنة[٢]». لذلك اهتم ملوك المسلمين وخلفاؤهم وأمراؤهم وأغنياؤهم حتى متوسطى الحال منهم بتشييد المساجد والجوامع وتوفير الخدمات المناسبة لها ووقف الأوقاف عليها ابتغاء الأجر والثواب. ومن جملة ذلك وقف الكتب والمصاحف كى تستخدم من قبل المترددين عليها باعتبار أن قراءة القرآن الكريم عبادة وأن العلم عبادة، ولأن الكتب هى أدوات العلم فمن الطبيعى أن تستقر المكتبات فى دور العبادة والمساجد .

ومن أقدم الإشارات الخاصة بوقف الكتب والمصاحف بالمساجد ما أورده المقريزى من أمر وقف مصحف أسماء بنت أبى بكر بن عبد العزيز بن مروان على جامع عمرو بن العاصى فى عام ١١٨هـ/ ٧٣٤م[٣]. وتزخر المصادر العربية بذكر العديد من نماذج المكتبات المسجدية التى انتشرت فى العصر الإسلامى[٤] من الهند إلى الأندلس لاسيما ما أنشىء منها بعد القرن الثالث الهجرى (بعد القرن التاسع الميلادى)، حيث ازدهار حركة التأليف والترجمة وكثرة المؤلفات وتنوعها.

وفى إطار النشاط الدينى المنقطع النظير الذى شهدته مصر إبان العصر المماليكى[٥]، نجد المساجد قد انتشرت انتشارا كبيرا، فكانت أكثر من أن تحصى وأعز من أن تستقصى

---

(١) القرآن الكريم : سورة التوبة، آية ١٨ .

(٢) صحيح مسلم، جـ٢ ، ص٦٨ ، مسند الإمام أحمد بن حنبل، جـ١ ص٢٤١ .

(٣) المقريزى : الخطط، جـ٢ ، ص٢٤٥ ـ ٢٥٥ .

(٤) للوقوف على نماذج من هذه المكتبات. راجع : يحيى ساعاتى : الوقف وبنية المكتبة العربية، الرياض، ١٩٨٨ ، ص٦٤ ـ ٧٦ ،

- Mohamed Makki Sibai, Mosque Libraries, London, 1987, pp.5 4 -83.

(٥) انظر ص ٥٣ من الكتاب.

بكل خط منها مسجدا، أو مساجد، لكل إمام راتب ومصلون، كما يقول القلقشندى[١] . وقد بلغ من كثرة المساجد وقتها أن أختلف فى عددها. فخليل بن شاهين الظاهرى قدر عدد المساجد التى تقام بها صلاة الجمعة بأكثر من ألف مسجد[٢] . ويبدو أن هذا الرقم مبالغ فيه، إذ يذكر المقريزى أن عدد المساجد التى تقام بها صلاة الجمعة مائة وثلاثين مسجد فى القاهرة[٣] . ومهما يكن من أمر، فإن ذلك يعكس حقيقة هامة هى كثرة المساجد وانتشارها فى مصر آنذاك.

وقد زودت هذه المساجد بخزائن الكتب والربعات والمصاحف وكتب الحديث والتفسير والفقه وغير ذلك من العلوم لاستخدامها من قبل المترددين على المساجد باعتبارها آداه العلم والتعليم. وهذه المكتبات منها، ما كان ينتمى إلى عصور سابقة على العصر المماليكى وظل يؤدى وظيفته إلى ما بعد ذلك، ومنها ما أنشىء خلال العصر موضوع الدراسة. ونستطيع أن نأخذ من مكتبات جامع ابن طولون والجامع الأزهر وجامع الحاكم أمثلة لمكتبات المساجد التى أنشئت قبل العصر المملوكى واستمرت فى تأدية وظيفتها إبانه.

فجامع ابن طولون هو أحد المساجد الجامعة القديمة، أنشأه أحمد بن طولون فى عام ٢٦٣هـ/٨٧٧م، وأوقف عليه الأوقاف، وكانت له خزانة كتب. وظل محل اهتمام من أتى بعد ابن طولون لاسيما فى العصر الفاطمى حيث كانت عادة الخلفاء والوزراء والعلماء الفاطميين أن يوقفوا بعض نسخ القرآن الكريم على المساجد مع الكتب الأخرى[٤] . من ذلك ما وقفه الحاكم بأمر الله حيث ذكر المقريزى أنه «أنزل إلى جامع ابن طولون ثمانمائة مصحف وأربعة عشرة مصحفا»[٥] . ولم تشتمل خزانة كتب الجامع الطولونى على المصاحف والكتب الشرعية فقط، بل ضمت كتب الفلسفة والحكمة والنجوم والطب

---

(١) القلقشندى : صبح الأعشى، جـ٣ ص٣٦٥.

(٢) خليل بن شاهين الظاهرى : زبدة كشف الممالك، ص٣١.

(٣) المقريزى : الخطط جـ٢ ص٢٤٥.

(٤) متولى محمد متولى : المكتبة ودورها التربوى فى مصر الفاطمية، ص٩٣.

(٥) المقريزى : الخطط، جـ٢، ص٢٦٧.

والفلك والتاريخ[١] . غير أن هذا المسجد بما فى ذلك المكتبة قد تعرض للإهمال فى أواخر العصر الفاطمى، وانعدمت العناية به وخرب أكثره على حد قول المقريزى[٢] . وفى العصر الأيوبى لم يحظ باهتمام مذكور، وظل خرابا حتى سنة ٦٩٦هـ/١٢٩٦م عندما تسلطن المنصور حسام لاجين (٦٩٦ - ٦٩٨هـ/١٢٩٦ - ١٢٩٨م) الذى جدده ورتب فيه دروسا لإلقاء الفقه على المذاهب الأربعة، ودروسا فى التفسير والحديث والطب، وعين لهذه المدرسة مدرسين ومعيدين وطلبة ورتب لهم الأرزاق والمرتبات الوفيرة[٣] . وأنشأ كذلك خزانة كتب كانت عامرة المصنفات وتذكر وثيقته أن هذه المكتبة كانت فى عصر المماليك تحتوى على أمهات كتب الطب.

وأما مكتبة الجامع الأزهر فقد أنشئت بعد عشرين عاما من إنشاء الجامع (٣٨١هـ/٩٩١م)، وذلك بعد أن أصبح فى عهد العزيز بالله الفاطمى مؤسسة تعليمية للعلماء والفقهاء والطلاب، ونقل إليها الكثير من المصاحف والكتب، وأضاف إليها بعد ذلك الحاكم بأمر الله الكثير من المجلدات التى كانت بدار العلم كما جاء فى الوقفية التى أوقفها لدار العلم والجامع الأزهر وجامع راشدة وجامع المقس[٤] .

ولأهمية هذه المكتبة، فقد عهد الفاطميون بالإشراف عليها إلى داعى الدعاة وهو من أكبر المناصب الدينية فى ذلك العصر. ومن أشهر هؤلاء الدعاة أبو الفخر صالح الذى عين داعيا للدعاة فى سنة ٥١٧هـ/١١٢٣م «وأضيف إليه الخطابة بالجامع الأزهر مع خزانة الكتب»[٥] .

وقد استمر هذا المسجد ومكتبته فى تأدية وظيفته التعليمية والتربوية زهاء قرنين من

---

(١) متولى محمد متولى : المرجع السابق والصفحة.

(٢) المقريزى : الخطط، جـ٢، ص٢٦٧ .

(٣) وثيقة حسام لاجين، محكمة ١٨، محفظة ٣، المقريزى : المصدر السابق. والصفحة، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ٨ ص١٠٦، ابن الفرات تاريخ ابن الفرات، جـ ٨ ص ٢٢٨ .

(٤) انظر نص الوقفية فى : المقريزى : المخطط، جـ٢، ص٢٧٤ .

(٥) ابن ميسر : أخبار مصر، صححه هنرى ماسيه، القاهرة، المعهد العلمى الفرنسى، ١٩١٩م، جـ٢، ص٦٤ .

الزمان. فلما انهارت الدولة الفاطمية وملك الأيوبيين البلاد، أوقفوا صلاة الجمعة فيه، ولكنه ظل محتفظا بصفته كمعهد للدراسة والقراءة إلى أن أعيدت إليه مكانته السابقة فى عهد الظاهر بيبرس، فقد أمر فى عام ٦٦٥هـ/١٢٦٥م بتجديده وإحياء مآثره، فأعيدت إليه صلاة الجمعة ورتبت فيه الدروس[١].

ولقد أولى المماليك وأمراؤهم والعلماء والفقهاء الجامع الأزهر ومكتبته عناية خاصة فأوقفوا الأوقاف عليه لضمان استمرارية العملية التعليمية به[٢]. من ذلك ما تذكره وثيقة الشيخ سليمان الإبشادى من أنه وقف كتبه «على الفقراء والمساكين القاطنين بالجامع الأزهر الذين لا يملكون من الكتب إلا اليسير جدا»[٣]. ويبدو أن كل رواق بالأزهر كان توجد به مكتبة خاصة بالمجاورين المقيمين به. من ذلك ما أوقفه الشيخ عيسى بن عبد الرحمن الزواوى المغربى عام ٨٧٨هـ/١٤٧٣م من الكتب «على أبناء جلدته من طلبة العلم والفقراء فى الجامع الأزهر برواق المغاربه بالذات دون غيره من الأورقه»[٤].

---

(١) على سالم النباهين: التربية الإسلامية فى عصر السلاطين المماليك، ص٣٤٢؛ ابن كثير: البداية والنهاية، جـ١٣، ص٢٤٨؛ أنظر أيضا سعيد عاشور: المجتمع المصرى، ص١٠١؛ عبد المنعم خفاجى: الأزهر فى مائة عام، ص٦٥ - ٦٦؛ عبد الرحمن زكي: الأزهر وما حوله من آثار، ص ٢٦ - ٢٧؛ جمال الدين سرور: الظاهر بيبرس، ص ١٥٥ - ١٥٦؛ عبد الغنى عبد العاطى: التعليم زمن الأيوبيين والمماليك، ص٢١٢ - ٢١٥.

(٢) أنظر وثائق وقف الأمير يشبك بن مهدى الداودار. محكمة ١٨٨، محفظة ٢٨؛ السلطان فرج من برقوق محكمة ٦٦، محفظة ١١؛ وثيقة السلطان حسن بن قلاوون، ٨٨١ أوقاف؛ وثيقة الأمير قرقماس، ٩٠١ أوقاف؛ وثيقة سليمان الإبشادى محكمة ٢٧٨، محفظة ٤٣، نشر عبد اللطيف ابراهيم؛ وثيقة عيسى الزواوى محكمة ١٨٦، محفظة ٣١، نشر عبد اللطيف ابراهيم؛ وثيقة صلاح الدين بلجك، ٦٢٣ أوقاف، وثيقة فاطمة بنت عبد الله الجركسية، ١٨٢ أوقاف. وثيقة الزينى خشقدم ١٨٨ أوقاف، وثيقة زينب بنت العلائى، ١٥٩٥ أوقاف؛ وثيقة جوهر اللالا، محكمة ٨٦، محفظة ١٢.

(٣) وثيقة سليمان الإبشادى، محكمة ٢٧٨، محفظة ٤٣، نشر عبد اللطيف ابراهيم مكتبه فى وثيقة، القاهرة، ١٩٦٢م، ص١٣ - ١٤.

(٤) وثيقة عيسى الزواوى، محكمة ١٨٦، محفظة ٣١، نشر عبد اللطيف ابراهيم: وثيقة استلام كتب، القاهرة: ١٩٦٢م، ص١٣.

وأما مكتبة الجامع الحاكمى، فمن المعروف أن هذا المسجد كان ثانى مسجد ينشأ فى مصر فى عهد الفاطميين. وقد أسسه العزيز بالله ثم أكمله الحاكم بأمر الله، ولذلك نُسب إليه ويقال له الجامع الأنور[١]. وقد أصبح مركزا علميا مشهورا زمن الفاطميين وأخذ ينافس الجامع الأزهر نفسه[٢]. والحق الحاكم بهذا المسجد خزانة كتب اشتملت على مختلف المعارف والفنون فضلاً عن المصاحف وعلوم الدين الإسلامى[٣].

واستمرت عناية الفاطميين بالجامع الحاكمى ومكتبته حتى قرب نهاية دولتهم. ويبدو أن النشاط به قد اقتصر طول العصر الأيوبى وفترة من العصر المملوكى على إقامة الصلوات ولم يكن به أى نشاط ملحوظ إلى أن حدث بمصر زلزال عام ٧٥٢هـ/١٣٠٢م. وكان من العنف أن تهدمت كثير من منائر المساجد والمدارس، وتصدعت كثير من المبانى والجوامع، ومنها جامع الحاكم. فاهتم الأمراء بتجديد ما تهدم منها وانتدب السلطان الناصر محمد بن قلاوون، الأمير ركن الدين بيبرس الجاشنكير لعمارة الجامع الحاكمى[٤]. فأصلح ما قد فسد، وبنى ما تهدم، وجدد المآذن، وبلط الأرضيات وبيضه ووقف عليه الأوقاف للصرف عليه ورتب فيه دروسا للغة والحديث والقراءات[٥]، وعمل فيه خزانة كتب[٦] وقف بها نحوا من خمسمائة مجلداً فى المعارف والعلوم المختلفة منها ربعة شريفة مكتوبة بماء الذهب على ورق بغدادى[٧].

وأما مكتبات المساجد التى أنشئت فى العصر المماليكى فهى كثيرة نذكر منها على

---

(١) المقريزى : الخطط، جـ٢، ص ٢٧٧.

(٢) المصدر السابق والصفحة: راجع ايضا أحمد أمين: ظهر الإسلام ص١٩٨.

(٣) Lane - Poole, Stanley, Ahistory of Egypt in the Middle Ages, p. 129.

(٤) النويرى : نهاية الارب، جـ٣١، ق ١، سنة ٧٠٢، المقريزى : الخطط، جـ٢، ص ٢٧٨، السيوطى : حسن المحاضرة، جـ٢، ص١٨٤. راجع ايضا عبد الغنى عبد العاطى : المرجع السابق، ص ٢٣١ - ٢٣٢، ايضا

- Lane - Pool, The Story of Cairo, P.62.

(٥) المقريزى : الخطط، جـ٢ ص٢٧٨.

(٦) المصدر السابق والصفحة؛ النويرى، نهاية الارب جـ٣ ص٧٠٤، ق١.

(٧) وثيقة بيبرس الجاشنكير، محكمة ١٣، محفظة ١٤ النويرى: نهاية الأرب، نفس الجزء والصفحة؛ الكتبى : فوات الوفيات، جـ٣ ص ٢٩٠.

سبيل المثال : مكتبة الجامع الظاهر وهو معروف العافية الذى أنشأه الظاهر بيبرس البندقدارى فيما بين عامى ٦٦٥ ـ ٦٦٧ هـ/ ١٢٦٠م ـ ١٢٦٧م[١] . وكانت به خزانة كتب وقد وقف الشيخ الفقية النحوى يحيى بن عبد الوهاب بن عبد الرحيم الدمنهورى الشافعى كتبه على خزانة هذا الجامع[٢]، ومكتبة جامع الخضيرى الذى أنشأه الأمير عز الدين أيدمر الخضيرى بناحية بولاق سنة ٧٣٧هـ/١٣٣٧م وجعل فيه خزانة كتب نفسيه ووقف عليها أوقافا كثيرة[٣]. وتذكر وثيقة الشيخ شمس الدين الواسطى أنه لما عمر مسجده بخط موردة البورى ببولاق، رتب فيه مكتبة عامرة لها خازن للكتب[٤]. ومن ذلك أيضا مكتبة الجامع الأبيض الذى أنشأه السلطان فرج بن برقوق فى عام ٨١٢هـ/١٤٠٩م، الحوش السلطانى بقلعة الجبل، إذ تذكر وثيقة وقفه ما نصه «... ومن ذلك جميع المكان المبارك المعمور بذكر الله تعالى الكاين بقلعة الجبل المحروسة بالحوش السلطانى بالجانب الشرقى منه الذى أحيا معمارته سنة الخير... وبالجانب الشرقى باب يدخل منه إلى بيت بمنافع وحقوق وهو معد لوضع المصاحف والربعات الشريفة وكتب العلم ....»[٥].

ومن أشهر مكتبات المساجد فى العصر المملوكى مكتبة الجامع المؤيدى الذى أنشأه السلطان المؤيد شيخ المحمودى فى عام ٨٢٢هـ/١٤١٩ م بجوار باب زويلة وزوده بخزانة كتب عظيمة تحوى كتبا فى مختلف العلوم والفنون، حيث يذكر المقريزى ما نصه «.... ثم نزل السلطان فى عشرة المحرم إلى هذه العمارة ودخل خزانة الكتب التى عملت هناك

---

(١) المقريزى : الخطط، جـ٢، ص٢٩٩ ـ ٣٠٠؛ ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ٧، ص١٦١ ـ ١٩٢.

(٢) ابن حجر العسقلانى: الدرر الكامنة، جـ٤، ص ٢٩٩ ـ ٣٠٠.

(٣) يوجد بدار الكتب المصرية مصحف رقم ٤ مصاحف كان قد وقفه السلطان محمد بن قلاوون على خزانة هذا المسجد، وكان من بين مجموعة الكتب بهذه المكتبة كتاب جامع التواريخ المصرية للحسن اليافى. انظر : صلاح الدين المنجد: الكتاب العربى المخطوط، جـ١، لوحة رقم ٦٨؛ انظر ايضا ملحق١ ، لوحة ٤ بآخر الكتاب.

(٤) المقريزى : الخطط، جـ٢، ص٣١٢؛ ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ ٨، ص ١١٨ ـ ١١٩ ـ ٢١٨، ٢٢٣، ٣١٢؛ السخاوى : الضوء اللامع، جـ١٠، ص ٣٨٠.

(٥) وثيقة وقف فرج بن برقوق، محكمة ٦٦، محفظة ١١؛ وانظر أيضا صالح لمعى مصطفى : الوثائق والعمارة، ص ٢١، ٢٥ ـ وجدير بالذكر أن دار الكتب المصرية تحتفظ بمصحف للسلطان فرج تحت رقم ١٦ مصاحف.

وقد حمل إليها كتبا كثيرة فى أنواع العلوم كانت بقلعة الجبل، وقدم له ناصر الدين محمد البارزى كاتب السر[١] خمسمائة مجلداً قيمتها ألف دينار، فأقر ذلك بالخزانة، وأنعم على ابن البارزى بأن يكون خطيبا للكتب هو ومن بعده من ذريته[٢]. ويؤكد كلام المقريزى ما ورد فى وثيقة المؤيد شيخ ما نصه «.... وظيفة الخطابة وخزن الكتب لسيدنا المقر العالى ... أبى عبد الله البارزى الجهينى الشافعى كاتب الأسرار الشريفة الملكى المؤيدى ثم لمن بعده من أولاده وذريته..»[٣].

ومن مكتبات المساجد أيضا مكتبة مسجد الأمير تمراز الأحمدى الذى أنشأه الأمير تمراز أحد الأمراء الأخورية فى عهد السلطان الأشرف قايتباى فى عام ٨٧٦هـ/١٤٧١م[٤]، وخزانة كتب جامع أزبك من ططخ الأشراف الظاهرى جقمق (ت٩هـ/١٥م)[٥]، وخزانة كتب مسجد الأمير خايربك من مال بأى أحد أمراء قانصوه الغورى والذى أنشأه بخط التبانة عام ٩٠٨هـ/١٥٠٢م[٦].

المكتبات المدرسية :

ولم تقتصر أنواع المكتبات التى عرفتهامصر فى العصر المملوكى على المكتبات الخاصة ومكتبات المساجد والجوامع، وإنما وجدت أيضا المكتبات المدرسية . إذ واكب إنشاء المدارس الاهتمام بتوفير قدر من الكتب فيها، منها ما تتصل بالمجالات الموضوعية التى

---

(١) كاتب السر وظيفة من يقوم بالتوقيع عن الملك على أسراره التى يكاتب بها. وعنه تصدر التواقيع بالولايات والعزل. وعادة ما يتولى كاتب السر ديوان الانشاء. انظر: السبكى : معيد النعم ومبيد النقم، ص٣٠؛ وكذلك حسن الباشا: الفنون الإسلامية والوظائف جـ،ص٩٢٣.

(٢) المقريزى : الخطط، جـ٢، ص٣٢٩؛ وقارن السيوطى : حسن المحاضرة، جـ٢، ص١٩٤؛ ابن اياس : بدائع الزهور، جـ٢، ص٦ ـ ٤٧، وانظر كذلك : فهمى عبد العليم رمضان : جامع المؤيد شيخ، ص١٠٦ .

(٣) وثيقة وقف المؤيد شيخ، رقم ٩٣٨ أوقاف، أنظر أيضا السخاوى : الضوء اللامع، جـ٩، ص١٣٧ .

(٤) السخاوى : الضوء اللامع، جـ٣، ص٣٦، انظر ايضا: مختار حسين الكسبانى جامع الأمير تمراز الأحمدى، دراسة أثرية معمارية، رسالة ماجستير- جامعة القاهرة، ١٩٨٦م.

(٥) السخاوى: المصدر السابق، جـ٢، ص٢٧٣ .

(٦) عبد اللطيف ابراهيم : المكتبة المملوكية، ص٣٦.

تتخصص فيها المدرسة، ومنها ما يدخل فى باب المعارف والمراجع الأساسية التى لا يستغنى عنها أى دارس رغب فى تكوين ثقافة واسعة وراقية[١] .

ويعودة سريعة إلى الوراء نجد أن نظام الملك وزير السلاجقة هو أول من أسس المدارس وجعلها عملا رسميا من أعمال الدولة. وذلك بإنشاء المدرسة النظامية فى بغداد فى النصف الثانى من القرن الخامس الهجرى (النصف الثانى من القرن الحادى عشر الميلادى)، وقد ألحق بها خزانة كتب ضخمة حتى ليقال أن فهرسها كان يضم بين دفتيه ستة آلاف مجلدا[٢] . ومن بغداد انتقلت فكرة المدرسة وإلحاق المكتبات بها إلى الحواضر الإسلامية ومنها الشام، حيث أنشأ نور الدين محمود العديد من المدارس منها المدرسة النورية فى حلب، ووقف عليها خزانة كتب كبيرة مثمنة كما يقول الذهبى[٣]، وكان من الطبيعى أن يحاكى صلاح الدين الأيوبى، ومن أتى بعد، من سلاطين الأيوبيين ورجال دولتهم، سيده نور الدين محمود فى بناء المدارس فأنشأو فى مصر العديد من المدارس ذات المكتبات. وقد ذكر المقريزى ستا وعشرين مدرسة أنشئت فى العصر الأيوبى، وكان معظمهالا يزال قائما على عهده[٤] مثل المدارس الكاملية والفاضلية والصالحية[٥] .

وعلى هذا، عندما آل حكم مصر إلى المماليك تبارى سلاطينهم وأمراؤهم فى إنشاء المدارس، واهتموا بذلك اهتماما عظيما ،حتى أصبح من المعتاد طوال عصر المماليك أن يكون من آثار السلطان مدرسة أو أكثر . وينسحب هذا القول على معظم سلاطين المماليك بداية بالمعز عز الدين أيبك التركمانى (٦٤٨-٦٥٤هـ/ ١٢٥٠-١٢٥٦م) وانتهاء بالسلطان

---

(١) يحيى ساعاتى : الوقف وبنية المكتبة العربية، ص٧٦-٧٧ .

(٢) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ، القاهرة، طبعة بولاق، ١٣٩٠هـ، جـ٨، ص ٢٢٩ . وللمزيد عن المدرسة النظامية ومكتبتها راجع : ابن كثير : البداية والنهاية، جـ١٣، ص٦٤؛ ابن الجوزى : المنتظم فى تاريخ الملوك، جـ٨، ص١٦٥٦؛ الأشراف الغسانى: العسجد المسبوك والجوهر المحكوك، ص٢٢٥ .

(٣) الذهبى : سير أعلام النبلاء، جـ٢، ص٥٣٢ .

(٤) المقريزى : الخطط، جـ٢، ص٣٦٣ وما بعدها ؛ انظر أيضا أحمد فكرى: المرجع السابق، جـ٢، ص٥٠ .

(٥) انظر : ص ٦٧ - ٦٩ من هذا الكتاب .

قانصوه الغوری (٩٠٦ ـ ٩٢٢هـ/١٥٠١ ـ ١٥١٦م)، كما لو كانت هذه المدارس من مظاهر السلطة وشعارها[١]. وقد عبر القلقشندی عن هذه الحقيقة بقوله «ابتنوا من المدارس ماملأ الأخطاط وشحنها»[٢]. كذلك ذكر ابن بطوطة «وأما المدارس بمصر فلا يحيط أحد بحصرها لكثرتها»[٣].

وكانت المدارس فی ذلك العصر أشبه بالجامعات . فهی معاهد أو كليات للتعليم العالی ولكل مدرسة مذهبها الذی تتبعه وإن كان بعضها يشتمل علی أربع كليات للمذاهب الأربعة. وإذا كان من المفروض فی المدرسة أن تكون مركزا للعلوم الدينية من فقه وحديث وتفسير وغيرها، فإن الوضع لم يلبث أن تطور حتی غدت المدارس مراكز لتدريس النحو واللغة والفلسفة والعلوم الطبيعية فضلا عن العلوم الدينية[٤]. وقد ألحقت بكل مدرسة مكتبة أو خزانة كتب ـ علی حد مصطلح وثائق الوقف المملوكية[٥]ـ حوت أنواعا عديدة من المؤلفات فی مختلف العلوم والفنون، يرجع إليها المدرسون والطلاب فی البحث والاستقصاء كما يقول القلقشندی[٦]. نذكر علی سبيل المثال مكتبة المدرسة الفاضلية، ومكتبة المدرسة الكاملية، وكلاهما أنشیء فی العصر الأيوبی واستمرتا فی تأدية وظائفهما حتی النصف الأول من عصر دولة المماليك البحرية[٧].

وأما المكتبات المدرسية التی أنشئت فی العصر المملوكی فهی كثيرة. نذكر منها مكتبة المدرسة الظاهرية التی أسسها الظاهر بيبرس البندقداری فيما بين عامی ٦٦٠و٦٦٢هـ (١٢٦١ ـ ١٢٦٣م) بخط بين القصرين بالقاهرة، ووقف عليها خزانة كتب

---

(١) عبد الغنی عبد العاطی : المرجع السابق، ص ١٥١.

(٢) القلقشندی : صبح الاعشی، جـ٣ ص٣٦٤.

(٣) ابن بطوطة : الرحلة ، جـ١ ، ص٧٤.

(٤) سعيد عاشور: الأيوبيين والمماليك، ص١٥٢، ٢٦٢.

(٥) راجع ـ الوثائق المثبت أسماؤها فی نهاية البحث فی قائمة المصادر والمراجع.

(٦) القلقشندی : صبح الأعشی، جـ١ ، ص٤٦٧، أنظر أيضا سعيد عاشور : المجتمع المصری، ص١٤٥ ـ ١٤٦.

(٧) راجع ص ٦٨ ـ ٧٠.

جليلة حمل إليها أمهات الكتب فى سائر العلوم والمذاهب(١) . وهذه المدرسة يسميها السيوطى بالمدرسة الظاهرية القديمة تمييزا لها عن المدرسة الظاهرية برقوق التى أنشئت بعد ذلك فى سنة ٧٨٦هـ/ ١٣٨٤م(٢) . كما أنشأ السلطان المنصور قلاوون فى عامى ٦٨٣ - ٦٨٤هـ (١٢٨٤ - ١٢٨٥م) المدرسة المنصورية ضمن مجموعته - البيمارستان والقبة والمدرسة - بخط بين القصرين بالقاهرة وجعل بها خزانة كتب جليلة فى مختلف أنواع العلوم والربعات الشريفة(٣) . وبخط بين القصرين أيضا توجد المدرسة الناصرية، وهى بجوار القبة المنصورية، كما قد شرع فى بنائها السلطان زين الدين كتبغا المنصورى ثم عزل قبل أن يتمها فاشتراها منه الناصر محمد بن قلاوون، وبنى بجوارها قبة وكمل عمارتها سنة ٧٠٣هـ (١٣٠٣م) وجعل بها خزانة كتب(٤) .

---

(١) المقريزى : السلوك جـ١ ص٥٠٤؛ والخطط، جـ٢، ص٣٧٩، ابن تغرى بردى النجوم الزاهرة، جـ٧، ص١٢٠، ٢١٣؛ اليونينى البعلبكى قطب الدين أبو الفتوح موسى : ذيل مرآة الزمان، حيدرآباد الدكن، ١٩٥٤، جـ١، ص٥٥١؛ راجع أيضا محمد جمال الدين سرور : دولة الظاهر بيبرس، ص ١٢٨ . وجدير بالذكر أن الظاهر بيبرس أسس مدرسة أخرى أطلق عليها أيضا المدرسة الظاهرية فى دمشق فيما بين عامى ٦٧٠و٦٧٧هـ (١٢٧١ - ١٢٧٨م) وكان بها أيضا مكتبة عظيمة حوت الكثير من الكتب والمخطوطات العلمية والدينية . أنظر : النعيمى : الدارس فى تاريخ المدارس، ص٣٤٩، ابن العماد الحنبلى : شذرات الذهب، جـ٥، ص ٣٥٠ - ٣٥١؛ راجع أيضا محمد كرد على : خطط الشام، جـ٦، ص٨٣ .

(٢) السيوطى : حسن المحاضرة، جـ٢، ص١٨٩ - ١٩٠؛ راجع ايضا السخاوى الضوء اللامع، جـ٨، ص٢٩٨، ترجمة رقم ٨٤٣، جـ٩، ص٣٠٥، ترجمة ٧٥٦ .

(٣) وثيقة وقف السلطان قلاوون رقم ١٠١٠ أوقاف، محكمة ١٥، محفظة ٢ . وقد قام بنشرها د. محمد محمد أمين كملحق لتذكرة النبيه، جـ١، القاهرة، ١٩٧٦؛ أنظر ايضا المقريزى : الخطط، جـ٢، ص٣٥٠؛ والسلوك، جـ١، ص٧٢٥، ١٠٠١؛ السيوطى : حسن المحاضرة، جـ٢، ص١٩٠؛ ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة، جـ٧، ص٣٢٥ - ٣٢٧ .

(٤) المقريزى : الخطط، جـ٢، ص٣٨٢، والسلوك، جـ١، ص١٠٤٦ - ١٠٤٧؛ ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة، جـ٨، ص٢٠٨ - ٢٠٩؛ السيوطى : حسن المحاضرة، جـ٢، ص١٩٠؛ وثائق محمد بن قلاوون، رقم ٢٥ محفظة ٤ وأرقام ٣٧، ٣٠، ٣١ محفظة ٥ .

وتحتفظ دار الكتب المصرية بالعديد من موجودات هذه المكتبة، منها مصحف رقم ٤ مصاحف عليه نص الوقفية على المدرسة المذكورة سنة ٧٣٠هـ . انظر الملحق الأول، لوحة ٤، كما تحتفظ مكتبة بلدية الاسكندرية بنسخة من كتاب «كامل الصناعتين: البيطرة والزريقة المعروف بالناصرى» رقم ٢٠٤٢ تأليف أبى بكر البيطار أحد البياطرة باصطبل محمد بن قلاوون. وكان ضمن موجودات مكتبة المدرسة الناصرية كما هو واضح من نص الوقفية المثبتة على صفحة العنوان.

وفيما بين عامى ٧٥٨ و٧٦٤هـ (١٣٥٧ - ١٣٦٣م) أنشأ السلطان حسن بن قلاوون مدرسته بخط سوق الخيل بالقلعة لدراسة المذاهب الأربعة والحديث والقراءات وقد زودها بمكتبة حوت العديد من الكتب والمصاحف، وقفها السلطان على طلبة العلم الشريف[١]. ويبدو أنه كان بها الكثير من كتب الحديث وعلومه، إذ تشترط وثيقة الوقف على مدرس الحديث أن يقوم بالتدريس من كتب الحديث المعتمدة[٢]. كما أسس السلطان شعبان بن حسين بن الناصر محمد المدرسة الأشرفية فى سنة ٧٦٤هـ (١٣٦٢م) وكملت عمارتها فى سنة ٧٧٧هـ (١٣٧٥م)، والحق بها مكتبة كانت من أكبر المكتبات المدرسية المملوكية وزخرت بالكتب النفيسة والمصاحف الشريفة[٣]. ولكن هذه المكتبة لم تطل مدة بقائها، فقد هدمها السلطان فرج بن برقوق، ثم أقام مكانها المؤيد شيخ المحمودى البيمارستان[٤] المؤيدى سنة ٨٢٣ هـ/ ١٤٢٠م. كما اشترى الأمير جمال الدين يوسف الاستادار معظم كتبها من المنصور حاجى بن الأشرف شعبان وجعلها نواة مكتبة مدرسته[٥]. كذلك أسس الظاهر برقوق المدرسة الظاهرية بين القصرين فيما بين عامى ٧٨٦ و٧٨٨هـ/ ١٣٨٤ - ١٣٨٦م)، وكانت أول مدرسة تنشأ فى عصر دولة المماليك الجراكسة، وقد ضمت هى الأخرى خزانة كتب وصلنا منها عدة مصاحف وتآليف[٦] كما أقام السلطان فرج بن

---

(١) وثيقة السلطان حسن، رقم ٨٨١ أوقاف، ورقم ٤٠، ٤٢ محفظة ٦، المقريزى: الخطط، جـ٢، ص٣١٦؛ السيوطى: حسن المحاضرة، جـ٢، ص١٩٢ - ١٩٣.

(٢) وثيقة السلطان حسن محكمة رقم ٤٢ محفظة ٦.

(٣) عبد اللطيف إبراهيم: المكتبة المملوكية، ص٢٣. هذا وتحتفظ دار الكتب المصرية بمصحف السلطان شعبان على نص وقفيته على مدرسته بتاريخ ١٥ شعبان سنة ٧٧٠هـ. انظر ايضا الملحق الأول، لوحة رقم ٧ بآخر الكتاب.

(٤) وثيقة المؤيد شيخ المحمودى رقم ٩٣٨ أوقاف؛ المقريزى: الخطط، جـ٢ ص٤٠١.

(٥) المقريزى: الخطط، جـ٢ ص ٤٠١.

(٦) ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة جـ١٢، ص١١٣. ويوجد بدار الكتب مصاحف برقوق أرقام ١١، ١٢، ٧٥، ٧٦، ١١٣ مصاحف، وتحتفظ مكتبة بلدية الاسكندرية بنسخة من كتاب «الإشارات إلى ما وقع فى المنهاج من الأسماء والأماكن واللغات» وهو شرح من تأليف سراج الدين عمر بن على الأنصارى الشافعى المعروف بابن الملقن (ت٨٠٤هـ/ ١٤٠١م) على منهاج النووى نسخها سليمان بن صالح الحنبلى بالمدرسة الظاهرية برقوق سنة ٧٩٤هـ/ ١٣٩١م) لمكتبتها كما هو واضح من حرد المتن Colophon، وتحمل هذه النسخة رقم ١٢٩٤ ب.

برقوق مدرسته المسماه بالناصرية على أنقاض المدرسة الجمالية بعد أن هدمها أخذاً برأى بعض المقربين منه الذين زينوا له هدمها لأنها أقيمت على الاغتصاب. ففعل ذلك فى سنة ٨١٢هـ (١٤٠٩م)، وقد وقف عليها خزانة كتب. كان من كتبها «كتاب المنتهى فى اللغة للتميمى البرمكى وهو فى نيف أربعين مجلدا[١].

وقد دار صراع طويل حول هذه المدرسة ومكتبتها بين آل جمال الدين الاستادار والسلطان فرج بن برقوق، فتغير اسمها مرارا[٢].

كذلك أنشأ السلطان أبو النصر برسباى الدقماقى المدرسة الأشرفية برسباى فيما بين عامى ٨٢٦ و٨٢٩هـ (١٤٢٣ - ١٤٢٦م) بالحريرين بالقاهرة[٣]، وألحق بها مكتبة حوت الكثير من الكتب فى مختلف الفنون والعلوم فضلا عن المصاحف والربعات الشريفة[٤].

وأما السلطان الأشرف أبو النصر قايتباى المحمودى (٨٧٢-٩٠١هـ/١٤٦٧ - ١٤٩٦م) فقد أنشأ العديد من المدارس بالقاهرة وظاهرها[٥]، منها المدرسة العظيمة بالصحراء الشرقية.

---

(١) ابن كثير: البداية والنهاية جـ١٤، ص٢٩٦؛ وقارن الخزرجى، على بن الحسن: كتاب العقود اللؤلؤية فى تاريخ الدولة الرسولية، تحقيق محمد بسيونى عسل، القاهرة، مطبعة الهلال، ١٩١١ جـ٢، ص٣١٧؛ وانظر أيضا يحيى ساعاتى: الوقف وبنية المكتبة العربية، ص٨٩.

(٢) تحدث المقريزى عن هذا الصراع بالتفصيل. راجع المقريزى: الخطط، جـ٢، ص٤٠١ - ٤٠٢؛ وانظر ايضا: السلوك، جـ٤، ص١٧٥ - ١٧٦؛ ابن حجر العسقلانى: أنباء الغمر، جـ٢، ص٤٨١.

(٣) وثيقة برسباى رقم ٨٨٠ أوقاف، وثيقة برسباى رقم ٤٥٥ دار الكتب، نشر أحمد دراج؛ ابن حجر العسقلانى: أنباء الغمر، جـ٣، ص٣٠٥، انظر ايضا عبد الستار عثمان: الآثار المعمارية للسلطان برسباى، جـ١٠٥، هذا وتحتفظ دار الكتب بعدة مصاحف كانت ضمن موجودات هذه المكتبة منها المصاحف ارقام ٩٣، ٩٤، ٩٦، ١٠٥، ١٠٧، ١٠٨، ٢٩٩، ٢٩٩، ٩٦٠. أنظر أيضا الملحق الأول، لوحة رقم ٩ بآخر الكتاب.

(٤) يذكر السخاوى أنه ممن تولى أمانة هذه المكتبة إبراهيم بن على بن أحمد القلقشندى، وأحمد بن عبد الرحمن يوسف الأنصارى، ومحمد بن عمر الكركى. أنظر السخاوى: الضوء اللامع، جـ١، ص٧٧، ٣٢٩، ٢٧٠ على التوالى.

(٥) كان عصر السلطان قايتباى من أزهى العصور فى إقامة المدارس والمنشآت الاجتماعية، حيث أنشأ العديد من المدارس بالقاهرة والاسكندرية ودمياط ورشيد، ودسوق، كما اهتم باصلاح عمائر ما سبق من سلاطين وامراء. فيقول الصيرفى عنه «عمر آثارا كثيرة كانت درست وعفت رسومها» ابن الصيرفى: أنباء الهصر بأبناء العصر، ص٣٣٩. كما أنه عمر مدارس خارج مصر فى الحجاز وفلسطين وأمدها بمجموعات من الكتب والمصاحف. للوقوف على هذه المنشآت راجع: وثيقة السلطان قايتباى، دراسة وتحليل عبد اللطيف ابراهيم، ص٣ - ١٠ وأيضا حسنى نويصر: منشآت السلطان قايتباى، ص ١١ - ١٣؛ انظر كذلك

- Lane - Poole, Ahistory of Agypt,P.342; Mayer,The Buildngs of Qaytbay,p.6FF

وراجع ترجمته فى: السخاوى: الضوء اللامع جـ٦، ص٢١١ وما بعدها.

قرافة أو جبانة المماليك سنة ٨٧٧هـ/٩٠٦م وألحق بها خزانة كتب[١]، ومدرسة بالكبش سنة ٨٨٠هـ/٩٠٩م ووقف عليها خزانة كتب حوت الكثير من المؤلفات والمصاحف وصل إلينا بعضها وعليه إشهار يوقفها بحيث لا تخرج من المدرسة برهن ولا بغيره[٢]. وفى أواخر عصر سلاطين المماليك. أسس السلطان الملك الأشرف أبو النصر قانصوه الغورى (٩٠٦ـ٩٢٢ هـ/١٥٠١ـ١٥١٦م) المدرسة الغورية بخط الجرابشين بالقاهرة فيما بين عامى ٩٠٨ـ٩٠٩هـ (١٥٠٣ـ١٥٠٤م)، وكان بها خزانة كتب حوت العديد من المؤلفات والمراجع والمصاحف فقد ذكرت وثيقة الغورى ما نصه «... خلوة كبرى معدة لخزن الكتب بها جنبات خشب نقى يمنى ويسره وصدرا مثبته معه لحفظ ما فيها من كتب العلم الشريف الموقوفه على طلبة العلم الشريف لانتفاعهم بها فى المدرسة المذكورة[٣].

وقد حاكى أمراء المماليك سلاطينهم فى إنشاء المكتبات المدرسية ووقف الأوقاف عليها. من ذلك مكتبة المدرسة الصحابية البهائية التى أنشأها الصاحب بها الدين ابن محمد بن حنا سنة ٦٥٤هـ/١٢٥٦م فى زقاق القناديل بمصر القديمة قرب الجامع العتيق. وكانت خزانة كتبها جليلة على حد قول المقريزى[٤]، وربما يرجع الفضل فى ذلك إلى قربها من سوق الكتبيين[٥] فى نفس المنطقة. وهى غير المدرسة الصحابية التى أنشأها الصاحب

---

(١) وثيقة السلطان قايتباى، رقم ٨٨٦ أوقاف، ص ٢٣ـ٢٤، نشر نويصر، ص١٧٥؛ وقارن وثائق قايتباى رقمى ٨٨٨، ٨٩٠؛ ابن اياس: بدائع الزهور، جـ٣، ص١٢٢؛ السخاوى: الضوء اللامع، جـ٦، ص٢٠٨، ابن العماد الحنبلى شذرات الذهب، جـ٨، ص٦ـ٧.

(٢) السخاوى: الضوء اللامع جـ٦، ص٢٠٨؛ ابن العماد: شذرات الذهب، جـ٨؛ ابن اياس: بدائع الزهور جـ٣، ص١٢٣. ومن هذه الكتب والمصاحف تحتفظ دار الكتب المصرية بمصحف قايتباى رقم ١٢٦ مصاحف، وكتاب اللوامع فى مشكلات المطالع رقم ١٩٦١، وكتاب فى التصوف رقم ١٦٩٦ تصوف، ومصاحف وربعات أرقام ١٨، ٨٦، ٨٨، ١٤٤. كما تحتفظ المكتبة الأزهرية ببعض الكتب والمصاحف مثل ربعة رقم ١٥٠ ورقم ٥٤٩١، والقصيدة التوحيدية رقم ٣٩٦٤. أنظر الملحق الأول، لوحة رقم ١١ بآخر الكتاب.

(٣) وثيقة الغورى رقم ٨٨٣ أوقاف؛ انظر ابن إياس: بدائع الزهور، جـ٤ ص٥٢، ٥٣، ٦٨، راجع ايضا محمد فهيم: مدرسة السلطان الغورى، ص ٢٠٣. هذا وتحتفظ دار الكتب بالعديد من المؤلفات التى كانت فى هذه المكتبة منها مصحف الغورى رقم ٧٣، والحكايات المستطابة فى ديوان الصبابة، رقم ١١٨٠٧ز، وقارن جورجى زيدان: تاريخ آداب اللغة العربية، جـ٣، ص١٣٩؛ ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة جـ٧، ص ٢٤١.

(٤) المقريزى: الخطط، جـ٢، ص ٣٧٠، ٣٧١؛ ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، جـ٧، ص٢٤١.

(٥) المقريزى: المصدر السابق، جـ٢ ص١٠٢.

صفى الدين عبد الله بن شكر بسويقة الصاحب فى القاهرة للمالكية وكان بها هى الأخرى خزانة كتب[١] . كما أنشأ سيف الدين منكوتم وا الحسامى نائب السلطة بالقاهرة[٢] المدرسة المنكوتمرية سنة ٦٩٨هـ/ ١٢٩٨م، وجعل بها خزانة كتب وجعل وقفا ببلاد الشام[٣] . وأنشأ الأمير علاء الدين طيبرس الخازندارى[٤] نقيب الجيوش فى عهد السلطان حسام لاجين مدرسته المعروفة بالمدرسة الطيبرسية سنة ٧٠٩هـ/١٣٠٩ بجوار الجامع الأزهر، وجعل بها خزانة كتب[٥] . كذلك وجد بالمدرسة الملكية التى أنشأها سيف الدين آل ملك الجوكندار الناصرى سنة ٧١٩هـ/ ١٣١٩م تجاه داره بخط المشهد الحسينى . خزانة كتب معتبره على حد قول المقريزى[٦] وأما المدرسة الصرغتمشية التى أسسها الأمير صرغتمش الناصرى سنة ٧٥٧هـ/١٣٥٦م بجوار الجامع الطولونى لدراسة المذهب الحنفى والحديث، فإن كتب الخطط والتراجم والطبقات [٧] لا تذكر شيئا عن مكتبتها التى حوت الكثير من كتب الفقه والحديث وغير ذلك من العلوم الشرعية واللغوية والمصاحف والربعات الشريفة. ولكن وثيقة الوقف الخاصة بالأمير صرغتمش تكشف عن وجود مكتبة بالمدرسة الصرغتمشية مثلها فى ذلك مثل غيرها من المدارس المملوكية[٨] . كذلك

---

(١) المصدر السابق، جـ٢، ص ٣٧١.

(٢) انظر ترجمته فى : المصدر السابق، جـ٢ ص ٣٨٧.

(٣) المصدر السابق جـ٢ ،ص٣٨٧.

(٤) انظر ترجمته فى، المصدر السابق جـ٢ ، ص ٣٨٣.

(٥) المصدر السابق والصفحة. ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ٩ ص ١٩٩ ، ابن دقماق : الانتصار بواسطة عقد الأمصار جـ٤ ، ص٩٦.

(٦) المقريزى: الخطط، جـ٢ ص٣٩٢، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ١٠، ص ١٧٦.

(٧) انظر : المقريزى : الخطط، جـ٢، ص ٤٠٣؛ السيوطى : حسن المحاضرة، ج٢، ص١٩٢.

(٨) وثيقة الأمير صرغتمش رقم ٣١٩٥ أوقاف، نشر عبد اللطيف إبراهيم، أنظر أيضا ؛ عبد اللطيف ابراهيم : المكتبة المملوكية، ص ٢٣ ؛ يحيى ساعاتى : الوقف وبنية المكتبة العربية ص ٨٨. وقد وصلنا من هذه المكتبة كتب عديدة منها كتاب «التكملة والذيل والصلة لكتاب تاج اللغة وصحاح العربية» ، رقم ٣ لغة، دار الكتب، ومصحف صرغتمش رقم ١٥ مطاحف دار الكتب؛ وربعة صرغتمش رقم ١٥٠ بدار الكتب، وربعات صرغتمش أرقام١٨٢/ ٨٠٩٩، ١٨٣/ ٨١٠٠، ١٨٤/ ٨١٠١، ١٨٥/ ٨١٠٢ بالمكتبة الأزهرية. أنظر الملحق الأول، لوحتين ١، ٢ بآخر الكتاب.

أسس الأمير سيف الدين الجاى اليوسفى زوج خوند بركة مدرسته خارج باب زويلة بسويقة العزى[١] فيما بين عامى ٧٦٨ ـ ٧٧٤هـ (١٣٦٨ ـ ١٣٧٤م) وزودها بخزانة كتب ومصاحف[٢] . وكان بمدرسة الأمير أنيال اليوسفى[٣] التى أسسها خلال عامى ٧٩٤ ـ ٧٩٥ (١٣٩٢ـ ١٣٩٣م) خزانة كتب فيها العديد من المؤلفات والمصاحف[٤] . وأما المدرسة المحمودية التى أنشأها الأمير جمال الدين محمود الاستادار سنة ٧٩٧هـ/١٣٩٥م بخط الموازين خارج باب زويلة، فقد عمل بها خزانة كتب[٥] لا يعرف بديار مصر والشام مثلها على حد قول المقريزى[٦]، وكان بها حوالى أربعة آلاف مجلداً[٧] .

وألحق بكل من مدرسة أيتمشى البجاس أتابك العساكر فى أيام برقوق (٨٠٢هـ ١٣٩٩م)[٨]، ومدرسة الأمير سودون من زادة التى أنشأها عام ٨٠٤هـ/١٤٠١م[٩]، والمدرسة الاستدارية التى أنشأها جمال الدين يوسف الاستادار بين القصرين بالقاهرة فى عامى ٨١٠ ـ ٨١١هـ(١٤٠٧ ـ ١٤٠٨م) خزائن كتب ، وكانت الأخيرة من أشهر المكتبات المدرسية فى العصر المملوكى[١٠] . كذلك أنشأ مقبل الرومى الزمام (ت٨١٠هـ/١٤٠٧م)

---

(١) سويقة العزى خارج باب زويلة قريبا من قلعة الجبل، وقد سميت كذلك نسبة إلى الأمير عز الدين أيبك العزى نقيب الجيوش زمن خليل بن قلاوون. راجع المقريزى : الخطط جـ٢ ، ص١٠٦ ـ ١٠٧ .

(٢) المقريزى : الخطط جـ٢ ص٣٩٩؛ ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ٨ ص٢٠٤ ، جـ٤ . وتحتفظ دار الكتب بمصحف الجاى اليوسفى رقم ٦٣,١٤ مصاحف .

(٣) انظر ترجمته فى ابن تغرى بردى: المنهل الصافى جـ٣، ص١٨٩ ، ترجمة ٦١٥ ، السخاوى : الضوء اللامع جـ٣، ص١٠ـ١٢ .

(٤) وثيقة وقف أينال اليوسفى رقم ٥٥ محفظة ٩ ، وهذه المدرسة سجلت أثريا برقم ١١٨ (بشارع الخيامية) .

(٥) المقريزى : الخطط، جـ٢ ، ص٣٩٥؛ ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة، جـ١٢ ص١٥٩ .

(٦) المقريزى : الخطط جـ٢ ص ٣٩٥ .

(٧) السخاوى : الضوء اللامع ، جـ٥ ص١٤٣ ـ ١٤٤ . أنظر الملحق الأول، لوحة رقم ٥ ، والملحق الثالث بآخر الكتاب .

(٨) ابن حجر العسقلانى : أنباء الغمر، جـ٣، ص١١٨ ، وفيات ٨٠٢ ورقة ٢٤ ، السخاوى : الضوء اللامع، جـ٢ ، ص٣٢٤ .

(٩) وثيقة الأمير سودون من زادة، رقم ٢٥٨ ، محفظة ١٠ ، نشر حسنى نويصر .

(١٠) وثيقة جمال الدين يوسف الاستادار رقم ١٠٦ محفظة ١٧ ، نشر عبد الستار عثمان؛ المقريزى : الخطط جـ٢٢ ص٤٠١ .

مدرسة البندقانيين بالقاهرة وجعل بها خزانة كتب[١] وألحق الأمير عبد الغنى الفخرى بمدرسته التى أنشأها بخط بين السوريين سنة ٨٢١هـ/١٤١٨م خزانة كتب حيث تذكر وثيقة وقفه ما نصه «ويصدره - أى الدهليز - يدخل إلى خزانة برسم خزانة الكتب والإيوان الغربى يشتمل على خزانتين برسم الكتب وغيرها[٢]. وجعل الأمير تغرى بردى البكلمش (ت٨٤٦هـ/ ١٤٤٣م) بمدرسته التى بخط الصليبية الطولونية بالقاهرة خزانة كتب بالإيوان الكبير على يسره المصلى كما تذكر وثيقة وقفه[٣]. وألحق الأمير يشبك بن مهدى الدوادار الكبير بمدرسته خزانة كتب أودع بها الكثير من كتبه التى وصل إلينا بعضها[٤].

وفى عام ٨٨٠هـ/١٤٧٥م بنى الأمير أزبك من ططخ أتابك العساكر مدرسته بمنطقة الأزبكية - ضمن عمائرة الكثيرة هناك - وجعل بها خزانة لكتب العلم المختلفة[٥]. كما عمر الأمير قجماس الإسحاقى مدرسة بالقرب من خوخة أيد مش بالدرب الأحمر فيما بين عامى ٨٨٤ و٨٨٧هـ (١٤٧٩ - ١٤٨٢م)، وكان بها خزانة كتب[٦]. وفى عصر الغورى أنشأ السيفى قانى باى قرار الرماح أمير أخور كبير، وهو أحد أمراء الغورى، مدرسة تجاه

---

(١) وثيقة مقبل الرومى رقم ٦ محفظة ١٠، رقم ٧٥، محفظة ١٢، السخاوى : الضوء اللامع جـ١٠ ص١٦٨.

(٢) وثيقة عبد الغنى الفخرى رقم ٧٢، محفظة ١٢؛ المقريزى : الخطط، جـ٢، ص٣٢٨؛ السخاوى : الضوء اللامع جـ١ ص ٢٠؛ انظر أيضا : محمود الكحلاوى مدرسة الأمير عبد الغنى الفخرى، رسالة ماجستير لم تنشر بعد - جامعة القاهرة، ١٩٨١م.

(٣) وثيقة الأمير تغرى بردى، رقم ٩٨ محفظة ١٦، دار الوثائق.

(٤) يذكر السخاوى أن الأمير يشبك كان له رغبة عظيمة فى اقتناء الكتب. انظر ترجمته فى السخاوى : الضوء اللامع جـ١٠، ص ٢٧٢ - ٢٧٤. وتحتفظ دار الكتب المصرية بأحد موجودات هذه المكتبة هى كتاب «شجرة النسب النبوى وأخبار الملوك المصرية» بخط خطاب من عمر الدنجاوى سنة ٨٨٣ هـ تحت رقم ١٦٣٧ تاريخ - أنظر الملحق الأول - اللوحة رقم ١٠، وتحتفظ مكتبة بلدية الاسكندرية بنسخة من نفس الكتاب تحت رقم ٣٧٥٤ج وقد كتب على صفحة عنوانها عبارة «برسم خزانة الاشرف السيفى يشبك بن مهدى» ويستفاد من ذلك أنها كانت ضمن موجودات خزانته.

(٥) وثيقة وقف أزبك من ططخ، رقم ١٩٨، محفظة ٣١، دار الوثائق؛ السخاوى : الضوء اللامع جـ٢ ص٢٧٢؛ ابن إياس : بدائع الزهور، جـ٣ ص١١٢.

(٦) وثيقة الأمير قجماس الاسحاق، رقم ٧٦٠ أوقاف؛ السخاوى : الضوء اللامع، جـ٦ ص٢١٢؛ ابن اياس : بدائع الزهور جـ ٣ ص ٣٢٨، ٤٠٧.

سوق الخيل بميدان القلعة سنة ٩٠٨هـ/١٥٠٣م، وكان بها خزانة كتب أيضا. فقد ورد في وثيقة وقفه ما نصه «.. وأما الخلوتان اللتان بالإيوان الكبير - وهو المحراب - فجعل أحدهما وهي القبلية معدة لخزن الكتب التي وقفها الواقف المشار إليه وجعل مقرها بالمدرسة المذكورة»[١]. كما أنشأ السيفي بيبرس بن عبد الله بن عبد الكريم بن عمر الأشرف قانصوه الغوري المعروف بالخياط مدرسة بخط الجودرية بالقاهرة، وقد كملت عمارتها في عام ٩٢١هـ ١٥١٥م، وكانت بها خزانة كتب حوت الكثير من المؤلفات في مختلف العلوم والفنون[٢].

وقد ساهم بعض الطواشية[٣] في بناء المدارس وإلحاق المكتبات بها. من هؤلاء الطواشي بشير الجمدار[٤] الناصري الذي عمر المدرسة البشيرية سنة (٧٦١هـ/١٣٥٩م) وزودها بخزانة كتب[٥] وكذلك الطواشي الأمير سابق الدين مثقال الأنوكي مقدم المماليك السلطانية الأشرافية[٦]، فقد بنى المدرسة السابقية بخط بين القصرين سنة ٧٦٣هـ/١٣٦١م وزودها بخزانة كتب أيضا[٧].

وقامت أميرات العصر المماليكي بنفس الدور. ففي سنة ٧٦١هـ/١٣٥٩م أنشأت خوند تتر الحجازية إبنة السلطان محمد بن قلاوون وزوجة الأمير ملكتمر الحجازي المدرسة

---

(١) وثيقة قاني باي الرماح، رقم ١٠١٩ أوقاف.

(٢) وثيقة السيفي بيبرس، رقم ٣١٣، محفظة ٤٧؛ ابن اياس: بدائع الزهور، جـ٤ ص٤٧٧.

(٣) الطواشية واحدتها طواش وهو الخصي الذي ذهب أنثياه وذكره بالكلية، وقد استخدموا في الطباق المملوكية وفي الحريم السلطاني، وكانت لهم حرمة وافرة وكلمة نافذة، ويعد شيخهم من أعيان الناس. انظر: السبكي: معيد النعم، ص٣٩؛ راجع ايضا سعيد عاشور: العصر المماليكي، ص٤٣١.

(٤) الجمدار هو الوصيف أو الموظف الذي يتصدى لالباس السلطان أو الأمير ثيابه. راجع: القلقشندي: صبح الاعشى، جـ٥، ص٤٥٩؛ السبكي: معيد النعم ص ٣٥؛ انظر ايضا حسن الباشا: الفنون الإسلامية والوظائف جـ١ ص ٣٥٦ - ٣٥٨.

(٥) المقريزي: الخطط، جـ٢، ص٣٩٩.

(٦) مقدم المماليك هو أجل وأفضل الطواشية وأقربهم إلى السلطان، وهو من يتحدث في شئون المماليك ويحكم فيهم ويحضر تفرقة الجامكية عليهم. راجع: المقريزي: السلوك جـ١ ،ص٧٨٠ ،مج٣.

(٧) المقريزي: الخطط جـ٢ ص٣٩٣ - ٣٩٤. ويذكر السخاوي أن محمد بن محمد القرشي كان خازنا لمكتبة المدرسة السابقية. انظر ترجمته في السخاوي: الضوء اللامع، جـ٩، ص٧١.

الحجازية بخط رحبة باب العيد بالقاهرة، وجعلت بها خزانة عامرة بالمؤلفات فى مختلف العلوم[١]. كما وجد بالمدرسة التى أسستها خوند بركة زوجة الأمير الجاى اليوسفى، أم السلطان شعبان بن حسين بالتبانة سنة ٧٧١هـ/١٣٦٩م مكتبة حوت الكثير من المؤلفات والمصاحف والربعات الشريفة[٢].

وإذا كان سلاطين المماليك وأمراؤهم والطواشية والأميرات قد أسهموا بالدور الكبير فى إنشاء المدارس وتزويدها بالمكتبات، فإن بعض العلماء والتجار والقضاء هم أيضا قد شاركوا فى هذا العمل. إذ أنشأ الإمام الشيخ مجد الدين الخليل سنة ٦٦٣هـ/١٢٦٥م المدرسة المجدية الخليلية[٣]. وشيد شيخ الإسلام سراج الدين عمر البلقينى مدرسة فى سنة ٧٩٥هـ/١٣٩٢م[٤]، وشيد الشيخ ولى الدين البلقينى مدرسته بجوار المدرسة الشريفية[٥]. ومن ذلك أيضا مدرسة العنتانى التى عمرها محمود بن أحمد ابن موسى العنتابى نزيل القاهرة (ت٨٥٥هـ/١٤٥١م) بالقرب من الجامع الأزهر[٦]. وأغلب الظن أن الدوافع التى كانت وراء إنشاء العلماء للمدارس وإلحاق المكتبات بها كانت دوافع دينية وعلمية بحته. أما التجار أصحاب الأموال الطائلة ربما كان الدافع لهم إلى ذلك هو الرغبة فى نيل الثواب بجانب الرغبة فى الظهور بمظهر الصلاح والتقوى خوفا من مصادرة أموالهم على يد المماليك[٧]. ومن أشهر مدارسهم : مدرسة المحلى التى أنشأها رئيس التجار برهان الدين

---

(١) المقريزى : الخطط، جـ٢، ص ٣٨٢-٣٨٣.

(٢) وثيقة خوند بركة رقم ٤٧، محفظة ٧، دار الوثائق؛ المقريزى : الخطط، جـ٢ ص ٣٩٩-٤٠٠؛ ابن اياس : بدائع الزهور، جـ١ ص ٢٢٧؛ وراجع أيضا ميرفت عيسى : مدرسة خوند بركة ام السلطان شعبان «دراسة معمارية»، رسالة ماجستير لم تنشر بعد، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ١٩٧٧م. وتحتفظ دار الكتب بمصحف كان أحد موجودات هذه المكتبة وهو تحت رقم٦ ويذكر السخاوى أن محمد بن عبد الله السعودى كان خازنا لكتب هذه المدرسة : انظر ترجمته فى السخاوى : الضوء اللامع، جـ٨، ص١١٣.

(٣) المقريزى : الخطط جـ٢ ص ٣٩٩؛ ابن دقماق : الانتصار، جـ٤، ص٩٦.

(٤) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ١١ ص ٣٨٩، ص ٢٩، ج ١٢؛ ابن العماد : شذرات الذهب جـ٧، ص ٥١-٥٢؛ ابن الصيرفى : نزهة النفوس جـ٢ ص ١٧١.

(٥) السخاوى : التبر المسبوك، ص ٣٨٩؛ إبن الصيرفى : أنباء الهصر، ص٤٦٣.

(٦) ابن فهد الهاشمى: معجم الشيوخ، ص ٢٩٥.

(٧) عبد الغنى عبد العاطى : المرجع السابق، ص ١٦٦-٦٧.

إبراهيم (ت٨٠٦هـ/١٤٠٣م) وأنفق على بنائها خمسين ألف دينار[١]. ويمكن إدراج المدارس التى أنشأها بعض القضاه ضمن مدارس التجار على اعتبار أن بعض أولئك القضاة كانوا يجمعون بين التجارة والعلم. من ذلك مدارس الخروبية. فبالرغم من توليهم لمناصب القضاء، إلا أن شهرتهم كتجار فاقت شهرتهم كقضاة. وقد قامت عائلة الخروبى ببناء ثلاثة مدارس هى المدرسة التاجية الخروبية التى أنشأها القاضى تاج الدين الخروبى (ت٧٨٥هـ/١٣٨٣م)[٢]، والمدرسة العزية الخروبية التى أنشأها القاضى عز الدين الخروبى(ت٧٨٦هـ/١٣٨٤م)[٣]، والمدرسة البدرية الخروبية التى شيدها القاضى بدر الدين الخروبى (بعد سنة ٧٥٠هـ/١٣٤٩م). ومن مدارس القضاء مدرسة ابن قاضى العسكر التى بناها الحسين بن محمد محمد العوكانى (ت٧٦٢هـ/١٣٦١م)، حيث يذكر كل من ابن حجر العسقلانى والشوكانى أنه عمر مدرسة بحارة بهاء الدين ووقف عليها وقفا جيداً، ووقف بها كتبا كثيرة[٤] وكان أيضا بالمدرسة العرابية المجاورة للبشتكية خزانة كتب كبيرة[٥]. وقد شارك بعض المسالمة، وهم الفئة الذين اعتنقوا الإسلام حديثا، فى بناء بعض المدارس لدراسة فقه الدين الإسلامى الذى اعتنقوه. من ذلك المدرسة البقرية التى أنشأها شاكر بن غبريان بن عبد الله البقرى (ت٧٤٦هـ/١٣٤٥م) بالقرب من جامع الحاكم[٦]. كما بنى يحيى بن عبد الرازق الذى تولى الاستادارية للظاهر جقمق أكثر من مدرسة ووقف عليها الكثير من الكتب[٧].

ولم يقتصر إنشاء المكتبات المدرسية على القاهرة وحدها باعتبارها عاصمة الديار

---

(١) المقريزى: الخطط، جـ٢، ص٣٦٨ـ ٣٦٩.

(٢) المصدر السابق، جـ٢، ص ٣٦٨؛ ابن دقماق: الانتصار، جـ ٤، ص٩٩.

(٣) ابن حجر العسقلانى: أنباء الغمر، جـ١، ص ٨٦ـ ٨٧؛ ابن دقماق: المصدر السابق والجزء والصفحة.

(٤) ابن حجر: المصدر السابق جـ١ ص٨٧؛ ابن دقماق: المصدر السابق، جـ٤ ص ٩٨، ٩٩؛ المقريزى: الخطط جـ٢ ص ٣٦٩.

(٥) ابن حجر العسقلانى: الدرر الكامنة، جـ٢، ص ١٥٥؛ الشوكانى: البدر الطالع جـ١، ص٢٢٨.

(٦) ذكر السخاوى أن الشيخ أحمد الحسين القاهرى كان خازنا لمكتبة هذه المدرسة. انظر ترجمته فى: السخاوى: الضوء اللامع جـ١ ص٢٧٧.

(٧) المقريزى: الخطط جـ٢ ص ٢٩٠؛ ابن حجر العسقلانى: أنباء الغمر، جـ١، ص٦٥ـ ٦٦.

المصرية، بل انتشرت فى معظم أقاليم مصر من أسوان جنوبا إلى الأسكندرية شمالا إذ أنشىء فى الاسكندرية ما لا يقل عن خمس وعشرين مدرسة [١] ملحقا بكل واحد منها خزانة كتب عامرة بصنوف الكتب والتواليف، كما يقول البلوى[٢] . من هذه المدارس العفوية والسلفية والعمادية والسراجية. ولم يكن البعد النسبى للوجه القبلى عن العاصمة مانعا للمشاركة فى النهضة المكتبية والتعليمية التى عاشتها مصر إبان عصر سلاطين المماليك، بل على العكس من ذلك كان دافعا لإنشاء الكثير من المدارس[٣] . فأسوان وحدها كان بها ثلاث مدارس هى البانياسية والنجمية والسيفية [٤] . وفى إدفو خمس مدارس هى الأفرمية والعزية وابن سديد والغربية والمجيدية[٥] . وبلغت المدارس التى شيدت فى قوص ستة عشر مدرسة [٦] . كما وجدت مدارس فى إسنا وأسيوط وإخميم والبهنسا وأرمنت وقنا والأقصر. وأما الفيوم فكان بها هى الأخرى عدة مدارس، وكذلك بالوجه البحرى وجدت عدة مدارس بدمياط وفيشا وبلبيس والمحلة[٧] . ووفقا لرواية القلقشندى[٨] قل أن تخلو إحدى هذه المدارس من مكتبة. فالارتباط العضوى وثيق بين هذه المدارس كمؤسسات تعليمية وتربوية وبين الكتاب.

---

(١) انظر : أسامة أحمد إسماعيل حماد : الاسكندرية فى عصر دولتى المماليك، رسالة ماجستير غير منشورة ـ كلية الآداب ـ جامعة الاسكندرية، ١٩٨٧، ص ٦٣٧ ـ ٦٥٢.

(٢) البلوى : تاج المفرق، جـ٢، ص ٦٨ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ٨٧.

(٣) عبد الغنى محمود عبد العاطى : التعليم فى مصر زمن الأيوبيين والمماليك، ص ١٧١.

(٤) الإدفوى : الطالع السعيد، ص ١٩ ، ١٠٨ ، ١١٥ ، ٢٥٠ ، ٢٥٤ ، ٣٢٨ ، ٣٥٣ ، ٤١٩ ، ٤٢٠.

(٥) المصدر السابق، ص ١٩٣ ، ٨٣ ، ١٣٦ ، ١٩٢ ، ٦٥ ، ٢٩٥ ، ٢٢٧.

(٦) المصدر السابق، ص ٢٧؛ المقريزى : الخطط جـ١ ص ٢٣٦.

(٧) راجع : عبد الغنى محمود عبد العاطى : المرجع السابق ص ١٧١ ـ ١٧٤ ، ١٧٦ ـ ١٧٩ وما بها من حواشى.

(٨) القلقشندى : صبح الأعشى، جـ١ ص ٤٦٧؛ وراجع أيضا : مصطفى السباعى : من روائع حضارتنا، ص ٦١٦، سعيد عاشور : المجتمع المصرى ص ١٤٥. وجدير بالذكر أن مكتبة بلدية الاسكندرية تحتفظ بنسخة تحت رقم ٨١٧ب من كتاب «عمدة المحتاج فى شرح المنهاج لابن الملقن (ت ٨٠٤ هـ/١٤٠١م) برسم خزانة مدرسة تقى الدين بالمحلة، وكتاب عبارة عن مجموعة مجلدة تحتوى على إشكال ميكانيكية وهندسية وفلكية وموسيقية ، تأليف القس عيسى بيترو، كان ضمن موجودات خزانة المدرسة بدمياط.

وبالإضافة إلى أنواع المكتبات التى أسلفنا إليها، عرفت مصر المملوكية أنواعا أخرى من هذه المكتبات، من بينها المكتبات الملحقة بالبيمارستانات والربط والخانقاوات والزوايا والترب والقباب.

مكتبات البيمارستانات :

وتعتبرالبيمارستانات[١] أكثر هذه الأنواع حاجة للكتب والمكتبات. ذلك أنها كانت بمثابة الكليات الطبية الحديثة، حيث توضح وثيقة وقف السلطان قلاوون «أن خدمات البيمارستانات لم تقتصر على معالجة المرضى بل تعدى الأمر إلى تدريس الطب والاهتمام به. ويشبه هذا إلى حد كبير ما يتم فى المستشفيات الكبيرة فى العصر الحديث من الحاق كليات الطب بالمستشفيات حيث تتوفر الدراسة العلمية وممارسة الطب على أيدى أساتذة متخصصين. فقد نصت وثيقة الوقف على مصالح البيمارستان المنصورى على تعين شيخ للاشتغال بالطب يكون من بين أطباء البيمارستان، وخصص له الواقف مكانا لإلقاء دروس الطب على طلبته[٢]».. وهكذا كان البيمارستان مكانا للتدريب العلمى وللدراسات النظرية فى ذات الوقت. ولأن الكتب تعتبر جزءا أساسيا فى العملية التعليمية لا تتم إلا به

---

(١) البيمارستان بفتح الراء وسكون السين، كلمة فارسية معربة، مركبة من مقطعين «بيمار» وتعنى مريض و «ستان» وتعنى دار أو مكان أو محل، فهى دار المريض ويقال أحيانا المارستان وهو مستشفى لمعالجة المرضى من كافة الأمراض. ولكن بمرور الزمن اقتصر الاسم على مستشفى معالجة الأمراض العقلية والنفسية. انظر : المقريزى : الخطط، جـ٢، ص٤٠٥؛ والسلوك، جـ١. ص ٧١٦؛ راجع أيضا : سعيد الجوزى الشرتوى : معجم أقرب الموارد فى فصيح العربية والشوارد، بيروت، (مطبعة مرسلى اليسوعية) ١٩٨٣، جـ١ ص ٧٠؛ أحمد عيسى : تاريخ البيمارستانات فى الإسلام، ص ٤؛ سيدة اسماعيل كاشف : أحمد ابن طولون، ص ٢٥٢؛ محمد أمين : الأوقاف والحياة الاجتماعية فى مصر ص ١٥٥.

(٢) محمد محمد أمين : «وثيقة وقف السلطان قلاوون على البيمارستان المنصورى» تحقيق ودراسة، ملحق بكتاب : تذكرة النبية فى أيام المنصور وبنيه، جـ١ ص٣٠٧، راجع ايضا : سعيد عبد الفتاح عاشور : المجتمع المصرى فى عصر سلاطين المماليك ص٩٢ ـ ٩٣.

فقد حرص الذين شيدوا البيمارستانات في العصر المملوكي[(١)] على تزويدها بالمكتبات التى تضم المؤلفات الطبية. ومن هذه البيمارستانات، البيمارستان الطولونى وهو أول بيمارستان أنشىء فى مصر[(٢)]، ويعرف بالبيمارستان الأعلى[(٣)]، أنشأه أحمد بن طولون فى عام ٢٥٩هـ/٨٧١م وكان بمثابة مستشفى وكلية الطب، وجعل فيه خزانة كتب ضمت ما يزيد على مائة ألف مجلدا، لم تكن فى علوم الطب فقط بل فى سائر العلوم والمعارف[(٤)] . وعلى الرغم من أن هذا الرقم يبدو مبالغا فيه، إلا أن هذه الرواية تكشف عن قدم العناية بالمكتبات فى المستشفيات من ناحية وكثرة عدد محتوياتها من الكتب من ناحية أخرى [(٥)]. وقد استمر هذا البيمارستان فى تأدية وظيفته حتى عصر المماليك

---

(١) هناك العديد من البيمارستانات التى كانت موجودة فى العصر المملوكى سواء ما أنشيء منها قبل العصر المملوكى أو إبانه، منها : البيمارستان الطولونى الذى أنشأه أحمد بن طولون فى عام ٢٥٩هـ/ ٨٧١م بالعسكر والبيمارستان الأسفل الذى بناه كافور الإخشيدى فى عام ٣٤٦هـ/١٩٥٧م ، والبيمارستان الصلاحى الذى شيده صلاح الدين الأيوبى عام ٥٧٢هـ/١١٦٧م، والبيمارستان المنصورى وقد شيده الملك المنصور قلاوون عام ٦٨٢هـ/١٢٨٣م، والبيمارستان المؤيدى الذى أنشأه المؤيد شيخ عام ٨٢٣هـ/ ١٤٢٠م.

انظر على التوالى :

- المقريزى: الخطط، جـ٢ ، ص ٤٠٢ ؛ ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ٤، ص ١٠١.
- المقريزى : الخطط ، جـ٢، ص٤٠٦؛ ابن دقماق: الانتصار لواقعة عقد الأمصار، جـ١ ، ص ٩٩.
- ابن خلكان : وفيات الاعيان ، جـ٤، ص ٤٠٦ ؛ القلقشندى : صبح الاعشى، جـ٣ ، ص ٣٤٨ ، ٣٦٥؛ أبو شامة : الروضتين جـ١ ص ٢٦٨.
- وثيقة ؛ قلاوون رقم ١٥ ، محفظة ٢، دار الوثائق؛ ورقم ١٠١٠، أوقاف قديم؛ المقريزى : الخطط جـ٢ ص ٤٠٦، السلوك جـ١ ص ٧١٦ - ٧١٧؛ انظر أيضا محمد محمد أمين : الأوقاف والحياة الاجتماعية، ص وما بعدها.
- وثيقة المؤيد شيخ ، رقم ٩٣٨، أوقاف ؛ المقريزى : الخطط، جـ٢ ، ص٤٠٨؛ والسلوك جـ٤، ص ٦١٠.

(٢) القلقشندى : صبح الأعشى، جـ٣ ، ص ٣٤٣.

(٣) ابن دقماق : الانتصار، ق ١ ، ص ٩٦؛ ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ٣، ص ١٠، ١٢.

(٤) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ ٤ ص ١٠١ - راجع أيضا أحمد عيسى : تاريخ البيمارستان فى الإسلام ص ٧١؛ محمد عبد الرحيم غنيمة : تاريخ الجامعات الإسلامية ص ٢٨٤.

(٥) وجدير بالذكر أن هذا النوع من المكتبات كان قد انتشر فى العالم الإسلامى، ومن أقدمها وأشهرها اثنتان، البيمارستان العضدى الذى أنشأه عضد الدولة البويهى فى القرن الرابع الهجرى/ العاشر الميلادى فى بغداد وألحق به مكتبة كبيرة، والبيمارستان الثانى هو الذى شيده نور الدين محمود زنكى فى نهاية القرن السادس الهجرى / نهاية القرن الثانى عشر الميلادى، وأوقف عليه جملة كثيرة من الكتب الطبية، أنظر : ابن الاثير : الكامل ، جـ٩ ، ص ١٦ ، ابن خلكان : وفيات الاعيان، جـ٤ ، ص٥٠ ؛ ابن الجوزى : المنتظم جـ٩ ، ص ١١٢ ، النعيمى الدارس فى تاريخ المدارس ؛ انظر ايضا : محمد ماهر حمادة : المكتبات فى الإسلام ، ص ١٤٥؛ عبد الستار الحلوجى : لمحات من تاريخ الكتب والمكتبات ص٤٧

الجراكسة[١].

ويعتبر البيمارستان المنصوري من أعظم المستشفيات والكليات الطبية في مصر الإسلامية إن لم يكن أعظمها عيل الإطلاق. وقد أدهش هذا المستشفى الكبير الرحالة الذين زارو مصر في ذلك الوقت . فقد ذكر البلوي المغربي في رحلته أنه « لو لم يكن للقاهرة ما تذكره به إلا البيمارستان وحده لكفى »[٢]. ووصفه ابن بطوطه بأنه «يعجز الواصف عن محاسنة» ولم لا «وقد أعد فيه من المرافق والأدوية مالا يحصر»[٣] وكان «يشرف عليه الأطباء[٤] الماهرون والنظام والخدام والمتصرفون»[٥]، وقد أنشأ هذا البيمارستان الملك المنصور قلاوون (ت٦٨٩هـ/١٢٩٠م)، وأوقف عليه الأوقاف السخية[٦]، وجعل به خزانة كتب»[٧] .كما حظى هذا البيمارستان باهتمام الواقفين منهم ابن النفيس الطبيب المشهور (ت٦٨٧هـ/١٢٨٨م) حيث أوقف داره وكتبه عليه[٨]، وكانت هذه المكتبة من الضخامة أن بلغت محتوياتها مائة ألف مجلد[٩]. وهكذا تتسع الحركة المكتبية في مصر المملوكية لتمتد فتشمل المكتبات المتخصصة في مجال الطب وذلك إدراكا جيدا من رجال ذلك العصر لكافة متطلبات الحياة.

---

(١) ذكره المقريزي في الخطط ، جـ٢، ص ٤٠٥ . ويفهم من كلامه عنه أنه رآه، ويذكر عبد الرحمن زكي في «تراث القاهرة العلمي والفني» ص ٦٣، أن بعض الأطباء كسراج الدين البهادرس (ت٨٣٤هـ/١٤٣٠م) كان يعمل في المارستان المنصوري والمارستان الطولوني.

(٢) البلوي المغربي : الرحلة (مخط)، ورقة ٥٦ وجه.

(٣) ابن بطوطة : الرحلة ، جـ١ ، ص٣٣.

(٤) من أبرز الأطباء الذين عملوا في هذا المارستان الطبيب ابن النفيس مكتشف الدورة الدموية، ومهذب الدين أبي خليفة، ومحمد بن محمد بن عبد الرحمن . انظر : عبد الرحمن زكي : تراث القاهرة العلمي والفني ، ص ٥٦.

(٥) البلوي المغربي : المصدر السابق والصفحة.

(٦) وثائق وقف قلاوون ، رقم ١٥ محفظة ٢ ، دار الوثائق ؛ ورقم ١٠١٠ أوقاف قديم.

(٧) المقريزي : الخطط ، جـ ٢ ص ٤٠٧ .

(٨) ابن شاكر الكتبي : عيون الاخبار ، تحقيق نبيلة عبد المنعم داود وفيصل السامرائي بغداد، ١٩٨٤، جـ١ ص ٤٢٩-٤٣٠.

(٩) محمد ماهر حمادة : المكتبات في الاسلام ، ص ١٤٦.

مكتبات الخوانق والربط والزوايا :

وهناك أيضا المكتبات الملحقة بالخوانق[(١)] والربط[(٢)] والزوايا[(٣)] وهى الأماكن التى أعدت لإقامة الصوفية وانقطاعهم فيها للعبادة والعمل. وقد انتشر هذا النوع من المؤسسات نتيجة لانتشار التصوف واتساع نطاقه فى عصر سلاطين المماليك. فقد أنشىء فى عصر الناصر محمد بن قلاوون[(٤)] ـ وحده ـ ثمانية خوانق[(٥)]. وذكر المقريزى اثنين وعشرين خانقاه[(٦)] واثنتا عشرة رباطا[(٧)] وخمسة وعشرين زاوية [(٨)] فى القاهرة وحدها كانت جميعها دور علم وعبادة. ولذلك أنشئت بداخلها المكتبات، وأوقف الواقفون عليها الكتب

(١) الخوانق أو الخوانك مفردها خانقاه، وهى كلمة فارسية معربة تعنى موضع بيت أو دار، وجعلت لتخلى الصوفية فيها للعبادة والتصوف. انظر المقريزى الخطط، جـ٢، ص٤١٤؛ والسلوك جـ١، ص ١٨٢، ق ١، جـ٤، على مبارك: الخطط التوفيقية، جـ٦، ص ٤٨؛ راجع سعيد عبد الفتاح عاشور : المجتمع المصرى، ص ١٦٨.

(٢) الربط مفردها رباط، وهى فى أصل اللغة الخيل المربوطة فى أفنية الدور المعلوفة فيها، ثم أطلق على الإقامة فى الثغور وملازمتها ترصدا واستعدادا للغزو والجهاد. ابن منظور : لسان العرب، جـ٧ ص ٣٠١ ـ ٣٠٣. ثم أطلق فى العصر المملوكى على المؤسسات التى تشبه الملاجىء فى العصر الحديث حيث تكون مأوى لفقراء المسلمين أو عتقاء الواقف أو الجند البطالين، ومن ثم فهو مأوى للصوفية أو لغيرهم من الفقراء، بعكس الخانقاه فهى مأوى للصوفية فقط. أنظر وثيقة بيبرس الجاشنكير، رقم ٢٢، محفظة ٤، دار الوثائق؛ وثيقة محمد بن قلاون، رقم ٢٥، محفظة ٤، دار الوثائق؛ انظر ايضا محمد محمد أمين الاوقاف والحياة الاجتماعية ص ٢٢٠ـ ٢٢١.

(٣) الزوايا واحدتها زاوية وهى ركن الدار، ثم أصبحت تطلق على الدار الصغيرة التى تتسع لأشخاص قليلين. وكانت تعد لإقامة بعض الصالحين من الصوفية وفقراء العجم والخدم من الحبش والأيتام وغيرهم من أهل الصلاح والورع. راجع المقريزى : الخطط، جـ٢، ص ٤٣٠ ـ ٤٣٣؛ راجع أيضا توفيق الطويل : التصوف فى مصر إبان العصر العثمانى، القاهرة الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٨م، ص ٣٩.

(٤) تسلطن السلطان محمد بن قلاوون ثلاث مرات أولاهما كانت من ٦٩٣ ـ ٦٩٤هـ/ ١٢٩٣ ـ ١٢٩٤م، والثانية من ٦٩٨ ـ ٧٠٨هـ/١٢٩٨ ـ ١٣٠٨م، والثالثة من ٧٠٩ ـ ٧٤١هـ/ ١٣٠٩ ـ ١٣٤٠م.

(٥) شمس الدين الشجاعى : تاريخ الملك الناصر محمد بن قلاوون الصالحى وأولاده ص ١١٥.

(٦) المقريزى : الخطط، جـ٢، ص ٤١٤ ـ ٤٢٧.

(٧) المصدر السابق، جـ٢، ص٤٢٧ ـ ٤٣٠.

(٨) المصدر السابق، جـ٢، ص ٤٣٠ ـ ٤٣٦.

لأغراض البحث والقراءة والمطالعة. ومن أشهر هذه المكتبات تلك التى كانت ملحقة بالخانقاه البكتمرية التى أنشأها الأمير أبو سعيد بكتمر الساقى الناصرى فى سنة ٧٢٦هـ/ ١٣٢٦م. ويفهم من كلام المقريزى عن هذه الخانقاه أنه كان ملحقا بها خزانة كتب حيث يقول «وتنافس الناس فى مشيختها إلى أن كان المحن من سنة ست وثمانمائة... تمزق ما كان فيها من الفرش والآلات النحاسية والكتب والربعات ... وغير ذلك من الأمتعة والنفائس المملوكية[١].

ومنها أيضا خزانة الكتب العربية التى كانت ملحقة بالخانقاة البشتكية [٢]، حيث أورد السخاوى أن أحمد بن الحسن بن على بن الشهاب الجوهرى (ولد ٧٦٤هـ/١٣٦٣م) كان شيخ الصوفية بالبشتكية مع خزن الكتب العربية بها»[٣]. كما أنشأ برسباى خانقاه بقرافة المماليك، وقد أطلقت عليها وثيقة وقفه بالتربة وألحق بها خزانة كتب[٤]. وهناك أيضا الخانقاه الجمالية التى بناها الأمير مغلطاى الجمالى فى سنة ٧٨٠ هـ/١٣٧٨م[٥]، وزودها بخزانة كتب. إذ تذكر وثيقة وقفه ما نصه «وأما الخزائن الكتبية التى بإيوانها المذكور فيختفظ فيها ما لعله يكون بهذه الخانقاه من الكتب والربعات الشريفة[٦].

كما أنشأ السلطان فرج بن برقوق عام ٨١٣هـ/ ١٤١٠م خانقاه نعتت بالخانقاه البرقوقية نسبة إليه، وذلك تنفيذا لوصية والده السلطان برقوق بالصحراء خارج باب

(١) المصدر السابق، جـ ٢، ص٤٢٤. ويفهم من ترجمة المقريزى لبكتمر الساقى أنه كان جماعا للكتب. المقريزى : الخطط جـ٢ ص ٤٤٤. وجدير بالذكر أن دار الكتب المصرية تحتفظ بربعة بكتمر الساقى، ومن نص الوقفية المثبتة أسفل صفحة العنوان نستدل على أنها كانت ضمن موجودات خزانة الكتب بالخانقاه. انظر الربعة رقم ٧٢ مصاحف، دار الكتب، وانظر أيضا : الملحق الأول، لوحة رقم ٣ بآخر الكتاب.

(٢) المقريزى : الخطط ، جـ٢، ص ٤١٨ - ٤١٩.

(٣) السخاوى : الضوء اللامع، جـ١ ، ص٢٧٧.

(٤) وثيقة برسباى ، رقم ٨٨٠ أوقاف، وقارن عبد الستار عثمان : الآثار المعمارية للسلطان الأشرف برسباى بمدينة القاهرة، ١٩٧٧م.

(٥) المقريزى : الخطط، جـ٢، ٤١٨، وأنظر ترجمته فى نفس المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ٣٩٢ - ٣٩٣.

(٦) وثيقة مغلطاى الجمالى، رقم ٦٦٦ أوقاف.

النصر وكذلك الخانقاه الناصرية التى نسبها فرج بن برقوق لنفسه، وكان لكل منهما خزانة للكتب والمصاحف والربعات الشريفة[١]. وفى نهاية العصر المملوكى أنشأ السلطان الغورى الخانقاه الغورية وألحق بها خزانة كتب قوامها ثمانى كتبيات وخلوة[٢]. إذ تذكر وثيقة الغورى[٣] عند وصفها للخانقاه ما نصه «.... وبها ثمانى كتبيات متطابقة وخلوة برسم المصاحف والربعات الشريفة»[٤].

كما وجد فى رباط الآثار الذى عمره الصاحب تاج الدين محمد بن الصاحب فخر الدين خزانة كتب[٥]. ويذكر السخاوى فى الضوء اللامع[٦] أن إبراهيم بن موسى ابن أيوب الفقيه (ت٨٠٢هـ/١٣٩٩م) اتخذ زاوية بظاهر القاهرة فى المقس [٧]، وأقام بها يحسن إلى الطلبة ويجمعهم على التفقه... ووقف بها كتبا كثيرة.

وقد شاع أمر هذه المكتبات فى العصر المملوكى حتى وصل إلى الخلاوى والتى كان

---

(١) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ٢ ص ١٠٣ ، جـ٩ ، ص ١٨٩ ، مج؛ راجع ايضا عبد اللطيف ابراهيم : المكتبة المملوكية ص ٢٦؛ حسن عبد الوهاب: خانقاه فرج بن برقوق، ص٢٨٣، وراجع وثيقة فرج بن برقوق، رقم محفظة ١١.

(٢) للمكتبة دولاب من الخشب قد يكون داخلا فى الحائط ويستعمل فى حفظ الكتب أصلا، لذلك أطلق عليه كتبية، وأما الخلوة فهى حجرة. انظر حاشية ٤ ص ١١٤ من الفصل الثانى .

(٣) وثيقة وقف الغورى، رقم ٨٨٣ أوقاف وراجع عبد اللطيف ابراهيم : الوثائق فى خدمة الآثار ص ٦٠؛ محمد فهيم : مدرسة السلطان قانصوه الغورى «دراسة اثرية معمارية»، رسالة ماجستير لم تنشر بعد ، جامعة القاهرة، ١٩٧٧، ص ٢٠٧.

(٤) كان من بين هذه الربعات الشريفة ربعة مكتوبة بالذهب كانت الخانقاه البكتمرية، وقيل أن ثمنها بلغ ألف دينار، وقد استولى عليها الغورى ووضعها فى خانقاته. انظر ابن اياس : بدائع الزهور ، جـ٤ ، ص ٦٩، راجع ايضا حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد الأثرية جـ١ ص ٩٢، عبد اللطيف ابراهيم : الوثائق فى خدمة الآثار ص ٦٠.

(٥) المقريزى : الخطط ، جـ٢، ص ٤٢٩.

(٦) السخاوى : الضوء اللامع جـ١ ، ص ١٧٢ ـ ١٧٣ .

(٧) المقس أحد أحياء القاهرة. راجع المقريزى : الخطط جـ٢ ص ١٢١ ـ ١٢٤ .

الأصل فيها الانقطاع للعلم والعبادة[١]. فقد كانت خلوة الكماخى بالقاهرة تضم مكتبة حيث يشير صاحب الضوء اللامع أن أحمد الشهاب الحجازى نزيل القاهرة عام ٨٩٣هـ/١٤٨٩م «سكن بخلوة الكماخى... وتكلم فى خزانة كتبها»[٢] ويستفاد من هذا النص وجود مكتبة فى الخلوة، واستخدامها كمركز للتعليم.

مكتبات الترب والمدافن والقباب :

وعلاوة على ذلك، اعتاد معظم سلاطين المماليك وأمرائهم بناء قباب بجوار مساجدهم أو مدارسهم لتكون مدافن لهم بعد موتهم. وكانوا يتأنقون فى بنائها ويزودونها بجميع المرافق اللازمة لسير الحياة فيها. وكانت كل قبة مزودة بقاعات واسعة تتسع لأعداد كبيرة من الناس العاملين بها والواردين عليها[٣] كذلك اعتاد بعض السلاطين والأمراء والأعيان على بناء ترب أو مدافن خاصة بهم وبأسرهم يشتمل الواحد منها على أبنية وقاعات مثل القباب. وقصد المنشئون أن تكون هذه القباب والترب والمدافن مكانا لقراءة القرآن الكريم بشكل متصل، وأن تكون فى خدمة العلم والدين استجلابا للرحمة والدعوات للمنشىء. لذلك كانت تلحق بها مكتبات تشتمل على بعض الكتب الدينية وإن كان بعضها لا يقل حجما أو نشاطا عما سبق من أنواع المكتبات.

ولعل من أشهر هذه القباب والترب، القبة المنصورية التى أنشأها السلطان المنصور قلاوون خلال عامى ٦٨٣ ـ ٦٨٤هـ (١٢٨٤ ـ ١٢٨٥م) وخصها بدرس فى الحديث وآخر فى التفسير وميعاد للتصوف[٤]. وقد ألحق بهذه القبة خزانة جليلة كان فيها عدة أحمال من الكتب فى أنواع العلوم مما وقفه الملك المنصور وغيره»[٥]، وكانت «كتبها من

---

(١) يحيى ساعاتى : الوقف وبنية المكتبة العربية ص ١١٥.

(٢) السخاوى : الضوء اللامع جـ٢، ص ٢٥٦.

(٣) المقريزى : الخطط، جـ٢، ص ٣٨٠.

(٤) وثيقة وقف المنصور قلاوون رقم ١٥، محفظة ٢، ١٠١٠ أوقاف، نشرد. محمد محمد أمين؛ أنظر أيضا المقريزى : الخطط، جـ٢، ص ٣٨٠؛ والسلوك، جـ١، ص ٧٢٥، ملحق ٩، ص ٩٩٨؛ ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة، جـ٧، ص ٣٢٥ ـ ٣٢٧.

(٥) المقريزى : الخطط، جـ٢، ص ٣٨٠.

الختمات الشريفة وكتب التفسير والحديث والفقه واللغة والطب والأدبيات ودواوين الشعر(١). وبلغ من اهتمام المنصور قلاوون بمكتبة قبته أن رتب لخازنها في كل شهر أربعين درهما وعين لها من يقوم بخدمتها(٢). كما أنشىء الأمير يشبك الداوادار (ت٨٨٥هـ/١٤٨٦م) قبة أودع فيها الكثير من كتبه وقد وصل إلينا بعضها (٣). والمعروف أن الرجل كان محبا للعلم والعلماء والفقهاء مشتغلا بالأدب وله رغبة عظيمة في اقتناء الكتب(٤). كذلك أودع المؤرخ الشهير أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي في مدفنه بالصحراء خارج باب النصر- بالقرب من تربة الأشرف إينال- كتبه القيمة وتصانيفة المختلفة ووقفها في خزانة يقيم لها خازنا أمينا ويجعل له سكنا خاصه به(٥). وقد وصلتنا ربعة شريفة للأمير بكتمر الساقي كان قد وقفها على تربته ضمن مجموعة خزانتها، وشرط أن لا تخرج من التربة ولا تعاد ولا تخرج إلا للاصلاح(٦). وممن وقف كتبه

---

(١) المقريزي: السلوك، جـ١، ص ١٠٠١.

(٢) المصدر السابق والجزء والصفحة. وثيقة وقف المنصور قلاوون، رقم ١٥ محفظة ٢، وثيقة ١٠١٠ أوقاف، نشر محمد محمد أمين؛ انظر أيضا: عبد اللطيف إبراهيم: المكتبة المملوكية، ص ١٨.

(٣) تحتفظ مكتبة السلطان سليمان القانوني باستانبول بنسخة خطية من كتاب «الوافي بالوفيات» كان قد وقفها الأمير يشبك الداودار، ثم انتقلت إلى ملك رجلين وقعا على صفحة عنوان الكتاب ما نصه «.... من كتب محمود بن العربي الشافعي ومن كتب يحيى بن حجي الشافعي سنة ٨٧٣». ويفهم من ذلك أن الكتاب قد خرج من خزانة يشبك في حياته. ولعل سبب ذلك تلك الثورة التي قام بها العوام ونهبوا فيها بيته، وأغلب الظن أن الكتاب خرج من خزانته مع ما نهب وبيع. انظر: صفحة عنوان كتاب «الوافي بالوفيات» للصفدي في: صلاح الدين المنجد: الكتاب العربي المخطوط، جـ١، لوحة رقم ٧٦؛ والصفدي الوافي بالوفيات، جـ١، ص ب من المقدمة؛ وانظر ايضا الملحق الأول لوحة رقم ١٠ بآخر الكتاب.

(٤) السخاوي: الضوء اللامع، جـ١٠، ص ٢٧٤.

(٥) وثيقة وقف ابن تغري بردي المؤرخ رقم ١٤٧، محفظة ٢٣، دار الوثائق؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة جـ١، ص ٩ ـ ٢٨، السخاوي: الضوء اللامع، جـ ١٠، ص ٢٧٤، رقم ١١٧٨، ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، جـ٧، ص ١٣٧.

(٦) انظر نص الوقفية على ربعة الأمير بكتمر الساقي، رقم ٧٢ مصاحف، دار الكتب المصرية، أنظر أيضا الملحق الأول، لوحة رقم ٣ بآخر الكتاب.

على الترب ابن أبى أصيبعة، فقد وقف كتبه على مشهد أبى عمرو، ومنها كتاب «تاريخ الأطباء» فى عشرة مجلدات وفقا لرواية العينى[١].

وشبيه بما سبق تربة السلطان برسباى الدقماقى الظاهرى، حيث أوقف عليها خزانة كتب تحتوى على المصاحف والربعات الشريفة[٢]، وقبة الناصر محمد بن قلاوون التى أنشأها بجوار مدرستة الناصرية[٣]، وقبة الدين بيبرس الجاشنكير[٤]، وتربة الملك الفاضل التى جددها الأمير جانبك[٥]، وتربة خشقدم الذى تولى التدريس فيها القاضى زين الدين الأنصارى[٦]، وقبة السلطان قانصوه الغورى[٧]، وغيرها كثير.

وعلى الرغم من أن هذه المكتبات كانت أقل شهرة وأقل عددا واستخداما من المكتبات الخاصة والمكتبات الملحقة بالمساجد والمدارس، إلا أن وجودها يدلنا على أن الكتاب أصبح جزءا لا يتجزأ من حياة الإنسان فى مصر المملوكية، الأمر الذى دفعه إلى إنشاء مكتبة داخل كل مؤسسة أو منشأة، كبيرة كانت أم صغيرة لتلبية احتياجات مجتمعها حتى ولو كان محدوداً.

وهكذا عرفت مصر إبان العصر المماليكى الذى اقتطع من تاريخها أكثر من قرنين ونصف من الزمان، جميع أنواع المكتبات التى تتباهى بها الدول المتقدمة فى العصر الحديث، بدءا بالمكتبات الخاصة ومرورا بمكتبات المساجد والمدارس والبيمارستانات والخوانق والربط والزوايا وانتهاء بمكتبات الترب والمدافن والقباب. وقد توافرت لها جميع نظم وإجراءات فنية وإدارية، وهو ما سنتناوله تحليلاً وتفصيلاً فى الفصول التالية من الكتاب والتى سنبدأها بالحديث عن الموارد المادية والبشرية.

---

(١) العينى : عقد الجمان، جـ٢ ، ص ٢٥ ، ولعله كتاب «عيون الأنباء فى طبقات الأطباء»، وقد نُشر هذا الكتاب عدة مرات ربما أهمها طبعة القاهرة عام ١٨٨٣م.

(٢) وثيقة برسباى، رقم ٨٨٠ أوقاف، رقم ٣٣٩٠ تاريخ، دار الكتب المصرية، نشر أحمد دراج ص ٥٠، ٥١.

(٣) وثيقة محمد بن قلاوون، رقم ٢٥، محفظة ٤ ، دار الوثائق؛ المقريزى : السلوك جـ١ ، ص ١٠٤٣.

(٤) وثيقة ركن الدين بيبرس رقم ٢٢ ورقم ٢٣، محفظة ٤، دار الوثائق .

(٥) نور الدين السخاوى : تحفة الأحباب وبغية الطلاب فى الخطط والمزارات والتراجم، القاهرة، نشر محمود بيع وحسن قاسم، ١٩٣٧، ص ١٨٨ .

(٦) السخاوى : الذيل على رفع الأصر، ص ١٤٧.

(٧) وثيقة قانصوه الغورى، رقم ٨٨٣ أوقاف.

الفصـــل الثاني

الموارد المادية والبشرية فى المكتبات المملوكية

١ ـ المبنى والتجهيزات :

الموقع ومواصفاته ـ الأثاث والأدوات الخاصة بحفظ الكتب.
ـ صناديق الكتب ورفوفها ـ كراسى الكتب ـ أدوات الكتابة
ـ أدوات إعداد الكتب وتسجيلها وصيانتها.

٢ ـ الموارد المالية ووجوه الإنفاق :

إيردات المكتبة المملوكية – ريع الوقف ـ الهبات والتبرعات
ـ وجوه الإنفاق ـ مرتبات العاملين بالمكتبات ـ صيانة
وترميم المكتبة ومجموعاتها وتجهيزاتها وأدواتها.

٣ ـ الموارد البشرية :

فئاتهم وواجباتهم ومؤهلاتهم ـ خازن الكتب أو أمين المكتبة ـ
المناولون ـ الوراقون.

٤ ـ المجموعات المكتبية :

أحجام مقتنيات المكتبات ـ أنواعها موضوعاتها.

أوضحنا في الفصل الأول مدى اهتمام المصريين في العصر المملوكي، حكاما ومحكومين، بالكتب والمكتبات، وحرصهم على توافرها داخل كل منشأة أو مؤسسة تعليمية أو تربوية أو صوفية. فكانت هناك المكتبات الخاصة والمكتبات الملحقة بالمساجد والمدارس والبيمارستانات ومؤسسات الصوفية، حتى وصل الأمر إلى إيجاد مكتبات داخل الترب، والمقابر. فعمت الخدمة المكتبية ديار مصر من أقصاها إلى أقصاها، والحقيقة أن وجود الخدمة المكتبية - في أي زمان ومكان - يتطلب توافر عدة مقومات أساسية هي: المبنى والتجهيزات، والمواد المكتبية، والقوى البشرية المؤهلة تأهيلا مناسبا لتقديم هذه الخدمة، فضلا عن توافر الموارد المالية التي تضمن للمكتبة استمرارية آداء مهامها، وأن أي خلل في أي من هذه المقومات يؤدي بالتبعية إلى فشل المقومات الأخرى في تحقيق مهامها. وسنحاول في هذا الفصل تسليط الضوء على هذه المقومات والتعرف على مدى توافرها في المكتبات المصرية إبان العصر المماليكي.

١ - المبنى والتجهيزات:

من المعروف أن مبنى المكتبة هو المرتكز الذي تعتمد عليه في تقديم خدماتها. فلا توجد خدمة حقيقية بدون مبنى مناسب. ويركز خبراء المكتبات[1] على ضرورة توافر عدد من المواصفات التي تجعل من مبنى المكتبة مكانا مناسبا لأداء خدماتها هي:

أولا - مناسبة الموقع، بحيث يحتل موقع المكتبة مكاناً متوسطاً بالنسبة للمؤسسة الأم

---

(١) انظر على سبيل المثال: المراجع التالية:

- شعبان عبد العزيز خليفة: مباني المكتبات المدرسية، مجلة المكتبات والمعلومات العربية، مج٢، ع٢ (ابريل ١٩٨٢)، ص ٢٧ - ٤٥.
- مدحت كاظم وحسن عبد الشافي: الخدمة المكتبية المدرسية، القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، ١٩٨٧، ص ٣٨ - ٤١.
- يسرى مصطفى عناني: دراسة عن مباني المكتبات الجامعية، رسالة ماجستير لم تنشر بعد، كلية الهندسة، جامعة الاسكندرية ١٩٨٨م.

- Matchlf, K.D, Planning Academic and Research Library Building, N.Y. ,1984.

يسهل الوصول إليه ويتوافر فيه الهدوء والبعد عن الضوضاء بما يسمح للمطالعين والمستفيدين بالتركيز فى القراءة والبحث.

ثانيا ـ جودة التهوية والإضاءة الطبيعية لتوفير جو صحى يتيح للمستفيد استخدام المكتبة دون تعب أو مضايقات.

ثالثا : تخصيص مساحة تتناسب مع مقتنيات المكتبة بحيث تستوعب المقتنيات والعالمين والمستفيدين، فكلما كانت مساحة المكتبة كبيرة كانت فى وضع يمكنها من أداء وظيفتها على أحسن وجه.

والحقيقة أن مصادر العصر المملوكى ووثائقه تعج بالنصوص والمعلومات التى تؤكد حرص منشىء المكتبات المملوكية على توفير مثل هذه المواصفات، وذلك قناعة منهم بأهمية الدور الذى تلعبه كمؤسسات علمية ثقافية وتربوية.

وكما رأينا فى الفصل السابق فإن جميع المكتبات كانت تابعة لمؤسسات أخرى مثل المدارس والمساجد والربط والخوانق والترب وغيرها. ومن ثم لم يكن للمكتبات مبنى مستقل. بل كانت الكتب توضع فى أبنية ملحقة بالمؤسسات أو الجهة التى تتبعها. وكانت المكتبة تحتل مركزا رئيسيا باعتبارها جزأ من المؤسسة. فنجد على سبيل المثال أن المدرسة فى العصر المملوكى كانت عبارة عن صحن مكشوف أو مغطى وحوله أربعة إيوانات متعامدة ذات شكل صليبى[1] أكبرهم إيوان القبلة عادة. وقد تقارب

(١) اختلفت الآراء حول الأصول المعمارية للشكل الصليبى الذى اتخذته المدارس فى عصرى السلاطين الأيوبيين والمماليك. وظهرت على الأقل ثلاثة نظريات تنسب الشكل المعمارى إلى نظام معين هى :

(أ) نظرية الإيوانات المتعامدة ذات الشكل الصليبى : ويرى أصحابها أن المدرسة اشتقت هذا النظام المعمارى من الكنائس البيزنطية ذات الشكل الصليبى فى سوريا، وأن المدارس اتخذت هذا الشكل لأنه يوافق الغرض الرئيسى من المدرسة وهو تدريس المذاهب الأربعة. أنظر أحمد فكرى : مساجد القاهرة ومدارسها، ج٢، ص ١٢٦-١٢٧.

(ب) النظرية الفارسية ويرى أصحابها أن الشكل الصليبى للمدرسة ذات الإيوانات الاربع مستمد من النظام الفارسى، لأن نظام المساكن فى مصر كان مقتبسا من أنظمة القصور الساسانية، وأن نظام المدارس فى مصر اقتبس بالتالى من نظام المساكن المصرية التى تطورت القاعة فيها وأصبحت إيوانا للمدرسة ملائما لبيت الصلاة

وصالحا للتدريس والصلاة كذلك أنظر:

التصميم المعماري لكل من المسجد والمدرسة والخانقاه حتى أصبح من الصعب تمييز بناء المسجد عن المدرسة والخانقاه ولكن ما يميز المدرسة أنه روعي في تصميمها الأغراض التعليمية والتربوية، وإنشاء المساكن للطلاب والمدرسين وغيرهم من أصحاب الوظائف بالمدرسة، وبعض الملحقات من القاعات والحواصل وسبيل الماء ومكتب تعليم الأيتام، والمكتبة أو خزانة الكتب على حد مصطلح الوثائق المملوكية[1]. وكانت المكتبة تحتل مكانا خاصا هو إحدى خزانات أو قاعات أو حواصل[2] المدرسة المملوكية في مكان متوسط ومناسب من البناء كله بين الإيوانات الأربع التي كانت بها مساكن الطلبة ليسهل الوصول إليها. إذ تقول وثيقة السلطان برسباي الدقماقي الخاصة بالمدرسة الأشرفية

- Creswell, Muslim Architecture of Egypt, Vol. 2,pp. 120 =

جـ- نظرية القاعة المصرية : وتعتمد هذه النظرية على أن نظام المدرسة في مصر مأخوذ من نظام المساكن المصرية (القاعة والدر قاعة) التي تتكون من صحن يحيط به وإيوانان، وواضح أن هذه النظرية تتفق إلى حد كبير مع النظرية الفارسية.

أنظر : أحمد فكري : مساجد القاهرة ومدارسها، جـ٢، ص١٣٧، ١٣٩،

- Creswell, op cit. ,Vol. I,pp.164 I63.

وقد قام الدكتور أحمد فكري بدراسة ومناقشة هذه النظريات ثم خرج بنتيجة تغاير هذه النظريات إذ يرى أن المدرسة منشأة دينية لها شروط خاصة وأن تعريفها مستمد من البيوت المخصصة فيها لسكنى الطلبة والمدرسين. وعلى ذلك قدم تعريفه للمدرسة بأنها **هي المسجد الجامع الذي أقيمت في حرمه بيوت لسكن فريق مختار من الفقهاء والطلاب ورتب لتدريسهم فيه مدرسون بأجر معلوم ووفرت فيه سبل البحث والدراسة والمعيشة وأجريت عليهم الجرايات الوافرة.**

راجع أحمد فكري : المرجع السابق جـ٢، ص ١٦٣، ١٧٣ - ١٧٥، ١٨٣، ١٨٥، ١٩٢.

(١) انظر : الوثائق المملوكية المثبت أسماؤها في فاتحة المصادر آخر الرسالة؛ وأيضا المقريزي : السلوك، جـ١ ص ١٠٤٥؛ راجع كذلك عبد اللطيف ابراهيم: دراسات تاريخية وأثرية في وثائق من عصر الغوري، رسالة دكتوراه غير منشورة جامعة القاهرة، ١٩٥٤، مج ٢، ص ١٤٩؛ زكي محمد حسن : فنون الإسلام، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٤٨، ص ٧١، ١٧٣؛ حسن إبراهيم، تاريخ الإسلام، جـ٤، ص ٦١٦ - ٦٠٧؛ حسن عبد الوهاب تاريخ المساجد، ص١٤؛ عبد الغني عبد العاطي: التعليم في مصر زمن الأيوبيين والمماليك، ص١٧٩.

(٢) الحواصل مفردها حاصل وهو حجرة حبيس أو خلوة أو خزانة وكانت الحواصل تستخدم في العصر المملوكي في عدة أغراض كمخازن للمؤن والبضائع وكخلوات للصوفية وكخزانات للكتب. راجع : وثيقة قاني باي الرماح رقم ١٠١٩ اوقاف، راجع سامي عبد الحليم إمام : آثار قاني باي قرا الرماح، ص ٣٦٨.

بالحريرين ما نصه «.. والقاعة التى بالدهليز الكبير جعلها محلاً لخزانة الكتب الوقف التى وقفها على طلبة العلم بالجامع المعين أعلاه» .[1] كما ورد فى وثيقة السلطان فرج بن برقوق ما نصه« ... بالجانب الشرقى باب يدخل منه إلى بيت بمنافع وحقوق وهو معد لوضع المصاحف والربعات الشريفة وكتب علم .. » [2] . أما وثيقة وقف الأمير عبد الغنى الفخرى الخاصة بمدرسته فقد ذكرت ما نصه « ... ويصدره (أى الدهليز الكبير) يدخل منه إلى خزانة برسم خزن الكتب، والإيوان الغربى يشتمل على خزانتين برسم الكتب وغيرها....» [3] .

وغالبا ما كانت خزانة الكتب فى إيوان القبلة، فقد جاء فى وثيقة السلطان حسن بن قلاوون الخاصة ما نصه« ... والايوان القبلى منه جعله أيضا لاقامة الخطبة ... وجعل البيت الذى على يمنة المصلي فيه مرصدا للخطيب على العادة فيه، وجعل الخزانة المقابلة له لخزن ما عساه أن يكون بالمكان المذكور من المصاحف والربعات الشريفة والكتب على جارى العادة في ذلك»[4] . كما ورد فى وثيقة الأمير صرغتمش الخاصة بالمدرسة الصرغتمشية ما نصه « .... الباب الثالث يجاور الباب الثانى المذكور من الجهة القبلية عليه زوجا أبواب يدخل منه إلى بيت يعرف بخزانة الكتب» [5] . وقد نصت وثيقة الأمير تغرى بردى على ذلك أيضا حيث جاء فيها « ... وأما الخلوة التى بالإيوان القبلى على يسرة المصلى، فإن الواقف المشار إليه جعلها معدة لخزن الكتب على العادة فى مثل

---

(١) وثيقة برسباى، رقم ٨٨٠ أوقاف ، وانظر أيضا محمد عبد الستار عثمان : الأثار المعمارية، ص٨٦ ـ ٨٩ .

(٢) وثيقة السلطان فرج بن برقوق، رقم ٦ ، محفظة ١١ ، دار الوثائق (المحكمة الشرعية) ، وانظر ايضا صالح لمعى مصطفى : الوثائق والعمارة ـ بيروت، دار النهضة العربية (د . ت) ، ص ٢٥ .

(٣) وثيقة الأمير عبد الغنى الفخرى، رقم ٧٢ ، محفظة ١٢ ، دار الوثائق (المحكمة الشرعية) ، وأنظر أيضا محمد محمد الكحلاوى .. مدرسة الأمير عبد الغنى الفخرى، دراسة معمارية ـ رسالة ماجستير لم تنشر بعد ـ جامعة القاهرة، ١٩٨١م .

(٤) وثيقة السلطان حسن بن قلاوون، رقم ٤٠ ، محفظة ٦ ، دار الوثائق، نشر د. محمد محمد أمين، كملحق لكتاب تذكرة النبيه، جـ٣ ، ص٣٨٨ .

(٥) وثيقة الأمير صرغتمش، ٣٣٩٥ أوقاف، نشر د . عبد اللطيف ابراهيم، «نصان جديدان من وثيقة الأمير صرغتمش» ، مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة، مج ٢٧ ، ع ١ ـ ٢ ، ص١٤٣ .

ذلك» (١) . أما وثيقة الجمالى يوسف ناظر الخواص الشريفة(٢) فإنها تذكر ما نصه «... وأما الخزانة اللطيفة التى بيسرة محراب المسجد المذكورة المعدة لخزن الكتب فجعلها مقرا لما سيوضع فيها من الختمات والربعات وكتب الحديث النبوى والعلم الشريف المنسوب إيقاف ذلك لمولانا المقر الجمالى...» (٣) . كذلك تذكر وثيقة قانى باى الرماح أمير أخور كبير(٤) الخاصة بمدرسته ما نصه «.. الخلوة القبلية بالإيوان الكبير الذى بالمحراب معدة لخزن كتب الوقف التى وقفها الواقف المشار إليه. وجعل مقرها المدرسة المذكور(٥)».

وعلى الرغم من أن بعض المدارس قد أتخذت أواوين أخرى كمقار لمكتباتها، إلا إنها كانت أيضا فى مكان متوسط من المدرسة. فمكتبة مدرسة القاضى يحيى زين الدين كانت بالإيوان الشمالى الغربى - البحرى - حيث ذكرت وثيقة وقفه ما نصه «.. الإيوان البحرى وبه أربعة أبواب متقابلة... والرابع يقابله عليه زوجا باب يدخل منه إلى خزانة الكتب(٦)»، وكذلك مكتبة مدرسة قايتباى بالصحراء حيث ذكرت الوثيقة ما نصه «فيتوصل إلى خزانة الكتب عن طريق فتحة فى باب السدلة(٧) اليسرى من الإيوان الغربى». وكانت خزانة

---

(١) وثيقة تغرى بردى، رقم ٩٨، محفظة ١٦، دار الوثائق.

(٢) ناظر الخواص الشريفة من وظائف النظار فى دولة المماليك ويقال له ناظر الخاص، وهى من الوظائف الديوانية الجليلية التى كان يشغلها مدنيون. وكان من يشتغل هذه الوظيفة عليه التحدث فيما هو خاص بمال السلطان من إقطاعة أو نصيبه من أموال الخراج وبلاد الجباية مما ليس من الأموال العامة. أنظر: القلقشندى: صبح الأعشى، جـ٤، ص ٣٨، ٤٤٥؛ انظر ايضا حسن الباشا: الفنون الإسلامية والوظائف، جـ٣ ص

(٣) وثيقة الجمالى يوسف ناظر الخواص الشريفة، محكمة ١٠٥، حفظة ١٦، دار الوثائق.

(٤) أمير آخوركبير هو رئيس أو كبير الأمير آخورية، وكان يشغل هذه الوظيفة أحد الأمراء الكبار وكانت من أكبر الوظائف العسكرية فى البلاط المملوكى. حسن الباشا: الفنون الإسلامية والوظائف. جـ١ ص ١٨٣. وفئة الأميراخورية هى الفئة المتولية أمر الإصطبلات السلطانية وما فيها من الخيول والبغال والإبل. راجع: ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، جـ١٠، ص ٢، المقريزى: السلوك، جـ١، ص٤٣٨

(٥) وثيقة قانى باى الرماح أمير آخور كبير»، أوقاف رقم ١٠١٩، نشر سامى عبد الحليم إمام: آثار الأمير قانى باى قرا الرماح بالقاهرة، دراسة أثرية معمارية، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة القاهرة، ١٩٧٥م.

(٦) وثيقة القاضى يحيى زين الدين، رقم ١١٠ محفظة ١٧، دار الوثائق.

(٧) السدلة هى الستارة المائلة. المعجم الوسيط، جـ٢، ص٤٤٠، ويبدو أن المقصود بها فى الوثيقة هو البوابة اليسرى من الإيوان الغربى.

كتب المدرسة المحمودية تتوسط الإيوانين الجنوبي الشرقي والشمالي الغربي[١]، وتقع بالجهة الجنوبية لدور قاعة المدرسة[٢]. وأما مكتبة المدرسة الاستادارية التي بناها الأمير جمال الدين يوسف الاستادار فكانت تعلو السباط[٣] الذي يربط بين المدرسة وحوض الدواب كما ورد في وثيقة وقفه أنه رتب «.... خازنا لما بالخانقاه المذكورة من الربعات الشريفة والمصاحف وكتب العلم الشريفه وما لعله يتحصل بها من نفائس الأشياء على العادة في مثل ذلك على أن يتسلم المصاحف والربعات والكتب الجارية الوقف ويشهد عليه بتسلمها ويقرها بالإيوان العالي على السباط المذكور أعلاه[٤].

وكانت خزانة الكتب تستخدم للحفظ فقط في الوقت الذي اتخذت فيه الإيوانات الأربع بالمدرسة مجالاً واسعاً للعمل المكتبي من قراءة ونسخ وبحث، لذلك كانت توضع خزانة الكتب في إيوان القبلة أو في مكان متوسط من المدرسة حتى تكون كتبها في متناول جميع المستفيدين من علماء وطلاب دارسين في مختلف الإيوانات. كما أن إيوان القبلة قريب من مساكن الطلبة بالمدرسة الأمر الذي يجعلها سهلة الوصول إليها[٥] هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن المكتبة ينبغي أن يتوافر فيها قسط من الهدوء والبعد عن الضوضاء بما يسمح للمطالعين والمستفيدين بالتركيز والقراءة. لذلك فإن أنسب مكان لها هو إيوان القبلة الذي بالمحراب حيث يرتفع عادة عن أرضية الشارع وبعده في الوقت نفسه عن دورات المياة والرطوبة والمقابر والمدافن[٦].

---

(١) وثيقة قايتباي، رقم ١٦٨ محفظة ٢٥، نشرها الدكتور عبد اللطيف إبراهيم في مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة، مجلد ١٩، جـ٢ (ديسمبر ١٩٥٧م).

(٢) علي أحمد إبراهيم الطايش: العمائر الجركسية الباقية بشارع الخيامية والسروجية. رسالة دكتوراه لم تنشر بعد. جامعة القاهرة، ١٩٨٩، ص ٤٠٨.

(٣) السباط أو الساباط هي السقيفة بين حائطين أو بين دارين ومن تحتها طريق نافذ، وجمعها سوابيط أو ساباطات. انظر: ابن منظور: لسان العرب مج ٢ ص٨٧.

(٤) وثيقة جمال الدين الاستادار، رقم ١٠٦ محفظة ١٧، دار الوثائق، نشر ودراسة وتحقيق محمد عبد الستار عثمان ص ١٦٣، وأنظر أيضا: المقريزي: الخطط، جـ٢، ص ٤٠٢.

(٥) عبد اللطيف ابراهيم: المكتبة المملوكية، ص ٤٠، ٤١، ٤٢.

(٦) وثيقة السلطان برسباي، رقم ٨٨٠ أوقاف؛ أنظر أيضا محمد عبد الستار عثمان: الآثار المعمارية للسلطان الأشرف برسباي لمدينة القاهرة، ص١٣٥؛ علي أحمد الطايش: العمائر الجركسية الباقية بشارع الخيامية والسروجية ص١٦٢.

وكان حجم مساحة خزائن الكتب يضيق أو يتسع حسب حجم مجموعة الكتب وأهميتها والمؤسسة التابعة لها ، وقد لا يتعدى حجم المكان غرفة صغيرة . أما إذا ضاقت خزانة الكتب بما تحتويه من مؤلفات ومصاحف وربعات شريفة نتيجة النمو فى حجم المجموعة المكتبية ، كانت تستخدم خزانة أخرى قريبة منها بنفس المؤسسة[١] . وقد يصل الأمر إلى أن تكون المكتبة مجرد دولاب واحد أو أكثر . وكانت تستخدم الحوائط فى ذلك عن طريق عمل دخلات فيها كدواليب لحفظ الكتب ، لذلك أطلقت عليها الوثائق لفظ كتبيات[٢] .

وقد انتشرت هذه المكتبيات فى العصر المماليكى انتشارا واسعا . فأغلب المكتبات الخاصة ومكتبات الترب والخلاوى كانت عبارة عن كتبيات ، وكذلك بعض مكتبات المساجد والمدارس والخانقوات . ولعل ذلك ما يفسر لنا مصطلح خزانة ، إذ يقال «وجعل بها خزانتين للكتب» . ويذكر ابن تغرى بردى أن الشيخ ناصر الدين شافع الكنانى العسقلانى (ت٧٣٣هـ/١٤٣٢م) كان «جماعا للكتب خلف ثمانى عشرة خزانة نفائس أدبية وغيرها»[٣] . وأما لفظ الكتبيات فقد ورد صراحة فى معظم الوثائق المملوكية إذ تقول وثيقة السلطان برسباى الدقماقى «... وأما دور القاعة فمفروشة بالرخام وبها خمسة أبواب .. والرابع والخامس كتبيتان»[٤] كما ورد في وثيقة حسن بن قلاوون ما نصه «... وباب يدخل إلى مكان بصدره محراب وخزانتان كتبيتان ، وعلى يسرة الساير فيه بابان يدخل كل منهما إلى بيت به شباك مطل عيل الطريق يقابلها خزانتان كتبيتان»[٥] . أما وثيقة الأمير آخور كبير قرقاجا الحسنى فتذكر ما نصه «وبالإيوان المذكور أى الإيوان القبلى كتبية»[٦] كما نصت وثيقة الغورى على ذلك أيضا ، فتذكر فى معرض وصفها للخانقاه

---

(١) وثيقة السلطان برسباى ، رقم ٨٨٠ أوقاف ؛ وثيقة الغورى رقم ٨٨٣ أوقاف .

(٢) وثيقة الأمير آخور كبير قراقاجا الحسنى دراسة وتحقيق ونشر عبد اللطيف إبراهيم على «مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة» ، مج ١٨ ، ديسمبر ١٩٥٦م ص٢٢٦ - تحقيق ٤ ، رقم ١٨ ، وما به من مصادر . وجدير بالذكر أن هذا الاستغلال للحوائط يشاهد الآن بصورة واسعة الانتشار فى العمارة الحديثة .

(٣) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، جـ٩ ، ص٢٨٥ .

(٤) وثيقة السلطان برسباى ، رقم ٨٨٠ أوقاف .

(٥) وثيقة السلطان حسن ، رقم ٨٨١ أوقاف .

(٦) وثيقة الأمير اخور كبير قرقاجا الحسنى - نشر عبد اللطيف إبراهيم ، ص ٢٠٠

الغورية ما نصه «وبها ثمانى كتبيات متطابقة وخلوة برسم المصحف والربعات الشريفة»[١].

وقد حرص منشئو المكتبات فى العصر المماليكى على تزويد مكتباتهم بوسائل التهوية ذلك أن توافر الهواء النقى الذى يتجدد باستمرار يساعد على توفير جو صحى يتح للمستفيدين استخدام المكتبة ومصادرها فى جو منعش وبدون مضايقات أو إحساس بكثافة الهواء. كذلك الحال بالنسبة للإضاءة الطبيعية، فهى تتيح القراءة والنسخ فى جو طبيعى لا يرهق البصر. لذلك اشتمل التصميم المعمارى للمؤسسات المملوكية التى تشتمل على مكتبات على الشبابيك والبازهنجات[٢]، وغيرها من وسائل الإضاءة.

وبالإضافة إلى ذلك، كانت دور القاعة[٣] تمد المؤسسة والخانقاه بالهواء صيفا والشمس شتاء، وتشد عليها شبكة من النحاس لمنع الطيور وما عساه يسقط لتوفير أكبر قسط من الراحة وعدم الإزعاج للمترددين وكذلك كانت الشبابيك ذات المصاريع الخشبية تستخدم فى التهوية والإضاءة عند الحاجة إليها، فقد نصت إحدى الوثائق المملوكية على ذلك «.... شبابيك برسم النور والهوى»[٤]. وكانت الشبابيك الشمالية تسمح بالنسيم وأما الشرقية

---

(١) وثيقة الغورى، رقم ٨٨٣ أوقاف.

(٢) البازهنجات واحدتها باذاهنج وقد ورد اللفظ بالدال فى بعض الوثائق وهى كلمة فارسية معناها منفذ التهوية، ويوجد الباذاهنج فوق أسطح العمائر فهو أشبه «بالشخشيخة»، ويستخدم فى التهوية والإضاءة، والبازهنجات لها أشكال مختلفة بحيث تسمح بالشمس شتاء والنسيم صيفا، وقد توجد على فتحة البازاهنج شبكة من النحاس. راجع عبد اللطيف إبراهيم: وثيقة الأمير آخور كبير قراقجا الحسنى، دراسة وتحقيق ونشر، مجلة كلية الآداب. جامعة القاهرة، مج ١٨، جـ٢ (ديسمبر ١٩٥٦م) ص٢٢٨، تحقيق ٢٢، وراجع ايضا: وثيقة الغورى، رقم ٨٨٣ أوقاف؛ وثيقة طومان باى، رقم ٨٨٢ أوقاف؛ وثيقة خايربك، رقم ٢٥٦ محكمة، وثيقة قايتباى، رقم ٨٨٥ أوقاف؛ وثيقة قلاوون، رقم ١٠١٠ أوقاف؛ المقريزى: الخطط: جـ٢ ص٢٢٢؛ ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، جـ٩، ص٦٧، جـ٢، ص٧٦، جـ٢.

(٣) الدور قاعة هى المكان الذى يقع بين إيوانين متقابلين فى قاعات البيت الإسلامى، وهى مسقفة وهو فى الغالب. وإما سماوية بدون سقف، كما كان يطلق لفظ الدور قاعة على الصحن الأوسط بالمساجد والمدارس ذات التخطيط المتعامد (الشكل الصليبى) راجع: وثيقة الغورى رقم ٨٨٣ أوقاف؛ وثيقة قانى باى قرا الرماح، رقم ١٠١٩ أوقاف؛ راجع أيضا سامى أحمد عبد الحليم إمام: آثار الأمير قانى باى قرا الرماح بالقاهرة، ص٣٢٤.

(٤) وثيقة الجمالى يوسف بن تغرى بردى، رقم ٣١٢، محفظة ٤٦، دار الوثائق.

والجنوبية فكانت تسمح بالشمس والدفء[١]. وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على مدى تقدم التصميم المعمارى فى مصر آنذاك.

وإذا كانت الكتب توضع فى خزانة لا نجد فيها عادة إلا شباكا حديديا صغيرا فى أعلاها، فذلك حتى تكون بعيدة عن أشعة الشمس المباشرة فلا تضر بالكتب وجلودها فإن عملية القراءة والنسخ والدراسة كانت تتم فى الإيوانات والدور قاعة نهارا فى الأوقات المحددة لذلك فى وثائق الوقف[٢]، أما فى الليل فكانت تتم القراءة فى بيوت الطلبة الملحقة بالمدرسة[٣]. ولذلك يرد فى كثير من الوثائق[٤] ذكر القناديل والثريات[٥] وما تحتاجه من زيت الزيتون الطبيعى وغيره أو موكبيات من الشمع المسبوك على القطن المفتول فى شمعدان من النحاس المكفت لأجل الإضاءة[٦].

وإذا كانت مكتبات العباسيين فى بغداد والفاطميين فى مصر قد اشتملت على قاعات وحجرات خاصة بالعاملين وأخرى بالمجموعات وثالثة خاصة بالرواد والمستفيدين، هذا فضلا عن المرافق التى أعدت لخدمة المقيمين منهم بالمكتبة، فذلك لأن هذه المكتبات كان لها مبان خاصة كدار العلم الفاطمية، وبيت الحكمة العباسية، ودار العلم الطرابلسية. لكن الوضع هنا يختلف، فالمكتبات المملوكية كانت ملحقة بمؤسسات أخرى تقوم على خدمة روادها. ومع ذلك فقد أفادت هذه المكتبات المملوكية من مرافق وملاحق تلك

---

(١) عبد اللطيف إبراهيم : المكتبة المملوكية، ص٤٤.

(٢) وثيقة الأمير صرغتمش رقم ٣١٩٥ أوقاف، وثيقة الامير جمال الدين يوسف الاستادار، رقم ١٦، محفظة ١٧، دار الوثائق.

(٣) كان من مكملات المدرسة فى العصر المماليكى إنشاء بيوت خاصة للطلبة ملحقة ببناء المدرسة، وهى تشبه المدن الجامعية اليوم مع الفارق الكبير فى وفرة الخدمات التى تقدمها للطلبة الساكنين بها بتوفير جو من الهدوء والراحة والنظام. راجع : المقريزى : الخطط، جـ٢، ص٣٧١، ٣٧٩؛ النباهين : نظام التربية الإسلامية، جـ٣١٦.

(٤) وثيقة حسام لاجين، رقم ١٧ محفظة ٣، المحكمة الشرعية؛ وثيقة محمد بن قلاوون رقم ٢٥، محفظة ٤ (محكمة)، نشر محمد محمد أمين؛ وثيقة بيبرس الجاشنكير رقم ٢٣، محفظة ١٤ وثيقة تغرى بردى، رقم ٩٨، محفظة ١٦؛ وثيقة الجمالى يوسف، رقم ١٠٥، محفظة ١٦؛ وثيقة عبد الرحمن الزواوى، رقم ٢٥٣ محفظة، ٤٠، نشر عبد اللطيف إبراهيم؛ وثيقة قانى باى الرماح رقم ١٠١٩ أوقاف؛ وثيقة المؤيد شيخ، ١٩٣٨ أوقاف.

(٥) الثريات هى الكواكب وواحدتها ثريا وقد سميت كذلك لكثرة نورها، وهى تطلق على إحدى أدوات الإضاءة مثل القناديل : انظر : ابن منظور : لسان العرب مج ١، ص ٣٥٧.

(٦) عبد اللطيف إبراهيم : المرجع السابق، ص ٤٤.

المؤسسات فى آداء رسالتها. فبالإضافة إلى خزانة الكتب التى كانت تستخدم فى الحفظ فقط، كانت تستخدم إيوانات المدارس والخانقاوات والمساجد وغيرها من المؤسسات تستخدم فى القراءة والبحث والاطلاع والمراجعة، فضلا عن العمليات المكتبية الأخرى(١).

وقد خصصت بعض المكتبات **حجرات لإقامة العاملين بها** حيث أورد السخاوى فى الجواهر والدرر أن ابن حجر العسقلانى الذى تولى خزانة المدرسة المحمودية كان يقيم بها(٢) وكانت حجرته تقع بالدور الأرضى جنوب غرب الدور قاعة(٣). هذا وقد أفادت بعض المكتبات من تبعيتها لمؤسسات أخرى من التسهيلات التى كانت تتيحها هذه المؤسسات كالمطبخ والمزملة(٤) والنظافة والحراسة، فضلا عن الرعاية الطبية وإقامة الرواد الأجانب أو الغرباء وبعض النساخ الذين تفرغوا أو انقطعوا للخدمة بالخزانة(٥).

فإذا تركنا المبنى وما يتصل به من موقع مناسب لآداء الخدمة وجودة التهوية والإضاءه وانتقلنا إلى **التجهيزات الخاصة بالمكتبات** نجد أن المماليك قد اهتموا بالمبنى وملحقاته كما اهتموا كذلك بالأثاث والأدوات الخاصة بحفظ المجموعات وصيانتها وتسهيل استخدامها وتداولها، وذلك حتى تكون المكتبات مهيأة تماما لاستقبال الرواد والعمل على راحتهم، فضلا عن راحة العاملين بها، وتشمل هذه التجهيزات البسط والحصر والفرش والستور والصناديق والرفوف المستخدمة فى حفظ الكتب وغيرها من الموارد وكراسى الكتب، والأدوات الكتابية كالأوراق والأقلام والأحبار، والأدوات المستخدمة فى إعداد المجموعات وتسجيلها وصيانتها.

---

(١) انظر الفصل الثالث الخاص بالعمليات الفنية من تزويد وفهرسة وتصنيف جرد وصيانة.

(٢) السخاوى : الجواهر والدرر فى تراجم ابن حجر، مخط، ورقة ١٣٨ ظهر.

(٣) على أحمد الطايش : العمائر الجركسية الباقية بشارع الخيامية والسروجية ص١٦٥.

(٤) المزملة هى بيت الأزيار- جمع زير- أو المزيرة، والمزملاتى هو الرجل الذى يقوم بتسبيل الماء فى المزملة أو فى السبيل. راجع وثيقة قانى باى الرماح رقم ١٠١٩ أوقاف؛ وثيقة فرج بن برقوق رقم ٦٦ محفظة ١١، وثيقة الجمالى يوسف ناظر الخواص الشريفة؛ رقم ١٠٥ محفظة ٦٦، وثيقة السلطان الغورى، ٨٨٣ أوقاف، راجع أيضا : عبد اللطيف ابراهيم: نصان جديدان من وثيقة الأمير صرغتمش، ص ١٥١، تحقيق ٣٤.

(٥) وثيقة حسام لاجين، رقم ١٧، محفظة ٣؛ وثيقة بيبرس الجاشنكير، رقم ٢٣، محفظة ٤ وثيقة تغرى بردى رقم ٩٨. محفظة ١٦، وثيقة السيفى مغطاى، رقم ٦٨، محفظة ١١ ٠ دار الوثائق (المحكمة الشرعية).

وتنص العديد من الوثائق[١] على أن إيوانات المدارس والمساجد- التى كانت بمثابة قاعات للقراءة والمطالعة والنسخ والمعارضة والدراسة- كانت تفرش أرضيتها بالبسط أو الحصر[٢] والسجاجيد. إذ تقول وثيقة الأمير صرغتمس ما نصه: «... ويجعل فى بعض ذلك ما يكون بالمدرسة المذكورة حاصلا من القناديل والزيت والحصر والبسط وذلك ليمنع الداخل اليها من المشى على الرخام بنعله..»[٣].

ويذكر المقريزى أن المدرسة الإقبغاوية قد فرشت بالبسط الذى بلغ ثمنها ستة آلاف درهم فضة[٤]. وعلى الرغم من افتراش الأرض باستخدام السجاجيد أو البسط أو الحصر أو المراتب وغيرها، والجلوس عليها فيما يعرف بالجلسة الشرقية أو العربية كان أمرا شائعا فى المؤسسات التعليمية والتربوية إبان العصر المماليكى، إلا أنه قد وجد فى بعض المكتبات المملوكية كراسى للجلوس عليها حيث تنص وثيقة الإبشادى على أنه من جملة ما أوقفه على مكتبة الجامع الأزهر ثلاثة كراسى من الخشب إحدها مذهب والثانى مخرم والثالث سادج [٥].

---

(١) وثيقة فانى باى الرماح، رقم ١٠١٩ أوقاف؛ وثيقة بيبرس الجاشنكير، محكمة ٢٣، محفظة؛ وثيقة الجمالى يوسف محكمة ١٠٥ محفظة ١٦؛ وثيقة الامير صرغتمش، رقم ٣١٩٥ أوقاف؛ وثيقة حسن بن قلاوون، ٨٨١ أوقاف؛ وثيقة الغورى، ٨٨٣ أوقاف؛ وثيقة بدر الدين الوفائى، محكمة ٣٢١، محفظة ٣٥.

(٢) هناك أنواع كثيرة من الحصر، فمنها الأبيض المنسوج على خيط الكتاب، وهو من أحسن الأنواع. وهناك أيضا القبطبانى والسماوى ولكنهما أقل جودة من الحصير العبدانى الذى كان يصنع بالإسكندرية وكان الأكثر استخداما فى المكتبات المملوكية. انظر: حسن عبد الوهاب: تاريخ المساجد الأثرية ص١٩٣ حاشية ٤؛ عبد اللطيف إبراهيم: وثيقة الآمير آخور كبير. ص٢٤٤ تحقيق ٨٢؛ المقريزى: السلوك، جـ١، ص٤٧١ حاشية ٦، ص٤٩٧ محاشية٣.

(٣) وثيقة صرغتمش أوقاف رقم ٣١٩٥ نشر د. عبد اللطيف إبراهيم، ص ١٤٥ ـ ١٤٦؛ حيث كانت تفرش أرضية المدارس بالرخام الثمين المختلف الأنواع والألوان. انظر: عبد اللطيف إبراهيم: الوثائق فى خدمة الآثار. ص ٢٣، حاشية ١ وما بها من مصادر.

(٤) المقريزى: الخطط. ج٢، ص٣٨٤.

(٥) وثيقة الإبشادى: نشر عبد اللطيف إبراهيم ص٤٥.

هذا وقد بحثنا عن تفسير لمعنى كلمة سادج فى القواميس العربية فلم نهتدى إلى شيء، ويبدو أن المقصود بها فى هذا السياق هو نوع من أنواع الكراسى عرفَ فى مصر إبان العصر الإسلامى الوسيط.

وكان الفراشون بالمدارس وغيرها من المؤسسات التعليمية يقومون بتعليق الستائر أو السحابة من القماش السميك عيل دور قاعة المؤسسة فى الصيف وأوقاف الحرارة الشديدة أو الغبار وغيره، ويرفعونها فى الشتاء لكى تصل أشعه الشمس فتبعث الدفء فى أنحاء المؤسسة بما فى ذلك مكتبتها بطبيعة الحال[١].

وفضلا عن الكتبيات والدواليب التى أسلفنا إليها، استخدمت المكتبات المملوكية الصناديق والرفوف الخشبية فى حفظ الكتب وخزنها ونقلها من مكان لآخر. وكانت صناديق الكتب هذه من الخشب أو الخشب المصفح بالنحاس والمكفت بالذهب والفضة، وكانت بعض هذه الصناديق الخاصة بالمصاحف والربعات الشريفة تقسم من الداخل لوضع أجزاء الربعة فيها. وكثيرا ما كان يكتب اسم السلطان أو الأمير وألقابه عيل جوانب الصندوق الخشبى بالألوان المختلفة وخاصة الذهب[٢].

ويحتفظ المتحف الإسلامى بالقاهرة بعدد غير قليل من صناديق الكتب التى كانت تستخدم فى المكتبات إبان العصر المملوكى. نذكر منها على سبيل المثال ما يلى:

- صندوق مصحف مصفح بالنحاس الأصفر، مزين بكتابات ونقوش قرآنية ومكفت بالذهب والفضة (رقم ١٨٣).

- صندوق مصحف خشب (رقم ١٤٣٦) برسم مصحف الغورى، وآخر مغلف بالجلد رقم ٤٩١، وكانا يستخدمان فى مدرسته.

- صندوق مصحف من الخشب السداسى الشكل رقم ٢٥٢، وهو برسم مدرسة خوند بركة أم السلطان شعبان بن حسين.

- صندوق مصحف برقم ١٤٠٩٥ باسم السلطان قايتباى كان يستخدم فى مدرسة بالصحراء.

- صندوق مصحف مكسو بالجلد رقم ٢٧٩٨.

---

(١) وثيقة الغورى، رقم ٨٨٣ أوقاف، انظر أيضا : عبد اللطيف إبراهيم : المكتبة المملوكية، ص٤٤ .

(٢) عبد اللطيف إبراهيم : المرجع السابق، ص٦٠ . ويورد المقريزى ذكر سوق يدعى سوق الصناديقين، وكانت تصنع فيه وتباع الصناديق وخزائن الكتب الخشبية. راجع المقريزى : الخطط، جـ٢، ص١٠٢ .

وقد استخدمت فى بعض المكتبات رفوف خشبية حائطية كانت تثبت فى جدارن البيت أو الحجرة المتخذة خزانة لوضع الكتب عليها بعيدا عن الأرض كى لا تندى أو تبلى كما يقول ابن جماعة[١]، ولتيسير استرجاع أيا منها فى أقل وقت وبأيسر الطرق وذلك بواسطة الخازن أو الأمين حيث إنه لم يكن يسمح للمستفيد بدخول الخزانة نفسها[٢]. ومن المكتبات التى استخدمت الرفوف مكتبة مدرسة القاضى يحيى زين الدين، فقد ورد فى وثيقة وقفه مانصه « خزانة كتب . بها رفوف خشب برسم الكتب الموقوفة بالجامع المذكور»[٣]، ومكتبة المدرسة الغورية فقد ذكرت وثيقة وقفه ما نصه «... وبها خلوة كبرى معدة لخزن الكتب وبها جلبات خشب نقى يمنة ويسرة وصدرا مثبته معدة لحفظ ما فيها من كتب العلم الشريف الموقوفة على طلبة العلم الشريف لانتفاعهم بها فى المدرسة المذكورة»[٤].

وفى بعض المكتبات كان المناول أو الخازن يستخدم سلما خشبيا مروحيا فى إحضار الكتب من على الأرفف المرتفعة وارجاعها إلى مكانها[٥] وللحفاظ على الكتب وصيانتها استخدمت بعض المكتبات - خاصة الملحقة بالمساجد والخانقاوات وغيرها، ما يسمى بكرسى الكتب، وكان يستخدمه كل من القارىء والناسخ. فيذكر ابن جماعة أن من آداب نسخ الكتب ومطالعتها عدم وضع الكتاب على الأرض مفروشا منشورا بل يجعله على كرسى الكتب[٦]. وهذا الاجراء إلى جانب كونه دليلا على احترام الكتب يهدف فى ذات الوقت إلى صيانتها ،ويحتفظ المتحف الإسلامى بالعديد من كراسى الكتب، منها

---

(١) ابن جماعة : تذكرة السامع والمتكلم فى أدب العالم والمتعلم، ص ١٧٠ .

(٢) انظر ص ١٩٩ - ٢٠٢ من الكتاب.

(٣) وثيقة القاضى يحيى زين الدين، رقم ١١٠ ، محفظة ١٧ ، دار الوثائق.

(٤) وثيقة الغورى، ٨٨٣ أوقاف، وانظر ايضا : وثيقة برسباى رقم ٨٨٠ أوقاف، وثيقة السلطان حسن بن قلاوون ٨٨١ أوقاف، وثيقة حسام لاجين رقم ١٧ ، ١٨ ، محفظة ٣.

(٥) على الطايش : العمائر الجركسية ص١٦٢ .

(٦) ابن جماعة : تذكرة السامع والمتكلم ، ص ١٧٠ .

أربعة كراسي كانت تستخدم فى خزانة كتب جامع المؤيد شيخ [١] وهناك كرسي [٢] عليه كتابات مؤرخة سنة ٨٨٧هـ، وكان يستخدم فى مكتبة مدرسة الأمير قاجماش الإسحاقى.

وقد استخدمت المكتبا ت المملوكية على اختلاف أنواعها وأحجامها الأدوات الكتابية فى عملية النسخ، كالحبر والورق والأقلام والمساطر والبراكر [٣] والدوى [٤]. وكانت هذه الأدوات معدة لاستخدام النساخ الذين يعملون فى المكتبة أو المؤسسة الأم فضلا عن استخدامها من قبل الرواد والمستفيدين [٥]. كما استخدمت المكتبات أدوات التجليد والصيانة والترميم، وذلك لصيانة الكتب وترميمها والمحافظة عليها. فكانت من واجبات خازن الكتب ترميم شعث الكتب وحبكها كما يقول السبكى [٦]. وقد نصت الوثائق على تزويد المكتبات بما يلزمها من كتب وورق وحبر وأقلام وغيرها من أدوات الكتابة والتجليد والترميم [٧].

وبالإضافة إلى هذه الأدوات وجد فى المكتبات المملوكية نوع آخر من الأدوات يمكن أن نطلق عليه أدوات إعداد الكتب، وهى التى تستخدم لأغراض إثبات ملكية المكتبة لكتبها كالأختام والسجلات وغيره. وأغلب الكتب التى وصلتنا من العصر المملوكى عليها أختام أو توقيعات تثبت ملكية أصحابها لها. وتختلف الأختام فى شكلها وحجمها فمنها المستدير ومنها البيضاوى ومنها المربع، وبعضها صغير الحجم، وأخرى ذات أحجام كبيرة.

---

(١) تحمل هذه الكراسى أرقام: ١٠٧٥، ١٠٧٦، ١٠٧٨، ١٠٧٩.

(٢) يحمل هذا الكرسى رقم: ٤٩٠.

(٣) البراكر جمع بركار وهى آلة ذات ساقين ترسم بها الدوائر وتعرف بالبيكار. أنظر: البغدادى: الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع، جـ١، ص٢٥٢ ـ ٢٥٧.

(٤) الدوى جمع دواة ويقال لها المحبرة وهى الآنية التى يجعل فيها الحبر من خزف كان أو قوارير. انظر ابن منظور: لسان العرب جـ١٦، ص ١٦٤ ـ ١٦٢.

(٥) وثيقة جمال الدين يوسف الاستادار محكمة ١٠٦ محفظة ١٧، وثيقة برسباى ٨٨٠ أوقاف، وثيقة الإبشادى محكمة ٢٧٨ محفظة ٤٣، وثيقة السلطان حسن ٨٨١ أوقاف.

(٦) السبكى: معيد النعم ومبيد النقم، ص١١١، وانظر ص٢٨ ـ ٢٩ من الفصل.

(٧) وثيقة جمال الدين يوسف الاستادار محكمة ١٠٦ محفظة ١٧؛ وثيقة برسباى، ٨٨٠ أوقاف؛ وثيقة الابشادى، محكمة ٢٧٨ محفظة ٤٣؛ وثيقة السلطان حسن ـ ٨٨١ أوقاف.

وعـادة مـا نجد فيـهـا اسم الواقف أو اسم المكان التى وقفت عليه[١] وقد نجد فى بعضها مضافا إلى الختم نص الوقفية[٢]، وقد نجدها عوضا عنها فى بعض الأحايين[٣]. وهناك العديد من الكتب التي وصلتنا تحمل أكثر من تمليكة مما يدل على انتقال مثل هذه الكتب بين أكثر من خزانة[٤]، وهى تعد بلا شك مصدراً خصباً لدراسة تاريخ حياة الكتاب ومدى أهميته العلمية وشهرته.

وتحتفظ المكتبة الأزهرية بالقاهرة بمعظم موجودات خزانة الإبشادى الخاصة التى كان قد وقفها على خزانة الجامع الأزهر فى أواخر دولة المماليك الجراكسة. ويلاحظ أن جميع كتبها قد ختمت بخاتم دائرى فيه ما نصه «من نعم الله على الإبشادى المالكى». وجدير بالذكر أن وثيقة وقفه قد أكدت على ضرورة ختم الكتب المشتراه حديثا من قبل ناظر الوقف بخاتم الواقف فقد ذكرت ما نصه «وأن جميع ما يشتريه كاتبه لجهة وقفه المذكورة ويكتسب عليه علامة وقفه المذبه عليها ويضعه مع كتب وقفه..»[٥].

وكإجراء مكمل لختم الكتب وإثبات ملكيتها استخدمت المكتبات ما يعرف بالثبت[٦] أو السجل لتسجيل محتويات المكتبة وقد كان من واجبات خازن الكتب عند تسلمه للعمل فى الخزانة أن يقوم باستلام الكتب من سلفه أو من الناظر على الوقف وتسجيلها فى ثبت كان يحتفظ بنسخة منه، ويقوم بتسجيل ما يستجد من كتب فى هذا الثبت الذى كان يستخدم عادة فى أعمال الجرد[٧].

---

(١) أنظر الملحق الأول، لوحات أرقام ١، ٢، ٥، ٨، ١٠، ١١. بآخر الكتاب.

(٢) انظر الملحق الأول، لوحات أرقام ١، ٢، ٥، ٨، ١١، بآخر الكتاب.

(٣) أنظر الملحق الأول، لوحات أرقام ٣، ٤، ٦، ٧، ٩، ١٢، بآخر الكتاب.

(٤) مثل كتاب الوافى بالوفيات للصفدى الذى يحمل ثلاث تمليكات إحداهما «برسم خزانة مدرسة بشبك بن مهدى الداودار» والثانية «برسم خزانة كتب محمود بن العربى الشافعى» والثالثة «من كتب يحيى من حجى الشافعى سنة ٨٧٣هـ» راجع صلاح الدين المنجد: الكتاب العربى المخطوط، جـ١، لوحة رقم ١٧٦، والصفدى: الوافى بالوفيات، جـ١ ص ب، وانظر أيضا: الملحق الأول، لوحة ١٠ بآخر الكتاب.

(٥) وثيقة عيل الابشادى، رقم ٢٧٨ محفظة ٤٣، نشر عبد اللطيف ابراهيم ص١٣.

(٦) الثبت هو الحجة أو الصحيفة يثبت فيها الأدلة، ويقال أثبت الكتاب أى سجله.
أنظر ابن منظور: لسان العرب جـ٢، ص١٨، مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط. جـ١، ص٩٣.

(٧) لقد عالجنا موضوع التسجيل والسجلات فى الفصل الثالث. راجع ص ١٧٤ ـ ١٧٦ من هذا الكتاب.

وهكذا كان يتم تجهيز المكتبات المملوكية بالتجهيزات المناسبة للاحتياجات الأساسية للخدمة المكتبية. ولتسهم المبانى والتجهيزات معا فى تسهيل استخدام المكتبة من قبل العاملين بها وروادها فضلا عن راحتهم ورفاهيتهم، ولكى تحقق المكتبات أهدافها وتقدم التسهيلات المناسبة للعاملين بها وروادها وتقوم بأداء التزاماتها ووظائفها على الوجه الأكمل ـ كان لابد من تدبير الموارد المالية الكافية للإنفاق عليها.

٢ ـ الموارد المالية ووجوه الإنفاق :

وعلى الرغم من أن المصادر التاريخية تزخر بالحديث المدعم بالأرقام عن ثروة المماليك، إلا أنها لا تقدم لنا أية أرقام أو معلومات تفصيلية عن الإيرادات المخصصة للمكتبات أو موارد إنفاقها إلا ماندر، أو ذكر عرضا، ورغم كثرة المصادر التى أرخت للعصر المملوكى وتعدد موضوعاتها إلا أنها لم تقر لنا ميزانية واحدة مفصلة عن إحدى خزائن الكتب المملوكية. وما نحاوله فى هذه الفقرات هو محاولة استنطاق النصوص المتاحة بخصوص ما ورد عن الإيرادات والمصروفات الخاصة بالمكتبات ولو بشكل عرضى بين ثنايا السطور.

سبق أن ذكرنا أن مصر تمتعت بمركز اقتصادى مرموق فى العصر المملوكى إذ استهرت بثرواتها الطائلة لازدهار التجارة الداخلية والخارجية والانتعاش الذى شمل جميع مرافق الحياة من زراعة وتجارة وصناعة. وقد اهتم المماليك بتنظيم تحصيل إيرادات الدولة. وكانت تتكون ـ عادة ـ من مصادر عدة منها : الضرائب سواء كانت على الأرض أو المعادن وغيرها، ومنها الزكاة والجزية، والزكاة التى لا وارث لها، والرسوم الجمركية التى تجبيها الحكومة على عروض التجارة الواردة على الموانى المصرية والمصادرة منها[1]. ولم يبخل المماليك نتيجة لهذا الانتعاش الاقتصادى على مؤسساتهم العلمية والدينية والتربوية بما فيها المكتبات. فرصدوا لها الأموال العامة والخاصة وحبسوا عليها الأوقاف، وقد عبرت الأوقاف السخية على المكتبات وغيرها من الأموال والهبات عن

---

(١) انظر : ٥٠ ـ ٥١ من هذا الكتاب.

التقدير الحقيقى لكرامة العلم والعلماء، والإيمان بأهمية الدور الذى تؤدية المكتبات كمؤسسات تربوية تعليمية، فنتجت عن ذلك نهضة تعليمية مكتبية كانت من مفاخر ذلك العصر.

ويعد الموقف [١] المورد المالى الرئيسى للمكتبات المملوكية، وربما فاق ما رصده المماليك من أموال عامة للانفاق عيل المكتبات. وقد انتشر الوقف فى العصر المملوكى على المؤسسات الدينية والعلمية. وكانت له أسبابه المتعددة[٢]، منها ما يتعلق بالشعور الدينى. الذى ساد المجتمع المصرى إبان عصر المماليك. فمعظم الوثائق تذكر فى مقدمتها عبارات تدل على هذا الإحساس وعلى أن العامل الدينى له أثره فى اتجاه الناس إلى الإقبال على الوقف باعتباره من القربات الدائمة، والصدقات المستمرة. لذلك كانت أغلب الأوقاف على المؤسسات الدينية بما فيها المكتبات الملحقة بها[٣]. كذلك أدى إعفاء الأوقاف من الخراج والضرائب إلى أنتشار الأحباس. ويبدو أن الظروف القلقة التى اجتاحت البلاد لاسيما فى نهاية العصر المملوكى دفعت أصحاب الثروات إلى وقف أملاكهم على وجوه الخير ومرافق البر، وهم بذلك يحمون أملاكهم من المصادرات ويضمنون موردا اقتصاديا ثابتا من ريعها الوافر لانفسهم ولأولادهم وذريتهم عن طريق النظر عليها إلى جانب اكتساب الأجر والثواب. كما أدت المنافسة وحب الظهور بين السلاطين والأمراء، وغيرهم من عليه القوم، والتودد إلى الشعب لإرضائه، إلى إنشاء المؤسسات الدينية، ومنها المكتبات وحبس الأوقاف الكثيرة ذات الريع الوافر ليصرف عليها.

وتتمثل هذه الأوقاف فى منازل وحوانيت وبساتين وأرض وخلافها، تؤجر ويستغل

---

(١) الوقف معناه فى اللغة الحبس مطلقا وهو مصدر، وقفت الشيء أى حبسته، وهو فى اصطلاح فقهاء الدين والقانون حبس العين وتسبيل ثمرتها أو منع التصرف فى رقبة العين مع بقاء عينها وصرف المنفعة على جهات البر والخير حسب شروط الواقف. انظر : محمد محمد امين : الأوقاف والحياة الاجتماعية فى مصر، ص١١.

(٢) بتصرف عن : عبد اللطيف إبراهيم على : دراسة آثارية فى وثائق من عصر الغورى جـ١، ص١٢٤ ـ ١٢٨؛ محمد محمد أمين : الأوقاف والحياة الاجتماعية فى مصر ص ٧١ ـ ٩٨.

(٣) أنظر الوثائق المثبت بياناتها فى صدر قائمة المصادر والمراجع بآخر الكتاب.

ريعها للصرف والإنفاق على شؤن المؤسسة بما فيها المكتبة حسبما تحدده وثيقة الوقف. وتحتفظ دور الأرشيف بالقاهرة بالعديد من الوثائق الوقفية[١] التى تزخر بالمعلومات الخاصة بالوقف على المؤسسات الدينية والتعليمية والتربوية. وقلما نجد سلطانا أو أميرا إلا وله وثيقة وقف أو أكثر على مؤسسة دينية علمية حتى ولو لم يكن منشئها[٢].

ولبيان أهمية الوقف كمورد مالى للمكتبة المملوكية نورد بعض الأمثلة التى توضح تنافس المماليك فى هذا المجال. وقد بلغ ريع الأوقاف الخاصة بالبيمارستان المنصورى ـ بما فى المكتبة ـ ألف دينار كل يوم[٣]. ويذكر السخاوى أن الفائض من ريع أوقاف البيمارستان بلغ عام ٨٥١هـ/١٤٤٧م، أى بعد مرور ما يقرب من قرنين على إنشائه، حوالى أربعة عشرة ألف دينارا[٤]. ولم لا وقد كان «البيمارستان يستقبل أربعة ألاف مريضاً فى اليوم، وكل حاجات المريض متوفرة فيه من الأشربة والأكحال واللبوس[٥].

أما مدرسة السلطان حسن بن قلاوون، فقد بلغ جملة المصروفات الخاصة بأرباب الوظائف فقط حوالى ستة وأربعين وخمسمائة وخمسين درهما (٥٥٠ر٤٦) شهريا حسب ما ورد فى وثيقته، تدفع جميعها من ريع الأوقاف[٦]. وكذلك بلغ جملة الأراضى الزراعية التى وقفها الأمير سودون من زادة على مدرسته حوالى ألفين وستمائة وست عشرة فدانا (٢٦١٦)، هذا إلى جانب بستان للأنشاب[٧] وقطعة من الأرض المخصصة

---

(١) انظر محمد محمد أمين: فهرست وثائق القاهرة حتى نهاية عصر سلاطين المماليك، القاهرة المعهد العلمى الفرنسى للآثار الشرقية، ١٩٨٠م.

(٢) يبلغ عدد وثائق الغورى على سبيل المثال التى وصلتنا والمحفوظة بأرشيف وزارة الأوقاف بالقاهرة ٢٩٠ وثيقة وقف. أنظر محمد محمد أمين. المصدر السابق.

(٣) ابن بطوطة: الرحلة، ص٣٢.

(٤) السخاوى: التبر المسبوك، ص١٨٧.

(٥) سعيد زغلول عبد الحميد «ملاحظات عن مصر كما رآها ووصفها الجغرافيون والرحالة المغاربة فى القرنين السادس والسابع للهجرة»، مقال بمجلة كلية الآداب، جامعة الاسكندرية، مج٨، ١٩٥٤، ص١١٠.

(٦) ثائق وقف السلطان حسن بن قلاوون، أرقام ٤٠، محفظة ٦، ٣٦٥٤، محفظة ٨٥، رقم ٨٨١ أوقاف، أنظر أيضا: محمد محمد أمين: وثائق مصاريف السلطان حسن، ملحق تذكرة النبيه، جـ٣، ص٣٦٦.

(٧) الأنشاب هي الأشجار التى تؤخذ منها عصى السهام التى تستخدم فى القتال.

للبناء تبلغ ألفى ذراع[١]. ووفقا لوثيقة جمال الدين الاستادار، فقد بلغ جملة مصروفات مدرستة حوالى واحد وثلاثين ألفا ومائتين درهما شهريا[٢].

ولم تكن الأوقاف التى يوقفها أصحابها هى المورد المالى الوحيد للإنفاق على المكتبات. فقد كانت هناك المبالغ المالية التى يرصدها أصحابها لبناء وإنشاء مبانى المكتبات وتأثيثها وتجهيزها وتزويدها بالكتب وغيرها[٣] من المواد المرتبطة بها. وبالعدد المناسب من العاملين وغير ذلك. وهذه المبالغ والنفقات غير الهبات العديدة نقدا وعينا التى كان يقدمها رجالات الخيرا إبان العصر المملوكى. من ذلك مكتبة مدرسة المحلى التى شيدها - كما سبق أن ذكرنا - رئيس التجار برهان الدين إبراهيم فى مدة سبع سنين وانفق فى بنائها زيادة على خمسين ألف دينار[٤] ولنا أن نتصور ضخامة المبالغ التى رصدها الأمير علاء الدين طيبرس للإنفاق على مكتبة مدرسته التى شيدها بجوار الجامع الأزهر عام ٧٠٩هـ/١٣٠٩م، «وقد تألق فى رخامها وتذهيب سقوفها حتى جاءت فى أبدع وأحسن قالب وأبهج ترتيب لما فيها من إتقان العمل وجودة الصناعة ... وبلغت النفقة عليها جملة كثيرة»[٥] وقد صاحب هذا الإنفاق حسن نية فقد صرح حين فرغ من بناء هذه لمدرسة أن احضر إليه مباشرة حساب مصروفاتها، فلما قدم إليه استدعى بطست فيه ماء، وغسل أوراق الحساب بأسرها من غير أن يقف على شيىء منها وقال: شيىء خرجنا عنه لله تعالى لا نحاسب عليه»[٦].

وكان السلاطين أكثر سخاء وإنفاقا على مؤسساتهم من الأمراء والتجار وغيرهم، وقد بالغوا فى ذلك أحيانا حتى أن السلطان حسن بن قلاوون قد أجهدته مصاريف مدرسته، التى استغرق بناؤها ثلاث سنوات لم ينقطع العمل فيها يوما واحد، ورصد لمصروفها كل يوم عشرين ألف درهما، ففكر فى التوقف عن الانفاق على عمارتها، إذ يروى أنه قال: «لولا أن يقال إن ملك مصر عجز عن إتمام بناء بناه لتركت بناء هذا الجامع من كثرة ما

---

(١) وثيقة سودون من زاده، رقم ٥٨ محفظة ١٠، دار الوثائق، نشر حسنى نصير، ص ٦٢.

(٢) وثيقة جمال الدين الاستادار، رقم ١٠٦ محفظة ١٧، دار الوثائق.

(٣) سيعالج وقف الكتب كمصدر من مصادر التزويد فى الفصل الثالث، ص ١٦١ - ١٧٦.

(٤) المقريزى: الخطط، جـ٢ ص ٣٦٨ - ٣٦٩.

(٥) المصدر السابق، جـ٢، ص٣٨٢.

(٦) المصدر السابق، جـ٢، ص ٣٨٣.

صرف عليه،[١] . كذلك بلغت جملة ما أنفقه السلطان المؤيد شيخ المحمودى على عمارة مدرسته أكثر من سبعين ألف دينار[٢] . أما المدرسة الغورية فقد بلغت عمارتها نحو مائة ألف دينار[٣] .

ومن ريع الأوقاف والمبالغ والنفقات والهبات التى كانت يقدمها رجال الخير كان ينفق على خزائن الكتب . وتعج وثائق الوقف بمعلومات مفصلة عن وجوه الإنفاق أو مصروفات المكتبات المملوكية وهى تكفى للدلالة على مدى اهتمام المماليك ورجالاتهم بالإنفاق على الكتب حتى تؤدى رسالتها كمؤسسات تعليمية تربوية .

ونستطيع أن نصنف أوجه الإنفاق على خزائن الكتب المملوكية فى وجهين رئيسيين أحدهما خاص بمرتبات العاملين بالمكتبات والوجه الآخر يتعلق بصيانة وترميم بناء المكتبة والكتب وتجهيزاتها وأدواتها المختلفة .

وفيما يتعلق بمرتبات العاملين فإن وثائق الوقف المملوكية تظهر تفاوتا ملحوظا بين مرتبات أمناء المكتبات[٤] أو خزنة الكتب، على حد المصطلح المملوكى[٥]، وفقا للعمل الموكل للأمين ومركزه وسمعته، وتبعا لمقدار ريع الوقف السنوى . فإننا نجد على سبيل المثال، أن أمين مكتبة مدرسة السلطان حسن بن قلاوون كان راتبه الشهرى مائة درهم حيث ورد فى وثيقة وقفه ما نصه « .... ويرتب رجلا يحفظ ما عساه أن يكون بالخزانة

---

(١) المقريزى : الخطط، جـ٢، ص ٣١٦، السيوطى : حسن المحاضرة، جـ٢ ص١٩٢، ابن تغرى بردى : المنهل الصافى جـ٣ ، ص ٦٧؛ راجع أيضا: زكى محمد حسن : فنون الإسلام ، ص ١٧٢؛ حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد الأثرية، ص ١٦٥، ١٦٦ .

(٢) المقريزى : المصدر السابق، جـ٢، ص٣٢٩ .

(٣) ابن إياس : بدائع الزهور، جـ٣، ص٥٨ .

(٤) لقد أعددنا جدولا بمرتبات أمناء المكتبات المملوكية من خلال الوثائق. انظر الملحق الثانى بآخر الرسالة .

(٥) وثيقة السلطان حسن، رقم ٨٨١ أوقاف، دراسة ونشر محمد محمد أمين؛ وثيقة الأمير صرغتمش، رقم ٣١٩٥ أوقاف؛ نشر د . عبد اللطيف ابراهيم، ص ١٥٢؛ وثيقة فرج بن برقوق، محكمة ٦٦ ، محفظة ١١؛ وثيقة برسباى، ٨٨٠ أوقاف؛ وثيقة قايتباى٨٨٦؛ أوقاف؛ وثيقة أزبك من ططخ محكمة ١٩٨، محفظة ٣١؛ وثيقة المؤيد شيخ، ٩٣٨ أوقاف ؛ وثيقة سودون من زادة، محكمة ٥٨، محفظة ١٠ ، وثيقة قانصوه الغورى، ٨٨٣ أوقاف وثيقة قانى باى الرماح أوقاف ١٠١٩ .

التى بالمكان المذكور من ختمات شريفات وربعات وكتب يتولى حفظها وصونها وفعل ما جرت عادة أمثاله فى مثل ذلك، ويصرف له فى كل شهر مائة درهم واحدة نقرة»[١].
وفى المدرسة الصرغتمشية كان خازن الكتب يتقاضى راتبا شهريا خمسون درهما، فقد ذكرت وثيقة الأمير صرغتمش على المدرسة ما نصه «... ويرتب الناظر فى هذا الوقت شخصا يكون خازنا للكتب والختمات الربعات وذلك بالمدرسة المذكورة يصرف إليه فى كل شهر خمسون درهما نقره .»[٢] أما أمين مكتبة مدرسة فرج بن برقوق بالحوش السلطانى بالقلعة فكان يتقاضى مرتبا عشرين درهما فقط، حيث ذكرت وثيقة وقفه ما نصه «ويصرف لرجل يكون قادرا على القيام بخدمة الكتب عارفا بترتيبها يقيمه خازناً لها.. ويصرف له عن ذلك فى كل شهر من الفلوس المذكورة عشرون درهما»[٣].

كما قرر المؤيد شيخ لخازن الكتب بالجامع المؤيدى ما قيمته أربعون نصفا من الفضة، وهى عمله كانت متداولة فى عهده تشبه الدرهم، فتقول وثيقة وقفه ما نصه «.. ويرتب رجلا أمينا ثقة حافظا يكون خازنا للمصاحف والربعات الشريفة وكتب العلم الشريف التى تكون بخزانة الكتب بالجامع المذكور... ويصرف له فى كل شهر .. ما مبلغة من الإنصاف الفضة المذكورة أربعون نصفا..»[٤]. وأما أمين مكتبة مدرسة الأمير سودون من زاده فكان يتقاضى راتبا شهريا قدره خمسة وعشرين درهما، حيث تذكر وثيقة وقفه ما نصه «ويصرف الناظر لرجل من طلبة العلم الشريف خمسة وعشرين درهما نقره فى كل شهر يرتبه خازنا للكتب التى توقف على هذا الجامع..»[٥]. ويبدو أن مرتب أمين

---

(١) وثيقة السلطان حسن بن قلاوون، رقم ٨٨١ أوقاف، نشر محمد محمد أمين، ص٤٠٦، والدراهم النقرة نوع من الدراهم الفضة التى من المفروض أن تكون نقية من شائبة وعادة ما تكون من ثلثين فضة وثلث من النحاس وهى عبارة عن قرص مستدير وزنة ٢٫٩٧ جرام. راجع : القلقشندى : صبح الأعشى، جـ٣، ص٢٠٧، ٤٦٢، ٤٦٣.

(٢) وثيقة الأمير صرغتمس، أوقاف ٣١٩٥، نشر عبد اللطيف ابراهيم على ص١٥٢.

(٣) وثيقة فرج بن برقوق ، محكمة ٦٦، محفظة ١١.

(٤) وثيقة المؤيد شيخ، رقم ٩٣٨، أوقاف.

(٥) وثيقة سودون من زاده، محكمة ٥٨، محفظة ١٠، نشر حسنى نويصر ص ١٠٣ـ ١٠٤..

المكتبة مع تقدم الزمن فقد بلغ فى عهد السلطان برسباى الدقماقى إلى ثلاثمائه درهما شهريا، فقد ذكرت وثيقة وقفه ما نصه «... ويصرف لرجل يتولى خزانة كتب العلم التى وقفها مولانا السلطان الواقف وجعل مقرها بخزانة الكتب التى بالجامع المقدم.... فى كل شهر من الشهور من الفلوس ثلاثمائه درهما..»[١].

وأما مدرسة السلطان برقوق فكان الخازن من جملة الصوفية المنزلين فى المدرسة، وكان يصرف له مبلغا من المال زيادة عما هو مقرر له عن وظيفة التصوف».. ويرتب الناظر شخصا من الصوفية المذكورين خازنا لما يكون بهذه المدرسة من الربعات والختمات الشريفة وكتب الحديث والعلم وغير ذلك من الكتب، وما لعله يكون حاصلاً بها من الحصر والبسط والقناديل وغير ذلك على العادة فى مثله، ويصرف له فى كل شهر خمسة عشرة درهما نقرة مضافا لما هو مرتب له فى وظيفة التصوف على ما شرح أعلاه[٢].

وبالاضافة إلى هذا الراتب الشهرى تدلنا كثير من الوثائق على أن أمناء المكتبات كانوا يمنحون رواتب إضافية فى شكل جوامك أو رواتب نقدية وعينية تزاد فى المواسم والأعياد.[٣] من ذلك ما نصت عليه وثيقة السلطان قايتباى المحمودى أن خازن كتبه كان يتقاضى «فى كل يوم من الخبز الموصوف أعلاه رطلان»[٤]، وذلك علاوة على راتبه الشهرى حيث نصت نفس الوثيقة على ذلك «... ويصرف لرجل من أهل الخير والدين

---

(١) وثيقة برسباى، أوقاف ٨٨٠.

(٢) وثيقة السلطان برقوق، محكمة ٥١، محفظة ٩، وقد نصت الوثيقة على أن يصرف على وظيفة التصوف فى كل شهر عشرين درهما نقرة.

(٣) وثيقة صرغتمش رقم ٣١٩٥ أوقاف؛ وثيقة محمد بن قلاوون، محكمة ٢٥، محفظة ٤، وثيقة حسام لاجين، محكمة ١٧، محفظة ١٣ وثيقة حسن بن قلاوون رقم ٨٨١ أوقاف؛ وثيقة برقوق، محكمة ٥١، محفظة ٩، وثيقة فرج بن برقوق محكمة ٦٦، محفظة ١١، وثيقة قايتباى، محكمة ٢١٠، محفظة ٣٣؛ وثيقة برسباى، رقم ٨٨٠ أوقاف، وثيقة المؤيد شيخ، رقم ٩٣٨ أوقاف؛ انظر الملحق الثانى بآخر الكتاب.

(٤) وثيقة قايتباى المحمودى، رقم ٨٨٦ أوقاف.

والأمانة يكون خازنا للكتب... مائتى درهما..».[1]كما نصت وثيقة برسباى على منح خازن الكتب جامكية[2] «... فى كل يوم من الخبز القرصة المذكور ثلاثة أرطال»[3].

هذا عن الوجه الأول من وجوه الإنفاق، أما الوجه الثانى فهو وجه عام وأساسى حيث يشتمل على صيانة وترميم بناء المكتبة وما يتعلق به من تجهيزات وأدوات[4]، فضلا عن الأدوات الخاصة بالكتابة والنسخ والتجليد والترميم[5] وما إلى ذلك. إذ تقول وثيقة الإبشادى ما نصه «.. يصرف فى ما تحتاج إليه عمارة المكان المذكور وترميم الكتب وإصلاح الدواة والسكين والخزانة..»[6]، أما وثيقة الأمير صرغتمشى[7] فتذكر ما نصه «... ويستغل ريع ذلك بوجه الاستغلال الشرعى ويبدأ من ذلك بعمارة ما يحتاج إلى عمارته بالموقف المذكور فيه وإصلاح ما فيه دوام منفعته»، «... ويصرف أيضا فيما يحتاج إليه من الزيت الطيب برسم الوقود بالمدرسة المذكورة وثمن قناديل وسلاسل وحصر وبسط وشمع». كذلك تذكر وثيقة السلطان حسن ما نصه «ويصرف ما يحتاج إليه لفرش الأماكن المذكورة فى ثمن البسط وحصر وقناديل وسلاسل وأسطال وصفيح ومقشات ونواعم وماعون وكلف الوقود.. وغير ذلك مما فيه مصلحة المكان على العادة

---

(١) الجامكية هى الراتب الشهرى الذى يتقاضاه العاملون فى الدول من جند وخلافه. وقد يكون نقدا فقط أو نقدا وعينا من خبز وأرز وتمر وغيره. انظر ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، جـ١٢، ص١٧٢، ٢٢٨.

(٢) وثيقة برسباى رقم ٨٨٠ اوقاف. والرطل هو وحدة ميزان وهو يوازى إثنى عشرة أوقية، والأوقية إثنى عشر درهما، وعلى هذا يكون الرطل مائة وأربعة وأربعين درهما. القلقشندى : صبح الأعشى جـ٣ ص٤٤١، ج٥، ص١٤٤.

(٣) وثيقة تغرى بردى، محكمة ٩٨، محفظة ١٦، وثيقة أزبك من ططخ، محكمة ١٩٨، محفظة ٣١؛ وثيقة حسام الدين لاجين، محكمة ١٧، محفظة ٣، وثيقة بيبرس الجاشنكير، محكمة ٢٣، محفظة ٤، وثيقة السلطان حسن، رقم ٨٨١ أوقاف، نشر محمد أمين؛ وثيقة الجمالى يوسف، محكمة ١٠٥، محفظة ١٦، وثيقة قانى باى الرماح رقم ١٠١٩ أوقاف.

(٤) وثيقة جمال الدين الاستادار، محكمة ١٠٦، محفظة ١٧، نشر عبد الستار عثمان؛ وثيقة برسباى، رقم ٨٨٠ أوقاف؛ وثيقة الإبشادى، محكمة ٢٧٨، محفظة ٤٣، نشر عبد اللطيف إبراهيم.

(٥) وثيقة الإبشادى، محكمة ٤٣، نشر عبد اللطيف إبراهيم، جـ٣.

(٦) وثيقة صرغتمشى رقم ٣١٩٥ أوقاف، نشر عبد اللطيف ابراهيم، ص١٤٧، ١٥١.

فى ذلك...»[١]. إما وثيقة قراقاجا الحسنى[٢] فقد ورد فيها ما نصه «.. ويصرف فى كل سنة من السنين العربية توسعة فى شهر رمضان منها فى ثمن زيت[٣] وحصر[٤] وقناديل وغير ذلك ما هو متعلق بذلك مما جرت العادة به فى مثل ذلك بالغا ما بلغ[٥].

وبالإضافة إلى هذين الوجهين، فإن وجها آخر للمصروفات كانت بعض المكتبات تلتزم به، وهى النفقات الخاصة بالإقامة الدائمة أو شبه الدائمة فى المؤسسة والتفرغ للعلم. ومن هذه النفقات ما هو متعلق بالمبيت والمأكل والمشرب وغير ذلك من مستلزمات الرقامه. إذ تذكر وقف السلطان حسن بن قلاوون ما نصه «... ويصرف من ريع الوقف المذكور فى ليلة كل جمعة خمسة قناطير بالقنطار المصرى من لحم ضأن وثمن عشرين قنطارا من الخبز القرصة وثمن ما يحتاج إليه من أرز عسل وحبوب وحب رمان وغير ذلك ودهن وحطب وتوابل وأجرة من يتولى ذلك وتفرقته... »[٦].

كما أفاد العديد من طلاب العلم ورواد المكتبات والعاملين بها من الرعاية الطبية والعلاج المجانى الذى كانت تقدمه بعض المدارس. ومن ذلك ما جاء بوثيقة السلطان حسن بن قلاوون «ويرتب الناظر رجلين مسلمين أحدهما عارف بالطب خبير بمعالجة الأبدان، والثانى عارف بصناعة الكحل على أن كل منهما يحضر فى كل يوم إلى المكان

---

(١) كانت هناك وظيفة فى العصر الإسلامى الوسيط باسم «شهادة العمارة» يتولاها رجل ثقة أمين عدل يقوم بالصرف على تجديد العمائر وإصلاحها وترميمها ويقدم بذلك حسابا إلى الناظر على الوقف. انظر عبد اللطيف إبراهيم: نصان جديدان من وثيقة الامير صرغتمشى، جـ٢، ص١٥٩، تحقيق ٤٨، وما به من مصادر ووثائق.

(٢) وثيقة السلطان حسن رقم ٨٨١ أوقاف، نشر محمد محمد أمين. ملحق تذكرة النبية، جـ٣، ص٤١٤.

(٣) كان الزيت فى المواسم والأعياد، وكان الوقاد يضع الزيت فى مسارج من الخزف أو المعدن ذات فتيل من شعبة أو شعبتين: راجع وثيقة الأمير آخور كبير قرقاجا الحسنى: دراسة ونشر عبد اللطيف إبراهيم، تحقيق ٨١، ص٢٤٤.

(٤) الحصر هى العادة التى كانت تفرش بها أرضية أغلب المدارس والمساجد والخوانق والمكاتب فى ذلك العصر. راجع ص١١، هامش ٢، من هذا الفصل.

(٥) وثيقة آخور كبير قراقاجا الحسنى: دراسة عبد اللطيف إبراهيم، ص ٢١٢.

(٦) وثيقة السلطان حسن بن قلاوون، رقم ٨٨١ أوقاف، نشر محمد محمد أمين، ص٤١٤؛ وراجع أيضا ص٤١٦، ٤١٧ من نفس المصدر، وثيقة برقوق، محكمة ٥١، محفظة٩.

المذكـور ويداوى مـن يحتـاج إلى المداواة من أرباب الوظائف والطلبـة المقيمين بالأمـاكن المذكورة أعلاه ومن يحضر إليها من الطلبة وأرباب الوظائف ممن ليس له سكن بالمكان ومن المقيمين بالأماكن المذكورة أعلاه توجه الطبيب فى مكان اقامته ولا يكلف المريض الحضور إلى الطبيب.. ويرتب الناظر رجلا جرائحيا مجبرا يحضر فى كل يوم إلى المكان المذكور ويفعل نظير ما شرط على الكحال والطبيب بأعاليه»[١].

وهكذا يتضح مدى تنافس أولئك القوم فى تدعيم مكتباتهم ماليا إبان العصر المماليكى، واهتمامهم بالإنفاق عليها حتى تؤدى رسالتها كما يجب. وقد حبسوا عليها الأوقاف، وقدموا لها الهبات ورصدوا لها الأموال، التى كان لها أثرها الكبير فى استمرار تقديم الخدمة المكتبية لمختلف فئات الشعب.

٣ - الموارد البشرية

فاذا تركنا الموارد المالية ووجوه الإنفاق، قابلنا مورد آخر لا يقل أهمية عن الموارد المالية وهو المورد البشرى، وأعنى به القوى العاملة فى المكتبة، وهى المرتكز الثالث الأساسى الذى تقوم عليه الخدمة المكتبية. وتزخر المصادر المملوكية، لاسيما الوثائق منها، بالنصوص الخاصة بالعاملين وفئاتهم وواجباتهم ومؤهلات كل فئة. ومن خلال هذه النصوص نستطيع أن نصنف العاملين فى المكتبات المملوكية فى فئات ثلاث نستعرضها فيما يلى:

الفئة الأولى هى وظيفة خازن الكتب أو شاهد خزانة الكتب[٢]، أى أمين المكتبة حسب مصطلحنا المعاصر. وهو الشخص المشرف على المكتبة والمسئول عن كتبها،

---

(١) وثيقة السلطان حسن رقم ٨٨١ أوقاف، نشر محمد محمد أمين، ص ٤١٠؛ وانظر ايضا وثيقة برقوق، محكمة، ٥١، محفظة ٩، وثيقة المؤيد شيخ، رقم ٩٣٨، أوقاف؛ عبد اللطيف إبراهيم: دراسات تاريخية وأثرية من عصر الغورى، مج ٢ ص٤٦، تحقيق ٦٥٤٠٠

(٢) جدير بالذكر أن الوثيقة الوحيدة التى أطلقت على خازن الكتب لفظ «شاهد خزانة الكتب» هى وثيقة الناصر محمد بن قلاوون حيث ذكرت ما نصه «ويرتب شاهدا لخزانة الكتب ويحفظ ما فيها من الكتب...» وثيقة محمد بن قلاوون، رقم ٢٥ محفظة، دار الوثائق.

وتنظيم العمل بها وفقا للشروط التى يعينها له الواقف. وقد حددت وثائق الموقف مهمة أمين المكتبة فى العصر المملوكى بالتفصيل. وتبدأ هذه المهمة بأن يقوم الناظر على الوقف بتسليم الكتب إلى أمين المكتبة، ويشهد عليه بتسليمها، ثم يتولى الخازن بعد ذلك إحراز الكتب، ونفضها من الغبار، وتعهدها بالمحافظة عليها، وصونها من التلف أو البلل، وتنظيمها دخل الخزائن، وتفقدها من حين لآخر، وإصلاح ما أصاب التلف منها، «وترميم شعثها وحبكها عند احتياجها للحبك»[1]، مع القيام بحراستها وصونها من السرقة أو الضياع. يؤيد ذلك ما جاء ببعض وثائق الوقف المملوكية. حيث تذكر وثيقة جمال الدين الاستادار ما نصه «على أن يتسلم الخازن ـ المصاحف والربعات والكتب الجارية فى الوقف ويشهد عليه بتسلمها ويقرها بالرواق العالى على السباط المذكور أعلاه ويحفظها من البلل ويتعاهدها بالتقليب والإصلاح..»[2]. وفى وثيقة السيفى أزبك ما نصه «... على أن يتولى إحراز الكتب بالخزانة المذكورة ونفضها من الغبار وتعهدها على العادة وصونها عما يفسدها..»[3]. أما وثيقة جوهر اللالا فتقول ما نصه «... على أن يتولى خزن الكتب التى بالمدرسة المذكورة ونفضها وحراستها وعمل مصالحها على العادة..»[4]. وفى هذا الصدد تذكر وثيقة فرج بن برقوق ما نصه «... على أن يتولى حفظها نفضها ويتفقد أحوالها بالإصلاح ووضعها بالخزانة المرصدة لها..»[5]. كما تقول وثيقة قايتباى ما نصه «... يتولى خازن الكتب بالجامع حفظها وتنظيف خزائنها من الغبار وغير ذلك..»[6].

وبالإضافة إلى هذه الواجبات كان أمين المكتبة المملوكية يقوم بتنظيم الكتب وترتيبها فى الخزانة، وكان عليه أن ييسر القراءة والإطلاع عيلها، ويمكن طلبة العلم من الانتفاع بها فى حدود القواعد المعمول بها والتى تنص عليها لائحة المكتبة الواردة فى وثيقة

---

(١) السبكى : معيد النعم ومبيد النقم، ص ١١١.

(٢) وثيقة جمال الدين الاستادار، رقم ١٠٦، محفظة ١٧، دار الوثائق، نشر عبد الستار عثمان ص١٦٣.

(٣) وثيقة السيفى أزبك رقم، محفظة ٣١، دار الوثائق.

(٤) وثيقة جوهر اللالا، رقم ٦٨، محفظة ١٤، دار الوثائق.

(٥) وثيقة فرج بن برقوق، رقم ٦٦، محفظة ١١، دار الوثائق.

(٦) وثيقة قايتباى، رقم ٨٨٦ أوقاف.

الوقف، إذ تذكر وثيقة جمال الدين الاستادار ما نصه «... ويحفظها من البلل- أى الكتب التى بالخزانة- ويتعاهدها بالتقليب والإصلاح، ومن حضر من طلبة العلم الشريف من أهل الخانقاه المذكورة لإستعارة شيء من الكتب المذكورة يشتغل فيه سلمه إليه..»(١). وكذلك تنص وثيقة فرج بن برقوق على «... أن يتولى- خازن الكتب- حفظها ونفضها... وعلى أنه من حضر إليه يطلب شيئا من ذلك فإن كان أهلا لمطالعة ذلك والاشتغال به وكان من أهل المكان ومن يوثق به دفعه إليه...»(٢).

وكان يجب على من يشتغل هذه الوظيفة أن يتوافر فيه بعض الصفات والمزايا كأن يكون أمينا متدينا واسع الاطلاع عارفا بشئون الكتب(٣) قادرا على القيام بخدمتها وعارفا بترتيبها. إذ تذكر وثيقة فرج بن برقوق ما نصه «... ويصرف لرجل يكون ثقة خيرا أمينا يقظا قادرا على القيام بخدمة الكتب عارفا بترتيبها يقيمة خازنا لها بالجامع المذكور من الختمات الشريفة والربعات العظيمة وكتب العلم الشريف على أن يتولى حفظها ونفضها ويتفقد أحوالها بالإصلاح..»(٤) كما تذكر وثيقة قانى باى الرماح ما نصه «... ويصرف لرجل من أهل الأمانة والديانة والنهضة والصيانة يقرره الناظر فى وظيفة خزن الكتب الموقوفة بالمدرسة المذكورة الموضوعة بخزانة الكتب المذكورة أعلاه على أن يتعهد الكتب المذكورة بالنفض..»(٥). أما وثيقة سودون من زاده فانها تذكر ما نصه «... ويصرف لرجل من طلبة العلم الشريف من أهل الخير والدين والأمانة خمسة وعشرين درهما نقرة فى كل شهرين يرتبه خازنا للكتب التى توقف على هذا الجامع على أن يتولى حفظها»(٦). كما ورد فى وثيقة قانصوه الغورى ما نصه «... تصرف لرجل من أهل العلم الشريف ثقة أمين عدل ضابط نزه يقره الناظر فى وظيفة خزن الكتب..»(٧).

---

(١) وثيقة جمال الاستادار، رقم ١٠٦، محفظة ١٧، دار الوثائق، نشر عبد الستار عثمان، ص١٦٤.

(٢) وثيقة فرج بن برقوق، رقم ٦٦، محفظة ١١، دار الوثائق.

(٣) سعيد عبد الفتاح عاشور: مصر فى عصر دولة المماليك البحرية، ص ١٩٥.

(٤) وثيقة فرج بن برقوق، رقم٦٦، محفظة ١١، دار الوثائق.

(٥) وثيقة قانى باى الرماح، رقم ١٠١٩ أوقاف.

(٦) وثيقة سودون من زاده، رقم ٥٨، محفظة ١٠، دار الوثائق، نشر حسنى نويصر، ص١٠٣ - ١٠٤.

(٧) وثيقة الغورى، رقم ٨٨٣ أوقاف؛ انظر أيضا وثائق : جمال الاستادار، رقم ١٠٦ محفظة ١٧؛ السيفى أزبك رقم ١٩٨، محفظة ٣١؛ وثيقة قايتباى رقم ٨٨٦ أوقاف ؛ وثيقة برسباى، رقم ٨٨٠ أوقاف.

ولعل السبب فى أن بعض الوثائق تشترط أن يكون الخازن أو أمين المكتبة من أهل العلم لتكون له دراية بالكتب ومعرفة محتوياتها ومصنفاتها، لأنه يتعامل مع طلاب العلم مدرسين ومعيدين وطلاب، ومن يرغب فى الاطلاع من سائر المثقفين من الفقهاء والعلماء وغيرهم من أهل العلم والفضل، وإرشاد من يطلب منهم مساعدته فى اختيار الكتب التى تعينه فى بحثه أو دراسته، وذلك باعتبار أن وظيفة خزن الكتب وظيفة تربوية تعليمية توجيهية تهدف إلى تعريف الطلبة بتراثهم وتوجيههم إلى مصادر المعرفة، وإعانتهم على تحصيلها[1]، مع معرفته وتقديره لقيمة الكتب التى يتولى الإشراف عليها، الأمر الذى يجعله حريصا على المحافظة عليها وصيانتها.

وقد اشترطت بعض الوثائق فى خازن الكتب أن يكون منتميا إلى مذهب معين، فيكون حنيفا أو شافعيا أو مالكيا أو حنبليا. فقد ورد فى وثيقة الأمير صرغتمش على المدرسة الصرغتمشية ما نصه «ويرتب الناظر فى هذا الوقف شخصا حنفى المذهب ثقة أمينا دينا يكون خازنا للكتب والختمات والربعات الشريفات وغير ذلك بالمدرسة المذكورة[2] كما اشترطت وثيقة وقف جمال الدين يوسف الاستادار أن يكون خازن كتب مدرسته أحد الصوفية حيث ذكرت ما نصه «... ويرتب من الصوفية المذكورين غير المتجردين شخصا من أهل الخير والديانة والصيانة والأمانة ليكون خازنا لما بالخانقاه المذكورة من الربعات الشريفة والمصاحف وكتب العلم الشريف»[3]. ونفس الشرط بالنسبة لخازن مكتبة المدرسة البرقوقية. فقد ذكرت وثيقة السلطان برقوق ما نصه «... ويرتب الناظر شخصا من الصوفية المذكورين من أهل الخير والدين خازناً لما يكون بهذه المدرسة من الربعات والختمات الشريفة، وكتب الحديث والعلم وغير ذلك من الكتب»[4].

ويبدو أن وظيفة خازن الكتب فى المؤسسة المملوكية كانت من الوظائف الهامة.

---

(١) سعيد عاشور: المجتمع المصرى، ص١٤٦، عبد اللطيف ابراهيم: المرجع السابق، ص٧٥.

(٢) وثيقة صرغتمش، رقم ٣١٩٥ أوقاف، نشر عبد اللطيف ابراهيم، ص١٥٢.

(٣) وثيقة جمال الدين الاستادار، رقم ١٠٦، محفظة ١٧، ص١٦٣.

(٤) وثيقة السلطان برقوق، رقم ٥١، محفظة ٩ دار الوثائق.

ولذلك فإن تعيينه كان يتم بناء على رغبة السلطان ومعرفته الشخصية له. فقد ولى السلطان المؤيد شيخ المحمودى فى وظيفة خزن الكتب بالمدرسة المؤيدية ناصر الدين أبى عبد الله محمد البازى الجهنى الشافعى كاتب الأسرار الشريفة ثم من بعده لمن يصلح من أولاده وذريته[١]. كما عين السلطان برسباى، على بن أحمد القرشى القلقشندى خازنا لمكتبة المدرسة الاشرفية برسباى[٢]، وأحيانا كان يتم تعين الخازن وفقا للنزعة الفردية أو قرابته الشخصية للواقف كما فعل جمال الدين الاستادار، إذ تذكر وثيقة وقفه ما نصه «... وقرر الواقف هذه الوظيفة لشقيقه سيدنا الشيخ الإمام العالم العلامة شمس الدين أبى عبد الله محمد ولأولاده وأولاد أولاده وذريته ...»[٣] ونادرا ما كان يتم تعيين الخازن بموافقة طلبة العلم المنتفعين بالمكتبة، إذ تذكر وثيقة الإبشادى ما نصه «... ولا يقرر فى ذلك إلا أمثل الفقراء بالجامع الأزهر المتصفين بالصفة المذكورة أعلاه بشرط رضاهم أجمعين واتفاقهم عليه..»[٤] وهذا شرط جدير بالملاحظة لأنه يوضح أهمية دور طلبة العلم فى اختيار واحدا منهم كأمين للمكتبة التى يترددون عليها إما للقراء والنسخ أو المقابلة والمعارضة[٥].

هذا، وتذكر وثيقة السلطان حسن بن قلاوون شرطا هاما فيما يخص الوظائف عامه، ومنها وظيفة خازن الكتب فتقول ما نصه «وأنه لا ينزل أحدا فى وظيفة من الوظائف كلها إلا إذا كان أهلا لها، ومن سعى عنده بشفاعة أو جاه أو برسالة ولا ينزل أحدا غصبا»[٦]. وهذا النص يكشف عن مظهر اجتماعى ربما كان سائدا فى ذلك العصر، وهو محاولة

---

(١) وثيقة المؤيد شيخ رقم ٩٣٨ أوقاف، المقريزى: الخطط جـ٢، ص٣٢٩؛ العينى: عقد الجمان، جـ١٩ سنة٨٢٣هـ (مخطوط)، السخاوى: الضوء اللامع، جـ٩، ص١٣٧.

(٢) السخاوى: الضوء اللامع، جـ٥، ص١٦١؛ والتبر المسبوك، ص٤٢ـ ٤٥.

(٣) وثيقة جمال الاستادار، رقم ١٠٦، محفظة ١٧، نشر عبد الستار عثمان ص١٦٤.

(٤) وثيقة الابشادى رقم ٢٧٨، محفظة ٤٣، دار الوثائق، نشر عبد اللطيف ابراهيم ص٥٢.

(٥) المصدر السابق ص١٦.

(٦) وثيقة السلطان حسن بن قلاوون رقم ٨٨١ أوقاف نشر محمد محمد أمين ص٤٢٠.

الوصول إلى الوظائف لاسيما الوظائف الرفيعة كتلك التى تتعلق بالمدارس والمكتبات عن طريق الوساطة وغيرها.

ويبدو أن وظيفة خازن الكتب فى المكتبات المملوكية كان يتوارثها الأبناء عن الآباء بشروط. فبالإضافة إلى النص الذى أوردناه سلفا من وثيقة جمال الدين الاستادار نجد وثيقة برسباى، تقول ما نصه «... ومن توفى من أرباب الوظائف وله ولد صالح لوظ والده قرره الناظر مكان والده فى الوظيفة المذكورة بمعلومه المشروط له فى كتاب الوقف»[١].

ومن تتبع أسماء أمناء المكتبات المملوكية نجد أنه كان هناك حرص من جانب الواقف أو الناظر من بعده على إسناد وظيفة أمين المكتبة إلى شخصية علمية معروفة، نذكر منهم على سبيل المثال: أبو عبد الله محمد بن إبراهيم المقدسى السيلى الحنبلى (ت٦٨٠هـ/١٢٨١م) كان إماما فى الفرائض والحساب والوصايا، وقد عمل خازنا لمكتبة المدرسة الضيائية[٢]. وصدر الدين بن الآدمى (ت٨١٦هـ/١٤١٣م) وكان قاضى القضاه بالقاهرة، وعمل قبل ذلك بالتدريس وتولى خزانة الكتب الأشرفية برسباى[٣] الشيخ على بن أحمد القلقشندى (ت٨٥٦هـ/١٤٥٢م)، وكان عالما فاضلا فقيها تولى التدريس بالصالحية ودرس الفقه بالشيخونية والحديث بجامع ابن طولون والقراءات بالحسينية وتولى كذلك خزانة الكتب الأشرفية[٤]. وورثه ابنه الشيخ إبراهيم بن على ابن أحمد القلقشندى (ت٨٩٨هـ/١٤٩٣م) فى خزانة الكتب، وكان كوالده عالما فى الفقه والتفسير والحديث، وكان مدرسا ومحدثا تولى تدريس الحديث والتفسير فى جامع ابن طولون والمدرسة الجمالية، وقام بتدريس الفقة بالمدرسة السكرية[٥].

ومنهم أيضا الشيخ أحمد بن الحسن بن الشهابى الجوجرى (ت ق٩هـ/ق١٥م) وكان

---

(١) وثيقة برسباى، رقم ٨٨٠ أوقاف، أنظر أيضا: المقريزى: الخطط جـ٢، ص٣٢٩.

(٢) السخاوى: الضوء اللامع، جـ٦، ص٨٣.

(٣) النعيمى: الدارس فى تاريخ المدارس جـ١، ص٥٠٦.

(٤) السخاوى: المصدر السابق، ج٥، ص١٦١، والتبر المسبوك، ص٤٥-٤٦.

(٥) السخاوى: الضوء اللامع، جـ١، ص٧٧-٧٨.

شيخا للصوفية فى البشتكية، كما تولى خزانة الكتب العربية التى كانت بجوارها[١] والشيخ محمد بن محمد بن الجمال (ت٨٧٠هـ/١٤٦٥م) الذى تولى خزانة المدرسة الظاهرية، وقد وصفه السخاوى بالعالم الفاضل البارع المشتغل المحصل لاشتغاله بالعلم طيلة حياته[٢]. وعبيد الله محمد بن إبراهيم الزين اليمانى (ت٨٩٢هـ/١٤٨٧م)، ويصفه السخاوى بأنه تميز فى الفرائض، وأم بمدرسة أم السلطان شعبان مع خزن كتبها[٣]، وكذلك خضر بن شومان الخاصكى الظاهرى (ت٨٩٥هـ/١٤٩٠م) خازن الكتب بالمدرسة الصرغتمشية، وكان عالما فاضلا فى العربية والصرف والفقه، وقد ذكر السخاوى أنه دعاه ذات مرة إلى رؤية كتب الخزانة وعرضها على السخاوى واحدا واحدا، وكان من جملتها كتاب البدائع للكاسانى[٤].

وتعاقبت على منصب أمين المكتبة بالمدرسة المؤيدية أعلام مشاهير منهم: محمد ابن ابراهيم بن خلف الغمنى (ت٨٠٣هـ/١٤٠٠م)[٥]، والشيخ أبو عبد الله ابن محمد الجهينى البارزى الشافعى كاتب الأسرار الشريفة[٦] والشيخ شمس الدين محمد بن عمر الدنجاوى (ت٨٤٥هـ/١٤٤١م)[٧]، ومحمد بن محمد القلعى (ت٨٩٧هـ/١٤٩٢م)[٨]. كما عمل بمكتبة المدرسة المحمودية أعلام منهم: الحافظ المحدث شيخ الإسلام وقاضى القضاه ابن حجر العسقلانى (ت٨٥٢هـ/١٤٤٧م)[٩]، ومحمد بن على الجلالى (ت٨٦٠هـ/١٤٥٥م) الذى اشتغل بالعلم طيلة حياته[١٠]. واستقر بعده فى خزانة الكتب ابنه أحمد بن محمد

---

(١) المصدر السابق، جـ١، ص ٢٧٧.

(٢) المصدر السابق، جـ٩، ص ٣٠٥.

(٣) المصدر السابق، جـ٥، ص ١٢٢.

(٤) المصدر السابق جـ٣، ص ١٧٨؛ التميمى الدارى: الطبقات السنية فى تراجم الحنفية جـ٣، ص ٢٠٣.

(٥) السخاوى: الضوء اللامع جـ٦، ص٢٥٢.

(٦) المصدر السابق جـ٩، ص ١٣٧؛ وثيقة ٩٣٨ أوقاف؛ المقريزى: الخطط جـ٢، ص٣٢٩؛ السيوطى: حسن المحاضرة جـ٢ ص ١٩٤.

(٧) ابن العماد: شذرات الذهب، جـ٧، ص ٢٥٧.

(٨) السخاوى: الضوء اللامع، جـ٩، ص٢٤٦.

(٩) السخاوى: الذيل على رفع الاصر، ص ٨٥. راجع الملحق الثالث بآخر الكتاب.

(١٠) السخاوى: الضوء اللامع جـ٨، ص٢٢٨.

الجلالى (ت٨٧١هـ/١٤٦٦م) ، وكان كوالده ذا شهرة علمية ، تولى التدريس والخطابة بالمدرسة البرقوقية، وكتب تأليف عدة وناب فى القضاء[١] . وهناك أيضا الشيخ محمد بن عبد الله الأفنيش (ت٨٩٥هـ/ ١٤٩٠م) ، وكان عالما فاضلا كاتبا كتب الكثير من الكتب منها حوالى مائة مصحفاً، وباشر ديوان نوروز الظاهرى جقمق الداودار، وتولى خزانة كتب المحمودية[٢] .

والأسماء السابقة إن دلت على شيء فإنما تدل على خطورة هذا المنصب وأهميته فجل من ذكرناهم كانوا من العلماء الأعلام الذين كانت لديهم خبرة ودراية واسعة بالكتب من خلال اشتغالهم الدائم بالعلم. ولم يكن هذا المنصب تشريفا لأصحابه، بل كان تكليفا يتطلب دقة فى العمل ويقظة وقدرة على أدائه ، مع مراعاة متطلبات المترددين على المكتبة من مختلف فئات المجتمع الذى تقوم المكتبة على خدمته. وقد حملت وثائق الوقف الخازن بمسئوليات حفظ مجموعة المكتبة، وأناطت به تبعة وقوع أى تقصير يؤدى إلى أى خلل فيها.

لذلك نجد بعض الوثائق تنص على ضرورة عزل خازن الكتب، إن بدا منه أى تقصير أو خيانة فى الكتب واستبداله بخازن آخره فقد ذكرت وثيقة صرغتمش ما معناه قيام الناظر بتعين خازن للكتب بالثقة والأمانه، وان بدا الخازن المذكور تقصير أو خيانة فى الكتب استبدل الناظر غيره.. [٣]، وأحيانا كان الخازن يعاقب بالضرب ويغرم قيمة ما يُفقد من خزانة الكتب التى تحت يده ويُلزم بدفع ثمنها، كما حدث لعثمان فخر الدين البكرى التلاوى (ت٨٢٨هـ/١٤٢٧م) الذى تولى خزانة المحمودية قبل ابن حجر العسقلانى. فقد روى السخاوى أنه أى فخر الدين- فرط فى بعض كتبها فجئ به إلى السلطان وضُرب امامه وغُرم بدفع قيمة ما ضاع من كتب فاضطر إلى بيع داره وكتبه الخاصة لتغطية ثمن الكتب التى فقدت[٤] .

(١) المصدر السابق، جـ٢، ص١٥٤ .

(٢) المصدر السابق، جـ٨، ص١١٢ .

(٣) وثيقة الأمير صرغتمش، رقم ٣١٩٥ أوقاف، نشر الدكتور/ عبد اللطيف ابراهيم، ص١٥٢ .

(٤) السخاوى : الضوء اللامع، جـ٥، ص١٤٣ - ١٤٤ .

ولعل من السمات الناجحة لإدارة العاملين فى المكتبات المملوكية ـ كما هو واضح من الأمثلة السابقة ـ هو جمع خازن الكتب بين عمله المكتبى فى المكتبة وبين التدريس سواء فى المؤسسة الأم أو مؤسسات أخرى، حيث أن قيام أمين المكتبة بالتدريس يعطيه بعدا علميا ويساعده على معرفة ميول واتجاهات القراء. لذا فمعظم أمناء المكتبات الذين ، لم يمارسوا التربية أو يشتغلوا بالتدريس يواجهون صعوبة الاستخدام التربوى للمكتبة،[١] ولذلك كان معظم أمناء المكتبات فى العصر المملوكى اكثر تفهما للأمور التربوية والنفسية نتيجة اختلاطهم بالطلاب والمعيدين، كما أنهم كانوا اكثر نجاحا فى عملهم من غيرهم. ومن المؤكد أن هذا الجمع بين الوظيفتين يعد سبقا لهم، حيث إنهم توصلوا إلى هذه الأمور التربوية المتداخلة مع عملية الإدارة. ويعتبر هذا تفهما صحيحا وإدراكا واعيا لكيفية إدارة الخدمة المكتبية، خاصة فى هذا الوقت السحيق.

هذا عن الفئة الأولى من فئات العاملين فى المكتبات المملوكية، أما الفئة الثانية فهى فئة المناولين. والمناول صاحب وظيفة وسط بين وظيفتى الخازن والفراش فى المكتبة المملوكية، ولا يمكن الاستغناء عنه. فهو مساعد الخازن ويقوم بإرشاد القراء إلى مواضع الكتب واحضارها من الخزانة إلى من يرغب منهم فى القراءة أو النسخ وغير ذلك، ثم يقوم بإرجاعها إلى الخزانة أو الرفوف لوضعها فى أماكنها بعد فراغهم منها.

ويقوم المناول بهذا العمل تحت إشراف الخازن، ولكن معرفته بالكتب لا تتعدى معرفة اسمائها وأماكن حفظها فقط، ولا يتجاوز ذلك لمعرفة موضوعاتها والقضايا التى تبحثها. أى أنها وظيفة لا تسمو إلى وظيفة الخازن، ولكنها لا تهبط فى نفس الوقت إلى مستوى الفراشين[٢] ولكن عمله بهذه الصورة يجعله قريبا إلى عمل الخادم، لذلك كان يعبر أحيانا بحامل المصحف أو خادم الربعة الشريفة، تأدبا وتميزا له عمن يقوم بالعمل بين القراء والكتب، ومن يقوم بأعمال النظافة. إذ تذكر وثيقة السلطان حسن بن قلاوون ما نصه :

---

(١) مدحت كاظم، وآخرون : المكتبة المدرسية، القاهرة، جمعية المكتبات المدرسية، ١٩٧٧.

(٢) راجع : عبد الغنى محمود عبد العاطى : التعليم فى مصر زمن الأيوبيين والمماليك ص٢٥٩، عبد اللطيف ابراهيم : المرجع السابق، ص ٧٨، أحمد شلبى: تاريخ التربية الاسلامية، ص ١٤٣.

«... نفر يتولى حمل المصحف الشريف من المكان الذى هو فيه ووضعه على الكرسى عند القراءة فى كل يوم بعد صلاة الصبح وقبل صلاة الجمعة وإعادته إلى مواضعه بعد فراغ القراءة»[١]، كما تذكر وثيقة المؤيد شيخ ما نصه.

«... ويرتب خمسة رجال خدام للربعات الشريفات بالجامع المذكور على أن الخمسة المذكورين يحضرون الربعات الشريفات وقت حضور وظيفة التصوف ويفرقون أجزاءها على الحاضرين الوظيفة المذكورة بعد صلاة العصر فى كل يوم ليقرأون فيها ما العادة .... ويجمع الخمسة المذكورين الأجزاء المذكورة ويضعونها فى مواضعها[٢]. ويؤيد ذلك ما جاء فى وثيقة برقوق «ويرتب الناظر أربعة أنفسا من الصوفية المذكورين يفرقون أجزاءها على الجماعات القائمين بوظيفة التصوف بعد صلاة العصر، وعند فراغهم يجمعون الأجزاء المذكورة ويعيدون بها إلى أماكنها على العادة فى مثل ذلك..»[٣].

ويبدو أن المناولين كانوا غالبا من الصوفية استنادا إلى نص وثيقة برقوق سالفة الذكر، وإلى ما ورد فى وثيقة جمال الاستادار حيث ذكرت ما نصه «... ويرتب أيضا من عدة الصوفية المذكورين أعلاه من المحررين أعلاه ثلاثة أنفس لخدمة الربعات الشريفات بالخانقاه المذكورة على أن يحضروها وقت حضور الوظيفة ويفرقون أجزاءها على الجماعة القائمين بوظيفة التصوف بعد صلاة العصر ويقرأون بها ما عين لهم .. ويجمعون الأجزاء بعد الفراغ من القراءة ويضعونها فى مواضعها ويعيدونها إلى الخزانة المعدة لها بالخانقاه المذكورة.

ومع ذلك فإنه كان من واجبات خازن الكتب حسبما أسلفنا - أن يقوم بالعناية بالكتب وتنظيفها من الغبار وما تتأذى به، بل تعد الأمر فى بعض المكتبات بأن يقوم الخازن بمناولة الكتب لمن يريد قراءتها. وعمله هنا أقرب إلى عمل المناول : إذ تذكر وثيقة

---

(١) وثيقة السلطان حسن رقم ٨٨١ أوقاف، تحقيق ونشر محمد محمد آمين ص ٤٥١.

(٢) وثيقة المؤيد شيخ، رقم ٩٣٨ أوقاف.

(٣) وثيقة السلطان برقوق، رقم ٥١، محفظة ٩، دار الوثائق.

(٤) وثيقة جمال الدين الاستادار، رقم ١٠٦، محفظة ١٧، دار الوثائق، نشر عبد الستار عثمان، ص ١٥٩ - ١٦٠.

السيفى أزبك ما نصه: «... ومداولتها لمن يريد المطالعة فيها والكتاب منها مع العلم بأن نفس الوثيقة تعين خادما للمصحف والربعة الشريفة، وحددت اختصاصات مثلها فى ذلك مثل[1] وثائق المؤيد شيخ، وجمال الاستادار، والسلطان برقوق السالفة الذكر. فقد ذكرت وثيقة أزبك ما نصه: «... على أن يتولى إحضار المصحف والربعة الشريفة كل يوم من حرزهما إلى محل حضور التصوف بعد العصر وعودة عند الفراغ وإحراز ذلك فى حرزه...». [2]ويدل هذا على أن مداولة الكتب كانت أيضا من صميم عمل الخازن. ولكن وثيقة وقف جمال الدين الاستادار ربما تلقى بعض الضوء، إذ تذكر وجود الخادم الذى له علاقة بالاهتمام بالكتب، والمحافظة عليها من الضياع وقيامه ببعض مهام الخازن. إذ تذكر الوثيقة ما نصه «... وإن كان المستعير من غير أهل الخانقاه سلم إليه ما يريد استعارته فيطلع فيه نهارا بالخانقاه المذكورة فيه ثم يبيتها عند الخادم ثم يستعيدها منه نهاراً وأن يفعل الخازن ما يفعل أمثاله من الخزان أهل الضبط فى ذلك»[3]. وربما كان هذا الخادم المذكور هو ما تعارف عليه أن يقوم بوظيفة المناولة فى المكتبة.

وعلى كل حال إذا وجدت وظيفة المناولة إلى جانب وظيفة خازن الكتب فمعنى هذا أن ترتقى وظيفة الخازن إلى الناحية الإشرافية فقط على عملية العناية بالكتب ونظافتها ونظافة الخزانة نفسها مع قيامه بمهام الخدمة المكتبية من تسجيل الاستعارات ومباشرة نظام سير العمل وحسن أدائه، ولكن توصيف مهمة الخازن بهذه الأعمال- على نحو ما ذكرنا- تدفعنا إلى القول بأنه كان يقوم بها دون مساعدة من أحد، مع التسليم بوجود طبقة المناولين الذين تتحدث عنهم الوثائق بخدام الربعات الشريفة. وإن كان هذا لا يمنع من القول بتداخل اختصاصات الوظيفتين فى بعض الأحيان.

وإذا تركنا فئتى أمناء المكتبات والمناولين قابلتنا فئة ثالثة من فئات العاملين فى المكتبات المملوكية هى فئة الوراقين. وتضم هذه الفئة النساخ والخطاطين والمجلدين

---

(١) وثيقة السيفى أزبك رقم ١٩٨، محفظة ٣١، دار الوثائق.

(٢) المصدر السابق.

(٣) وثيقة جمال الدين الاستادار، رقم ١٠٦، محفظة ١٧، دار الوثائق، نشر عبد الستار عثمان ص١٦٤.

وغيرهم ممن اتخذوا الوراقة حرفة لهم. وهذه الفئة هى التى قامت بنسخ التراث العربى العلمى والأدبى وصيانته، فقام النساخ بعمل آله الطباعة والتصوير فى العصر الحاضر، وأمدوا المكتبات باحتياجاتها من الكتب. وربما وجد فى كثير من المكتبات المملوكية نساخ أو أكثر لنسخ ما يطلب منه بأجر يدفع له من ريع الوقف. كما كان بعض الطلاب والصوفية يقومون بنسخ الكثير من الكتب مثل محمد بن أبى بكر الكنانى (ت٨٧٧هـ/١٤٧٢م) وهو أحد صوفية المؤيدية كتب الكثير من التصانيف وكان يرتزق بالنساخة كما يقول السخاوى[١].

وكان النساخ يقومون بتزويد المكتبة بما لا يوجد فيها من الكتب أو ما يتعذر تحصيله منها عن طريق نسخها، وخاصة إذا كانت من أمهات الكتب فى علم من العلوم، أو كان الإقبال عليها كثيراً، لأهميتها أو أصالتها. ولذلك وجد فى بعض المكتبات أكثر من نسخة واحدة من الكتاب الواحد. وكان على الناسخ مرعاة الدقة والتأنى أثناء الكتابة والتزامه الأمانة، فلا يحذف شيئا أو يختصر رغبة فى سرعة الانجاز كما يقول السبكى[٢]. ولعل من أشهر هؤلاء النساخين فى العصر المملوكى: الشيخ شرف الدين بن السرائى (ت٨٥١هـ/١٤٤٧م) الذى عمل ناسخا ومعلما للخط بالمدرسة الأشرفية برسباى بالحريرين. إذ تذكر وثيقة وقف السلطان برسباى ما نصه «... ويصرف للشيخ شرف الدين موسى المكتب الرومى فى كل شهر من الشهور من الفلوس المذكورة ثلاثمائة دراهم أو ما يقوم مقامها من النقود، وفى كل يوم من الخبز القرصة المذكور ثلاثة أرطال ليتعاهد أرباب الوظائف بالجامع المذكور بتعليم رسم الكتابة»[٣] وأيضا الشيخ زين الدين عبد الرحمن بن يوسف المعروف بابن الصائغ[٤] (ت٨٤٥هـ/١٤٤١)، وكان صاحب مدرسة فى الخط وهو شيخ الكتاب والنساخ فى وقته، وقد نسخ عددا غير قليل من المصاحف

---

(١) السخاوى: الضوء اللامع جـ٧، ص١٥٦.

(٢) السبكى: معيد النعم، ص ١٣١ ـ ١٣٢.

(٣) وثيقة برسباى، رقم ٨٨٠ أوقاف، راجع: السخاوى: الضوء اللامع جـ٣ص٢٩٨.

(٤) أنظر ترجمته فى: السخاوى: الضوء اللامع، جـ٢، ص ١٦٢.

والكتب والقصائد بخطه[١]، ولذلك قرر مُكتباً فى عدة مدارس من أكبر مدارس القاهرة لتعليم الخط. ومنهم أيضا خطاب بن عمر بن خطاب الدنجاوى[٢] (ت٨٩١هـ/ ١٤٨٦م)، ويعتبر من أشهر النساخ والخطاطين وكتاب الوثائق فى العصر المملوكى، وقد كتب أكثر من خمسين مصحفا[٣]. هذا إلى جانب المخطوطات والوثائق الشرعية للسلطان قايتباى وأمراء عصره[٤]، وقد تولى عدة وظائف منها تصدره للتكتيب بمدرسة أزبك من ططخ[٥]، مع قراءة المصحف وصحيح البخارى.

وتزخر كتب التراجم والطبقات بالعديد من أسماء الخطاطين الذين كانوا يعملون فى رحاب المؤسسات المملوكية، كما كان كثير من مؤدبى الأيتام يجيد الخط. وبعضهم كان يقوم بعمل النساخ إلى جانب تعليم الخط مثل برهان الدين إبراهيم مؤدب الأيتام بمدرسة جوهر اللالا[٦]. كما تكسب بالنسخ وتعليم الخط فى المؤسسات المملوكية كل من أحمد بن حسن الشهاب الهيثمى، وإسماعيل بن عمران، ومحمد بن محمد البليهى وغيرهم كثير[٧].

وعادة ما كان يدفع بالمخطوط بعد فراغ الناسخ من عمله إلى المُجلد، لتجميع أوراقة

---

(١) وصلنا عدد غير قليل منها مصحف رقم ٧٦٧/١٦ بالمكتبة الأزهرية، ومصحف برقوق رقم ١١، مصاحف بدار الكتب، وكان هذا المصحف ضمن موجودات خزانة المدرسة البرقوقية، ويوجد أيضا بدار الكتب نسخة من البردة الشريفة كان قد كتبها ابن الصائغ سنة ٨٠٤ هـ وهى تحت رقم ٤٥٥ أدب، ولابن الصائغ رسالة صغيرة فى صناعة الكتابة تعرف بـ «تحفة أولى الألباب» تقع فى ٢٣ ورقة وهى تحت رقم ١٤ صناعة بدار الكتب.

(٢) انظر ترجمته فى : السخاوى : الضوء اللامع جـ٣، ص١٨١.

(٣) تحتفظ دار الكتب بالعديد من المصاحف التى كتبها الدنجاوى منها : مصحف الأمير السيفى جانى بك أمير آخور كبير كتبه الدنجاوى سنة ٨٨٩ هـ/ ١٤٨٤م وهو تحت رقم ٥٥ مصاحف، ومصحف آخر تحت رقم ١٢٦ مصاحف كان قد وقفه قايتباى على خزانة مدرسته بالكبش سنة ٨٩٠هـ/١٤٨٥م. أنظر الملحق الأول، لوحة ١١ بآخر الكتاب.

(٤) منها على سبيل المثال : وثيقة وقف السلطان قايتباى رقم ٨٨٨ أوقاف.

(٥) وثيقة أزبك من ططخ رقم ١٩٨، محفظة ٣١، دار الوثائق.

(٦) وثيقة جوهر اللالا، رقم ١٠٢١ أوقاف.

(٧) أنظر السخاوى : الضوء اللامع جـ١، ص٢٧٣، جـ٢، ص ٣٥٤، جـ٩، ص ٢٥٢، على التوالى.

وتجليده . ولذلك يرجح وجود مجلد للكتب فى بعض المكتبات بالمؤسسات المملوكية لاسيما وأن فن التجليد كان قد بلغ فى مصر المموكية أرقى مراتب التقدم والازدهار. وأصبح لمدرسة القاهرة فى تلك الفترة الصدارة فى إنتاج الكتب وتجليدها[١] وزخرفتها وتذهيبها ووجد الكثيرون ممن برعوا فى هذه الصناعة نذكر منهم على سبيل المثال : عمر بن محمد ابن إبراهيم السراج الكتبى (ت٨٤٤هـ/ ١٤٤٠م)[٢] ، ومحمد بن إبراهيم الحلبى الكتبى[٣] (٨٥٢هـ/١٤٤٨م) ، وسالم بن محمد بن محمد سالم القرشى القاهرى الكتبى[٤] (ت٨٧٦هـ/ ١٤٧١) . ومنهم من كان يجمع بن مهنة النسخ والتجليد، بل والتذهيب والزخرفة أحيانا مثل محمد بن أحمد على الإبيارى المعروف بابن السدار (ت٨٨٤هـ/١٤٧٩م)[٥] ، ومحمد بن أحمد الأزهرى (ت ق٩هـ/١٥م)[٦] .

ويتضح مما سبق أن المكتاب المملوكية عرفت ثلاث فئات من العاملين هم أمناء المكتبات، والمناولين والوراقين. كما أفادت بعض المكتبات، لاسيما الملحقة منها بالمؤسسات كالمدارس والمساجد وغيرها، بما توفر لها من خدم بما فى ذلك البوابين والفراشين والطباخين وغيرهم، كما نصت على ذلك بعض الوثائق المملوكية[٧] . وكان هؤلاء وأولئك على قدر كبير من المهارة الفنية وحسن الإدارة لما تحتويه مكتباتهم من إنتاج فكرى وتنظيمه وتيسير سبل الافادة منه. وقد نال العاملون جزءا كبيرا من اهتمام منشئى المكتبات والواقفين عليها. فخصصوا لهم المرتبات المجزية والتيسيرات العديدة وبخاصة فى الأعياد والمناسبات[٨] . وكان هناك احترام لمشاعرها الاجتماعية وتقدير لذاتهم. ويكفى أن نشير أن مرتب أمين المكتبة المملوكية كان يتساوى فى كثير من

---

(١) سوف نعالج قضية التجليد والترميم والصيانة فى الفصل الثالث من الكتاب.

(٢) السخاوى : الضوء اللامع، جـ٦ ، ص١١٥ .

(٣) المصدر السابق، جـ٦ ، ص ٢٧٤ .

(٤) المصدر السابق، جـ٣ ، ص٢٤٢ .

(٥) المصدر السابق ، جـ٧ ، ص٢٢ .

(٦) المصدر السابق ، جـ٩ ، ص٦ .

(٧) أنظر : الوثائق المثبت بيانها فى صدر قائمة المصادر والمراجع فى نهاية الكتاب.

(٨) انظر : الوثائق المثبت بيانها فى صدر قائمة المصادر والمراجع فى نهاية الرسالة.

الأحيان مع مرتب المدرسين بالمدرسة[١] . فلا أقل إذا من أن يحب المكتبيون عملهم ويخلصوا فيه، وهذا ما كان يريده المماليك لمكتباتهم.

٤ ـ المجموعات المكتبية :

وفى مقام الحديث عن موارد المكتبات المملوكية لابد من وقفه نتعرف فيها على تعداد مقتنياتها من الكتب وأحجامها وأنواعها. ذلك أن مقتنيات أية مكتبة تعتبر من أهم العناصر المميزة لهويتها، كما أنها تعتبر من أهم معايير الحكم على فعاليتها، بل إن الأساس فى قيام المكتبة وبقائها واستمراريتها فى أداء دورها التعليمى والتربوى مرهون. إلى حد بعيد. بنوع المقتنيات التى تضمها بين جدرانها. ومن أجل هذا حرص الواقفون على تزويد مكتباتهم بالآلاف من الكتب والمؤلفات فى مختلف العلوم والفنون.

وعلى الرغم من أن بعض المؤرخين القدامى حدد حجم مجموعات المكتبات المملوكية بالأرقام، إلا أن البعض الاخر وصفها بصفات عامة وغير دقيقة، مثل «كثيرة» و«كبيرة» و«عظيمة» و«جليلة» و«معتبرة» و«نفيسة» وغيرها من الصفات التى تدل على حب الكتب والتنافس فى جمعها والتباهى بكثرة عددها، وتنوع موضوعاتها. فالمقريزى يحدثنا عن السلطان المؤيد شيخ أنه لما تم عمارة الجامع المؤيدى «دخل خزانة الكتب التى عملت هناك، وقد حمل إليها كتبا كثيرة فى أنواع العلوم»[٢]. وفى معرض حديثه عن خزانة الكتب السلطانية بالقلعة يذكر أنه «وقع بها حريق يوم الجمعة رابع صفر من أحدى وتسعين وستمائة فتلف بها من الكتب فى الفقه والحديث والتاريخ وعامة العلوم شيئا كثيرا جدا»[٣]. كما يصف ابن حجر العسقلانى مجموعة كتب خزانة القاضى برهان الدين بن جماعة بأن «الكتب التى بها كثيرة جدا»[٤].

---

(١) أنظر : الوثائق المثبت بيانها فى صدر قائمة المصادر والمراجع فى نهاية الرسالة .

(٢) المقريزى : الخطط جـ٢، ص ٣٢٩، ايضا : السيوطى : حسن المحاضرة جـ٢١، ص١٩٤.

(٣) المقريزى : الخطط، جـ٢، ص٢١٢.

(٤) ابن حجر : انباء الغمر (مخطط)، حوادث سنة ٨٢٦هـ.

ويذكر المقريزى أن الظاهر بيبرس البندقدارى لما أتم بناء المدرسة الظاهرية وقف بها خزانة كتب جليلة تشتمل على أمهات الكتب فى سائر العلوم[١] . وفى حديثه عن المدرسة الناصرية يذكر أن الناصر محمد بن قلاوون «جعل بها خزانة كتب جليلة»[٢] كما كان للمدرسة الصاحبية البهائية «خزانة كتب جليلة»[٣] . وفى حديثه عن إبراهيم ابن موسى بن أيوب القاهرى (ت٨٠٢هـ/١٣٩٩م) يذكر السخاوى أنه «أتخذ زواية بظاهر القاهرة فى المقس، ووقف بها كتبا جليلة»[٤] .

وقد وصف ابن تغرى خزانة كتب المدرسة الطيبرسية بأنها « خزانة كتب عظيمة»[٥] . ويذكر المقريزى أنه وجد بالمدرسة الملكية «خزانة كتب معتبرة»[٦] . كما زود الأمير عز الدين ايدمر الخضيرى جامعة المسمى بجامع الخضيرى بخزانة كتب نفسية[٧] . أما القاضى برهان الدين ابن جماعة فانه «اقتنى من الكتب النفسية بخطوط مصنفيها وغيرهم ما لم يتهيأ لغيره»[٨] ويدلنا وصف الكتب بهذه الصفات على قيمة الكتب وأثرها فى إثراء الحياة الفكرية إبان العصر المماليكى، وإن كانت لا تحدد بشكل قاطع أعدادها.

وبالإضافة إلى المعايير والمقاييس سالفة الذكر، استخدم الحمل كمعيار لتقييم حجم المكتبات، منها خزانة كتب جليلة كان بها عدة أحمال من الكتب فى أنواع العلوم»[٩] . كما يذكر أن جمال الدين الاستادار كان قد اشترى خزانة كتب مدرسة الأشراف شعبان بن

---

(١) المقريزى : السلوك، جـ١، ص ٥٠٤، والخطط، جـ٢، ص٣٧٩؛ انظر أيضا : ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة، جـ٧، ص ١٢٠، ٢١٣.

(٢) المقريزى : السلوك جـ١، ص١٠٤٦.

(٣) المقريزى : الخطط، جـ٢، ص٣٧٠ - ٣٧١.

(٤) السخاوى : الضوء اللامع، جـ١، ص١٧٢ - ١٧٣.

(٥) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة، جـ٩، ص١٩٩.

(٦) المقريزى : الخطط، جـ٢، ص٣٩٢.

(٧) المقريزى : الخطط، جـ٢، ص ٣١٢.

(٨) ابن حجر العسقلانى : الدار الكامنة، جـ١، ص٣٨.

(٩) المقريزى : الخطط، جـ٢، ص٣٨٥.

حسين بعد هدمها، وكانت تبلغ «الكتب النفسية عشرة أحمال»[١] . وإن كنا لا نعرف حجم الحمل هذا فان المقريزى يترك لنا تقدير حجم أو عدد هذه الكتب على ضوء حديثه، وهو يوحى بلا شك بضخامة المجموعة وكبر حجمها، ولاسيما وأنه يذكر أن جمال الدين الاستادار قد اشتراها بمبلغ ستمائة دينار، وكانت قيمتها عشرات أمثال ذلك[٢] . هذا من ناحية ومن ناحية أخرى وصفت بعض المكتبات بالأرقام أو المعايير الكمية . فصاحب الضوء اللامع يورد لنا نصا يوحى بأن مكتبة المدرسة المحمودية كانت تضم فى العقد الثانى من القرن التاسع الهجرى قرابه أو أربعة آلاف مجلداً[٣] . ويذكر ابن إياس أنه لما مات يحيى بن محمد بن حجى (ت٨٨٨هـ/١٤٥٤م) وجد عنده زيادة على ثلاثة آلاف مجلداً من الكتب النفسية[٤] .

والحقيقة أن المكتبات المملوكية، لاسيما المدرسية منها، كنت تعج بالكتب المختلفة فى فروع المعرفة البشرية السائدة فى ذلك العصر، وحسب نوع ومواد الدراسة المقررة فى كل مدرسة . لذلك كانت الكتب تعليمية لأغراض الاحتياجات الدراسية والثقيفية العامة فالمقريزى يصف مكتبة المدرسة الظاهرية بأن « بها خزانة كتب تشتمل على أمهات الكتب فى سائر العلوم»[٥] . كما يذكر عن خزانة الجامع المؤيدى أنه، قد حمل إليها كتبا كثيرة فى أنواع العلوم[٦] . «وكان مكتبة المدرسة الأشرفية برسباى تزخر بالكتب المختلفة، ومنها كتاب «الكشاف» للزمخشرى وهو فى علم التفسير، و«المفتاح» للسكاكى وهو فى البلاغة، و«الهدايا» للمرغيبانى فى الفقه، و«البزدوى» فى أصول الفقه، و«البردة»

---

(١) المصدر السابق، جـ٢ ، ص ٤٠١ .

(٢) المصدر السابق والجزء والصفحة .

(٣) السخاوى : الضوء اللامع جـ٥ ص ١٤٣ ـ ١٤٤ . أنظر نص الرواية ص١٧٨ من هذه الرسالة .

(٤) ابن اياس : بدائع الزهور جـ٣ ، ص ٢٠١ ، حوادث سنة ٨٨٨هـ .

(٥) المقريزى : الخطط، جـ٢ ، ص٣٧٩ ؛ والسلوك : جـ١ ، ص٥٠٤ ؛ ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة، جـ١ ، ص ١٢٠، ٢١٣ .

(٦) المقريزى : السلوك، جـ٢ ، ص ٣٢٩ .

للبوصيري في الأدب...[(١)] كذلك كان بمكتبة المدرسة الغورية الكثير من الكتب والمؤلفات في شتى أنواع العلوم والفقه والأدب والتاريخ والطب واللغة والمعاني والبديع، وأصول الفقه، وأصول الدين والمنطق وغيرها من علوم العصور الوسطى على حد ما جاء في وثيقة الوقف[(٢)] . وعموما فإن عدد الكتب وموضوعاتها في المكتبات المملوكية كان يتناسب تناسبا طرديا مع عدد المدرسين والطلاب والمعيدين في أي مدرسة ومقررات الدراسة فيها[(٣)] .

ولم تشذ مكتبات المؤسسات الصوفية والمساجد عن ذلك، حيث غلب على مجموعاتها من الكتب الطابع اللغوي والشرعي، وإن لم تخل من بعض المؤلفات في العلوم الأخرى المختلفة. وفي وثيقتين ترجع إحداهما إلى عام ٨٧٨هـ/١٤٧٣م تتضمن بيانا بمحتويات مكتبة خاصة أوقفها صاحبها على رواق المغاربة والجامع الأزهر[(٤)]، والثانية ترجع إلى عام ٩١٩هـ/١٥١٥م وتختص بوقف منزل ومكتبة خاصة على الجامع الأزهر[(٥)] أيضا. ومن دراستنا لهاتين الوثيقتين نخرج بالمؤشرات التالية:

١ - أن هاتين المكتبتين كانتا تحتويات على مؤلفات في مختلف ألوان المعرفة البشرية إبان العصر المملوكي ومنها المصاحف الشرعية من علوم القرآن والتفسير والحديث والمصطلح والفقه وأصوله والتوحيد والتصوف والنطق، ومنها أيضا العلوم اللغوية كالمعاجم وكتب النحو والصرف والخط والبلاغة والأدب، وكذلك التاريخ والجغرافيا والخطط. أما كتب العلوم البحتة والتطبيقية فكان منها الحساب والمساحة والهندسة والفلك والكيمياء والجيولوجيا والحيوان والطب والبيطرة. هذا فضلا عما كانتا تشتملان عليه من مؤلفات في التربية والتعليم والموسيقى وفنون الحرب والفروسية والمعارف العامة. وهذا يدلنا على موسوعية علماء ذلك العصر وفرط اهتمامهم وحبهم للقراءة وجمعهم للكتب.

---

(١) وثيقة برسباي رقم ٨٨٠ أوقاف.

(٢) وثيقة الغوري رقم ٨٨٣ أوقاف.

(٣) عبد اللطيف ابراهيم : المرجع السابق، ص٥٢.

(٤) وثيقة عيسى بن عبد الرحمن الزواوي رقم ١٨٦، محفظة ٢٨، دار الوثائق، نشر عبد اللطيف إبراهيم.

(٥) وثيقة الشيخ علي الابشادي رقم ٢٧٨، محفظة ٥٤، دار الوثائق، نشر عبد اللطيف إبراهيم.

٢ ـ أن أكثر الكتب عددا يمكن وضعها تحت الموضوعات الشرعية واللغوية والأدبية وأن أقلها هى كتب الهندسة والكيمياء والجيولوجيا والحيوان والموسيقى. ومن ثم فإن التوازن بين الموضوعات مفقود بوجه عام فى مجموعات تلك المكتبات. وإن كنا يجب أن نضع فى الاعتبار إن ظروفاً كانت تقتضى ذلك.

٣ ـ وجود العديد من الكتب فى العلوم البحته التطبيقية يدلنا على ازدهار الحياة العقلية والفكرية في ذلك العصر.

٤ ـ يوجد العديد من النسخ للكتاب الواحد، تصل إلى عشر نسخ مثل كتاب العمد فى الحديث.

٥ ـ أغلب هذه الكتب مذهبة ومجلدة لا سيما المصاحف والربعات الشريفة. ولاغرو فى ذلك فقد درج المماليك على العناية بالمصاحف والمخطوطات بتنميقها وتزويقها بالرسوم الهندسية والزخارف النباتية وتذهيبها بالمذهب واللازورد.

يتبين مما سبق أن المماليك قد وفروا لمكتباتهم جميع الموارد المادية والبشرية اللازمة لتقديم خدماتها لكافة فئات الشعب. فوفروا المبنى والتجهيزات المناسبة وخصصوا الأموال الوفيرة، وزودوها بأمناء مكتبات ومناولين ووراقين كانوا جميعا رجال أدب وعلم وفضل، كما حرصوا على تزويد مكتباتهم بالآلاف المؤلفة من الكتب والمخطوطات فى شتى أفرع المعرفة الإنسانية، ولضمان الاستفادة مما تحويه هذه المكتبات فى أسرع وقت وأقل مجهود. كذلك اهتم المماليك بالناحية التنظيمية والإجراءات الفنية للمكتبة ليضمنوا نجاح مكتباتهم فى تأدية رسالتها على الوجه الأكمل، وهو ماسنتناوله فى الفصل التالى.

الفصل الثالث

النظم والاجراءات الفنية فى المكتبات المملوكية

١ ـ التزويد : سياسته ومصادره (الشراء ـ الوقف ـ الإهداء ـ النسخ) .

٢ ـ الإجراءات الفنية الخاصة بإعداد المجموعات المكتبية للتداول : التسليم والتسلم ـ التسجيل والسجلات ـ الجرد ـ الفهرسة والفهارس ـ التصنيف.

٣ ـ الإجراءات الفنية الخاصة بصيانة المجموعات المكتبية : التجليد ـ الترميم.

المقصود بالنظم والإجراءات الفنية، تلك الوظائف التى تخضع فى أدائها لقواعد وإجراءات معينة ومقننة، تهدف إلى تزويد المكتبة بمجموعات الكتب المناسبة، ثم تنظيمها وإعدادها إعدادا فنيا ليسهل تناولها والإفادة منها، ويقوم هذا الفصل على ثلاثة محاور أساسية هى : التزويد ومصادره وإجراءاته، وتسجيل الكتب وجردها والفهرسة والتصنيف، ثم الصيانة والترميم والتجليد.

١ - التزويد : سياسته ومصادره

ويعتبر التزويد الإجراء المكتبى الأول، حيث به تبدأ كل الإجراءات، وحوله تدور كافة العمليات من تسجيل وفهرسة وتصنيف وجرد وإعارة وغيرها من العمليات التنظيمية والخدمية. بل إن الكتب التى يتم اختيارها وتزويد المكتبة بها، هى التى تحدد بدرجة كبيرة مدى كفاءة المكتبة وقدرتها على تحقيق أهدافها. ومن ثم تبدو أهمية البناء الجيد لمجموعات المكتبة، إذ كلما كان التزويد يتم وفق سياسة مستقرة، وأسس رشيدة ومعايير مناسبة، ويقابل ذلك بالاحتياجات الأساسية لمجتمع المستفيدين من المكتبة واهتماماتهم القرائية، كلما كانت المكتبة أقدر على تقديم خدماتها، ومن ثم تحقيق أهدافها الإعلامية والتعليمية والتربوية.

وتبدو أهمية وجود سياسة مكتوبة وموثقة للتزويد فى أن تدوينها يساعد العاملين بالمكتبة على اتباع خطة مرسومة بهذا الخصوص، «وذلك أننا - دون سياسة مكتوبة - نتعود بلا شعور تطبيق مبادىء عامة معينة نكتسبها كنتيجة للخبرة والدراسة والاحساس العام، وهى جميعها تفتقر إلى الإطار العام الذى ينتظمها»(١). كما ترجع أهمية كونها

---

(١) شعبان عبد العزيز خليفة : تزويد المكتبات بالمطبوعات، القاهرة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ١٩٨٤، ص١٢.

مكتوبة إلى استمرار تنمية المجموعات وفق خطة ثابتة لا تتغير بتغير العاملين بها. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى ينبغى لسياسة التزويد أن تكون مرنة وتراجع باستمرار نظرا لأنه قد تتغير أهداف المكتبة مع مرور الزمن.

وإذا كانت بعض مكتبات مصر اليوم لا تملك مثل هذه السياسة المدونة للتزويد، فإن المماليك كانوا أكثر وعيا وادراكا لكيفية إداره مكتباتهم، فقد عرفوا ما يشبه سياسة التزويد، وتمثل ذلك فى وثائق الوقف، والتى وصلتنا منها أعداد كثيرة. فقد كانت هذه الوثائق بمثابة اللوائح التنظيمية للمؤسسات المملوكية وما تحتويها من المكتبات، فهى غالبا ما تتضمن الغرض من إنشائها، وتعيين الموظفين فيها، والصفات والدرجات العلمية التى يجب أن تتوفر فيهم، والمجالات الموضوعية التى يجب أن تغطيها مجموعة المكتبة من الكتب والتى عادة ما تتفق والبرامج التعليمية التى كانت تدرس بالمؤسسة الأم(١).

وثمة تساؤل عن دور أمين المكتبة المملوكية فى تزويد مكتبته بالكتب والمؤلفات، وهى مهمة تعتبر من أهم أركان العمل المكتبى، بل وأخطرها. وللأسف الشديد لم تزودنا المصادر التى تحت أيدينا بأية معلومات يمكن أن نتلمس من استنطاقها الإجابة على هذا التساؤل. غير أن وثيقة واحدة تذكر لنا أن الواقف أو ناظر الوقف من بعده هو الذى كان يقوم باختيار الكتب وشرائها ووقفها على المكتبة(٢). وفى اعتقادنا أن ذلك كان يتم بالتشاور مع أمين المكتبة والمدرسين بالمدرسة، أو الاطباء بالبيمارستان، فهم غالبا أقدر على تحديد احتياجات المكتبة والنظام التعليمى الذى تقوم على خدمته بمثل هذه الكتب.

---

(١) راجع على سبيل المثال : وثيقة تغرى بردى، رقم ٩٨ ، محفظة ١٦ ، دار الوثائق، وثيقة أزبك من ططخ، رقم ١٩٨ ، محفظة ٣١، دار الوثائق؛ وثيقة حسام الدين لاجين رقم ١٧ ، محفظة ٣، دار الوثائق؛ وثيقة الجمالى يوسف، رقم ١٠٥ ، محفظة ١٦ ، دار الوثائق؛ وثيقة السلطان حسن، رقم ٨٨١ أوقاف وثيقة بيبرس الجاشنكير، رقم ٢٣ ، محفظة ٤ ، دار الوثائق؛ وثيقة جمال الدين يوسف الاستادار، رقم ١٠٦ ، محفظة ١٧ ، وثيقة برسباى، رقم ٨٨٠ أوقاف؛ وثيقة الابشادى، رقم ٢٧٨ ، محفظة ٤٣؛ وثيقة المؤيد شيخ أوقاف رقم ٩٣٨؛ وثيقة صيرغتمش رقم ٣١٩٥ أوقاف؛ وثيقة خوند بركة، رقم ٤٧ ، محفظة٧.

(٢) وثيقة الابشادى ، رقم ٢٧٨ ، محفظة ٤٣ ، نشر عبد اللطيف ابراهيم على.

وعلى أية حال، تعددت مصادر التزويد فى المكتبات ما بين شراء ووقف واهداء ونسخ. ويمثل الشراء المصدر الرئيسى لتزويد المكتبات المملوكية بالكتب، وعلى وجه الخصوص المكتبات الخاصة. وفى الحديث عن «الآداب مع الكتب التى هى آله العلم»(١) يوصى ابن جماعة طالب العلم بضرورة اقتناء الكتب المحتاج إليها شراءا ما أمكنه ذلك، وإلا فنسخا أو اعارة، وإذا أمكن تحصيلها شراء، لا يشتغل بنسخها إذا تعذر عليه ثمنها، أو أجرة استنساخها، ولا يستعير كتابا مع إمكان شرائه.

وبسبب الإقبال على الكتب أهتم الوراقون بها كسلعة اقتصادية، فكان الكتاب يروج له ويشترى، ويقايض به . وقد ساعد على ازدهار تجارة الكتب أن مصر كانت مركزا علميا وثقافيا وتجاريا هاما. وكانت الأسواق معلما جوهريا من معالم الحياة فيها، وكان لكل تجارة فيها سوقها الخاص بها. ومن ذلك سوق الوراقين(٢) أو سوق الكتبيين. وكانت هذه الأسواق تفيض بالحياة والحركة العلمية. فلم تكن حوانيتها «مجرد دورا للنسخ وإنما كانت مركزا للنشاط العقلى ومستودعا لكل ما أنتجته العقلية الإسلامية فى شتى فروع المعرفة(٣). من ذلك سوق الوراقين الذى كان بجوار المدرسة الأشرفية برسباى(٤)، وسوق الكتبيين بالشارع الأعظم فيما بين الصاغة والمدرسة الصالحية النجمية، وكانت مجمعاً لأهل العلم يترددون إليه كما يقول المقريزى(٥). وتذكر وثيقة أزبك من ططخ أن سوقا آخر للكتبيين كان بخط خان الخليلى(٦)، وكذلك وجد بمصر سوق كبير لتجارة الكتب فى أول

---

(١) ابن جماعة : تذكرة السامع والمتكلم فى أدب العالم والمتعلم، ص ١٦٣-١٦٧.

(٢) الوراقة ـ كما يعرفها ابن خلدون ـ هى عملية الانتساخ والتصحيح والتجليد وسائر الأمور الكتبية والدواوين. وبتعبير اليوم نستطيع أن نقول إن الوراقة هى نشر الكتب والاتجار فيها، وأن حوانيت الوراقين كانت تقوم مقام دور النشر فى هذه الايام، كما كانت تقوم بدور المكتبات Bookshops من بيع الورق والأدوات الكتابية كالاقلام والمداد. راجع : ابن خلدون : المقدمة، ص ٩٦٣.

(٣) عبد الستار الحلوجى : لمحات من تاريخ الكتب والمكتبات ، ص ٣٤.

(٤) وثيقة برسباى، رقم ١٧٣ ، محفظة ٢٧ ، دار الوثائق؛ وثيقة برسباى، رقم ٨٨٠ أوقاف.

(٥) المقريزى : الخطط، جـ٢ ، ص١٠٢ ؛ انظر ايضا : ابن دقماق : الانتصار، جـ٤ ، ص١٣.

(٦) وثيقة أزبك من ططخ، رقم ١٩٨ ، محفظة ٣١ ، دار الوثائق.

زقاق القناديل بجوار جامع عمرو بن العاص، وقد استمر هذا السوق عامراً حتى سنة ٧٨٠هـ/١٣٧٨م وفقا لرواية المقريزى[1].

والحقيقة أن تجارة الكتب أو الوراقة ظلت مزدهرة فى هذه الأسواق على امتداد تاريخ دولة المماليك. وقد اشتغل بها علماء وأدباء وأجلاء نذكر منهم على سبيل المثال محمد بن إبراهيم بن يحيى الكتبى المعروف بالوطواط (ت٧١٨هـ/١٣١٨م) وكان أديبا مترسلا، فكانت صناعته الوراقة وبيع الكتب[2]، والشيخ عبد اللطيف بن عبد العزيز شهاب الدين (ت٧٥٨هـ/١٣٥٧م) وكان فاضلا عارفاً فى النحو واللغة والمعانى والبيان والقراءات وكان يتاجر فى الكتب[3] وعبد المؤمن بن عبد الرحمن عبد العزيز (ت٧٩١هـ/١٣٨٨م) الكاتب الذى قدم إلى القاهرة من حلب وتاجر فيها بالكتب فحصل منها مالا جما[4]. وهناك أيضا على بن داود الجوهرى المعروف بابن الصيرفى (ت٩٠٠هـ/١٤٩٤م)، وكان مؤرخا تولى الخطابة ثم ناب فى القضاء وأبعد، فاتجه إلى سوق الجوهرية واشتغل بنسخ الكتب وبيعها[5]. ومن رجال القرن الثامن الهجرى أيضا الشيخ الفقيه على بن أحمد الخضر الأميرى أحد علماء الحنابلة، وصنف المؤلفات واشتغل فى تجارة الكتب، وكان له حانوته الذى يبيع فيه، وظل يعمل به حتى فقد بصره فكان يعرف أماكن الكتب فى حانوته بل كان إذا طلب منه المجلد الأول مثلا من الكتاب الفلانى قام وأخرجه، وكان يحس الكتاب فيقول هذا يشتمل على كذا وكذا فلا يخطىء، فإذا كان الكتاب مثلا بخطين قال بخطين[6].

وممن تكسب بالوراقة وبسوق الكتبيين أيضا محمد بن يوسف بن سليمان الكتبى

---

(١) المقريزى : الخطط، جـ٢، ص١٠٢.

(٢) الزركلى : الأعلام، جـ٦، ص١٨٨.

(٣) العسقلانى : الدرر الكامنة، جـ٣، ص٢١.

(٤) المصدر السابق، والجزء، ص١٣.

(٥) انظر ترجمته فى : السخاوى : الضوء اللامع، جـ٥ ص٧٣٨ - ٧٣٩. وجدير بالذكر أن الدكتور حسن حبشى قد قام بتحقيق ونشر اثنين من مؤلفات ابن الصيرفى، هما أنباء الهصر بأبناء العصر، القاهرة، ١٩٧٠؛ نزهة النفوس والأبدان فى تواريخ الزمان، ٣ جزء، القاهرة، ١٩٧٣.

(٦) العسقلانى : المصدر السابق، والجزء، ص٩٠.

الإمشاطى (ت٨٣٣هـ/١٤٣٠م)[١] فيذكر السخاوى أنه «تكسب فى حانوت بيع الكتب دهرا وعُرف بالخبرة التامة فيها. وكذلك موسى بن سليمان بن عبد الكريم الشافعى الكتبى (ت٨٣٧هـ/١٤٣٤م)[٢] الذى تكسب بالوراقة والكتب وبرع فى ذلك، ومحمد بن محمد الحريرى (ت٨٤٠هـ/١٤٣٦)[٣]، وحسين بن حسن الهوديني الكتبى (ت٨٥١هـ/١٤٤٧م) [٤] ومحمد بن على بن موسى البدر الماوردى (ت٨٧٠هـ/١٤٦٥م)[٥]، وعبد اللطيف بن أحمد الحريرى الحنفى (ت٨٧٨هـ/١٤٧٣م)[٦] وأحمد بن محمد الماردى (ت٨٩٠هـ/١٤٨٥م)[٧]، وحسين بن على بن سالم الغوى (ت٨٩٠هـ/١٤٨٦م)[٨]، وأحمد بن محمد الكتبى (ت ق٩/١٥م) الذى كان يبيع الكتب فى حانوته تحت المدرسة الصرغتشية[٩].

ويبدو أن عملية الشراء من أسواق الكتب لم تكن مأمونة، اذ يذكر السخاوى فى ترجمته لمحمد بن محمد بن صلاح الدين الحنفى (ت٨٦٤هـ/١٤٥٩م) إمام الصرغتمشية وأحد تجار الكتب فى القرن التاسع الهجرى (الخامس عشر الميلادى) أنه كان يقوم بشراء الكتاب بالثمن اليسير ثم يكتب عليه بخطه أنه بخط فلان من مشاهير النساخ كابن البواب وذلك حتى يروج له، وقد يقع له الكتاب المخروم فيوالى بين أوراقه أو كراريسه بكلام يزيده من عنده، أو تكرير الكلام بحيث يتوهمه المبتاع قبل التأمل فيه وفحصه[١٠].

---

(١) السخاوى: الضوء اللامع، جـ١٠، ص٩٤.

(٢) المصدر السابق، جـ١٠، ص١٨٢.

(٣) المصدر السابق، جـ٩، ص ٧٠.

(٤) المصدر السابق، جـ٣، ص ١٤٤.

(٥) المصدر السابق، جـ٨، ص٢٢٢.

(٦) المصدر السابق، جـ٤، ص٣٢١.

(٧) المصدر السابق، جـ٢، ص٢١٦.

(٨) المصدر السابق، جـ٣، ص١٥.

(٩) المصدر السابق، جـ٢، ص٢٠٧.

(١٠) السخاوى: الضوء اللامع، جـ٩، ص ١٤٨.

وقد شهدت أسواق الكتب المصرية إبان العصر المملوكي ـ مثلها فى ذلك مثل أسواق الكتب فى بغداد ودمشق وقرطبة وغيرها ـ فئة من الوراقين تخصصت فى الدلالة أو الترويج والدعاية للكتب. وقد عرفت هذه الفئة بدلالى الكتب، وكان من بينهم العالم والأديب. نذكر منهم على سبيل المثال سعد بن على أبو المعالى الأنصارى الخضيرى (عاش فى ق ٧هـ/ق١٣م) المعروف بالدلال، وكان أديبا فاضلا شاعرا رقيق الشعر[١]. ومنهم أيضا محمد بن عمر بن محمد النشيلى (عاش فى ق ٩هـ/ق ١٥م) دلال الكتب[٢]. وكان لهذه الفئة أخلاقياتها أو آداب مهنتها، فيذكر السبكى أن من حق الدلال «ألا يبيع كتب الدين لمن يعلم أنه يضيعها، أو ينظرها لانتقادها والطعن عليها، وألا يبيع شيئا من كتب أهل البدع والأهواء، وكتب المنجمين، والكتب المكذوبة... ولا يحل له أن يبيع كافرا له لا المصحف ولا شيئا من كتب الحديث والفقه»[٣].

وكان النساخ هم المصدر الأساسى لتمويل سوق الكتب والوراقين باحتياجاتها. بل إن بعض النساخ كانوا يستأثرون بأعمالهم، فتكون لهم دكاكينهم الخاصة، ينسخون ويبيعون ما ينسخونه فيها. من هؤلاء ابن الوحيد، محمد بن شريف الزرعى (ت٧١١هـ/١٣١١م) وكان يتقن النسخ كما يقول العسقلانى، وكانت أعماله رائجة تباع بأغلى الأثمان، ويبدو أن الطلب على أعماله كان متزايدا مما دفع به إلى شراء ما كان ينسخه بعض تلاميذه الذين كانوا يقلدون خطه ويكتب فى آخره إسمه ثم يبيعه بسعر مرتفع[٤].

وكان بعضهم يضيف التذهيب إلى الكتب التى ينسخها فتباع بأثمان مرتفعة وتلقى رواجا لدى الخاصة من الناس من هؤلاء محمد بن محمد بن بندار (ت٨٢٣هـ/١٣٢٣م)

---

(١) ياقوت الحموى : معجم الأدباء، جـ١١، ص١٩٥.

(٢) السخاوى : الضوء اللامع، جـ١١، ص٢٣١.

(٣) السبكى : معيد النعم ومبيد النقم، ص ١٤٣.

(٤) العسقلانى : الدرر الكامنة، جـ٤، ص٧٣.

وهو من أبرع الذين اتقنوا تذهيب المصاحف[١]، ومثله كان محمد بن شرف بن الكاتب (ت٧٢٥هـ/١٣٢٥م) الذى اشتهر بجودة الخط وإحكام التذهيب[٢]، وعبد الله بن على الكازونى (ت٧٦٤هـ/١٣٦٣م) وكان لغويا أديبا عرف ببراعة الخط وإتقان الكتابة بالكوفى، واشتهر بتذهيب الأعمال التى ينسخها[٣]. على أية حال، كان عدد الذين يقومون بنسخ الكتب كبيرا جدا، وكانت أسواق الكتب تعتمد على إنتاجهم، وكانوا هم الممول الرئيسى لحركة تجارة الكتب فى ذلك العصر.

ولقد جرت العادة أن تباع كتب العالم أو مالك الكتب الذى يموت، ولاسيما إذا كان أولاده لا يحبون الكتب أو ليسوا من أهل العلم، أو لم يكن له ذرية ذكورا، أو لغير ذلك من الأسباب. فقد باع ورثة محمد بن على بن غانم كتب والدهم بعد موته (ت٧٤٠هـ/١٣٧٩م)، وكان قد خلف منها الشيىء الكثير، ووصل ثمن الكتب عند بيعها

---

(١) العسقلانى : الدرر الكامنة، جـ٤، ص٣٥٢.

وجدير بالذكر أن دار الكتب المصرية تحتفظ بالعديد من المصاحف والمخطوطات المذهبة، التى ترجع إلى العصر المملوكى، وكانت ضمن موجود مكتبات ذلك العصر. وهذه المخطوطات والمصاحف لازالت تحتفظ بلونها. ورونقها. من ذلك مصحف محمد بن قلاوون رقم ٤ مصاحف دار الكتب المصرية؛ ومصحف رقم ٧٠ مصاحف؛ ومصحف السلطان شعبان رقم ١٠ مصاحف؛ ومصحف صرغتمش رقم ٩٠ مصاحف؛ ورقم ١٥ مصاحف؛ ومصحف خوند بركة أم السلطان شعبان رقم ٦ مصاحف ومصحف الآمير قجماش الإسحاقى رقم ٧١ مصاحف؛ وكتاب «البرهان فى متشابه القرآن لتاج القراء برهان الدين الكرمانى (ت٥٠٥هـ/١١٠٩م) رقم ٥٠٩ تفسير؛ والجزء الثانى من كتاب «التكملة والزيل والصلة للصاغانى (ت٦٥٠هـ/١٢٥٢م) وكان وقفا على المدرسة الصرغتمشية. وهو يحمل رقم ٣ لغة.

وعن التذهيب فى المخطوطات العربية راجع عبد الستار الحلوجى: المخطوط العربى، ص ٢٢٥ - ٢٣٠، زكى حسن : الكتاب فى الفنون الإسلامية، مجلة الكتاب، مج ٢ (١٩٤٦) ص٢٥٥ - ٢٦٣، أبو الحمد محمود محمد فرغلى: تصاوير المخطوطات فى عصر الأيوبيين والمماليك، رسالة ماجستير لم تنشر بعد كلية الآثار. جامعة القاهرة، ١٩٨١م.

(٢) المصدر السابق، جـ٤، ص ٣٢٦.

(٣) المصدر السابق، جـ٢، ص٣٨٤ - ٣٨٥.

إلى ثلاثين ألف درهما[١]. وباع ورقة ابن القيم الجوزية (ت٧٥١هـ/ ١٣٥٠م) أغلب ما جمعه والدهم فى حياته من كتب، وكان قد جمع ما لا يحصر على حد تعبير العسقلانى، فظل أولاده يبيعون منها فترة طويلة[٢]. وكان مما بيع فى تركة أبى بكر بن أحمد الشهبى (ت ٨٥١هـ/١٤٤٧م) نحو سبعمائة مجلدا[٣]. ويذكر السخاوى أم محمد بن محمد بن عبد الله الخضيرى (ت٨٦٠هـ/١٤٥٥م)، اقتنى الكثير من الكتب. وبعد وفاته وضع ولده أحمد يده عليها فباعها[٤]. ومنهم أيضا إبراهيم بن أحمد بن الفرس (ت٨٨٨هـ/١٤٨٣م)، فقد بيعت كتبه بعد موته بأبخس الأثمان[٥]. كما بيعت كتب حسن بن على ابن سالم ظهير الدين (ت٨٩١هـ/١٤٨٦م) بعد موته بالعدد لكثرتها[٦].

وبسبب ضيق ذات اليد أو الحاجة إلى تسديد الديون أو الإفلاس، اضطر بعض العلماء وأصحاب المكتبات الخاصة إلى بيع كتبهم أو جانبا منها فى سوق الكتب. وتضم المصادر أخباراً كثيرة عن أناس باعوا كتبهم لتسديد ديونهم أو لمواجهة حالة الإعسار التى وقعوا فيها لسبب أو لآخر. نذكر منهم عبد الله بن على الصنهاجى (ت ق ٨هـ/١٤م)، وكان من العلماء الأثرياء، اضطر بسبب إسرافه الشديد إلى بيع كتبه ليسدد ديوناً كانت عليه[٧]. وكان لأحمد بن عبد الرحيم بن حسين بن الحسين مكتبة خاصة باعها آخر أيامه بسبب الحاجة (ت٨٩٨هـ/١٤٩٣م)[٨].

والمكان الطبيعى الذى كان يلجأ إليه البعض ببيع كتبهم هو سوق الكتبيين. والحقيقة أن العديد من السلاطين والأمراء والعلماء والأدباء وغيرهم - خاصة الأغنياء منهم -

---

(١) العسقلانى : الدرر الكامنة جـ٤، ص٢٠٣.

(٢) المصدر السابق، جـ٤، ص٢٢.

(٣) السخاوى : الضوء اللامع، جـ١١، ص٢٣.

(٤) المصدر السابق، جـ٢، ص١٨٤.

(٥) المصدر السابق، جـ١، ص١٢، ١٣.

(٦) المصدر السابق، جـ٣، ص١٥٠.

(٧) العسقلانى : الدرر الكامنة، جـ٢، ص٣٨٢.

(٨) السخاوى : الضوء اللامع، جـ١، ص٣٦٦.

حرصوا على أن تكون مكتباتهم شاملة فتنافسوا فى شراء الكتب المعروضة للبيع. نذكر من هؤلاء الأمير يشبك بن مهدى الداودار. فقد ذكر صاحب «الضوء اللامع» أنه تحصل من الكتب النفسية شراءا واستكتابا[1]، والأمير جمال الدين محمود الاستادار الذى اشترى خزانة كتب القاضى برهان بن جماعة من ورثته بعد موته عام ٧٩٠هـ/١٣٨٧م وكان بها حوالى أربعة آلاف مجلد، ووقفها على مكتبة المدرسة المحمودية[2]، وأيضا جمال الدين يوسف الاستادار الذى اشترى الكثير من كتب مكتبة المدرسة الأشرفية شعبان بن حسين بن ابنة الملك الصالح المنصور حاجى بن الأشرف شعبان بعد هدمها بمبلغ ستمائة دينارا ووقفها على مدرسته[3].

وكان شراء الكتب من ريع الوقف، من بين الوسائل لتزويد المكتبة بالمؤلفات لاسيما النادرة منها، والتى تحتاجها العملية التعليمية. اذ تذكر وثيقة الابشادى ما نصه... وأن جميع ما يشتريه كاتبه لجهة وقفه المذكور ويكتب عليه علامة وقفه المنبه عليها ويضعه مع كتب وقفه المذكورة فيه مما تحت يده من مال..[4].

وهكذا أسهمت أسواق الكتب أو الوراقين من خلال عملية الشراء فى تزويد المكتبات المملوكية بالمؤلفات فى شتى أنواع العلوم والفنون والمعرفة. وبالإضافة إلى الشراء، كان وقف الكتب وحبسها على المكتبات مصدرا رئيسيا من مصادر تزويد المكتبات المملوكية بالكتب. وقد ارتبط وقف الكتب بنظام الوقف بصفة عامة. وتسابق السلاطين والأمراء والعلماء والتجار وتنافسوا فى مجال الوقف عموما. فكان هناك من يقف الأراضى والمبانى والبساتين وكذلك الأثاث والتجهيزات والمجموعات، فضلا عن تقديم الرواتب للعاملين بالمكتبة، وكان هناك من يقف الكتب كل حسب إمكاناته. ووقف الكتب هذا هو ما يعنينا هنا، بمعنى أنه لا يجوز التصرف فيها بعد وقفها بأى حال من الأحوال سواء كان ذلك بالبيع أو الشراء أو الأهداء أو غير ذلك من أنواع التصرف.

---

(١) المصدر السابق، جـ١٠، ص٢٧٢ ـ ٢٧٤.

(٢) راجع : العسقلانى ـ الدرر الكامنة، جـ٢، ص٢٢٩.

(٣) وثيقة جمال الدين يوسف الاستادار، رقم ١٠٦، محفظة ١٧ المقريزى : الخطط جـ٢، ص ٤٠١.

(٤) وثيقة على الإبشادى رقم ٢٧٨، محفظة ٤٣، نشر : عبد اللطيف إبراهيم، ص ٣٤.

وباستثناء المكتبات الخاصة يمكن القول إن معظم المكتبات المملوكية قامت على قاعدة الوقف، إنشاءً وتمويلاً وصيانةً. ويرد اسم الفقيه المحدث أبو الفتح محمد بن أبى بكر الكوفى (ت٦٦٧هـ/١٢٦٧م) على رأس قائمة رجالات الخير فى مجال وقف الكتب والمؤلفات على دور العلم والمكتبات. فقد كانت له مكتبة خاصة وقفها على طلبة العلم وفقا لرواية العينى فى «عقد الجمان»[١]. ومن ذلك أيضا الشيخ الفقيه يحيى عبد الوهاب الدمنهورى الذى وقف كتبه على الجامع الظاهر[٢]، وأحمد بن هارون الشهابى الذى وقف كتبه على الجامع الأزهر[٣]. وقد حظى الجامع الأزهر. وقد حظى الجامع الأزهر على وجه الخصوص باهتمام الواقفين فى هذا المجال. فقد وقف الشيخ على الإبشادى كتبه «على الفقراء والمساكين القاطنين بالجامع الأزهر[٤]. كما وقف الشيخ عيسى بن عبد الرحمن الزواوى المغربى جزءا من مكتبته على طلبة العلم برواق المغاربة بالجامع الأزهر[٥]. ووقف كذلك الأمير ركن الدين بيبرس الجاشنكير نحواً من خمسمائة مجلدا فى المعارف والعلوم المختلفة على الجامع الحاكمى[٦].

وإذا كانت المساجد والجوامع المملوكية قد عجت مكتباتها بالكتب الموقوفه، وتنافس المسلمون وتسابقوا فى وقف الكتب الشرعية وعلى رأسها المصاحف الشريفة، فقد تفننوا أيضا فى كتابتها وتجليدها وزخرفتها كما يقول يوسف العشى[٧]. وقد شكلت الكتب الموقوفة جانبا كبيرا هاما من مقتنيات المكتبات المدرسية. ويحدد السخاوى على سبيل

---

(١) العينى : عقد الجمان، جـ٢، ص٥٥، وانظر ترجمته فى : الذهبى : العبر، جـ٥، ص ٢٨٦ ـ ٢٨٧.

(٢) العسقلانى : الدرر الكامنة، جـ٤، ص ٤٢١ ـ ٤٢٢.

(٣) السخاوى : الضوء اللامع، جـ٢، ص٢٤٠.

(٤) وثيقة الإبشادى رقم ٢٧٨، محفظة ٤٣، نشر عبد اللطيف إبراهيم، ص ١٣ ـ ١٤.

(٥) وثيقة عيسى الزواوى رقم ٢٥٣، محفظة ٤٠، ص ١٣.

(٦) وثيقة بيبرس الجاشنكير، رقم ١٣ محفظة ٤، النويرى : نهاية الأرب، جـ٣١، ق١، سنة ٧٠٢؛ الصفدى : فوات الوفيات، جـ٣، ص٢٩٠.

(٧). - YOUSSEF EL ECHE, LES BIBLIOTHEQU ES ARABES, P. 7

المثال حجم الكتب الموقوفة فى المدرسة المحمودية بثلاثة آلاف مجلداً [١] والحقيقة أننا قلما نجد مدرسة فى العصر المملوكى إلا ووقف عليها العديد من الكتب الدينية وغير الدينية [٢]. من ذلك الأمير بيبرس البندقدارى الذى وقف خزانة كتب على المدرسة الظاهرية، وقد حملت إليها الكتب فى سائر العلوم والمذاهب [٣]، والأمير قانى باى الرماح الذى وقف مجموعة من الكتب على خزانة مدرسته، يستدل على ذلك من وثيقة وقفه حيث ذكرت ما نصه «... وأما الخلوتان اللتان بالايوان الكبير... معدة لخزن الكتب التى وقفها الواقف» [٤].. كما وقف محمود بن محمود بن أحمد العنتابى كتبه على مدرسة كان قد بناها بالقرب من الجامع الأزهر [٥]، ونفس الشيء فعله قاضى عسكر حيث وقف كتبا كثيرة على المدرسة التى كان قد بناها [٦]، كما وقف الإمام ابن حجر العسقلانى خزانة كتبه الخاصة على المدرسة المحمودية قبل وفاته [٧].

كذلك شكلت الأوقاف مصدرا رئيسيا من مصادر تزويد المكتبات الأخرى بالكتب من بيمارستانات وترب وقباب وخوانق وربط وزوايا. من ذلك ما ذكره المقريزى، أن المنصور قلاوون كان قد وقف عدة أحمال من الكتب على القبة المنصورية [٨]، كما وقف كتبا كثيرة فى الطب وغيره على مكتبة البيمارستان المنصورى [٩]. ومن ذلك أيضا المؤرخ ابن تغرى بردى الذى وقف كتبه فى مدفنه بالصحراء [١٠]، كما وقف الأمير بكتمر الساقى

---

(١) السخاوى : الضوء الامع، جـ٥، ص١٤٣ ـ ١٤٤.

(٢) راجع الفصل الأول ص ٨٠ ـ ٩٤.

(٣) المقريزى : السلوك، جـ٣، ص٥٠٤، والخطط، جـ٢، ص٣٧٩، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة، جـ٧، ص١٢٠، ٢١٣، راجع ايضا : محمد جمال الدين سرور : دولة الظاهر بيبرس، ص١٢٨.

(٤) وثيقة قانى باى الرماح : رقم ١٠١٩، أوقاف.

(٥) ابن فهد الهاشمى : معجم الشيوخ، ص ٢٩٥.

(٦) العسقلانى : الدرر الكامنة، جـ٢، ص١٥٥، الشوكانى : البدر الطالع، جـ١، ص٢٢٨.

(٧) السخاوى : الجواهر والدرر، ورقة ٢٨٠، ظهر، وانظر الملحق الثالث بأخر الكتاب.

(٨) المقريزى : الخطط، جـ٢، ص٣٨٠، والسلوك، جـ١، ص ١٠٠١.

(٩) وثيقة المنصور قلاوون رقم ١١٠ أوقاف، نشر محمد محمد أمين (ملحق تذكرة النبية، جـ١).

(١٠) وثيقة وقف ابن تغرى بردى رقم ١٤٧، محفظة ٢٣، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة، جـ١، ص ٩ ـ ٢٨، السخاوى : الضوء اللامع، جـ١٠، ص٢٧٤.

عددا من الكتب على تربته[١]، وابن أبى أصيبعة الذى وقف كتبه على مشهد أبى عروة، منها «كتاب تاريخ الأطباء»[٢] فى عشرة مجلدات وفقا لرواية العينى.

وعلى أى حال، فإن الواقف كان يحرص دائما على إثبات الوقف والإعلان عنه بتسجيل نص الوقفية على الكتاب نفسه. ومن دراستنا للمخطوطات العربية التى وصلتنا من العصر موضوع الدراسة، والتى كانت موقوفة على المكتبات، يُلاحظ تفاوتا واضحا فى الصيغ الوقفية ما بين نصوص وقفية قصيرة، يشار فيها إلى اسم الواقف وتاريخ الوقف والمكان الموقوف عليه، كما هو الحال بالنسبة للكتب والمصاحف التى وقفها السلطان محمد بن قلاوون على جامعة بالقلعة سنة ٧٣٠هـ/١٣٢٩م، وجاء نص الوقفية على النحو التالى:

«أوقف هذا المصحف الشريف مولانا السلطان مالك الملك الناصر ابن مولانا السلطان سيف الدين قلاوون سقى الله عهدهما وجعل مقره بالجامع الكبير بالقلعة المنصورة وشرط أن لا يخرج من المسجد المذكور بوجه ما وقفا صحيحا شرعيا، فمن بد له بعد ما سمعه فانما إثمه على الذين يبدلونه، بتاريخ سنة ثلاثين وسبعمائه[٣]».

وزادت بعض النصوص الوقفية على ذلك شروطا لإعارة الكتاب وتداوله. من ذلك نصوص الوقف المثبته على مصاحف خوند بركة أم السلطان شعبان والتى كانت قد وقفتها على مدرستها، وجاء فيها:

«هذا ما أوقف الدار العالية المصونة المخدرة المحجبة خوند بركة والدة مولانا المقام الشريف الأعظم السلطان الملك الأشرف أبو المظفر

---

(١) انظر نص الوقفية على ربعة الأمير بكتمر الساقى، مصاحف دار الكتب، رقم ٧٢، وانظر أيضا : الملحق الأول، لوحة رقم ٣ بآخر الكتاب.

(٢) العينى : عقد الجمان، جـ٢، ص٢٥، ولعل الكتاب المقصود هنا هو «عيون الأنباء فى طبقات الأطباء».

(٣) انظر الملحق الأول، لوحة رقم ٢ بآخر الكتاب.

شعبان خلد الله ملكه وصان حجابها جميع هذا المصحف الكريم وقفا صحيحا شرعيا لينتفع به سائر المسلمين فى القراءة وغير ذلك من ساير وجوه الانتفاعات الشرعية وشرطت أن يكون مقر ذلك بالمدرسة المعروفة بإنشائها وعمارتها بظاهر القاهرة المحروسة بخط التبانة وشرطت ألا يخرج من المكان الذكور إلا برهن يحرز قيمته وشرطت النظر فى ذلك لنفسها أيام حياتها ومن بعد وفاتها لمن تشترط النظر إليه يف ذلك من بعدها وإشهدت عليها بذلك فى اليوم المبارك يوم الاثنين الثالث من شهر ذى القعدة الحرام سنة تسع وستين وسبع مائة هجرية[١].

ومن ذلك أيضاً نص وقفية الأمير جمال الدين محمود الاستادار على كتاب «تاريخ الإسلام» للذهبى والذى وقفه ضمن مجموعته على مكتبة المدرسة المحمودية وجاء فيه:

«الحمد لله وحده، وقف وحبس وسبل المعز الأشرف العالى الجمال محمود الاستادار العالية الملكى الظاهرى أعز الله تعالى أنصاره وختم بالصالحات أعماله جميع هذا المجلد وما قبله من المجلدات من تاريخ الإسلام للذهبى بخط مؤلفه وعده ذلك إحدى وعشر مجلدا وقفا شرعيا على طلبة العلم الشريف ينتفعون به على الوجه الشرعى وجعل مقر ذلك بالخزانة السعيدة المرصدة لذلك بمدرسته التى أنشأها بخط الموازين بالشارع الأعظم بالقاهرة المحروسة، وشرط الواقف المشار إليه أن لا يخرج ذلك ولا شىء منه من المدرسة المذكورة برهن ولا بغيره، من بدله بعد ما سمعه فإنما إثمه على الذين يبدلونه إن الله سميع عليم بتاريخ الخامس والعشرين من شعبان المكرم سنة سبع وسبعين وسبع ماية، حسبنا الله ونعم الوكيل.

شهد بذلك	**شهد بذلك**
عبد الله بن على البنتونى	**عمر بن عبد الرحمن الرماوى[٢]**

---

(١) أنظر المصحف، رقم ٦ مصاحف، دار الكتب المصرية.

(٢) أنظر الملحق الأول : لوحة رقم ٥ بآخر الكتاب، وأيضا أرقام ١، ٣، ٧، ٨، ٩، ١١، من نفس الملحق.

وقد تطول بعض هذه الوقفيات إلى أكثر من صفحة، وإن كنا لم نعثر على نص زاد عن عشرة أسطر، إلا أن المقرى قد أورد لنا نص وقفية لسان الدين بن الخطيب على المجلد الرابع من كتاب «الإحاطة فى أخبار غرناطة» كان قد وقفه فى حياته على أهل العلم بمصر وجعل مقره بخانقاه سعيد السعداء، وأوكل إلى عمرو بن عبد الله بن الحاج الأندلسى القيام بذلك نيابة عنه، وكان النص على النحو التالى:

«الحمد لله وحده، وقف الفقير إلى رحمة الله تعالى، الشيخ أبو عمرو بن عبد الله بن الحاج الأندلسى نفع الله تعالى به عن موكله مصنفه الشيخ الإمام العلامة بركة الأندلسى لسان الدين أبى عبد الله محمد بن الشيخ أبى محمد عبد الله بن الخطيب الأندلسى السلمانى فسح الله تعالى فى مدته، وفتح لنا وله أبواب رحمته، ومنحنا وإياه من رفده وعطيته وأسكننا وإياه أعالى جنته. جميع هذا الكتاب تاريخ غرناطة وهو ثمانية أجزاء، هذا رابعها عن مصنفه المذكور بمقتضى التفويض الذى أحضره، وهو أنه فوض إلى النيابة عنه فى جميع أموره المالية كلها، وشئونه جميعها، والنظر فى أحواله على اختلافها، وتباين أجناسها، تفويضا تاما على العموم والإطلاق والشمول والاستغراق، لم يستثن شيئا مما تجوز النيابة فيه إلا أسنده إليه، وهو ثابت على سيدنا ومولانا قاضى القضاة يومئذ بثغر الاسكندرية المحروسة، أدام الله تعالى أيامه، كمال الدين خالص أمير المؤمنين أبى عبد الله محمد بن الربعى المالكى ثبوته مؤرخ بثالث ذى الحجة عام سبع وستين وسبعمائه، وقفا شرعيا على جميع المسلمين ينتفعون به قراءة ونسخا مطالعة وجعل مقره بالخانقاه الصالحية سعيد السعداء، رحم الله. الله تعالى واقفها، وجعل النظر فى ذلك للشيخ العلامة شهاب الدين أبى العباس أحمد بن حجلة، حرسه الله تعالى، ثم من بعده لناظر أوقاف الخانقاه المذكورة، فلا يحل لأحد يؤمن بالله العظيم، ويعلم أنه سائرا إلى ربه الكريم أن يبطله ولا شيئا منه، فمن فعل ذلك أو أعان عليه فإنما إثمه على الذين يبدلونه، ان الله سميع عليم، ومن أعان على ابقائه على الوقف المذكور جعله الله تعالى من الفائزين المطمئنين الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، وأشهد الواقف

الوكيل عليه فى ذلك فى الثامن والعشرين لشهر الله تعالى المحرم عام ثمانية وستين وسبعمائة، انتهى»[١].

ويلاحظ على هذه الوقفية، إلى جانب طول النص، اهتمام لا بأس به باللغة وبالاسلوب، فضلا عن استغراق يتجاوز قضية الوقف إلى اطالة قد لا يكون من ورائها أى طائل إلا شيئا فى نفس الواقف. وكيفما كان الأمر فقد كان الوقف مصدرا من مصادر التزويد فى المكتبات المملوكية.

وأما ثالث مصادر التزويد فكان الإهداء. والإهداء هو أن يتطوع شخص ما بأن يقدم للمكتبة نسخة أو نسخا، بل وأحيانا مجموعة من الكتب مجانا وبدون مقابل، توضع فى المكتبة لخدمة روادها. وقد شكلت الكتب التى قدمت كهدايا أو هبات إلى المكتبات المملوكية من قبل بعض السلاطين والأمراء والعلماء والفقهاء، جانبا كبيراً وهاماً من مقتنيات هذه المكتبات، وإن لم يصل حجمها حجم الكتب المشتراه أو الموقوفه، وكان من بين هذه الكتب ما يمثل قيمة فنية وعلمية كبيرة، كأن يكون الكتاب نسخة نادرة، أو مسودة بخط مؤلفها. ومن ذلك ما ذكره عبد الوهاب عزام من أن الشاه إسماعيل الصفوى كان قد أهدى المكتبة السلطانية الغورية مجموعة من الكتب منها كتاب «تاريخ التتار»[١] ومن ذلك أيضا ما أورده المقريزى من أن الشيخ ناصر الدين محمد البارزى، كاتب الأسرار الشريفة[٢] زمن المؤيد شيخ، كان قد قدم إلى الجامع المؤيدى عند افتتاحه خمسمائه مجلداً. على سبيل الإهداء. قيمتها ألف دينار[٣]، وكانت الكتب التى تأتى المكتبة عن طريق الإهداء غالبا ما تحبس حفظا لها من الضياع ولينتفع بها أهل العلم.

---

(١) المقرى، أحمد بن محمد نفح الطيب فى غصن الأندلس الرطيب، تحقيق احسان عباس، بيروت. دار صادر، ١٩٧٨، جـ٧، ص١٠٣-١٠٥.

(١) عبد الوهاب عزام: مجالس السلطان الغورى، ص٤١.

(٢) كاتب السر: هو أحد المصطلحات المملوكية وهو اسم آخر لصاحب ديوان الإنشاء ووظيفته التوقيع عن الملك وهو يدل على أن هذا الكاتب كانت بحكم عمله على علم بأسرار الدولة. راجع: السبكى: معيد النعم ومبيد النقم، ص ٣٠؛ القلقشندى صبح الأعشى، جـ٥، ص٤٥٢؛ وأيضا الباشا: الفنون الإسلامية والوظائف: جـ٢ ص٩٢٢.

(٣) المقريزى: الخطط جـ٢، ص ٣٢٩؛ راجع أيضا: السيوطى: حسن المحاضرة جـ٢ ص١٩٤.

ولتزويد المكتبات بالمؤلفات التى لا يتوقف سيلها، كان عمل النساخ فى داخل المكتبات. فعن طريق النسخ كانت المكتبات المملوكية تحصل على كتب قد لا تحصل عليها بالطرق أو المصادر الأخرى من شراء ووقف وإهداء. فضلا عن الحصول على ما تحتاجه المكتبات - لاسيما المدرسية منها - من نسخ من الكتاب الواحد لأغراض العملية التعليمية. وقد مر بنا فى الفصل السابق[١] أن بعض المكتبات وجد بها النساخ لنسخ ما يطلب منهم بأجر يدفع بهم من ريع الوقف. كما كان يقوم بعض الطلبة والصوفية بنسخ الكثير من الكتب، وكان لهذه المهنة آدابها واخلاقياتها. فيذكر صاحب «معيد النعم» أنه ينبغى على الناسخ مراعاه الدقة والتأنى أثناء الكتابة، وأن يلتزم الأمانة فى النقل[٢] والأكثر من هذا ينبغى عليه اذا نسخ شيئا من القرآن أو العلم الشريف أن يكون على طهارة مستقبل القبلة[٣]. ومن هؤلاء النساخ محمد بن عبد الرحيم بن على بن عثمان الجمال الذى تكسب بالنسخ بحيث كتب كثيرا[٤]، والشيخ شرف الدين السرانى الذى عمل ناسخا بالمدرسة الأشرفية برسباى. إذ تذكر وثيقة وقف السلطان برسباى ما نصه «... ويصرف للشيخ شرف الله موسى المكتب الرومى فى كل شهر من الشهور من الفلوس المذكورة ثلاثمائة دراهم أو ما يقوم مقامها من النقود، وفى كل يوم من الخبز القرصة المذكور ثلاثة أرطال»[٥]، وذلك نظير نسخه للكتب بالمدرسة المذكورة وتعليمه لأرباب الوظائف رسم الكتابة[٦].

ولا شك أن هذه المكتبات - فيما نعتقد - كانت تزود نساخها بمستلزمات النسخ من أثاث وتجهيزات ومحابر وأقلام. وكانت هناك طريقتان للنسخ الأولى أن يقوم الناسخ بالنسخ من المخطوطات مباشرة بنفسه دون مساعدة أحد، وبعد فراغه يراجعه غيره للتأكد من صحة ما نسخ وأنه لم يهمل ولم يقفز من على السطور. وأما الطريقة الثانية فهى أن يجلس عدد

---

(١) راجع ص١٥٦ من الفصل الثانى

(٢) السبكى : معيد النعم ومبيد النقم، ص ١٣١ - ١٣٢.

(٣) ابن جماعة : تذكرة السامع والمتكلم فى أدب العالم والمتعلم، ص ١٧٣.

(٤) السخاوى : الضوء اللامع جـ٣ ص ١٦.

(٥) وثيقة برسباى، رقم ٨٨٠ أوقاف.

(٦) السخاوى : الضوء اللامع، جـ٣ ص ٢٩٨.

من النساخ فى أماكنهم وأن يملى عليهم شخص آخر من مخطوط أُرِيدَ الحصول على عدة نسخ منه، وبعد الفراغ من عملية النسخ تجرى المقابلة[1].

وإذا كانت هناك مكتبات مملوكية اعتمدت على الشراء أو الوقف كمصدر وحيد لبناء مجموعاتها من الكتب، فإن هناك مكتبات اعتمدت على النسخ كمصدر وحيد على الأقل أساسى. من ذلك مكتبة السلطان الظاهر خشقدم حيث تجمعت لديه خزانه كتب معتبرة كان معظمها بخط يده. كذلك نسخ السلطان حسن بن قلاوون العديد من الكتب بخط يده ووضعها فى خزانته[2].

وهكذا يتبين مما سبق أن المكتبات فى مصر إبان العصر المماليكى قد اعتمدت على روافد أربعة فى تزويدها بالكتب، يأتى فى مقدمتها الشراء والوقف، حيث كان المصدرين الرئيسيين يدعمهما مصدرين آخرين هما الإهداء والنسخ. وبفضل هذه الروافد الأربعة اقتنت هذه المكتبات الكثير من المؤلفات، ولم يكن لمثل هذه المكتبات أن تؤتى ثمارها المرجوه وهى الإفادة من محتوياتها بالقراءة والاطلاع ما لم تكن على درجة كبيرة من الإعداد الفنى والتنظيم. ويقصد بالتنظيم هنا كافة الإجراءات المادية والفنية المتعلقة بتسجيل الكتب وفهرستها وتصنيفها وترتيبها على الرفوف. فكما كان هناك اهتمام بالتزويد وسياسته ومصادره كذلك كان هناك اهتمام مواز بتنظيم مجموعات هذه المكتبات «ليسهل تناولها ولا يتعب مناولها»[3].

٢- الإجراءات الفنية الخاصة بإعداد المجموعات للتداول :

وقد جرت العادة أن تبدأ الإجراءات الفنية الخاصة بإعداد الكتب للتداول بعد تسليم أمين المكتبة لها[4]. بتسجيل هذه الكتب فى سجلات خاصة أعدت لهذا الهدف، بقصد إثبات ملكية المكتبة لها من ناحية، ولكى تستخدم لأغراض الجرد والمتابعة والمراجعة من

---

(١) راجع محمد ماهر حمادة : المكتبات فى الإسلام، ص ١٧٣ - ١٧٦.

(٢) أنظر ص ٢٠ من الفصل الأول.

(٣) ابن الفوطى : الحوادث الجامعة، ص ٥٤- ٥٥.

(٤) راجع ص ١٧٧ من الكتاب وما بها من مصادر.

ناحية أخرى. وكان سجل الكتب هذا يعرف بالثبت أى القائمة، ويبدو أن هذا الإجراء كان معروفا فى المكتبات الإسلامية السابقة على العصر المملوكى، وأن المماليك ورثوه عنهم. من ذلك ما ذكره ابن الجوزى «لقد نظرت فى ثبت الكتب الموقوفه فى المدرسة النظامية فإذا به يحتوى على ستة آلاف كتاباً»[١]. وما ذكره ابن الساعى أنه ينبغى على خازن كتب المدرسة الحنيفة (أبو حنيفة النعمان) «أن يثبت ما بخزانة الكتب من المجلدات وغيرها»[٢]. وأما المكتبات المملوكية فتذكر وثيقة الغورى ما نصه «...... ويسلمه جميع ما فيها من الكتب من تفسير وحديث وفقه ولغة ومعان وبيان وبديع وأصول فقه وغيرها بغرض يجعل الناظر نسخة عنده»[٣]. ويدل هذا النص على أن الخازن كان يتسلم الكتب ويقوم بتسجيلها فى سجلات أعدت لذلك، على أن يحتفظ الناظر على الوقف بنسخة عنده لأغراض الجرد والمراجعة. وقد قام أيضا كل من الإبشادى والزواوى بتسجيل محتويات مكتبتهما من الكتب فى سجلات، وذلك قبل وقفهما على الجامع الأزهر. واستخدمت هذه السجلات لأغراض التسليم والتسلم والجرد وإثبات الوقف.

وثمة تساؤل عن البيانات التى كانت تسجل فى الثبوت أو السجلات عن كل كتاب، وكيف كانت ترتب هذه البيانات داخل الثبت. والإجابة على هذا ليست بالأمر الهين، خاصة أنه لم تصلنا سجلات أو ثبوت يمكن أن نُخضعها للدرس والتحليل. كما أن المصادر التى تحت أيدينا لم تتناول موضوع السجلات والتسجيل إلا عرضا. ولكن أيا كان حجم ونوع البيانات التى كان يتم تسجيلها عن كل كتاب وطريقة ترتيبها، فإن الذى يعنينا فى المقام الأول هو وجود التسجيل والسجلات من عدمه، والهدف من إعدادها واستخدامها.

كان يتم التسجيل عادة لأغراض الجرد والمراجعة حسبما أسلفنا. والجرد هذا من الألفاظ الحديثة، وفى العصر المملوكى استخدمت كلمة أخرى تدل على كل ما له صلة بالكتب وتقويمها أو ترتيبها أو جردها وغير ذلك وهى «**الاعتبار**»[٤]. وكان بعض

---

(١) ابن الجوزى: صيد الخاطر، جـ٣، ص ٦٠٧ ـ ٦٠٨.

(٢) ابن الساعى: الجامع المختصر فى عنوان التواريخ وعيون السير، بغداد، ١٩٣٤ جـ٩ ص٢٣٣، ٢٣٦.

(٣) وثيقة الغورى، رقم ٨٨٣ أوقاف.

(٤) انظر ابن منظور: لسان العرب جـ٤ ص ٥٢٩ ـ ٥٣٠.

الواقفين والنظار يقومون بجرد الكتب للتأكد من سلامتها بين حين وآخر، بشكل فجائى فإن وجد فيها نقص كان يعاقب أمين المكتبة بالتعزير أو بتغريمه بدفع قيمة ما ضاع من كتب[١] . فقد أورد السخاوى رواية تستدل منها على ذلك، حيث يقول فى ترجمته لعثمان فخر الدين البكرى التلاوى القاهرى (ت ٨٢٩هـ/١٤٢٦م) خازن الكتب بالمدرسة المحمودية أنه «استقر فيها بعد عزل السراج عمر أمام واقفها بتفريطه .... واختبرت فنقصت نحو مائة وثلاثين مجلدة. واستمر الفخر - أى عثمان فخر الدين - يباشرها بقوة وصرامة وجلادة وعدم التفات إلى رسالة لكبير أو صغير.. إلى أن رفع فيه شخص أنه يرتشى فى السر فاختبرت الكتب وفهرست فنقصت العشر سواء لأنها كانت أربعة آلاف مجلدة فنقصت أربع مائة فأُلزم بقيمتها فقومت بأربعمائة دينار آقباع فيها موجوده وداره»[٢] كما يروى السخاوى أن على بن أحمد القرشى القلقشندى خازن الكتب بالمدرسة الأشرفية برسباى «أنه حضر مبيع كتب مخلفة من بعضهم ومن جملتها «لسان العرب» فى اللغة بخط مؤلفه فلم يتبين إليه أحد، فرام آخذه لحسن موقفه عنده وزاد فيه فانتدب عند ذلك للزيادة من بعض الأعيان بحيث بلغ ثمناً كبيراً لا يستطيع الشيخ الوفاء به، وخشى من الزيادة ثمنه فى الحال فلا يقدر فأعرض عنه مع تعلق خاطره به، فلما صارت إليه هذه الوظيفة كانت النسخة بعينها أول شيء أُخرج له حين التسليم والعرض، والأعمال بالنيات»[٣] . ومن هاتين الروايتين نقف على أن إجراءات التسليم والتسلم وجرد المكتبة كانت متبعة فى المكتبات المملوكية.

وإذا كانت الثبوت أو السجلات قد أعدت لإثبات ملكية المكتبة لمجموعاتها من الكتب ولأغراض الجرد والتسليم والتسلم فى نفس الوقت، فإن الفهارس كانت تعد لتيسير استخدام هذه الكتب والوصول إليها بسهولة وسرعة من جانب المستفيدين والعاملين على السواء. والفهرس هو نتاج عملية الفهرسة، وهو لفظ فارسى معرب، إذ يعنى الفهرست

---

(١) راجع ما كتبناه عن ذلك بالتفصيل ص٣٤ من الفصل الثانى.

(٢) السخاوى : الضوء اللامع، جـ٥ ص ١٤٣ - ١٤٤ . وأنظر الملحق الثالث بآخر الكتاب.

(٣) المصدر السابق جـ٥ ص١٦١؛ التبر المسبوك، ص٤٢-٤٥.

بالفارسية: الكتاب الذى تجمع فيه أسماء الكتب [١]، أى ثبت أو قائمة بما تحتويه المكتبة من مؤلفات. ولقد فطن المماليك إلى أهمية دور الفهرس فى المكتبة[٢]، فحرصوا على إعداد الفهارس لمكتباتهم لاسيما كبيرة الحجم وعدد الكتب. فيذكر السخاوى فى ترجمته لابن حجر العسقلانى أنه عندما تولى خزن الكتب بالمدرسة المحمودية «عمل لها فهرساً على الحروف فى أسماء التصانيف ونحوها وآخر على الفنون»[٣]. وعلى الرغم من أن هذا الفهرس لم يصل إلينا، إلا أننا نستنتج من هذه الإشارة وجود نوعين من الفهارس استخدمت فى المكتبة المحمودية هى فهرس هجائى بعناوين أو أسماء الكتب وفهرس بالموضوع. والسؤال عما إذا كان الأخير مصنفا أم هجائيا بالموضوعات وماهية البيانات الببليوجرافية التى كانت تعطى عن كل كتاب، وكيفية ترتيبها. ولم تزودنا تلك الاشارة بما يشفى الغليل بهذا الخصوص.

ويتحدث الغزى عن مكتبة عبد الله يعقوب التى بلغت عشرة آلاف مجلداً فيقول: «وجعل لها فهرساً مجلداً مستقلا يذكر فيه الكتاب ومؤلفه»[٤]. وعلى الرغم من أن هذا

---

(١) راجع : ابن منظور : لسان العرب، جـ٦ ، ص١٦٧، راجع أيضا آدى شير : كتاب الألفاظ الفارسية المعربة، بيروت، المطبعة الكاثوليكية، ١٩٠٨ ، جـ٢٢.

(٢) جدير بالذكر أن الفهرسة تعتبر من أقدم العمليات الفنية المكتبية، فقد صاحبت نشأتها بداية نشأة المكتبات. فقد وجدت فهارس لمكتبات آشور بانيبال بالعراق القديم، ومكتبة الإسكندرية بمصر البطلمية، كما وجدت فهارس لمكتبات الأديرة والكنائس فى أوروبا فى العصور الوسطى. وأما العصر الإسلامى الوسيط فقد وجدت فيه العديد من الفهارس منها فهرس مكتبة بيت الحكمة فى بغداد زمن الخليفة العباسى الرشيد (١٧٠-١٩٣هـ/٧٨٦-٨٠٩)، ومكتبة عضد الدولة البويهى (ت٣٧٢هـ/٩٨٢م)، ومكتبة بخارى التى كان يرتادها الشيخ الرئيس ابن سينا (٣٧٠-٤٢٨هـ/٩٨٠-١٠٣٧م) ومكتبة المدرسة النظامية ببغداد، ودار العلم بطرابلس زمن ولاية بنى عمار (ق٥هـ-١١م)، ومكتبات الفاطميين بمصر، ومكتبات الامويين بالأندلس، وكانت هذه الفهارس وغيرها- فيما نعتقد - يغلب عليها وظيفة قوائم الجرد أكثر من فهارس الإتاحة. راجع : شعبان عبد العزيز خليفة الفهرسة والفهارس عبر التاريخ، فى كتابه : الفهرسة الوصفية للمكتبات، القاهرة، دار الثقافة، ١٩٧٧، ص١٢-٣٨.

(٣) السخاوى : الجواهر والدرر، (مخط)، ورقة رقم ٧٨٢، وراجع الملحق الثالث بآخر الكتاب.

(٤) الغزى : الكواكب السائرة فى أعيان المائة العاشرة، جـ٢، ص١٨٨.

الفهرس لم يصل إلينا، ورغم ايجاز عبارة الغزى، إلا أننا نضع أيدينا على شكل هذا الفهرس المستخدم فى تلك المكتبة، وهو كالكتاب يرجع إليه الطالب لأغراض التعرض على محتويات المكتبة. فقد صرحت العبارة بذلك «فهرسا مجلدا مستقلا»، كما دلتنا هذه العبارة أيضا على البيانات البيليوجرافية التى كانت تسجل عن كل كتاب وهي عنوان الكتاب واسم مؤلفه.

وفى وثيقة[1] ترجع إلى عام ٨٧٨هـ/١٤٧٣م نجد فهرسا لمكتبة خاصة أوقفها صاحبها الشيخ عيسى بن عبد الرحمن الزواوى على مكتبة الجامع الأزهر. وقد رتب هذا الفهرس ترتيبا مصنفا بروؤس موضوعات واسعة، وإن لم يبرز هذه الروؤس فى سطور مستقلة أو تمييزها، بل يسمى الموضوع ثم يسرد الكتب فيه. وقد حصر محقق وناشر الوثيقة الدكتور عبد الله إبراهيم الموضوعات على النحو التالى : القرآن الكريم والتفسير (سطره) ؛ القراءات (سطر٦) ؛ الحديث ومصطلحه (سطر٧) ؛ التصوف (سطر ٨) ؛ الفقه (سطر ١٠)، أصول الفقه (سطر ١٧) ؛ الفرائض والحساب (سطر ١٩)، النحو (سطر ٢١)، أصول الدين (التوحيد) (سطر ٢٧) ؛ المنطق (سطر ٣٠) ؛ الطب (سطر ٣٠- ٣١)، التاريخ (سطر ٣٢)، اللغة (سطر ٣٢).

ومن دراستنا لهذا الفهرس يمكن أن نخرج بالمؤشرات التالية:

١ ـ جاء ترتيب الفهرس موضوعيا، وتحت الموضوع يسرد الكتب بدون نظام محدد.

٢ ـ تضمن كل كتاب البيانات البيليوجرافية الآتية : الكلمات الدالة فى عنوان الكتاب وليس العنوان الكامل، عدد الأجزاء، وأحيانا عدد النسخ من كل كتاب.

٣ ـ يذكر اسم المؤلف أحيانا، ويكتفى غالبا بالجزء الأشهر فقط دون ذكر الإسم كاملا. وأحيانا يكتفى بذكر اسم المؤلف عوضا عن عنوان الكتاب، وأحيانا أخرى كان يكتفى بعنوان الكتاب دون ذكر اسم المؤلف.

---

(١) وثيقة عيسى الزوارى رقم ٧٨، محفظة ٢٨، دراسة وتحقيق ونشر عبد اللطيف إبراهيم، ١٩٦٢.

٤ـ يخلو الفهرس من علامات الترقيم[1] .

نذكر مثالا من هذا الفهرس بما جاء فى سطور ١٠ ـ ١٦، والتى يتحدث فيها عن كتب الفقه، وهو يلقى الضوء على جميع الملاحظات السابقة.

«.. كتب الفقه المدونة كاملة فى جزء التقييد على المدونة للغريانى فى جزء ثلاث تقاييد على المدونة لم يعرف مؤلفهما فى ثلاث أجزاء لابن يونس جزأن على المدونة ابن الحاجب الفرعى نسختان شرح ابن الحاجب لابن عبد السلام ستة اجزاء التوضيح على ابن الجاحب أربعة اجزاء شرح ابن الحاجب للثعالبى ثلاثة اجزاء جزء واحد للقاشانى التلقين جزء شرح التلقين ثلاثة اجزاء عيون المسايل جزء المختصر للشيخ خليل أربع نسخ شرح المختصر ليهرام نستختان أربع مجلدات جزء واحد من يهرام الرسالة لابن ابى زيد أربع نسخ شرح الرسالة لابن ناجى جزء وجزء ثالث من كلام الجزولى على الرسالة جزء ثالث من شرح ابن جلاب شرح البيوع للقباب فى جزء للقباب جزء مجموع للطليطلى»[2]. وما قيل عن كتب الفقه ينسحب على بقية محتويات هذا الفهرس.

وفى وثيقة أخرى ترجع إلى عام ٩١٩هـ/١٥١٢م نصادف فهرسا لمكتبة خاصة أوقفها صاحبها الشيخ على الإبشادى على الجامع الأزهر أيضا. ويبدأ الفهرس من السطر الثانى والعشرين من الوثيقة وينتهى فى السطر الثالث والستين. ومن دراسة هذا الفهرس نخرج بالمؤشرات التالية:

١ ـ ليس هناك طريقة معينة استخدمها الفهرس فى ترتيب الكتب، وإن كان هناك حرص على ذكر القرآن الكريم وتفسيره وعلومه أولا، ثم كتب الحديث ثم الفقه...

٢ ـ البيانات الببليوجرافية التى يسجلها عن كل كتاب غير موحدة وغير منتظمة كالفهرس السابق. فهو يعطى هنا عنوان الكتاب واسم المؤلف أحيانا، وعدد المجلدات وعدد النسخ أحيانا.

---

(١) راجع : شعبان عبد العزيز خليفة، المصدر السابق، ص٣٣

(٢) وثيقة على الإبشادى رقم ٢٧٨، محفظة ٤٣، دراسة وتحقيق عبد اللطيف إبراهيم، ١٩٦٢.

٣ ـ يتميز هذا الفهرس عن سابقة بأنه يذكر أحيانا الحالة المادية للكتاب مثل «مصحف شريف حمايلى بجلد أحمر.

٤ ـ يخلو هذا الفهرس كسابقة من علامات الترقيم[١].

ونذكر فيما يلى مثالا من هذا الفهرس مما جاء فى سطر ٣٦ ـ ٣٨ من الوثيقة:

«... ومجموع فيه معين الحكام وما معه مجلد وتفسير المنامات جزء كبير مجلد والمستجاد مجلد ومجموع فيه الازوردية مجلد وفتوح مصر مجلد وشواهد العينى الصغرى مجلد وحاشية المغنى للدماميني مجلد ودولة الإسلام للذهبى مجلد وزيله السخاوى مجلد والشفا مجلد وسراج الملوك مجلد وشرح الموطأ مجلد وابن عقيل مجلد والانتفاء للقرافى مجلد والقدورى حمايلى مجلد والشامل لبهرام مجلد وحيوة الحيوان مجلد [٢].

والحقيقة أن هذه الفهارس التى أوردنا مثالا لها وغيرها من فهارس العصر الإسلامى الوسيط، بما فى ذلك عصر سلاطين المماليك، كان يغلب عليها وظيفة قائمة الجرد أكثر من قائمة الإيجاد[٣] حسبما أسلفنا، حيث كانت هذه وظيفة قائمة الرف التى تلصق على مدخل كل قسم أوعلى الرفوف[٤]. فغالبا ما كان ينصب الاهتمام أساسا فى هذه الفهارس على ذكر عدد الكتب وعدد المجلدات والأجزاء من كل كتاب، مع عدم الاهتمام بذكر أماكن تواجد الكتب بالمكتبة. وعلى الرغم من أن البيانات البليوجرافية كانت مختصرة بشكل واضح وتخلو من علامات الترقيم إلا أنها كانت تحوى كل التفاصيل المطلوبة فى ذاك الوقت للتعرف على الكتب فى سهولة ويسر.

---

(١) راجع : شعبان خليفة : المصدر السابق، ص٣٨.

(٢) وثيقة على الإبشادى رقم ٢٧٨، محفظة ٤٣، دراسة وتحقيق عبد اللطيف إبراهيم، ١٩٦٢، ص ٤٥ ـ ٤٦.

(٣) راجع حاشية رقم ٢، ص ١٧٩ من هذا الفصل.

(٤) يذكر المقريزى أن الفاطميين عرفوا هذا النوع من الفهارس حيث كانت خزانة القصر مصنفة إلى موضوعات، لكل موضوع توضع كتبه فى خزانة وعلى كل خزانة علقت لائحة مثبت فيها ما فى الخزانة من كتب، ومن المرجح أن المماليك قد عرفوا هذه الطريقة عن طريق الفاطميين. راجع : المقريزى : الخطط، جـ٢ ص٢٥٤.

وعادة ما يرتبط الحديث عن الفهرسة بالحديث عن **التصنيف**، ذلك لأنهما شقين لعملية واحدة هى التنظيم أو **الاعداد البيليوجرافى**. ويقصد بالتصنيف «تجميع الكتب ذات الموضوع الواحد فى مكان واحد» تسهيلا لتناولها من قبل رواد المكتبة من قراء وباحثين وغيرهم، ومن قبل العاملين بالمكتبة كذلك. وخاصة المناولين. والتصنيف بهذا المعنى وجد فى المكتبات العربية فى العصور الوسطى[1] بما فيها مكتبات العصر المماليكى. ولو أن كلمة تصنيف لم تستخدم للدلالة عليه، إلا أنه استخدمت كلمات أخرى بديلة توحى بنفس المعنى كالترتيب أو التنظيم أو الاعتبار أو تفصيل الفنون أو العلوم أو غير ذلك من مصطلحات العصر.

ولم تتضمن المصادر الخاصة بتاريخ مصر إبان العصر المملوكى أى إشارات نستدل منها عن وجود نظام أو نظم خاصة للتصنيف تم تطبيقها واستخدامها بشكل عملى فى المكتبات المملوكية لتنظيم مجموعاتها من الكتب، وإن زخرت فى الوقت نفسه بالحديث عن الكتب، والمؤلفات التى تصنف العلوم - من الناحية النظرية - مثل إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد، للأكفانى (ت٧٤٩هـ/١٣٤٨م)، و«موسوعات العلوم» للبسطامى (٨٨٩هـ/١٤٨٤م)، و«إتمام الدراية لقراء النقاية» للسيوطى (ت٩١١هـ/١٥٠٦م) و«إنموذج العلوم» للدوانى، (٩٢٠هـ/١٥١٤م) وغيرها كثير.

وكتاب «**إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد**» للأكفانى[2] - مثلا - يعكس نظرة بعض علماء ذلك العصر ومنهم الأكفانى للعلوم، وتعاملهم معها وتنظيمهم لها، خاصة وأنه عاش فى القاهرة ودرس الطب فى جامع ابن طولون والبيمارستان المنصورى. وقد بدأ المؤلف كتابه بمقدمه[3] تحدث فيها عن شرف العلم وشروط التعليم، وضمنها أسماء بعض

---

(١) من ذلك مكتبات الفاطميين فى مصر حيث كانت مصنفة موضوعيا كما أشرت سلفا. فقد ذكر أبو شامة عند عرضه لنهاية هذه المكتبات أن الكتب قد أخرجت من أماكنها وخزائنها و «اختلط أدبيها بنجوميها، وشرعيها بمنطقيها، وطبيها بهندسيها وتواريخها بتفاسيرها» راجع: ابو شامة: الروضتين، جـ١، ص٢٦٨.

(٢) السنجاوى، محمد بن إبراهيم بن ساعد الأنصارى الأكفانى: إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد، تحقيق عبد اللطيف محمد العبد، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٨.

(٣) المصدر السابق، ص ١٤ - ٣٢.

المؤلفات فى التاريخ والآدب التى يرى أن أولى واجبات المتعلم أن يدرسها. ثم عقد فصلا بعنوان حصر العلوم قسم فيه العلوم إلى قسمين رئيسيين هى : العلوم المقصودة لذاتها ، والعلوم المقصودة لغيرها، وكل قسم فرعه إلى فروع، ثم بدأ فى بسط الفروع، وذلك بذكر العلم ثم تعريفه وموضوعه ومنفعته مع الإتيان بنماذج مختارة من الكتب المؤلفة فيه ما بين مختصرات ومتوسطات ومبسوطات. وقد جاءت خطته لتصنيف المعرفة على النحو التالى:

أولا ـ العلوم المقصودة لذاتها، وهى نوعان:

١ ـ العلوم الحكمية النظرية وتشتمل على ثلاثة فروع :

(أ) العلمى الألهى والعلوم الشرعية، وهى علم النوايس ـ علم القراءات ـ علم رواية الحديث ـ علم التفسير ـ علم دراية الحديث ـ علم أصول الدين ـ علم اللغة ـ علم الجدل ـ علم الفقه.

(ب) العلم الطبيعى ويشتمل على عشرة فروع هى : علم الطب ـ علم البيطرة ـ علم الفراسة ـ علم تعبير الرؤيا ـ علم أحكام النجوم ـ علم السحر ـ علم الطلسمات ـ علم السيماء ـ علم الكيمياء ـ علم الفلاحة.

(جـ) العلوم الرياضية وتشتمل على : علم الهندسة ـ علم عقود الأبنية ـ علم المناظر ـ علم المرايا المحرقة ـ علم مراكز الأثقال ـ علم المساحة ـ علم أنباط المياه (أى استخراجها) ـ علم الأثقال ـ علم البنكامات ـ علم الآلات الحربية ـ علم الآلات الرومانية ـ علم الهيئة ـ علم الزيجات والتقاويم ـ علم المواقيت ـ علم الأرصاد ـ علم تسطيح الكرة ـ علم الآلات الظلية ـ علم العدد ـ علم الحساب المفتوح ـ علم حساب التخت والميل ـ علم الجبر والمقابلة ـ علم حساب الخطأين ـ علم الدور والوصايا ـ علم حساب الدرهم والدينار ـ علم الموسيقى.

٢ ـ العلوم الحكمية العملية وتشتمل على ثلاثة فروع أيضا :

(أ) علم السياسية.

(ب) علم الأخلاق.

(جـ) علم تدبير المنزل.

ثانيا ـ العلوم المقصودة لغيرها وهى نوعان كذلك:

١ ـ علم الآداب (وهى العلوم العربية) وتنحصر فى عشرة علوم هى :

(أ) علم الأدب.

(ب) علم اللغة.

(جـ) علم التصريف.

(د) علم المعانى.

(هـ) علم البيان.

(و) علم البديع.

(ز) علم العروض.

(ح) علم القوافى.

(ط) علم النحو.

(ى) علم قوانين الكتابة.

(ل) علم قوانين القراءة.

٢ ـ علم المنطق [١]:

ويتضح من دراسة هذه الخطة التصنيفية أن الأكفانى قد تأثر فى بناء خطته بنظرية الفارابى فى تصنيف العلوم التى صرح بها فى كتابه «إحصاء العلوم» [٢] وقد جعلها على قسمين هما:

---

(١) السنجاوى : المصدر السابق، ص ١٤، ٣٦.

(٢) الفارابى : إحصاء العلوم، تحقيق عثمان أمين، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٦٨ .

١ ـ العلوم النظرية وتشمل:

العلم الرياضى ـ العلم الطبيعى ـ العلم الإلهى.

٢ ـ العلوم العلمية وتشتمل:

علم الأخلاق ـ علم السياسة.

والقسم الأول يقابل «العلوم الحكمية النظرية» عند الأكفانى بنفس فروعها، بينما يقابل القسم الثانى «العلوم الحكمية العملية» بنفس فروعها أيضا.. لكن الأكفانى زاد فى عدد العلوم وفصلها. ويعد تصنيف الأكفانى هذا من أقرب نظم التصنيف العربية إلى النظم الحديثة، ذلك أنه أعتمد على مسح بليوجرافى للكتب وليس مجرد التقسيم الفلسفى المجرد للمعرفة. لذلك اعتبره محمد فريد وجدى التصنيف المعتمد عند العرب، وذلك عندما تحدث عن العلم عند العرب فى مادة علم فى «دائرة معارف القرن العشرين»[١] . هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى نجد أن معظم من أتى بعد الأكفانى مثل القلقشندى، وطاش كبرى زاده قد تأثروا بتصنيفه للمعرفة. فقد عقد القلقشندى فى كتابه «صبح الأعشى» فصلا[٢] بعنوان «المقصد الثانى فى ذكر العلوم المتداولة بين العلماء، والمشهود من الكتب المصنفة فيها ومؤلفيهم»[٣] . وهو تلخيص لكتاب «إرشاد المقاصد»، أخذ منه أسماء العلوم وأهمل تعريفاتها، وذكر الأمثلة من الكتب كاملة، وفى أحيان قليلة يزيد عليها، وقد لوحظ أن ذلك النقل والتلخيص قد أوقع القلقشندى فى حيرة عندما تحدث عن علم السيمياء[٤] الذى اكتفى الأكفانى بتعريفه ولم يورد فيه أمثلة للكتب[٥]، مما اضطر القلقشندى إلى ذكر

---

(١) محمد فريد وجدى : دائرة معارف القرن العشرين، مج ١١، ص ٢٢١.

(٢) القلقشندى : صبح الأعشى فى صناعة الانشا، جـ١ ص ٤٦٧ ـ ٤٧٩.

(٣) المصدر السابق جـ١ ، ص٤٦٧.

(٤) المصدر السابق، ص٤٧٥.

(٥) الأكفانى : إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد، ص١٢٥.

عبارة تخرجه من المأزق فقال «رأيت فيه كتبا مجهولة المصنفين»، ولعل الأصل الرابع الذى خصصه القلقشندى لعلم الهندسة [٢] هو أفضل الأمثلة التى توضح النقل الكامل من إرشاد القاصد حيث تطابق فيه ترتيب العلوم، والاقتصار على نفس الأمثلة. كما أن نفس عبارة الإرشاد نصادفها فى علم المناظر [٣]، وعلم المساحة [٤]، وعلم الآلات الروحانية [٥].

وأما طاش كبرى زاده صاحب «مفتاح السعادة» [٦]، فقد اقتبس هو الآخر من الإرشاد جميع تقسيماته للعلوم بنفس عناوينها وتعريفاتها وأمثلتها. لكنه كان يزيد على الأكفانى فى ذكر الأمثلة من الكتب، وكلما ذكر كتابا ترجم لصاحبه وذكر مؤلفاته. ولعل الشعبة السابعة من الدوحة الرابعة [٧] والتى خصصها لفروع علم الهندسة [٨] هى من أفضل الأمثله التى توضح النقل من الإرشاد حيث تطابقت فيها التعريفات فيها التعريفات والأمثلة.

وأيا ما كان الأمر، فثمة سؤال يطرح نفسه هو: **هل كان هناك استخدام من قبل المكتبات المملوكية لتصنيف الأكفانى أو لغيره من أنظمة التصنيف؟** هذا ما سكتت عنه الأصول والمصادر. فلا توجد إشارة واحدة فى المصادر الخاصة بالعصر المملوكى يمكن أن نستدل منها على إجابة لذلك. ومع ذلك فمن المرجح أن بعض المكتبات المملوكية قد استفادت من تصنيف الأكفانى فى تنظيم مجموعاتها، ولاسيما

---

(١) القلقشندى : المصدر السابق، والجزء، ص ٤٧٥.

(٢) المصدر السابق : جـ٢، ص ٤٧٦ - ٤٧٧.

(٣) الاكفانى : إرشاد القاصد، ص ١٣٧.

(٤) المصدر السابق، ص ١٣٨.

(٥) المصدر السابق، ص ١٤٠.

(٦) طاش كبرى زاده، أحمد بن مصطفى: مفتاح السعادة ومصباح السيادة فى موضوعات العلوم، تحقيق كامل كامل بكرى، وعبد الوهاب أبو النور، القاهرة، دار الكتب الحديثة، ١٩٧١.

(٧) قسم طاش كبرى زاده كتابه إلى طرفتين (أى بابين)، وكل طرفة منهما تنقسم إلى عدة دوحات (أى فصول)، وكل دوحة تتفرع إلى عدة شعب (أى مباحث).

(٨) أنظر : المصدر السابق، ص ٣٧٥، وما بعدها، وقارن ذلك بالأكفانى : إشاد القاصد، ص ١٣٦ - ١٣٧، ١٥٣، ١٣٨، ١٤٦، ١٣٠، ١٣٩، ١٣٨، ١٣٦.

المكتبات التى تقتنى مثل هذا الكتاب مثال ذلك مكتبة الإبشادى[١]، حيث ورد اسم كتاب «إرشاد القاصد» ضمن مجموعة الكتب التى وقفها على الجامع الأزهر، وكذلك كتاب «تعريفات العلوم وموضوعاتها»[٢] وهو كتاب فى تصنيف العلوم، كان ضمن مقتنيات المدرسة الجمالية الاستادارية، ثم انتقل إلى مكتبة المدرسة الناصرية، التى أقامها فرج بن برقوق على أنقاض الجمالية.

وعلى كل حال، فقد كانت المكتبات المملوكية تحتوى على عدة دواليب أو كتبيات كبيرة أو صغيرة وخزانات مصنوعة من الخشب. كما وجد فى بعض المكتبات أرفف خشبية مثبتة فى جدران الحائط لوضع الكتب عليها. ومن المحتمل أن الكتب التى تعالج موضوعا واحدا، كانت توضع، أى تصنف فى دولاب مستقل أو جزء منه أو على رف خشبى واحد. كذلك وضع الموضوعات المتقاربة فى التصنيف مثل الفقه وأصوله، والحديث ومصطلحه ورجاله، واللغة والبلاغة، إلى غير ذلك من العلوم فى أمكنة متقاربة على الأرفف. ذلك لأن تجاور كتب الموضوع الواحد، وكذا الموضوعات المتشابهة ذات العلاقة التى تربط بينها، ييسر التعرف عليها بسهولة، وسرعة تناولها، ولا يتعب مناولها. وأما المخطوطات النادرة والكتب غير المجلدة والوثائق. والرسائل والمصاحف، فمن المرجح أنها كانت تحفظ فى دواليب أو صناديق من الخشب.

ولسهولة وسرعة اخراج الكتاب من بين غيره من الكتب، يحتمل أنه كان يكتب على كل دولاب أو صندوق أو رف أو ورقة بعناوين الكتب التى يحويها. وكان يكتب عنوان الكتاب على جانب آخر الصفحات من أسفل[٣] ليسهل على المناول أو الخازن التعرف عليه وهو ما نطلق عليه اصطلاحا لفظ التكعيب[٤]. ولأن الكتب كانت تنضد بشكل أفقى

---

(١) وثيقة الإبشادى، رقم ٢٧٨ محفظة ٤٣، دار الوثائق، نشر عبد اللطيف إبراهيم، ١٩٦٢.

(٢) البيضاوى : ناصر الدين ابى سعيد بن عمر : تعريفات العلوم وموضوعاتها، ميكروفيلم رقم ٤ معارف عامة، معهد المخطوطات العربية، القاهرة.

(٣) ابن جماعة : تذكرة السامع والمتكلم، ص ١٧١، ١٧٢.

(٤) لم يكن مصطلح التكعيب مستخدما فى العصر المملوكى. وقد تم استخدامه هنا للدلالة على الإجراء التنظيمى الذى يسبق وضع الكتب على الرفوف أو تنضيدها.

على أن يكون أول الكتاب إلى أعلى وكعبه جهة اليمين[١]، فقد كانت كتابه العنوان تظهر بشكل واضح وفى اتجاه واحد. ولكن يبدو أن طول عناوين الكتب - فى معظم الأحيان - قد حال دون كتابة أخرى على طرف الصفحات من أسفل كاسم المؤلف[٢].

وكإجراء فنى أخير، كانت توضع الكتب فى أماكنها على الرفرف أو فى الخزائن أو الدواليب، وهو ما كان يعرف بالتنضيد. والتنضيد من نضد، ونضد الشيء أى جعل بعضه فوق بعض منسقا كما يقول ابن منظور. والتنضيد بهذه الطريقة يخالف ما تعارف عليه المكتبيون اليوم. فالكتب تنضد أو ترفف الآن بشكل رأسى وليس أفقى، على أن يكون كعب الكتاب المثبت عليه رقم طلب الكتاب فى مقابل الناظر لسهولة استخراجه. وكان الخازن أو المناول عادة ما يقوم بمهمة التنضيد، وذلك وفقاً لقواعد وآداب معينة كانت تعرف بآداب تنضيد الكتب. منها ما ذكره إبن جماعة والعملوى ما نصه «يراعى الأدب فى وضع الكتب باعتبار علومها فيضع الأشرف أعلى الكل، فإن استوت كتب فى فن فليراع شرف المصنف فيجعله أعلى، ثم يراعى التدرج، فإن كان فيها المصحف الكريم جعله أعلى الكل، ثم كتب الحديث ثم تفسير القران، ثم تفسير الحديث، ثم أصول الدين، ثم أصول الفقه، ثم الفقه، ثم النحو والتصريف، ثم أشعار العرب ثم العروض وهكذا. «ولا يضيع ذات المقطع الكبير فوق ذوات الصغير كيلا يكثر تساقطها»[٤].

ومن دراستنا لهذا النص نستنتج أن كل شيء فى المكتبات المملوكية كانت له قواعد وآداب وإجراءات معينة، حتى تصفيف الكتب، أو تنضيدها، كما نستنتج أن ثمة علاقة وثيقة بين التصنيف والتنضيد، وأنهما أقيما على أساس فلسفى ونظام دقيق، وهو شرف أو منزلة العلوم والمعارف وكذلك منزلة المؤلفين، كما أن هذه القواعد لم تغفل الإجراءات

---

(١) راجع : ابن جماعة : المصدر السابق، ص ١٧١، ١٧٢.

(٢) محمد مجاهد الهلالى : خزائن الكتب العباسية، ص ١٤١ - راجع :

- Youssef EL Eche, Les Biblietheques Arabes, p.223.

وقد ذكر فرانز روزينتال فى كتابه - مناهج البحث عند العلماء المسلمين - ص ٢٤، أن جروهمان أورد فى مقالة له صورا توضح طريقة تصنيف وتنضيد الكتب.

راجع -Grohmann ,A, Bibliotheken und Bibliaphilen im qslamichen Orienti in Festschrift der National Bibliothek in Wien, 437 (Vienna, 1926).

(٤) ابن جماعة : المصدر السابق، ص١٧٠ - ١٧١؛ وقارن : العلموى : المصدر السابق، ص١٣٥؛ روزنتال : المرجع السابق، ص ٢٣.

العلمية البسيطة ومنها طريقة تنضيد المؤلفات حسب حجمها حرصا على سلامتها فلا تعوج أو تسقط فتمزق، وعلى سلامة من يتعامل معها كذلك.

وهكذا يتبين لنا أن المكتبات المملوكية لم تكن مجرد مؤلفات كثيرة حفظت فى خزائنها، أو على رفوفها فقط، بل كانت مصنفة وفهرسة بطريقة تيسر استرجاع أى منها فى أقل وقت وبأيسر الطرق. وإن دل هذا على شىء، فإنما يدل على أهمية الكتاب والمكتبات فى مصر إبان الفترة الزمنية موضوع الدراسة.

ولم تقف عناية منشئو المكتبات إبان العصر المماليكى عند هذا الحد، بل وجهوا جزءا من اهتماماتهم نحو صيانة المجموعات بما يجعلها فى حالة مادية مناسبة تمكنها من أداء المهام التى أنيطت بها. يدلنا على ذلك ما جاء فى حديث صاحب «تذكرة السامع والتكلم» عن نسخ الكتب ومطالعتها وصفها، يقول ابن جماعة «إذا نسخ من الكتاب أو طالعه فلا يضعه على الأرض مفروشا، منشورا بل يجعله بين كتابين أوشيئين أو كرس الكتب المعروف، كيلا يسرع تقطيع حبله، وإذا وضعها فى مكان مصفوفة فلتكن على كرسى أو تخت خشب أو نحوه، ولا يضعها على الأرض كيلا تندى أو تبلى»[1] ولعل هذا يفسر لنا سر حفظ الكتب المملوكية بصفة عامة فى حالة جيدة. بحيث لم تعد عليها عوادى الزمن.

والتساؤل الذى يطرح نفسه هنا هو: **لماذا لم تستخدم المكتبات المملوكية طريقة الترفيف الرأسية المستخدمة حاليا**، وهى أقرب إلى المنطق وحسن التنسيق، كما أنها تسهل عملية الحصول على الكتب من على الأرفف والدواليب؟. ولا يمكن الإجابة على هذا التساؤل بشكل قاطع، إذا أن المصادر العربية لم تسعفنا بذلك، حيث لم يرد عن التنضيد سوى اشارتين تحدث فيها المؤرخين[2] عن آدابه وفلسفته ولم يتطرقوا من قريب أو من بعيد إلى أسباب ذلك. أما الدفع بالقول أن طريقة التنضيد الأفقية كانت الأوفق والأفضل للكتب المخطوطة فى ذلك العصر، وذلك حفظا على سلامتها وسلامة جلودها فهو قول يرده ما وصلنا من مخطوطات ترجع إلى العصر المملوكى، وهى

---

(١) ابن جماعة: المصدر السابق، ص١٧٠؛ وقارن: المصدر السابق، والصفحة؛ وراجع ايضا: روزنتال: المرجع السابق ص٣٣.

(٢) ابن جماعة: تذكرة السامع، ص ١٧٠ - ١٧١، العلموى: المعيد فى أدب المفيد: ص١٣٥.

لازالت تحتفظ بتماسكها وصلابتها ورونقها، مما يدل على أن صناعة الكتاب فى مصر المملوكية قد بلغت درجة كبيرة من الجده والقوة ودقة التنظيم.

وعلى كل حال، فإن خازن الكتب أو المناول فى المكتبة المملوكية، عادة ما كان يقوم بمهمة التنضيد[١]، وذلك وفقا لقواعد وآداب معينة، كانت تعرف بآداب تنضيد الكتب. منها ما ذكره ابن جماعة فى «تذكرة السامع» ووافقه عليه العلموى فى «المعيد فى أدب المفيد والمستفيد» من أنه ينبغى على خازن الكتب أن «يراعى الأدب فى وضع الكتب باعتبار علومها، فيضع الأشرف أعلى الكل، فإن استوت فى فن فليراع شرف المصنف فيجعله أعلى، ثم يراعى التدرج، فان كان فيها المصحف الكريم جعله أعلى الكل، ثم كتب الحديث، ثم تفسير القرآن، ثم تفسير الحديث. ثم أصول الدين، ثم أصول الفقه، ثم الفقه، ثم النحو والصرف، ثم أشعار العرب ثم العروض» وهكذا.

٣- الإجراءات الفنية الخاصة بصيانة المجموعات :

ويعتبر التجليد أول إجراء من إجراءات صيانة الكتب. لذلك انتشر فى مصر المملوكية انتشارا واسعا، وبلغ أرقى التقدم والازدهار ولاسيما فى القرن التاسع الهجرى (القرن الخامس عشر الميلادى). آية ذلك الآلاف المؤلفة من المخطوطات التى وصلتنا من ذلك العصر، والتى قلما نجد فيها كتابا غير مجلد. ولم تصل صناعة التجليد فى مصر إبان العصر المملوكى إلى هذه الدرجة من فراغ، وإنما ورثت ذلك من الدول السابقة عنها، وأضافت إليه أساليبا زخرفية هندسية ونباتية لتزيد من رونقها وجمالها. ومن المعروف أن العرب قد أخذوا فن التجليد عن أقباط مصر، إذ كان المصريون يستخدمون ورق البردى فى تجليد الكتب صغيرة الحجم، والخشب فى تجليد الكتب كبيرة الحجم. ولما زال البردى وحل محله الورق فى الكتابة، أستخدم كبديل أيضا فى التجليد. وفى القرن الثالث الهجرى

---

(١) راجع على سبيل المثال : وثيقة جمال الدين يوسف الاستادار رقم ١٠٦، محفظة ١٧؛ وثيقة رقم ٨٨٠ أوقاف، وثيقة المؤيد شيخ رقم ٩٣٨ أوقاف، وثيقة جوهر اللالا رقم ١٠٢١ أوقاف؛ وثيقة فرج بن برقوق، رقم ٦٦ محفظة ١١؛ وثيقة الغورى رقم ٨٨٣ أوقاف؛ راجع ايضا ماكتبناه من واجبات خازن الكتب فى ص ١٣٧ من هذا الكتاب.

(القرن التاسع الميلادى) أخذ الجلد يدخل فى صناعة التجليد، وكان لتوفر الجلود أثرها الفعال فى انتشار هذه الصناعة. وفى القرن الرابع الهجرى (القرن العاشر الميلادى) استخدم المجلدون نظام اللسان فى الجلد، وكانت وظيفته تغطية أطرف الورق، وكذلك لتحديد الموضع الذى يقف عنده القارىء أثناء قراءة الكتاب، كما كانوا يبطنون الكتب بالورق أو بالمقماش والحرير، وقد زودوا بعض الجلود برسوم وزخارف نباتية وهندسية(١)، ويبدو فيها الذوق الإسلامى الرفيع وهى ما تعرف اصطلاحا باسم الأغلفة المزينة، ويبدو أن المكتبات الكبيرة كانت تحوى مكانا مخصصا للتجليد يعمل به عدد من المجلدين والمذهبين والمزوقين. فكانت ترسل إليهم الكتب بعد نسخها للتجليد والتذهيب وخلافه. وكانت بعض المكتبات التى ليس من العاملين فيها من هو مجلد تقوم بإرسال الكتب إلى سوق الوراقين لأغراض النسخ والتجليد، أو استئجار أحدهم للقيام بهذه المهمة داخل المؤسسة المملوكية. وتعج كتب التراجم والطبقات والسير بذكر العديد من المجلدين الذين كانوا يعملون فى المكتبات، ومن كانوا فى سوق الكتبيين بالقاهرة وينسخون ويجلدون بالأجر(٢).

وكإجراء مكمل ومدعم للتجليد، أعتبر الترميم من العمليات والواجبات التى يتعين على أمين المكتبة المملوكية القيام بها. ذلك لأن الكتب، كما هو معروف، صناعة هالكة تبلى وتصبح قديمة العهد، وقليلة النفع، حيث أنها تصبح مع الوقت وكثرة الإستخدام ربما ممزقا فتحتاج إلى الصيانة والتجليد والترميم للحفاظ عليها غى حالة جيدة. لذلك نجد العديد من الوثائق المملوكية تؤكد أن من أهم أعمال أمين المكتبة المملوكية صيانة الكتب والمصاحف والربعات، وذلك بترميمها وإصلاحها وتجليدها. فقد ورد فى وثيقة أزبك من ططخ ما نصه «على أن يتولى أجزاء الكتب المذكورة بالخزانة المذكورة ونفضها من الغبار وتعهدها كالعادة وصونها عما يفسدها..»(٣). كما تذكر وثيقة فرج بن برقوق ما نصه

---

(١) راجع : عبد الستار الحلوجى : المخطوط العربى، ص ٢٣٣ ـ ٢٤٥، شعبان خليفة : المخطوط العربى؛ دراسة فى نشأته وملامحة البليوجرافية، ص٩٦.

(٢) راجع ما كتبناه عن المجلدين والنساخ فى الفصل الثانى ١٤٩ ـ ١٥١.

(٣) وثيقة أزبك بن ططخ، رقم ١٩٨، محفظة ٣١، دار الوثائق.

«على أن يتولى حفظها ونفضها ويتفقد أحوالها بالإصلاح[(١)]. وتذكر كذلك وثيقة السلطان حسام لاجين أن على خازن الكتب أن «يصونها وينظفها ويمسح الغبار عليها»[(٢)] . وأما وثيقة السلطان حسن فقد أكدت نفس المعنى الذى يتعلق بصون الكتب» وفعل ما جرت عادة أمثاله فى ذلك»[(٣)].

وقد جاء فى نص الوقفية الواردة على ربعة بكتمر الساقى ما نصه «وشرط الواقف أن لا تخرج من التربة المذكورة ولا تعار ولا تخرج إلا للإصلاح»[(٤)]. أى لترميمها وتجليدها. وقد ورد لفظ الترميم صراحة على لسان السبكى عندما ذكر واجبات خازن المكتبة، قال: «وحق عليه الاحتفاظ بها، أى الكتب، وترميم شعثها وحبكها عند احتياجها للحبك»[(٥)]. وكذلك وثيقة الإبشادى حيث ورد ما نصه «وعلى الخازن المذكور... ترميم كراريس الكتب وأوراقها من عند نفسه، هذا إن كان له قدرة على ذلك[(٦)]، كما ورد فى مكان أخر من الوثيقة «ويصرف من الربع لترميم الكتب المذكورة»[(٧)].

غير أننا لا نجد شيئا يدلنا على الطرق التى كان المماليك يتبعونها فى ترميم مخطوطاتهم[(٨)]، وإن كنا نرجح أنها كانت طرقا بدائية وبسيطة، تقوم أساسا على استعمال

---

(١) وثيقة فرج بن برقوق، رقم ٦٦، محفظة ١١، دار الوثائق.

(٢) وثيقة حسام الدين لاجين، رقم ١٧، محفظة ٢، دار الوثائق.

(٣) وثيقة السلطان حسن بن قلاوون، رقم ٨٨١ أوقاف. نشر محمد محمد أمين.

(٤) ربعة بكتمرت الساقى رقم ٧٢ مصاحف، دار الكتب المصرية. راجع الملحق الأول، لوحة رقم ٣ بآخر الرسالة.

(٥) السبكى : معيد النعم، ص ١١١.

(٦) وثيقة الإبشادى رقم ٢٧٨، محفظة ٤٣.

(٧) المصدر السابق.

(٨) جدير بالإشارة أن المكتبات العربية السابقة على المملوكى لجأ بعضها إلى تبخير الكتب كإجراء علاجى يستهدف الإبقاء عليها بعد تعرضها للخرم (أى التمزق) أو تغيير رائحتها، ومن ذلك أن سعيد بن المبارك المعروف بابن المبارك (ت٥٦٩هـ/١١٧٣م) كانت كتبه قد غرقت وهو غائب فلما حملت إليه بخرها بالإدن. وهى مادة تستخرج من الصمغ. فطلع على عينيه فأحدث له العمى، وكان قد استخدم نحوا من ثلاثين رطلا، من الإدن فى ذلك. راجع / ياقوت الحموى : معجم الأدباء، جـ١١، ص٢٢٢؛ ابن خلكان ك وفيات الاعيان، جـ٢، ص٣٨٢ وما بعدها.

الصمغ والنشا فى لصق ما يتمزق من الأوراق، وإعادة تجليد الكتب. وأغلب الظن أن هذه العملية كان يقوم بها المجلدون أنفسهم، ولم تكن قد أصبحت بعد مجالا للتخصص. لكن توافر الاهتمام والعناية بترميم ما يتعرض للتلف من كتب المكتبات المملوكية لهو فى حد ذاته دليل آخر على وجود وعى وجود وعى مكتبى كبير لدى أولئك القوم، ويعتبر انعكاسا طبيا لما كان يحتله الكتاب والمكتبات فى حياتهم من مكانة واهتمام كبيرين[١]، وما يستتبع ذلك من ازدياد الوعى العلمى والثقافى لديهم.

من كل ما تقدم يتبين لنا أن المكتبات المملوكية استخدمت النظم والإجراءات الفنية التى من شأنها تدبير مجموعات الكتب المناسبة، فتعددت قنوات ومصادر التزويد ما بين شراء ووقف وإهداء ونسخ. فضلا عن إعداد هذه المجموعات إعدادا فنيا وفقا لنظم وقواعد مقننة. وقد تجلى ذلك فى إعداد السجلات الخاصة بالتسجيل إثباتا لملكيتها للكتب ولأغراض الجرد والمراجعة. كما أستخدمت قواعد ونظم معينة لترتيب المجموعات وتنظيمها بيليوجرافيا. كذلك حرصت المكتبات على أن تكون مجموعاتها فى حالة جيده دائما، وذلك من خلال تجليدها وترميمها وصيانتها. ولم تكن هذه النظم والإجراءات الفنية غاية فى حد ذاتها، ولكنها كانت وسيلة لتيسير سبل الإفادة من المجموعات المكتبية، وهى الهدف المستهدف من إنشاء أى مكتبة، أو ما نطلق عليه الخدمات والأنشطة. وهو ما سنتناوله تفصيلا فى الفصل التالى من الكتاب.

---

(١) راجع : عبد الستار الحلوجى : المرجع السابق، ص٢٤٥.

الفصل الرابع

الخدمات
والأنشطة فى المكتبات المملوكية

١ ـ مواعيد فتح المكتبات المملوكية، وساعات العمل فيها.

٢ ـ المستفيدون من المكتبات المملوكية : فئاتهم، وأعدادهم.

٣ ـ أنواع الخدمات المكتبية.

ـ خدمات الاطلاع الداخلى والنسخ.

ـ خدمات الإعارة الخارجية.

ـ خدمات أخرى : إرشاد القراء ـ الخدمات البليوجرافية ـ الخدمات التعليمية.

٤ ـ تقييم الدور التربوى للمكتبة المملوكية.

٥ ـ أوجه الشبه والاختلاف بين المكتبات المملوكية والمكتبات الأوروبية المعاصرة لها، ومدى الاتصال بينهما.

ليس ثمة شأن فى أن المحك الرئيسى لمدى نجاح أى مكتبة فى آداء رسالتها هو قدرتها على توفير الكتاب المناسب للقارىء فى الوقت المناسب، ومن ذلك تنبثق جميع الإجراءات والعمليات التى تتم فى المكتبة. اذ أن الهدف من اقتناء الكتب وغيرها من أوعية المعلومات وتنظيمها وإعدادها فنيا وبليوجرافيا، هو تقديم الخدمة للمستفيد. وقد سبق القول أن المكتبات فى مصر فى عصر سلاطين المماليك قد عجت بالكتب والمؤلفات فى مختلف العلوم والفنون، وذلك بفضل ما وفره مؤسسوها لها من موارد مادية وماليه وبشرية وتنظيمية وغيرها من عناصر تقديم الخدمة المكتبيه.

والحديث عن الخدمات والأنشطة فى المكتبات المملوكية يفرض علينا أن نمهد لذلك بالحديث عن مواعيد فتح المكتبة لتقديم خدماتها، ثم فئات المستفيدين فيها وأعدادهم. وبمعنى آخر متى ولمن تقدم الخدمة فى المكتبات المملوكية؟ ثم نتبع ذلك بالحديث عن أنواع الخدمات والأنشطة فيها. ولأن تلك المكتبات كانت فى معظمها ملحقة بمؤسسات تعليمية وتربوية، فإنه من الأهمية بمكان أن نتبع الحديث عن الخدمة فيها بعرض وتقييم الدور التربوى لها ثم نختتم هذا الفصل بدراسة أوجه الشبه والخلاف بين المكتبات المملوكية والمكتبات المعاصرة لها فى أوربا وان كانت قد وجدت اتصالات بينهما أم لا.

١ ـ مواعيد فتح المكتبات المملوكية :

يتضح من دراسة المصادر الخاصة بالعصر المملوكى، ولاسيما النصوص الوثائقية الخاصة بالمكتبات ومؤسساتها، أن مواعيد فتح هذه المكتبات أمام روادها كانت تختلف من مؤسسة إلى أخرى حسب لائحة كل منها وشروط الواقف فى وثيقة الوقف. فمكتبة المدرسة الغورية، على سبيل المثال، كانت تفتح أبوابها للمترددين عليها فى أيام محددة

من كل اسبوع. فقد ذكرت وثيقة الغورى ما نصه «ويفتح الخزانة أيام الدروس يومين فى الجمعة لطلبة العلم»[١]. أما وثيقة جوهر اللالا الخاصة بمدرسته، فقد حددت أيام الخدمة المكتبية بثلاثة أيام فى كل أسبوع وهى السبت والأحد والأربعاء[٢]. بينما تحددت أيام فتح المكتبة فى بعض المؤسسات الأخرى بخمسة أيام، وهى غالبا أيام الدراسة فيها. من ذلك ما تشير إليه وثيقة برقوق أن على خازن الكتب أن يفتح الخزانة فى أيام الدراسة «فى كل يوم من أيام الأسبوع خلا يومى الثلاثاء والجمعة»[٣]. بينما كانت غالبية المكتبات تفتح أبوابها طوال أيام الأسبوع لاسيما المكتبات الملحقة بالمساجد ومؤسسات الصوفية والترب والقباب، وبعض المدارس الأخرى. فقد روى صاحب «الجوهر والدرر»، أن الإمام ابن حجر العسقلانى خازن مكتبة المدرسة المحمودية، كان يفتح أبوابها يوميا للأطلاع والقراءة والنسخ والاشتغال بالعلم الشريف[٤]. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، فاننا نجد كثيرا من الوثائق الخاصة بالمؤسسات المملوكية لا تتحدد أيام فتح المكتبة بدقة، ولكنها اشترطت أن تكون أيام الأفادة من المكتبة طبقا لما هو معمول به فى باقى المكتبات حيث نصادف عبارة «فيما جرت عليه العادة فى مثل ذلك» فى كثير من الوثائق المملوكية[٥]. ومن ناحية ثالثة، فإن الأخبار التى تروى عن النقاش الذى كان يدور فى تلك المكتبات توحى بأنها لم تكن تغلق فى أوقات محددة ولكن حسبما تمليه ظروف اليوم ولأن الخازن كان نفسه من العلماء فإن بقاءه فى المكتبة كان شبه دائم ليقرأ ويبحث ومن ثم فان الفرصة كانت متاحة لغيره من الرواد والمستفيدين للبقاء طوال فترة بقائه داخل المكتبة[٦] ومن الأرجح أن فترة استخدام المكتبة كانت تمتد إلى ما قبل الغروب بشكل عام،

---

(١) وثيقة الغورى، رقم ٨٨٣، أوقاف.

(٢) وثيقة جوهر اللالا، رقم ٨٥، محفظة ١٤، محكمة.

(٣) وثيقة برقوق، رقم ٥١، محفظة ٩، محكمة.

(٤) السخاوى : الجواهر والدرر، ورقة ١٣٨ ظهر.

(٥) راجع على سبيل المثال وثيقة حسام لاجين، رقم ١٧، محفظة ٣؛ وثيقة بيبرس الجاشنكير، رقم ٢٣، محفظة ٤؛ وثيقة أزبك بن ططخ، رقم ١٩٨، محفظة ٣١؛ وثيقة أبو زكريا يحيى رقم ١٥٤، محكمة ٢٤، وثيقة المؤيد شيخ، رقم ٩٣٨ أوقاف؛ وثيقة محمد بن قلاوون رقم ٢٥، محفظة ٤.

(٦) يحيى محمود ساعاتى : الوقف وبنية المكتبة العربية، ص١٦١.

مثلما كان مطبقا فى مكتبتى المدرسة الجمالية الاستدارية والمدرسة الناصرية. فقد نصت وثيقة كل منهما[١] على أن وقت الإعارة والتداول كان يتم فيها من الصباح حتى الغروب. وهى نفس الفترة التى حددتها وقفية القاضى يحيى[٢] على مدرسته، حيث أشارت إلى فتح الخزانة كل يوم من أيام الجمعة بعد طلوع الشمس حتى قبيل الغروب.

وأما المدرسة الصرغتمشية فيبدو أن مكتبتها كانت تفتح أبوابها ليلا ونهارا. آية ذلك ما وصلنا من مخطوطات كانت ضمن محتوياتها، وقد أثبت عليها ما يفيد وقفها على طلبة العلم بالمدرسة والمسلمين بصفة عامة «لينتفعون بذلك فى الاشتغال والكتابة ليلا ونهارا»[٣] داخل المدرسة. لعله يتضح مما سبق أنه لم تكن هناك ساعات محدده للعمل بالمكتبة، ولكن غالبا ما كان العمل يمتد فيها طوال اليوم من الصباح إلى ما قبل الغروب.

٢ - المستفيدون من المكتبات المملوكية :

هذا عن مواعيد فتح المكتبات المملوكية وساعات العمل بها والتى اختلفت من مكتبة إلى أخرى حسب لائحة كل منها. وهذا يقودنا إلى الشطر الثانى من السؤال وهو : لمن تقدم الخدمة المكتبية فى المؤسسات المملوكية؟ تشير معظم النصوص الوثائقية التى تحت أيدينا إلى أن القصد من وراء الحاق المكتبات بالمؤسسات التعليمية والصوفية وغيرها، كان أفادة طلاب العلم، ومن ثم فإن لهم حق استخدام مجموعات المكتبة والاستفادة منها وفق اللوائح الخاصة بها، وهى الشروط التى حددها الواقف أو المنشىء فى وثيقة الوقف. ومن التعابير التى نصادفها كثيرا فى هذا الشأن «وقف على طلبة العلم»، «وقف على طلبة العلم بالمدرسة»، وقف على من ينتفعون به من المسلمين «و» هذا ما أوقف... لينتفع به سائر المسلمين.....» و«وقفت.... لينتفع بها سائر المسلمين».

---

(١) وثيقة جمال الدين يوسف الاستادار، رقم ١٠٦، محفظة ١٧ محكمة وثيقة فرج بن برقوق، رقم ٦٦، محفظة ١١ محكمة.

(٢) وثيقة القاضى يحيى زين الدين، رقم ١١٠، محفظة ١٧، محكمة.

(٤) راجع نص الوقفية المثبته على ربعة صرغتمش، رقم ١٥٠ مصاحف، دار الكتب، وايضا الملحق الأول بآخر الكتاب، لوحة رقم ١.

وهؤلاء هم ما يمكن أن نطلق عليهم مصطلح «المستفيدين المحتملين» ، أى المحتمل ترددهم على المكتبة للافادة من مقتنياتها ، أما «المستفيدون المتوقعون»فهم أفراد مجتمع المؤسسة الأم التى تقوم المكتبة على خدمة برامجها التعليمية والتربوية ، وهم الطلاب وهيئة التدريس بالنسبة للمكتبات المدرسية ومكتبات البيمارستانات ، والمتصوفين بالنسبة للخوانق والربط والزوايا والخلاوى ، وهكذا.

وقد اختلفت أعداد المستفيدين من مكتبة لأخرى ، فعلى سبيل المثال كان أقصى عدد من المستفيدين المتوقعين هو ما كان بمدرسة السلطان حسن بن قلاوون . إذ بلغ عدد طلبة المدرسة حوالى خمسمائة طالب ما بين مقيم بها ومتردد عليها ، وخمسين عضو هيئة تدريس ما بين معيد ومدرس وشيخ[١] . أما أقل عدد من المستفيدين فهو ما كان بمكتبة المدرسة البدرية ، إذ كان عددهم ثلاث طلاب وشيخا واحدا[٢] . وبين هذا وذاك توجد أرقام مختلفة ، منها مكتبة المدرسة الصرغتمشية والتى بلغ عدد المستفيدين منها خمسا وسبعين مستفيدا ، فضلا عن المعيدين والمشايخ[٣] . ومنها كذلك مكتبة المدرسة الأشرفية برسباى والتى بلغ عدد المستفيدين منها خمسا وخمسين مستفيدا[٤] . أما مكتبة المدرسة المؤيدية فقد حددت وثيقة الوقف عدد المستفيدين منها بحوالى مائة وخمسة وأربعين طالبا فضلا عن مشايخهم[٥] . وفى مدرسة سودون من زادة بلغ عدد المستفيدين من المكتبة حوالى اثنين وستين مستفيدا[٦] .

ولعل السبب فى اختلاف اعداد المستفيدين من مكتبة إلى أخرى يرجع إلى اختلاف ما يغله الوقف على المؤسسة الأم للصرف عليها . فضلا عن حجم المؤسسة وقدرتها الاستعابية للأعداد المقررة ونوعية المخطوطات التى تشتمل عليها.

---

(١) وثيقة حسن بن قلاوون ، رقم ٤٠ ، محفظة ٦ ، محكمة.

(٢) وثيقة محمد بن بدر العباسى ، رقم ٤٣ ، محفظة ٧ ، محكمة.

(٣) وثيقة صرغتمش رقم ٣١٩٥ أوقاف ، نشر عبد اللطيف إبراهيم ، ص١٤٧ .

(٤) وثيقة برسباى ، رقم ٨٨٠ أوقاف.

(٥) وثيقة المؤيد شيخ ، رقم ٩٣٨ أوقاف.

(٦) وثيقة سودون من زاده رقم ٥٨ ، محفظة ١٠ .

٣ ـ أنواع الخدمات المكتبية :

وأما عن سبل الاستفادة من المكتبات المملوكية، فيمكن تصنيفها فى ثلاثة أنواع من الخدمة المكتبية هى :

- خدمة القراءة والنسخ.
- خدمة الإعارة الخارجية.
- خدمات أخرى.

وتأتى **خدمة القراءة والنسخ** فى مقدمة هذه الأنواع، وذلك أن الهدف الأساسى الذى أراده المماليك لمكتباتهم هو أن تكون مكانا دائما يتردد عليه من يريد الاطلاع أو النسخ. وبالفعل تم لهم ما آرادوا، فكانت جميع المكتبات على مختلف أنواعها وأحجامها تقدم هذا النوع من الخدمات. فقد كان ينص على الاطلاع والنسخ ـ كخدمة ـ فى نصوص الوثائق. من ذلك ما جاء فى وثيقة وقف مدرسة السيفى أزبك من ططخ أنه ينبغى على خازن الكتب مناولة الكتب وتقديمها «لمن يريد المطالعة فيها والكتابة منها»[(١)]. وكذلك تذكر وثيقة الجمالى يوسف عند معرض حديثها عن واجبات خازن الكتب أن يقدمها «لمن يريد المطالعة والنسخ»[(٢)]. وتذكر وثيقة الغورى أنه ينبغى تقديم الكتب لطالبها للانتفاع بها داخل المدرسة فى نسخ منها أو مطالعة فيها أو مقابلة عليها[(٣)]. وهو ما يعرف فى المصطلح الحديث بالإعارة داخل المكتبة. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى نجد أن معظم الكتب التى وصلتنا من العصر المملوكى مثبت عليها نصوص وقفية تنص أيضا على أن الغرض من وقفها القراءة والنسخ من ذلك ما جاء فى وقفيات مصاحف السلطان شعبان وأمه خوند بركة، أن الغرض من وقف المصاحف «لينتفع بها سائر المسلمين فى القراءة وغير ذلك»[(٤)]. كما جاء على بعض الكتب التى وقفها الأمير صرغتمش فى مكتبة

---

(١) وثيقة السيفى أزبك من ططخ، رقم ١٩٨، محفظة ٣١، محكمة.

(٢) وثيقة الجمالى يوسف ناصر الخواص الشريفة، رقم ١٠٥، محفظة ١٦ محكمة.

(٣) وثيقة الغورى، رقم ٨٨٣ أوقاف.

(٤) راجع نص الوقفية فى ص ١٧١ من الفصل الثالث من الكتاب؛ وراجع ايضا الملحق الأول، لوحة رقم ٤ بآخر الكتاب.

مدرسته ما يفيد أنها وقفت للانتفاع بها فى القراءة والنسخ[١] . ومن ذلك ما جاء فى وثيقة قانى باى الرماح «وكل من حضر إليه من طلبة العلم الشريف يمكنه الانتفاع بما يحتاج إليه من الكتب المذكورة فى نسخ أو مقابلة أو مطالعة إلى أن ينهى حاجته ثم يرد الكتاب إلى محله»[٢] .

ولم تكن هناك شروط مقيدة للاطلاع والنسخ داخل المكتبة، بل كان للفرد الحق فى الاستفادة من هذه الخدمة . وساعد على ذلك اهتمام منشئو المكتبات بالجو العام الخاص بالمكتبة والاعتناء بكل ما له صلة بالمبنى وتجهيزاته وامداده بالأدوات الخاصة بالنسخ والمحابر والأقلام والأوراق وغيرها[٣] . ولعل السؤال الذى يفرض نفسه الآن ملحا فى طلب الإجابة عنه هو : هل كانت هناك اجراءات معينة لتقديم خدمات الاطلاع الداخلى والنسخ؟ .

لم ترد أية أشارات يمكن من استنطاقها أن نتلمس أى نوع من الإجراءات. لكن يُرجح أنه كانت توجد إجراءات معينة لضمان عدم التفريط فى الكتب والمحافظة عليها، كأن يترك القارىء ما يشبه الرهن عند الخازن أو تدوين بيانات المستعير، أو ما شابه ذلك. ذلك أن مثل هذه الإجراءات كانت متبعة فى تقديم خدمة الإعارة الخارجية كما سترى فى الصفحات التالية، وقياسا على ذلك يمكن القول أن ما كان يطبق على الاعارة الخارجية كان من المنطقى أن ينسحب أيضا على الإعارة الداخلية.

وعلى كل حال، فبالاضافة إلى خدمة المطالعة الداخلية والنسخ، وتسهيلا لحركة تداول الكتب، وتنشيطا لاستخدامها، قد مت معظم المكتبات خدمة أخرى لمن تحول ظروفه دون الانتقال إليها للاطلاع الداخلى فيها أو نسخ ما يريده هى **خدمة الإعارة الخارجية** .

وفى مصنفه «تذكرة السامع والمتكلم فى أدب العالم والمتعلم» عقد ابن جماعة

---

(١) ربعة صرغتمش رقم ١٥٠ مصاحف، دار الكتب، راجع أيضا الملحق الأول،لوحة رقم ١ بآخر الرسالة.

(٢) وثيقة قانى باى الرماح رقم ١٠١٩ أوقاف.

(٣) لمزيد من المعلومات عن مبانى المكتبات المملوكية وتجهيزاتها ومظاهر الاهتمام بها، راجع الفصل الثانى، ص١١١ـ١١٦.

(ت٧٣٣هـ/١٣٣٢م) بابا للحديث عن الأداب مع الكتب بما فى ذلك نسخها وإعارتها. ويمكن تلخيص هذه الآداب فى ثمانى نقاط[١]:

١ ـ يستحب إعارة الكتب لمن لا ضرر عليه منها، وممن لا ضرر[٢] منه.

٢ ـ إذا استعار المستعير كتابا فينبغى له أن يتفقده عند أخذه ورده.

٣ ـ ينبغى للمستعير ألا يطيل مقام الكتاب المستعار عنده من غير حاجة، بل يرده إذا قضى حاجته، ولا يحبسه إذا طلبه المالك.

٤ ـ لا ينبغى للمستعير أن يعير ما استعاره من كتب للغير، ولا ينسخ منه بغير إذن صاحبه.

٥ ـ إذا نسخ من الكتاب بإذن صاحبه فلا يضع المحبرة عليه، ولا يمر بالقلم فوق كتابته حتى لا يتلفه.

٦ ـ لا يجوز اصلاح كتاب الغير بغير إذن صاحبه.

٧ ـ لا يكتب شيئا فى بياض فواتح الكتاب، أو خواتمه إلا بعلم ورضاء صاحبه.

٨ ـ ينبغى للمستعير أن يشكر للمعير ذلك ويجزيه خيرا.

وإعارة الكتب للفقراء وطلاب العلم والعلماء وغيرهم أمر استحسنه الأولون والآخرون لما فيه من نشر العلم بصفة خاصة وافادة الناس بوجه عام. فالخطيب البغدادى (ت ٤٦٣هـ/ ١٠٧٠م) يحدثنا فى كتابه «الجامع لأخلاقى الراوى وآداب السامع» عن سفيان الثورى أنه قال «من بخل بعلمه إبتلى بثلاث : إما أن ينساه ولا يحفظ، وإما أن يموت ولا ينتفع به، وإما أن تذهب كتبه»[٣]. وهذا ما حدث لابراهيم بن أحمد بن حسن الفرس

---

(١) ابن جماعة : تذكرة السامع فى ادب العالم والمتعلم، ص١٦٣، ١٦٧ ـ ١٦٩، ١٧٢.

(٢) ذكر السبكى فى معيد النعم «انه» حق على خازن الكتب الضن بها على من ليس من اهلها، وبذلها للمحتاج إليها، وان يقدم فى الاعارة الفقراء الذين يصعب عليهم تحصيل الكتب على الاغنياء. واجع : السبكى : معيد النعم ومبيد النقم، ص ١١١.

(٣) الخطيب البغدادى : الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع، جـ١، ص ٢٤٠، وراجع أيضا : السمعانى: أدب الاملاء والاستملاء، ص١٤٥.

(ت٨٨٨هـ/١٤٩٩م) . يذكر السخاوى أنه كان «عنده من الكتب والأجزاء وتصانيف شيخه ما لم ينتفع به وعطل على غيره الانتفاع بها لعدم سماحه بإعارتها حسبما استفيض عنه حتى نقل عنه أنه كان يقول إذا عانيت الموت ألقيتها فى البحر» . «وبعد موته تفرق الناس كتبه بأبخس ثمن»[(١)] . وكره بعضهم إعارة الكتب. من هؤلاء أبو العتاهية «قال رجل له أعرنى كتابك، فقال إنى أكره ذلك، فقال : أما علمت أن المكارم موصولة بالمكاره، فأعاره الكتاب[(٢)] ويروى صاحب الضوء اللامع أن حسين بن على ظهر الدين الغزى (ت٨٩١هـ/١٤٨٦م) كان يعير كتبه لخلانه ومنهم ابن عزم الذى كان يستعير منه الكثير من الكتب[(٣)] وكان الخطيب البغدادى ممن يرغب فى إعارة الكتب، فقد عقد فصلا فى كتابه «تقييد العلم»[(٤)] عن الذين يترددون فى إعارة الكتب لمن هو أهل لها، وذم من سلك فى ذلك طريق البخل والامتناع.

وعلى كل حال، فإن الوثائق المملوكية تبرز تباينا واضحا بين مختلف المكتبات فيما يتعلق بتطبيق وتقديم خدمة الإعارة الخارجية. فقد وضعت بعضها قيودا لضمان تنظيم العمل، وحسن سيره من ناحية، وللمحافظة على الكتب وكلها مخطوطة - من الضياع وخوفا عليها من التلف من ناحية أخرى فعلى سبيل المثال تذكر وثيقة وقف السلطان فرج بن برقوق، بعد أن حددت مهام وصفات ومرتب خازن الكتب، «أنه من حضر إليه يطلب شيئا من ذلك فإن كان أهلا لمطالعة ذلك، والاشتغال به، وكان من أهل المكان وممن يوثق به، دفعه إليه، وأخذ خطه منه، فإذا أعاده إليه، دفع إليه خطه، ولا يمكنه من التأخير مدة بعيدة يخشى منها حصول النسيان، بل يتعهده بالسؤال وأخذ ما أخذه منه، فإذا طلب غيره إجابه لذلك، وفعل كما فعل أولا، وإن كان الطالب من خارج المكان لا يعطيه شيئاً من ذلك..»[(٥)]. ومن استقراء هذا النص يمكن أن نتعرف على الشروط والاجراءات

---

(١) السخاوى : الضوء اللامع، جـ١، ص ١٢ - ١٣.

(٢) ابن جماعة : تذكرة السامع والمتكلم، ص ١٦٧ - ١٦٨.

(٣) السخاوى : الضوء اللامع، جـ٣ ص ١٥٠.

(٤) الخطيب البغدادى : تقييد العلم، دمشق، ١٩٧٨، ص ١٤٦ - ١٥٠.

(٥) وثيقة فرج بن برقوق، رقم ٦٦ محفظة ١٦، محكمة.

التى وضعها السلطان فرج بن برقوق لتنظيم عملية الاعارة الخارجية وهى تتلخص فيما يلى:

١ ـ قصر الإعارة الخارجية على طلاب المدرسة وعلمائها، وهو ما عبرت الوثيقة عنه بمصطلح «أهل المكان» وأما إن كان من غير أهل المكان فيمكن له استخدام المكتبة فى الاطلاع الداخلى أو النسخ أو كليهما فحسب[١].

٢ ـ أن يكون المستعير أهلا لمطالعة ما يستعار من الكتاب. وهذا شرط هام جدا لأنه لا ينبغى للمكتبة أن تمد القارىء بما يريده فقط، بل لابد من أن يكون هناك توجيه لما يمكن أن يستفيد منه. وهذا ما يعبر عنه خبراء المكتبات بنظريتى الإمداد والتوجيه[٢].

٣ ـ أن يكون المستعير أهل ثقة وأمانة. ذلك لأن الكتب كانت مخطوطة. وبعضها نادر، ولو فقدت المكتبة أحدها قد لا تستطيع الحصول على غيره.

٤ ـ تسجيل اسم المستعير وتوقيعه، وهو ما عبرت عنه الوثيقة بمصطلح «أخذ خطه منه».

٥ ـ متابعة الكتب المعارة بالسؤال عنها اذا ما تأخر المستعير عن ردها.

وقد وجدت مثل هذه الشروط والقواعد فى مكتبات مملوكية غير مكتبة فرج بن برقوق من ذلك مكتبة الابشادى التى نصت وثيقته على أهمية تسجيل واقعة الإعارة، وذلك بتسجيل اسم المستعير والكتاب المعار فى سجل خاص بذلك. فقد ذكرت ما نصه «وكتابة اسم من يطلب منه كراسا ويأخذه منه، ثم إذا أعاده مسح اسمه بحبر يشتريه من عند نفسه»[٣] كذلك اشترطت وثيقة جمال الدين الاستادار أن يكون المستعير من أهل

---

(١) جدير بالذكر أن هذا الشرط مطبق إلى حد كبير فى المكتبات الجامعية اليوم حيث تقصر هذه المكتبات الإعارة الخارجية على طلابها وهيئة تدريسها وموظفيها وبعد أخذ الضمانات الكافية ضمانا لرد الكتب المعارة.

(٢) للاطلاع على ماهية هذه النظرية. راجع : أحمد أنور عمر : المكتبات العامة بين التخطيط والتنفيذ، ص ١٠، ١٥.

(٣) وثيقة الإبشادى، رقم ٢٧٨، محفظة ٤٣، محكمة. ونعتقد أن المسح بالحبر الذى ذكرته الوثيقة يعنى الشطب أو القشط. وجدير بالذكر اننا قمنا بالبحث فى فهارس مكتبة الجامع الازهر عن مثل هذا السجل حيث يوجد بالمكتبة عدد كبير من مخطوطات مكتبة الابشادى، ولكننا لم نصل إلى شيىء.

الخانقاه، وأن يكون أهل ثقة وأمانة، وإن كان يخشى منه أو غير معروف للخازن فينبغي احضار ضامنا له على أن يكون هو الآخر أهل ثقة ومن أهل الخانقاه. كذلك حددت الوثيقة مدة الإعارة الخارجية بشهر واحد[١]، فقد جاء فيها ما نصه «من حضر من طلبة العلم الشريف من أهل الخانقاه المذكورة لاستعارة شيىء من الكتب المذكورة يشتغل فيه سلمه إليه إن كان ثقة. وإن كان ممن يخشى منه، منعه إلا أن يضمنه ثقة من أهل الخانقاه المذكورة. ولا يقر شيئا من الكتب المستعارة بيد المستعير أكثر من شهر واحد من حين استعارته، بل يأخذه منه بعد مضى الشهر»[٢].

وضمانا للمحافظة على الكتب وعدم المماطلة فى رجوعها، أو الامتناع عن ردها من جانب المستعير. اشترطت بعض المكتبات المملوكية الحصول على رهن حافظ لقيمة الكتاب المعار. فيذكر تاج الدين السبكى أنه «كثيرا ما يشترط الواقف ألا يخرج الكتاب إلا برهن يحرز قيمته، وهو شرط صحيح معتبر، فليس للخازن أن يعير إلا برهن»[٣] والرهن قد يكون نقدا أو عينا كأن يكون كتابا أو غيره[٤]. ومن المكتبات التى استخدمت الرهن شرطا للاعارة الخارجية، مكتبة المدرسة الأشرفية شعبان بن حسين، ومكتبة ام السلطان خوند بركة، حيث ورد فى نص الوقفيات الخاصة بكتب هاتين المكتبتين ما نصه «وشرط أن لا يخرج من المكان المذكور إلا برهن يحرز قيمته»[٥] «وشرطت أن لا يخرج من المكان المذكور إلا برهن يحرز قيمته»[٦].

---

(١) جدير بالإشارة أن وثيقة جمال الدين يوسف الاستادار هى المصدر الوحيد الذى ذكر المدة المسموح فيها بالإعارة الخارجية، وقد حددتها الوثيقة بشهر واحد. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى سكتت المصادر عن الأفادة بشأن عدد الكتب المسوح باعادتها خارجيا فى المرة الواحدة لشخص واحد.

(٢) وثيقة جمال الدين الاستادار رقم ١٠٦، محفظة ١٧، محكمة.

(٣) السبكى : معيد النعم، ص ١١١؛ انظر ايضا : وثيقة حسام الدين لاجين رقم ١٧، محفظة ٣؛ فؤاد سيد : نصان قديمان فى الإعارة، ص ١٣٤ - ١٣٦.

(٤) يبدو أن فكرة الرهن كانت معروفة قبل العصر المملوكى، حيث يذكر ابن الفوطى انه كان بمكتبة المدرسة المستنصريه ببغداد من الرهون ثلاثمائة دينار. راجع : ابن الفوطى - الحوادث الجامعة، ص ٢٢٣.

(٥) راجع : مصحف السلطان الأشرف شعبان رقم ٩ مصاحف، دار الكتب المصرية؛ وانظر ايضا : الملحق الأول، لوحة رقم ٧ بآخر الرسالة.

(٦) راجع : مصحف خوند بركة، رقم ٦ مصاحف، بدار الكتب المصرية؛ وراجع نص الوقفية ص ١٧١ من الكتاب.

وإذا كان يسمح بالإعارة الخارجية فى بعض المكتبات برهن أو بشروط، فقد وجدت بعض المكتبات الأخرى التى تشددت فى منعها منعا باتا لا برهن ولا بغيره.

ومن المكتبات المملوكية التى منعت الاستعارة الخارجية تماما، مكتبة المدرسة الصرغتمشية فقد ثبت على بعض الكتب التى وقفها صرغتمش على مدرسته ما نصه «لينتفعون بذلك فى الاشتغال والكتابة منه ليلا ونهارا بحيث لا يخرج من المدرسة المذكورة ولا يباع ولا يرهن ولا يوهب ولا يبدل ولا يغير»[١]. كما تذكر وثيقة الجمالى يوسف ما يفيد بأن على خازن الكتب اخراجها لمن يريد المطالعة فيها داخليا أو النسخ منها، ولا يخرج شيئا من ذلك عن المدرسة برهن ولا بغيره »[٢]. أما وثيقة المؤيد شيخ فقد جاء فيها ما نصه «ولا يخرج (أى الخازن) من الجامع المذكور كتاباً واحداً ولا أكثر منه مطلقا»[٣]. كذلك تذكر وثيقة الغورى ما نصه «ومن طلب منه كتابا فى علم من العلوم أو فن من الفنون يدفعه له فينتفع به فى المدرسة ولا يمكنه من الخروج به من المدرسة ولو دفع إليه شيئا يساوى أضعاف قيمته، فإذا انتفع كل منهم بما طلبه فى نسخ منه أو مطالعة فيه أو مقابلة عليه بالمدرسة رده الخازن إلى الخزانة»[٤]. وفى هذا المقام ورد فى وثيقة الإبشادى نص هام هو «ولا يخرج من ذلك شيئا من الأشياء من الجامع الأزهر برهن ولا بغيره، ولا يعطى من ذلك شيئا لمن يُعرف فيه التفريط». وتبدو أهمية هذا النص فى أنه إلى جانب تحريمه للإعارة الخارجية يمنع كذلك الإعارة الداخلية لمن يعرف عنه الإهمال والتفريط[٥]. ومع ذلك فقد كان البعض يتحايل على أمناء المكتبات فى سبيل الاستعارة الخارجية للكتب باذلين فى سبيل ذلك المال الجزيل، كما كان الحال مع خازن

---

(١) ربعة صرغتمش، رقم ١٥٠ مصاحف، دار الكتب المصرية؛ راجع الملحق الأول، لوحة رقم ١ بآخر الكتاب.

(٢) وثيقة الجمالى يوسف، رقم ١٠٥، محفظة ١٦، محكمة.

(٣) وثيقة المؤيد شيخ، رقم ٩٣٨ أوقاف.

(٤) وثيقة الغورى، رقم ٨٨٣ أوقاف.

(٥) وثيقة الإبشادى رقم ٢٧٨، محفظة ٤٣، محكمة.

المكتبة المحمودية، إذ كان أكابر الدولة وأعيانها يحاولونه على إعارة الكتب، ولكنه مع ذلك كان يباشر عمله بقوة وصرامة، ولا يلتفت إلى طلباتهم[(١)].

ويبدو أن سياسة منع الإعارة الخارجية فى بعض المكتبات، إنما ترجع إلى حرص المنشئين والواقفين على الحفاظ على مقتنيات المكتبة، وذلك بهدف تعميم الفائدة لأكبر عدد من المترددين على المكتبة أو ربما لقيمتها العلمية، أو لندرة وجودها أو لقلة نسخها، وهو حرص له ما يبرره فى ذلك الوقت. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فقد وجد فى العصر المملوكى بعض الأشخاص الذين ولعوا بحب الكتب واقتنائها وتحصيلها، بأى وسيلة كانت. إذ يذكر السخاوى أن القاضى شرف الدين المناوى (ت٨٧١هـ/١٤٦٦م) توسل به عند ابن الشحنه لرد الكتب التى استعارها منه. كذلك توسل به خازن مكتبة المدرسة المحمودية لنفس الغرض[(٢)]. ووجد البعض الآخر ممن عرف عنهم سوء عاريتهم للكتب بحيث لا يسترد المعير كتبه إلا بشق الأنفس، إن أمكن استردادها[(٣)].

ويبدو أن مسألة إباحة الإعارة الخارجية أو منعها قد شكلت قضية بالنسبة للقراء والباحثين فى العصر المملوكى الذين كانوا يترددون على المكتبات، ولكل وجهة نظره التى يدافع عنها. وقد درس هذه القضية المؤرخ جلال الدين السيوطى (ت٩١١هـ/١٥٠٦م) بتفصيل فى رسالته التى أسماها «**بذل المجهود فى خزانة محمود**»[(٤)] التى كتبها عام (٨٦٧هـ/١٤٦٥م) وحاول فيها أن يجد مفرا من شروط الواقفين الذين كانوا يشترطون منع اخراج الكتب الموقوفة من مكانها، وأن يفسر هذه الشروط، ويستنبط منها ما يسمح باستثناء ما شرطه الواقف. والاقناع بجواز الإعارة

---

(١) السخاوى : الضوء الامع، جـ٦، ص٢٥٢.

(٢) السخاوى : الضوء اللامع، جـ٩، ص ٢٩٥ ـ ٢٩٦.

(٣) المصدر السابق، جـ٩، ص ٢٤٨ ـ ٢٥٠. ويبدو أن هذا الخلق كان منتشرا قبل العصر المملوكى: فيحدثنا ياقوت فى معجم الأدباء أن عبد الله بن الخشاب (ت٥٦٧هـ/١١٧١م) كان إذا استعار من أحد كتابا، وطالبه به، قال دخل بين الكتب فلا أقدر عليه. راجع : ياقوت الحموى: معجم الأدباء، جـ١٢ ص ٥١.

(٤) السيوطى : بذل المجهود فى خزانة محمود، تحقيق فؤاد سيد، مجلة معهد المخطوطات العربية، مج ٤، جـ١ ص ١٩٥٨، ص ١٣٤ ـ ١٣٦.

الخارجية لمن هم جديرون بحفظها وصونها، ويبدو أن الذى دفع السيوطى إلى ذلك هو أنه أراد أن يفيد من موجودات مكتبة المدرسة المحمودية، معتمدا على أنه رأى شيخى الاسلام البلقينى[1] والمناوى[2] يستعيران منها الكتب استعارة خارجية، ويخرجان منها الكتب إلى منزليهما وتمكث عندهما الأيام الكثيرة، «وهما الامامان يقتدى بهما». وقد فند السيوطى رأيه فى إباحة إعارة الكتب إعارة خارجية مع علمه لمخالفة ذلك لشروط الواقف بأن له أربعة أوجه : وجهان ضعيفان ووجه حسن ووجه قوى صحيح. ويقول فى الوجه الثالث أن بعض الأئمة أجاز مخالفة شرط الواقف إذا اقتضت المصلحة ذلك. وفى الوجه الرابع يرى السيوطى أن مقصود الواقف تمام النفع وتمام الحفظ، أى تمام انتفاع الناس بما وقفه من كتب بالمكتبة المذكورة والمحافظة عليها من الضياع والتلف فى ذات الوقت.

فاذا وجِد من يحتاج إلى الانتفاع بها فى تصنيف وتأليف، وأنه لا يتمكن من تمام الانتفاع بها داخل المدرسة، فإذا كان المنتفع ممن يوثق بحفظه وصونه للكتب «جاز الإخراج له ويِستثنى من المنع». ثم يخرج السيوطى من محاولته هذه بفتوى مؤداها:

أولا- لا ينبغى ألا يستعار من هذه المكتبة مالا يتيسر وجوده فى غيرها. وهذا ما ينسحب على غيرها من المكتبات.

ثانيا- أنه لا يمكث الكتاب عند المستعير إلا بقدر ما يقضى حاجته منه «ومدرك الأمرين أنه ما جاز للضرورة يقدر بقدرها».

ويدل موقف السيوطى هنا على وعى وفهم واقعى ، فهو لم يطلق الاستعارة من هذه

---

(١) هو القاضى علم الدين أبو البقاء صالح بن عمر بن رسلان الكنانى العسقلانى (ت٨٦٨هـ/١٤٦٣م)، ويقول عنه السخاوى أنه كان سمحا بعارية الكتب راجع السخاوى : الضوء اللامع، جـ٣، ص ٣١٢.

(٢) هو الشيخ شرف الدين المناوى قاضى القضاه بمصر ولد سنة ٧٩٨هـ/ ١٤٠٨م وتوفى سنة ٨٧١هـ/ ١٤٦٦م وكان من العلماء المحدثين والفقهاء والأصوليين له تصانيف منها مختصر المزنى على الأم. راجع ترجمته فى السيوطى : حسن المحاضرة، جـ٢ ، ص ١٣٨؛ السخاوى : الضوء اللامع، جـ٩ ، ص٢٩٥ - ٢٩٦.

المكتبة، وفى نفس الوقت لم يمنعها. ولعله بنى موقفه هذا على ندرة ما هو موجود بالمكتبة، وبالتالى إمكان ضياع ما تحتويه من الكتب فى حالة الاطلاق. فأجاز ذلك بشرط أن ما يستعار فيها غير متوفر فى غيرها، وأن لا يمكث الكتاب عند المستعير إلا بقدر ما يقضى حاجته منه سواء فى القراءة أو النسخ.

وهكذا يتبين من كل ما تقدم أن موقف المكتبات المملوكية من خدمة الإعارة الخارجية كان موقفا متباينا، يختلف باختلاف المكتبة ولوائحها وشروط منشئها. فبعضها أباح الإعارة الخارجية مع وضع شروط واجراءات تنظيمية لضمان حسن سير عمليه الإعارة، والبعض الآخر أباح الإعارة ولكن بدفع رهن لضمان المحافظة على الكتب المعارة، كما وجدت فئة ثالثة من المكتبات منعت الإعارة منعا باتا لا برهن ولا بغيره مثلما حدث فى مكتبات المؤسسات المملوكية الجركسية مثل مكتبات المدرسة الصرغتمشية والجمالية والمحمودية والمؤيدية والأشرفية برسباى والغورية وغيرها.

وفضلا عن خدمتى الإطلاع الداخلى والنسخ وخدمة الاستعارة الخارجية توفرت فى بعض المكتبات المملوكية أنماط أخرى من الخدمات. ولكنها لم تكن منتشرة انتشاراً واسعاً مثل إرشاد وتوجيه القراء إلى ما يناسبهم من مراجع. ومن الذين نصبوا أنفسهم مرشدين للقراء الامام ابن حجر العسقلانى خازن المكتبة المحمودية، فقد كان لا يأتيه مستعير كتابا إلا دله عليه. وفى الدلالة إرشاد وتوجيه وخدمة. ومن هذه الخدمات أيضا ما يمكن أن نطلق عليه خدمات الإرشاد البيليوجرافى. وقد أسهمت الفهارس التى أعدتها المكتبات على اختلاف أنواعها، ومنها الفهارس الموضوعية وفهارس المؤلفين، أسهمت فى تقديم هذا النوع من الخدمات .

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى قدمت الكثير من المكتبات المملوكية خدمات تعليمية للطلاب والمعيدين والعلماء وغيرهم، وذلك من خلال التسهيلات المتمثلة فى

---

(١) السخاوى : الجواهوالدرر، ورقة ١٣٨ ظهر.

تقديم الأدوات الكتابية المجانية من أوراق وأقلام وأحبار، فضلا عن عقد الدروس والمحاضرات والمباحثات. فقد كانت الايوانات الأربعة للمؤسسة المملوكية التى كانت تعتبر من صميم المكتبة وجزءا أصيلا منها، ومخصصة لخدمة القراء فى المطالعة والنسخ المراجعة، طبقا للائحة المدرسة الواردة فى وثيقة الوقف. وكانت هذه الايوانات بمثابة قاعات للمحاضرة والمناقشة والبحث فى الموضوعات الدراسية. ومن العلماء الذين كانوا يترددون على هذا المباحثات الشيخ أبو الفتوح المناوى[١] والشيخ أحمد الشهاب الحجازى، حيث يذكر السخاوى أن الأخير «سكن بخلوة الكماخى وتكلم فى خزانة كتبها»[٢]. والنص هنا يشير إلى استخدام الحجازى للمكتبة كمركز للتعليم وإلقاء الدروس والمحاضرات. «ونفس الشيىء كان فى مكتبات القباب والترب والتى كانت المكتبة فيها مركزا تعليميا ومحلا للمناظرات والمناقشات والمحاضرات، كما كان الحال فى خزانة القبة المنصورية التى كانت تعقد فيها الدروس والمحاضرات للفقهاء على المذاهب الأربعة[٣].

٤ ـ تقييم الدور التربوى للمكتبة المملوكية :

وهكذا قدمت المكتبات المملوكية أنماطا عديدة من الخدمات والأنشطة حسبما أسلفنا. وكان من الطبيعى بعد ذلك كله أن يكون للمكتبات بمختلف أنواعها وأحجامها دور تربوى تعليمى. فالمكتبات أداة أو وسيلة تربوية حيه لخدمة الأفراد، وهى جزء لا يمكن الاستغناء عنه فى أى مؤسسة تربوية تعليمية، بل يمكن اعتبارها «الأساس الذى ترتكز عليه جميع الاتجاهات التربوية والتعليمية التى تؤكد على نشاط الطلاب وفعاليتهم»[٤] وقد أدرك سلاطين المماليك ورجال دولتهم دور المكتبة التربوى. فلم تكن مكتباتهم مجرد مجموعات كثيرة أو قليلة من الكتب وجدت لمجرد الزينة أو التباهى والتفاخر أو إرضاء لهواية جمع الكتب، أو حتى استخدامها لقتل وقت الفراغ، إنما وجدت لغاية أسمى من ذلك فقد كانت

---

(١) السخاوى : الضوء اللامع، جـ١، ص ٣٨٠.

(٢) السخاوى : المصدر السابق، جـ٢، ص ٢٥٦.

(٣) وثيقة السلطان قلاوون، رقم ١٠١٠ أوقاف؛ المقريزى : الخطط، جـ٢ ص ٣٨٠.

(٤) عبد ربه محمود وعبد الجليل السيد : المكتبة والتربية، القاهرة، دار الفكر العربى ١٩٦٨م. ص٣.

مكانا لتثقيف الشعب المصرى وتعليمه، ومكانا للبحث والدرس والتأليف، وبعد هذا سبقا فى إدراك العلاقة الوثيقة بين العملية التعليمية وتوفير المكتبة داخل المؤسسات التعليمية والتربوية. بهدف اتاحة الفرصة لطالب العلم للخروج به من دائرة الاعتماد على ما يسمعه ويتلقاه من مدرسيه إلى عالم أوسع وأرحب يحصل منه على ثقافة أكثر عمقا ودقة وتنوعا.

ولأن جميع الكتب فى ذلك العصر كانت مخطوطة، تعتمد فى كتابتها على النسخ ومع احتمال ارتفاع أثمان مواد الكتابة من ورق وجلد وغير ذلك، لم يكن باستطاعة الكثير من الطلاب اقتناؤها نظرا لارتفاع ثمنها أو ندرتها. ومن هنا تبدو أهمية المكتبة فى حياة الدارسين. فبدونها لا يستطيع الطلاب الاعتماد على شيىء إلا ما يمليه عليهم اساتذتهم، ولكن وجودها أتاح لهم فرصة الاطلاع والبحث ومقابلة ما يدرسون على أراء الفقهاء والعلماء كما أتاحت لهم فرصة القراءة والبحث فى فروع العلوم المختلفة بصرف النظر عما إذا كانت تدرس لهم من عدمه. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى أتاحت المكتبة لهم فرصة الاطلاع مسبقا على الدروس التى سيقوم بشرحها لهم أو املائها عليهم مما يعينهم على سرعة الفهم والتجاوب مع الأساتذة(١). وهذا فى حد ذاته نجاح للمكتبة المملوكية فى تأدية دورها التربوى فى هذا الزمن البعيد.

ولم تكن رسالة المكتبات فى العصر المملوكى قاصرة على خدمة الدراسين والمدرسين، ولكنها أفادت الباحثين فى شتى فروع المعرفة البشرية. فبدونها ما كنا لنسمع عن كثير من مؤرخى تلك الفترة وعلمائها الذين اعتمد عدد غير قليل منهم فى بحوثهم ودراساتهم على ما يوجد فيها من مادة علمية. نذكر منهم على سبيل المثال : القاضى والمؤرخ ابن حجر العسقلانى الذى كان خازنا لمكتبة المدرسة المحمودية، فقد أعانته كثيرا فى تصنيف مؤلفاته(٢). وكذلك شيخ الاسلام القاضى علم الدين البلقينى الذى كان يستعير الكتب من المحمودية أيضا ويخرج بها إلى منزله وتمكث عنده الايام الكثيرة(٣). ومحمد

---

(١) راجع : عبد الغنى عبد العاطى : التعليم فى مصر زمن الأيوبيين والمماليك ص ٢٤٩.

(٢) السخاوى : الجواهر والدرر، ورقة رقم ٧٨٢؛ وانظر أيضا الملحق الثالث بآخر الكتاب.

(٣) السيوطى : بذل المجهود فى خزانة محمود، ص ١٣٤.

بن يوسف ابن حيان الغرناطي القاهري حيث يحدثنا صاحب «الدرر الكامنة» عنه أنه كان يلوم ابن حجر العسقلاني على بذل الدراهم في شراء الكتب ويقول إذا أردت كتابا استعرته من كتب الأوقاف وقضيت حاجتي[١]. ويعترف ابن خلكان (ت٦٨١هـ/١٢٨٢م) أنه لم يتمكن من تأليف كتابه «وفيات الأعيان» إلا بعد أن حصل على المعلومات الموجودة في الكتب التي كان يهدف منذ زمن بعيد إلى مطالعتها. فيقول «لما وصلت إلى القاهرة صادفت فيها كتبا كنت أوثر الوقوف عليها. وطالعت تلك الكتب وأخذت منها حاجتي ثم قصدت لاتمام هذا الكتاب حتى كمل على هذه الصورة»[٢].

ومن العلماء الذين أفادوا من المكتبات المملوكية المؤلف الموسوعي جلال الدين السيوطي الذي يعتبر من أغزر المؤلفين المسلمين انتاجا، حيث بلغ عدد كتبه ما يزيد على ستمائه كتاب ورسالة، غطت جميع فروع المعرفة الاسلامية واللغوية فضلا عن التاريخ والتراجم[٣]. وكان الرجل كثير التردد على المدرسة المحمودية ومكتبتها، وأفاد منها افادة كبيرة مما جعل زميل دراسته السخاوي يتهمه بتهمة شنيعة وهي أنه «أخذ من كتب المحمودية كثيرا من التصانيف المتقدمة، التي لا عهد لكثير من العصريين بها، فغير فيها يسيرا وقدم وأخر ونسبها لنفسه، وهول في مقدمتها، بما يتوهم منه الجاهل شيئا مما لا يوفي ببعضه»[٤]. ويلاحظ أن السخاوي قد تناول السيوطي في ترجمته هذه التي شغلت ست صفحات من كتابه «الضوء اللامع»، على غير عادته في الترجمة لأهل القرن التاسع الهجري، بالاتهام والتجريح والقذف. ولم يترك له فضيلة ونسب له كل رذيلة. ويبدو أن السيوطي رد التحية بأفضل منها، فألف رسالة ضد السخاوي أسماها «الكاوي لدماغ السخاوي»[٥]، ذكر فيها أن هذه الخزانة وغيرها من الخزائن المكتبية المملوكية

---

(١) ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، جـ٤، ص ٣٠٩.

(٢) ابن خلكان: وفيات الاعيان، جـ٦، ص ٢٥٥ ـ ٢٥٦.

(٣) راجع: السيوطي: فهرس مؤلفات السيوطي، مخطوط رقم ٦٤١ جـ مكتبة بلدية الاسكندرية.

(٤) السخاوي: الضوء اللامع، جـ٤، ص٦٦.

(٥) الشوكاني: البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، جـ١، ص٣٢٩.

هى التى أعانته على كثير من التآليف، وبها كذا وكذا من علوم متفرقة لم يذكر مؤلفوها أسماءهم بها، وأنه لو ادعاها لنفسه لما عارضه أحد[١]. وعلى كل حال، وما يهمنا فى هذه القضية هو أنه كان للسيوطى، كغيره من العلماء فى عصره، فوائد كثيرة من مكتبة المدرسة المحمودية وكانت عونا كبيرا له فى كثير من تصانيفه التى وضعها، وانتفعت بها الأجيال من بعده. ثم يجب ألا ننسى أن هذه كانت سمة العصر، ولا يعتبر الأخذ من التصانيف السابقة أو النقل عنها سرقة أو عيبا.

هذا عن مكتبات المؤسسات التعليمية ودورها التربوى، أما المكتبات الخاصة فقد قامت بدور تربوى لا يقل أهمية عن مثيلاتها فى المساجد والمدارس وغيرها من المؤسسات. فهذه المكتبات التى أنشأها علماء ذلك العصر ووجهاؤه وفضلاؤه، أثرت فى أصحابها، فجعلت منهم العالم والطبيب والشاعر والأديب. وفى نفس الوقت لم يجعلوها حكرا عليهم، وانما استفاد منها أهل بيتهم وأصدقاؤهم، بل وعامة الشعب فى كثير من الحالات. ومن المكتبات التى أثرت فى أصحابها وجعلتهم يتفوقون ويصبحون من علماء عصرهم مكتبة السنجاوى الأكفانى (ت٧٤٩هـ/١٣٤٨م) الطبيب الشهير الذى كان يقضى معظم وقته فيها مشتغلا فى القراءة والنسخ. وقد ساعدته هذه المكتبة على أن يؤلف أعداد كثيرة من الكتب. وأن كتابه «أرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد»[٢] ليعد أحد ثمار اشتغاله بمكتبته. فقد تحدث فيه عن حوالى أربعمائه كتاب فى مختلف العلوم والفنون، مما يدل على اتساع دائرة معلومات الرجل وثقافته. ومن ذلك أيضا مكتبة الشيخ أحمد بن أسد الأسيوطى (ت فى ق٩ هـ/ ق ١٥م)، فصاحبها كان عالما فاضلا برع فى فنون كثيرة مع صرف الهمة فى المطالعة والنسخ، وقد اعتنى بكثير من كتبه، فجعل لها الحواشى والشروح، وكان يسمح باعارة كتبه لخلانه وتلامذته[٣]، ومثله فى ذلك غيره ممن ذكرناهم بسلفا[٤] وتعج

---

(١) راجع: عبد الحميد نافع: ذيل خطط المقريزى، مخطوط، رقم ١٩٠ بلدان، تيمور، دار الكتب المصرية، ص٦٨.

(٢) راجع: السنجاوى الأكفانى: ارشاد القاصد إلى أسنى المقاصد، القاهرة، ١٩٧٨ وقد تحدثنا عن هذا الكتاب كنموذج لتصنيف العلوم. راجع الفصل الثالث من الكتاب، ص ١٨٠ - ١٨٣.

(٣) السخاوى: الضوء اللامع، جـ١، ص ٢٢٩ - ٢٣١.

(٤) راجع ما ذكرناه من أمثله فى الفصل الأول من الكتاب، ص ٧٧.

كتى السير والتراجم والطبقات بذكر المئات من العلماء والأدباء الذين أظهروا نشاطا هائلا فى التأليف والبحث نتيجة استخدامهم لموجودات مكتباتهم الخاصة، فضلا عن مكتبات المؤسسات التعليمية فى العصر المملوكى.

وآذا كان الدور التربوى لأى مكتبة يقاس بمدى مساندتها للعملية التعليمية التى تضطلع المؤسسة الأم بمهامها، وذلك من خلال توفير أوعية المعلومات التى تحتاج إليها المقررات الدراسية وأوجه النشاط التعليمى والتربوى بالمؤسسة، وتنظيم هذه الأوعية بشكل ييسر سبل الافادة منها وتقديم أنواع مختلفة من الخدمات، وحث المستفيدين وتشجيعهم على الاطلاع والتثقيف الذاتى، وقبل هذا وذاك تهيئة الجو المناسب للافادة من محتويات المكتبة بتوفير المكان المناسب لها، والموارد المالية التى تضمن لها استمراريتها لأداء مهامها، واعدادا العاملين المؤهلين تأهيلا مناسبا لتقديم خدماتها، أقول إذا كان الدور التربوى يقاس بمدى توفر هذه الأمور فى المكتبة، فاننا نستطيع أن نؤكد فى ضوء ما تقدم أن المكتبات المصرية إبان العصر المملوكى، قد أدت دورها التربوى على أتم وأكمل وجه فى إطار المتطلبات والإمكانيات المتاحة وقتها.

٥ ـ أوجه الشبه والاختلاف بين المكتبات المملوكية والمكتبات الأوروبية المعاصرة لها:

بعد هذا العرض لخصائص المكتبات المصرية إبان عصر سلاطين المماليك وسماتها الخاصة، وتقييم دورها التربوى، يبرز سؤال مؤداه : **ما هو موقع المكتبات المملوكية فى خريطة مكتبات ذلك العصر؟** وللإجابة عن هذا السؤال لابد من وقفه نحاول أن نتبين فيها أبرز الملامح الخاصة بمكتبات أوربا فى أخريات العصر الوسيط، والتى عاصرت المكتبات المملوكية، للتعرف على أوجه الشبه والخلاف بينهما، وعما إذا كانت هناك صلات بشكل ما بينهما[1].

---

(١) لم نشأ أن نتناول هنا مقارنة المكتبات المملوكية بالمكتبات الأخرى التى وجدت فى البلاد العربية الإسلامية، وذلك على اعتبار أن المكتبات المملوكية عولجت كنموذج لتلك المكتبات حيث تتشابه كلها إلى حد بعيد فى نظمها واجراءاتها وخدماتها. أما أوجه الاختلاف فيما بينهما فقد تناولنا فى مواضعها المناسبة فى الكتاب.

إذا كانت القرون الأولى من العصور الوسطى قد بدأت فى ظل الفوضى والظلام فقد شهدت القرون الأخيرة من تلك العصور إبتداء من القرن الثانى عشر مظاهر نهضة ثقافية نتيجة احتكاك الأوربيين بالعرب فى عصر الحروب الصليبية فى مصر والشام، وقبل ذلك فى الأندلس وصقلية وجنوب ايطاليا، الأمر الذى أدى إلى انتشار التجارة، وظهور الطبقة المتوسطة التى اغتنت من اشتغالها بالتجارة، وبدأت تنافس الطبقة الأرستقراطية من الملوك والحكام والنبلاء. وقد أدى هذا بدوره إلى إتساع معرفة الناس بالقراءة. وبذلك استيقظت فى الناس رغبة جامحة فى الثقافة والعلم بعد قرون طويلة من الجهل والخمول[1]. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن دخول صناعة الورق إلى أوربا واستعماله فى انتاج الكتب، واختراع الطباعة قد أتاح لحركة الكتب أن تنشط وتزدهر، ومن ثم نشأت المكتبات وتعددت أنواعها. ومن الثابت أن أوربا فى أخريات العصور الوسطى قد عرفت أربعة أنواع من المكتبات هى المكتبات الخاصة، ومكتبات الأديرة، ومكتبات الكاتدرائيات، والمكتبات الجامعية.

لقد انتشرت **المكتبات الخاصة** فى جميع أنحاء أوربا فى أواخر العصور الوسطى بنسب متفاوته. وبشكل عام نجد أن الحكام والنبلاء كانوا أكثر الناس جمعا للكتب، يتلوهم العلماء والباحثون ثم رجال الدين، وأخيرا أفراد الطبقة المتوسطة الذين اغتنوا من التجارة، فأرادوا تقليد الحكام والأمراء والإقطاعيين فى هذا المجال. ومن المكتبات الخاصة التى كانت علامات بارزة فى تاريخ المكتبات الأوروبية وقتها. مكتبة الفيلسوف الأنجليزى روبرت جروستست Rober Grosseteste (١١٦٨ - ١٢٥٣م) وقد أوصى بها من بعده إلى مكتبة الأخوان الرهبان بأكسفورد Oxford Great Friars Library والتى آلت فى النهاية إلى مكتبة بودليان فى أوكسفورد[2]، وكذلك مكتبة الفيلسوف الفرنسى ريشارد فورينفال R. Fournival مستشار مدينة إميان فى فرنسا فى القرن الثالث عشر الميلادى التى حوت

---

(١) لمزيد من المعلومات من الخصائص العامة للعصور الوسطى. راجع : جوزيف نسيم يوسف : تاريخ العصور الوسطى الأوروبية وحضارتها، الاسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، ١٩٨٢، ص ٤٩ - ٥٣.

(2) Irwin, Ramand, The Origns of The English Library, London, 1958, p. 128.

العديد من المؤلفات فى الفلسفة والطب والقانون والإلاهيات[١] . ومن أبرز رجالات القرن الرابع عشر الذين كان لهم ولع شديد بالكتب وحرص على جمعها، شخصيتان : أولاهما الأسقف الانجليزى ريشارد بيورى Richardde Bury (١٢٨٧ ـ ١٣٤٥م) الذى حوت مكتبته الخاصة ما يقرب من ١٥٠٠ كتاب، كان من بينها عدد قليل من الكلاسيكيات. فقد كان يرى أن الاقدمين لم يتركوا موضوعا إلا كتبوا فيه ووفوه حقه، ومن ثم كان حرصه على اقتناء آثارهم شديدا[٢] . وأما الشخصية الثانية فهى الشاعر الايطالى بترارك Petrarck (١٣٠٤ ـ ١٣٧٤م) الذى أنفق شطراً من حياته مرتحلا يسعى وراء الكتب يجمعها ويبحث عن نوادرهما، ومن فرط حبه للكتب ومجالسته لها، وجِد ذات صباح ميتا ورأسه ملقى على دفتى كتاب[٣] . وفى عام ١٣٦٧م افتتح الملك الفرنسى شارل الخامس Charles V مكتبته الخاصة التى جمع لها ما يزيد على ٩٠٠ مخطوط، وقد جعل مقرها قصر اللوفر، ووصفت بأنها تحتوى على أنفس المجلدات فى كل العلوم [٤] .

ولعل أعظم مكتبة خاصة على الاطلاق شهدها القرن الخامس عشر الميلادى هى المكتبة البابوية بالفاتيكان، والتى يعود الفضل إلى انشائها إلى البابا نيقولا الخامس Nichola V (١٤٤٧ ـ ١٤٥٥م)، فقد نجح فى أن يجمع فى هذه المكتبة مجموعة من الكتب، وصل

---

(١) Jonnson, E.D. and Harris, M.H., Hisrory of Libraries in Western World, 1976, p.139.

(٢) لقد خلد دى بيورى اسمه بكتاب ألفه بعنوان Philopiblon أى «صديق الكتاب» عبر فيه عن حبه للكتاب وشغفه الشديد بجمعها، وتعرض فيه لحاجة الناس اليها وضرورة العناية بها. كما عالج فى كتابه هذا النظم المكتبية السائدة فى عصره وقرر أن الكتب المكررة فقط هى التى يمكن أن تعار خارجيا، أما ما عداها فلا يسمح للرواد إلا بالاطلاع عليها داخل المكتبة. للمزيد عن دى بيورى وكتابه ومكتبته راجع : Irwin, Romand, The Origns of the English Library, p. 139

(٣) يذكرنا هذا الرجل بالجاحظ الذى كان يكترى دكاكين الوراقين ويبيت فيها للقراءة والبحث وأنها سقطت عليه فى آخر أيامه وهو مريض ولم يستطع القيام من تحتها، ومات ضحية هوايته المفضلة. راجع : أبو الفدا : المختصر فى أخبار البشر، جـ٢ ،ص٤٧ . والحقيقة أن بترارك هذا يعتبره الكثيرون أبا لحركة إحياء التراث الكلاسيكى. للمزيد عن بترارك ومكتبته. راجع هيسيل، الفريد: تاريخ المكتبات، ص٦٧ ـ ٦٨ .

(٤) هيسيل، الفرد : المصدر السابق، ص ٥٦ .

عددها إلى ١١٠٠ مخطوط[١]. وهو رقم وإن بدا لنا الآن صغيرا إلا أنه كان يعتبر رقما ضخما وقتها، ولعله من أضخم الأرقام التى حوتها مكتبة خاصة فى أوربا فى ذلك الوقت. ووجد مكتبتان طبيتان فى أواخر العصور الوسطى، إحداهما كانت خاصة بسيندل Sindell (ت ١٤٥٠م) طبيب الامبراطور فريدريك الثالث[٢] Fridrich III ، والثانية لهرمان شيدل H. Schedel وهو طبيب أيضا (ت١٤٨٥م) وقد اهتم كلاهما بجمع كتب طبية بلغات مختلفة منها اليونانية واللاتينية والايطالية والألمانية[٣].

وكانت الأديرة المسيحية تقوم بجمع الكتب الدينية عن طريق الهبات والنسخ والشراء وكان كثير من الحكام والنبلاء يحرصون على مد تلك الأديرة بالكتب تخليدا لذاكرهم، وطمعا فى أن يدعو لهم الرهبان عند كل صلاة فينالون ثواب الله وغفرانه. وقد شاهدت القرون الأخيرة من العصر الوسيط ازدهار النشاط التعليمى فى الأديرة وذلك بانتشار المدارس الديرية[٤]، ومن ثم ازدهار مكتبات الأديرة، وأبدى البندكتيون نشاطا واضحا فى هذا المضمار، وأقدم مكتباتهم الديرية فى القرن الثانى عشر هى مكتبة ديرمونت كاسينو، التى كانت من أعظم وأغنى مكتبات عصرها. وتعتبر مكتبة دير القديس بندكت المقام على نهر اللوار فى فرنسا والذى يديره الرهبان الكلونيون من أحسن الأمثلة على المكتبات الديرية التى كان لها دور تعليمى، فقد بلغ عدد المستفيدين منها أكثر من خمسة آلاف طالب فى وقت واحد[٥]. والحقيقة أن جميع الطوائف الرهبانية التى تأسست فى أوربا فى أواخر العصور الوسطى، اهتم قسم كبير منها، بالثقافة والتعليم والمكتبات، ونخص بالذكر طائفة الرهبان الكولونيين والدومينكان والفرنسسكان، لدرجة أنه قدر عدد الأديرة فى

---

(١) محمد ماهر حمادة : المكتبات فى العالم، ص ١٦٨ ـ ١٦٩؛ هيسل، تاريخ المكتبات ص ٧٤ ـ ٧٥.

(٢) -Thompson, J,W, The Medieval Library, 1976, P. 5 3

(٣) - Thompson, op. cit, p. 569

(٤) عن المدارس الديرية ودورها فى الحركة الثقافية فى العصور الوسطى. راجع : جوزيف نسيم يوسف : نشأة الجامعات فى العصور الوسطى، الاسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، ١٩٨٤، ص ٣٩، ٦٢ ـ ٦٤، سعيد عبد الفتاح عاشور : أوروبا فى العصور الوسطى، جـ٢، النظم والحضارة، القاهرة، ١٩٦٣، ص ١٣٢ ـ ١٣٣.

(٥) محمد ماهر حمادة : المصدر السابق، ص ١٤٨.

انجلترا فى القرن الرابع عشر بثمانمائة دير كانت تحتوى على حوالى ٣٠٠ ألف مجلد على أقل تقدير[١].

ويقترن بالمكتبات الديرية المكتبات الكاتدرائية[٢]، التى بدأت فى الظهور والتطور مع القرن الحادى عشر فصاعدا. فقد وجدت مكتبات فى جميع الكاتدرائيات والمدارس الملحقة بها، ولكنها تختلف عن مكتبات الأديرة فى أنها كانت تحتوى كتبا علمانية أكثر بكثير مما تحتويه المكتبات الديرية، لأن مهمة مكتبة الكاتدرائية كانت تربوية تثقيفية، على حين أن وظيفة مكتبة الدير كانت تنمية الجوانب الروحية فحسب. كذلك كان نمو مكتبة الكاتدرائية أكثر من نمو مكتبة الدير لأن موارد الكاتدرائية الثابتة المستقرة كانت تسمح لها بذلك، ومع الأيام غدت مجموعات الكاتدرائيات أكمل وأغزر وأحسن تنظيما من مثيلتها الديرية. كما أن الافادة من مكتبات الكاتدرائيات كانت أسهل وأيسر من مثيلتها الديرية والتى اقتصرت على الرهبان. ولعل أشهر مكتبات الكاتردئيات تلك التى وجدت فى يورك ودورهام وكانتربرى فى انجلترا، وتلك التى وجدت فى مدن نوتردام وأورليان وروان فى فرنسا وفى هامبرج بالمانيا.

ومع نهاية القرن الثانى عشر وبداية القرن الثالث عشر الميلادى، بدأ ظهور الجامعات[٣] فى أوروبا، وفى باريس بفرنسا، وفى بولونيا بايطاليا، ثم تتابع ظهورها فى القرن الرابع عشر الميلادى فى كافة بلدان الغرب. فظهرت جامعات جديدة فى فينا وبراج وكامبريدج واكسفورد. ولم يكن لهذه الجامعات مكتبات لفترة طويلة من الزمن،

---

(١) - Ker, N. (ed), Medieval Libraries in Great Britain, London, 1964, B.XI

(٢) الكاتدرائية هى مركز الأساقفه أو رؤساء الأساقفه، ولم تكن مجرد كنائس كبرى وجدت غى المدن الرئيسية فقط، ولكن كانت بالإضافة إلى ذلك مدارس لتدريب رجال الدين والكنيسة الجدد الذين سيعينون فى وظائف كهنوتية أو فى السلك الحكومى. للمزيد عن الكاتدرائيات ونظامها وقانونها. راجع : سعيد عبد الفتاح عاشور المرجع السابق، ص ١٤٣ ـ ١٣٥.

(٣) للتعرف على نشأة وتطور الجامعات فى أوربا فى العصور الوسطى وظروف ومراحل هذا التطور. راجع : جوزيف نسيم يوسف : نشأة الجامعات فى العصور الوسطى، الاسكندرية، ١٩٨٤ ؛ سعيد عبد الفتاح عاشور : الجامعات الأوروبية فى العصور الوسطى، القاهرة، ١٩٥٩م.

ذلك أن بعض الطلاب كانوا يملكون مجموعات من الكتب، كما كان بوسع الطلاب استئجار الكتب التي هم بحاجة إليها من تجار الكتب الذين انتشرت حوانيتهم بجانب الجامعة وتحت رقابتها[1] . ولما زاد عدد الطلاب أجبرت الجامعات على تأسيس مكتبات خاصة بها . ومع مضى الوقت أصبح الأفراد يهدون الجامعات كتبا لاستعمال الطلاب . ولعل أقدم ذكر موثوق به لمكتبة جامعية هى مكتبة السوربون بجامعة باريس، التى أسسها روبرت السوربونىRobert de Sorbonne راعى كنيسة لويس التاسع . وقد حملت إسمه وأصبحت الآن أشهر من أن تذكر. وكان السربون فى الأصل كلية أقامها روبرت لدراسة الإلاهيات بجامعة باريس، وأهداها مكتبته الخاصة، ثم تدفقت عليها بعد ذلك الهدايا والهبات فى سرعة هائلة وأعداد كبيرة مما جعلها تفوق الجامعات الأخرى فى باريس[2] . وقد بلغ عدد رصيدها فى عام ١٣٣٨م أى بعد قرن من إنشائها حوالى ١٧٢٢ مجلدا[3] . وأما مكتبة جامعة اكسفورد بانجلترا فلم تملك كلياتها مكتبات خاصة بها إلا فى أواخر القرن الرابع عشر. فمثلا كلية ميترتون باكسفورد التى تأسست عام ١٢٧٤م لم تملك مكتبة خاصة بها إلا فى عام ١٣٧٧م. وأما أول كلية الحقت بها مكتبة منذ تأسيسها فى جامعة اكسفورد هى تلك التى أنشأها وليم ريكهام أسقف وينشستر فى عام ١٣٨٠م ومنحها مكتبته الخاصة التى كانت تشتمل على ٣١٢ مجلدا[4] . ولقد تعددت الجامعات فى أوروبا فى أخريات العصور الوسطى حتى بلغت قبل نهاية القرن الخامس عشر الميلادى حوالى سبع وخمسين جامعة، لكل واحدة منها عدد من مكتبات الكليات فضلا عن المكتبة المركزية للجامعة.

وهكذا عرفت أوروبا فى أخريات العصور الوسطى أربعة أنواع من المكتبات هى المكتبات الخاصة، ومكتبات الأديرة، ومكتبات الكاتدرائيات، والمكتبات الجامعية . وهى

---

(١) جوزيف نسيم يوسف : المرجع السابق، ص ٣٠٩.

(٢) هيسل : تاريخ المكتبات، ص ٦١؛

- Johnson, E.D. ,A history of Libraries, pp. 122 - 123

(٣) جوزيف نسيم يوسف : المصدر السابق والصفحة.

(٤) محمد ماهر حماده : المصدر السابق، ص ١٥٨.

بذلك تتشابه إلى حد بعيد المكتبات المملوكية. فكما اهتم المماليك وأمراؤهم ورجال دولتهم باقتناء الكتب وانشاء المكتبات الخاصة بهم[١]، كان كذلك الحكام والنبلاء والعلماء ورجال الدين فى أوروبا مولعين بجمع الكتب واقتنائها[٢]. ومرجع ذلك أن حب التملك غريزة فطرية فى الانسان، وحينما توجد كتب تجد تلك الغريزة مجالا للانطلاق. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى تشابهت مكتبات الأديرة بمكتبات المؤسسات الصوفية الإسلامية فى أن كليهما كان يهتم بتجميع الكتب الدينية التى تخدم الهدف من إنشاء المؤسسة الأم وهو تنمية الجوانب الروحية[٣]. أما المكتبات الملحقة بالكاتدرائيات فهى تشبه إلى حد بعيد مكتبات المساجد حيث أن كليهما حرص على توفير الكتب الدينية وغير الدينية بما يخدم هدفيهما التعليمى والتربوى[٤]. وكذلك هناك وجه شبه بين المكتبات الجامعية والمكتبات المدرسية المملوكية، حيث كانت المدارس هى الكليات الجامعية فى العصر المملوكى، غير أن المكتبات المدرسية نشأت مبكرة عن مثيلتها الجامعية، كما تميزت بكثرة عددها ووفرة مجموعاتها[٥]. ومن ناحية ثالثة عرف المجتمع المصرى إبان العصر المملوكى نوعا آخر من المكتبات لم تعرفه أوروبا إلا فى العصر الحديث هى مكتبات البيمارستانات[٦].

وثمة ملاحظة أخرى بشأن تشابه المكتبات المملوكية والمكتبات الأوروبية فى أخريات العصور الوسطى، وهى أن كليهما ارتبط فى نشأته بالأماكن المقدسة، حتى الجامعات قامت على أساس دينى وكانت جذورها تمتد فى أرض كنيسة. وهنا يبرز سؤال هو : لماذا هذا الارتباط؟ أو ربما نعلله ؟ هناك عوامل ثلاثة نرجح أنها كانت سببا ارتباط المكتبات المملوكية والأوروبية فى نشأتها بأماكن العبادة هى :

١ ـ أن العلم عبادة، وأن الكتب هى أدوات العلم، فمن الطبيعى أن تستقر المكتبات فى دور العبادة.

---

(١) راجع الفصل الأول، ص ٧٠ ـ ٧٨.

(٢) راجع الفصل الرابع، ص ٢١٤ ـ ٢١٦.

(٣) راجع الفصل الأول، ص ١٠٢ ـ ١٠٥ وقارن : الفصل الرابع ص ٢١٦، ٢١٧.

(٤) راجع : الفصل الأول ، ص ٧٨ ـ ٨٥، وقارن : الفصل الرابع ص ٢١٧.

(٥) راجع : الفصل الأول، ص ٨٥ ـ ٩٩، وقارن : الفصل الرابع ص ٢١٧ ـ ٢١٨.

(٦) راجع : الفصل الأول، ص ٩٩ ـ ١٠١.

٢ ـ أن أماكن العبادة أماكن عامة، يتجمع فيها الناس، ومن ثم فهى أنسب الأماكن لإنشاء مكتبات ينتفع بها الناس كافة.

٣ ـ أن هذه الأماكن أصون لما فيها، وأكثر أمانا من غيرها وخاصة فى أوقات الفتن والحروب والثورات، حيث لها من القدسية وما يجعلها بمنأى عن أن يصيبها التخريب أو يلحقها الأذى[١].

وإذا كان هذا التشابه بين المكتبات المملوكية والأوروبية فى أخريات العصر الوسيط فى أنواعها فإن هناك ثمة اختلاف بينهما فى محتوياتهما حيث أن مجموعات المكتبات المملوكية كانت تغطى جميع فروع المعرفة البشرية. وذلك راجع إلى تقدم العلوم عند العرب وكثرة المؤلفات فى ذلك العصر، أما محتويات مكتبات أوروبا فى العصر الوسيط فكانت تختلف من مكان لآخر. ولكن كان هناك نهج موحد فى التغطية الموضوعية لها. فقد كانت الغالبية العظمى من الكتب باللغة اللاتينية مع وجود عدد قليل جدا باللغات المحلية، وأقل باللغة اليونانية القديمة. وكانت الكتب الدينية هى العامود الفقرى للمكتبة، ويأتى على رأسها الكتاب المقدس وشروحه، وكتابات الآباء وتراجم القديسيين، وكانت الصلوات، والقانون الكنسى، ثم تأتى بعد ذلك الكتب الكلاسيكية، فكتابات مؤلفى العصور الوسطى مع شىء من التاريخ والأدب المحلى. وقد زادت المكتبات الجامعية على ذلك كتب الفلسفة والطب والقانون والفلك والرياضيات وغيرها من الموضوعات التى كانت تدرس فى الجامعة[٢].

وإذا كانت المكتبات المملوكية لم تملك أبنية خاصة بها، حيث كانت ملحقة بمؤسسات أخرى، وكانت تخصص لها حجرات مزودة بخزانة ودواليب وأرفف خشبية لحفظ الكتب[٣]، فإن مكتبات أوروبا فى أخريات العصور الوسطى كانت تحفظ مجموعاتها فى بداية الأمر فى صناديق، ومع زيادة عدد الكتب وتنوع موضوعاتها استبدلت صناديق

---

(١) راجع : عبد الستار الحلوجى : المرجع السابق، ص ٧٧ ـ ٧٨.

(٢) محمد ماهر حماده : المرجع السابق، ص ١٦٠.

(٣) راجع الفصل الثانى، ص ١١٤ ـ ١١٨.

الكتب بخزائن، ثم غرف خاصة بها، حتى بنيت أبنية خاصة فى أواخر القرن الخامس عشر الميلادى. كما كان الحال فى مكتبة كاتدرائية المسيح فى كانتربرى فى انجلترا، إذ بنيت لها غرفة خاصة ذات أبعاد ٦٠ × ٢٢ قدما لتكون مكتبة[١]، وقد رتبت الكتب فى هذه الغرفة الطويلة الضيقة على أرفف بشكل يسمح لها أن تتعرض لأكبر كمية من الضوء. وأما المكتبات الجامعية فقد كان لأغلبها أبنية مستقلة خصصت منذ البداية لتكون مكتبات، كما كان الحال فى جامعة هايدلبرج فى جامعة فينا، وجامعة كامبريدج، والسوربون. وكانت مكتبة السوربون، على سبيل المثال، عبارة عن غرفة طويلة وضيقة ذات أبعاد ٤٠ × ١٢ قدما تنيرها تسع عشر فتحة صغيرة من كل جانب من أجل دخول الضوء. وقد وضع فى الغرفة ثمان وعشرون منضدة، وسلسلت الكتب الثمينة والممنوع إعاراتها خارجيا بالسلاسل حيث ثبتت إلى الرفوف ولكن السلاسل كانت طويلة إلى الحد الذى يسمح بإيصال الكتب إلى المنضدة للاطلاع عليها[٢].

ويبدو أن معظم العاملين فى هذه المكتبات فى تلك الفترة كانوا غير معروفين. فلم يذكر المؤرخون الذين تعرضوا لدراسة هذا الموضوع[٣] أيا منهم،ولكن كان كل اهتمامهم منصبا على دراسة واجبات العاملين، والتى كانت تنحصر فى الحفاظ على الكتب. وهنا يجب أن نسجل بشكل موضوعى مدى تقدم المكتبات المملوكية على المكتبات الأوروبية فى هذا الجانب، حيث كانت أهم واجبات خازن الكتب المملوكية تقديمها للمستفيدين وتيسير سبل الانتفاع بها، ثم بعا ذلك المحافظة عليها[٤].

وثمة تشابه آخر بين المكتبات المملوكية والأوروبية فيما يتعلق بمصادر التزويد، حيث كانت كل منهما تحصل على كتبها عن طريق النسخ والاهداء والشراء[٥] واذا كانت

---

(١) - Ker, N. , Medieval Libraries in Gteat Britain,pxix

(٢) للمزيد عن هذا الاجراء الذى كان من أبرز سمات مكتبات أوروبا فى العصور الوسطى، راجع

- Streeter, B. H., The Chained Library, London, 193.

(٣) راجع : المراجع الأجنبية المثبت بياناتها فى آخر الكتاب. رقم ٦ ـ ٨، ١٥، ١٧ ـ ١٨، ٢١.

(٤) راجع الفصل الثانى، ص ١٣٦ ـ ١٤١.

(٥) راجع الفصل الثالث، ص ١٥٨ ـ ١٧٣.

المكتبات المملوكية قد انفردت باتباعها نظام الوقف كمصدر أساسي ورئيسي للتزويد، حيث أن هذا النظام الإسلامي لم تستخدمه مثيلتها الأوروبية، فان بعض المكتبات الأوروبية في أخريات العصور الوسطى قد أعتمدت على المنح والعطايا كمصدر أساسي ورئيسي أيضا للتزويد. وكانت المنح تأتي من الرهبان الذين ينضمون إلى المؤسسات الدينية والتعليمية مجددا، وإذ كانوا يحملون معهم كتبهم التي يمتلكونها. كذلك أتى عدد هام من الكتب كارث أوصى به شخص عند موته لمكتبة الدير أو الكاتدرائية أو الجامعة. من ذلك ما أوصى به الامبراطور الألماني فريدرك الثاني Fridrik II مجموعة كتبه بعد موته إلى جامعة بولونيا للقانون، وكان ذلك في أوسط القرن الثالث عشر الميلادي. كذلك منح الأسقف ماتياس Matiac الذي كان أسقفا لمدينة وورمس Wormc الألمانية تسعين كتابا لجمعة هايدلبرج سنة ١٤١٠م. كما أوصى جوهانس سيندل G. Ceindei بمائتي مجلد في الطب والرياضيات لجامعة براغ سنة ١٤٥٠م[١].

واذا كانت المكتبات المملوكية قد استخدمت الفهارس لتنظيم مجموعاتها المكتبية وتيسير سبل الافادة منها[٢]، فان المكتبات الأوروبية كانت لها فهارسها التي تتفق ومجموعاتها. وقد أورد المؤرخون نماذج عديدة منها فهرس دير بروفنج[٣] Pru Fening وفهرس مكتبة كنيسة المسيح في كانتربري الذي يرجع إلى أواخر القرن الثاني عشر الميلادي وهو أول فهرس يستخدم الربط بين الكتب في الفهرس والكتب في المكتبة عن طريق الرموز[٤] وهو غير الفهرس الذي أعد لنفس المكتبة عام ١٣٣١م وكان مرتبا ترتيبا هجائيا[٥]، وفهرس مكتبة كاتدرائية أكسيتر Exeter Cathederal Library الذي أعد سنة ١٣٢٧م، وكان فهرسا بالمؤلف، وكان يُقيم كل كتاب مما يدل على أن الهدف منه هو قائمة جرد فحسب. ولعل من أهم الفهارس التي ظهرت في القرن الخامس عشر هو

---

(١) محمد ماهر حمادة : المرجع السابق، ص ١٥٩.

(٢) راجع الفصل الثالث ص ١٧٦ - ١٨٧.

(٣) - Thompson, The Medieval Library ,p 61

(٤) - Ker, N.R, Medieval Libraries in Great Britain, P. Xix

(٥) - Norris, A history of Cataloguing, P. 38

فهرس مكتبة سانت أوغسطين St. Augustin فى كانتربرى سنة ١٤٩٧ م. وتبدو أهمية هذا الفهرس فى أنه كان يعطى معلومات ببليوجرافية كاملة عن كل كتاب مثل اسم المؤلف وعنوان الكتاب، واسم الواهب الذى قدم الكتاب إذا كان مهدى، ومحتويات الكتاب[١].

ولعل أهم ما تميزت به مكتبات أوروبا فى العصور الوسطى هو استخدامها للفهارس الموحدة : Union Catalog وهو ما لم تعرفه المكتبات المملوكية. ويمكن أن نتلمس بدايات هذا النوع من الفهارس فى فهرس المكتبات الإنجليزية الذى أُعد سنة ١٢٩٦ م. وكان يحاول حصر مقتنيات ١٨٣ مكتبة ديرية فى انجلترا. ولكن هذه المحاولة لم تكتمل، حتى جاء أحد رهبان دير سانت ادموندز St. Edmunds فى مطلع القرن الخامس عشر وأكمله، وقد وصل عدد المؤلفين فيه إلى سبعمائة مؤلف[٢] وكانت فهارس هذه المكتبات مجرد قوائم جرد واسعة مع الربط بين الكتب وأماكن وجودها على الرفوف، وكانت معلوماتها الببليوجرافية مختصرة جدا لكنها كانت تكفى لمعرفة الكتب فى ذلك العصر.

وعلى كل حال، فإن نظام العمل فى هذه المكتبات كان يقضى بتوفير الكتب للاستخدام. وإذا كان للمكتبات المملوكية آدابها وقواعدها الخاصة باستخدام مجموعاتها من الكتب سواء بالإعارة الداخلية[٣] والنسخ أو الإعارة الخارجية، فان المكتبات الأوروبية كانت لها أيضا آدابها وقواعدها والتى اختلفت قليلا عن تلك التى كانت مطبقة فى مثيلتها المملوكية. ذلك أن المكتبات الأوروبية يسرت مجموعاتها للإعارة الداخلية، لكن الكتب لاسيما النادر والمهم منها كانت تسلسل بالسلاسل على نحو ما أشرنا سلفا. كذلك كان يوجد فى هذه المكتبة جزء مباح من الكتب للإعارة الخارجية للرهبان وغيرهم. وكانت العادة أن يعار كتاب واحد فقط مرة واحدة لمن يقيم فى منطقة الدير أو الكاتدرائية، وفى بعض الحالات النادرة كان يسمح باستعارة كتاب لمدة سنة، ويسمح للمستعير بحمله معه إلى محل سكنه. وكانت الكتب تعار لبعض المجاورين للكنيسة كأحد رعاة الكنيسة أو الحكام أو

---

(١) - Savage, E. ,Old Anglish Libraries, P. 1 04

(٢) - Savage, PP. 58 - 59

(٣) راجع ص١٩٩ ـ ٢٠٨ من الكتاب.

النبلاء، وفى هذه الحالة كان يوضع رهن مناسب لما أعير[١]. وأما المكتبات الجامعية فقد كان يسمح للطلاب فى بعض الحالات باستعارة كتاب لمدة شهر أو أكثر.

وفى حالات أخرى لم يكن يسمح للاساتذة وطلاب الدراسات العليا، بإخراج الكتب من المكتبة، كما كان يمكن استعارة بعض الكتب لقاء رهن كما فى المكتبات الديرية. وفى مكتبة السوربون كانت هناك قواعد لاستخدامها ترجع إلى أوائل القرن الرابع عشر، وكانت تفيد بأن الكتب تستعمل فقط فى المكتبة ، وإذا خرجت من المكتبة وجب اعادتها قبل انتهاء اليوم، وإذا استعار الكتاب شخص آخر غير الطالب أو الاستاذ وجب عليه أن يضع رهنا مساويا لثمن الكتاب. وفى عام ١٤٨٠م سن السوربون قواعد إضافية لاستخدام المكتبة أكد فيها على نفس القواعد السابقة فضلا عن تحريمها للاطلاع على الكتب المخالفة لمذهب الكنيسة الرسمى وهو المذهب الكاثوليكى، مع استثناء اللاهوت من ذلك[٢].

ومن كل ما تقدم يتبين لنا مدى التشابة والاختلاف فى الموارد والنظم والخدمات بين المكتبات المملوكية فى مصر، ومكتبات أوروبا فى أخريات العصور الوسطى والتى كانت أوجه التشابه فيها أكثر من أوجه الاختلاف. وهنا يبرز تساؤل يطرح نفسه هو إذا كان **ثمة تشابه كبير بين المكتبات المملوكية والمكتبات المعاصرة لها فى أوروبا، فهل وجدت صلات علمية بشكل مباشر أو غير مباشر بين هذه المكتبات وتلك ؟ للأسف الشديد** فإن المصادر العربية المعاصرة والوثائق المملوكية وكذلك المراجع العربية والأجنبية والتى تحت أيدينا لم تمدنا بأى إشارة يمكن أن نستشف منها بأنه كانت هناك صلات أو تعاون بشكل ما بين المكتبات المملوكية والمكتبات الأوروبية فى أخريات العصور الوسطى فيما يختص بالموارد المادية والبشرية، والإجراءات الفنية والنظم، والخدمات والأنشطة. ولكن على الرغم من عدم وجود الأدلة التى تثبت قيام تعاون ما بين المكتبات المملوكية ومثيلاتها فى أوروبا، إلا أنه فى عصر

---

(١) محمد ماهر حمادة : المرجع السابق. ص ١٤٦ ـ ١٤٧.

(٢) المرجع السابق والصفحة.

متعطش للعلم والمعرفة، وفى عصر كانت فيه الحضارة العربية الإسلامية فى ذروتها وتسعى أوروبا لكى تنهل منها بشتى السبل بعد قرون طويلة عاشتها فى الفوضى والجهل والظلام. يمكن القول فى ضوء هذه الاعتبارات بجواز وجود تبادل عقلى وفكرى وثقافى بين مكتبات المماليك ومكتبات أوروبا آنذاك. يعزز ذلك أن الاتصالات العلمية كانت قائمة بين حكام مصر وحكام الغرب الأوربى حتى قبل العصر المملوكى، ويتمثل ذلك بجلاء فى الاتصالات التى تمت بين الامبراطور الألمانى فريدريك الثانى وبين الكامل محمد حفيد صلاح الدين حول مسائل علمية فى الفلك والرياضيات والطب وخلافه.

وبعد هذا العرض لتاريخ المكتبات فى مصر إبان عصر سلاطين المماليك، وبعد أن تعرفنا على مواردها ونظمها وخدماتها، ودورها التربوى والتعليمى، وأوجه التشابة والاختلاف بينهما وبين المكتبات الأوروبية المعاصرة لها، بعد كل هذا يبرز سؤال يطرح نفسه على بساط البحث ملحا فى طلب الإجابة عنه هو : ما هو المصير النهائى الذى آلت إليه المكتبات المملوكية؟ هذا ما سنتناوله بالتفصيل فى الفصل التالى والأخير من الكتاب.

الفصل الخامس

مصادر المكتبات المملوكية

١ ـ تدهور أوضاع المكتاب المملوكية والتفريط فى محتوياتها:

ـ التلف والتبديد : أسبابه ومظاهره.

ـ استغلال الكتب ونهبها من قبل العلماء والقضاه .

ـ تفريط المشرفين على المكتبات وسوء إدارتهم لها.

ـ تدهور الأوقاف ونظامها فى أواخر العصر المملوكى وأثر ذلك على المكتبات.

٢ ـ الفتح العثمانى لمصر وتأثيره على المكتبات المملوكية:

ـ تعرض المكتبات المملوكية للسطو والنهب من قبل الولاة الأتراك، والعوام.

ـ مكتبات مصر إبان الحكم العثمانى وما بعده.

تبين لنا فيما سبق كيف اهتم المماليك وأمراؤهم وعلماؤهم وقضاتهم وتجارهم، بل وعامة الشعب المصرى، بالكتب والمكتبات بوصفها أداة تعليمية تربوية، فانتشرت المكتبات فى جميع أنحاء مصر من أقصاها إلى أقصاها فلم يقتصر وجودها على المساجد والمدارس بوصفها مؤسسات تعليمية، بل وجدت المكتبة داخل كل منشأة مملوكية، كبيرة كانت أم صغيرة، لتلبية احتياجات مجتمعها حتى وإن كان محدودا. فنتج عن ذلك مكتبات فى البيمارستانات، ومؤسسات الصوفية، حتى وصل الأمر إلى إيجاد مكتبات فى الترب والمقابر، فضلا عن المكتبات الخاصة التى انتشرت هى الأخرى فى بيوت السلاطين والأمراء والعلماء والقضاه وغيرهم. كما تبين كيف اهتم المماليك بهذه المكتبات فوفروا لها جميع عناصر تقديم الخدمات والأنشطة المكتبية، من موارد مادية وبشرية وتنظيمية، فنمت وازدهرت، وأدت دورها التعليمى والتربوى وكانت الوعاء الذى احتضن التراث العربى الإسلامى بعد النكبات التى أصابت المكتبات فى البلدان الإسلامية الأخرى على أيدى المغول والصليبيين[١].

---

(١) لعل من أبرز المكتبات التى دُمرت مقتنياتها نتيجة للغزو الخارجى لبلاد المسلمين : مكتبات العباسيين فى بغداد على أيدى التتار، ومكتبات بنى عمار فى طرابلس الشام على أيدى الصليبيين ، ومكتبات الأندلسيين على أيدى الاسبان.

لمزيد من التفاصيل عن هذه المكتبات ونشأتها وتطورها ومصائرها. راجع : إبن النديم : الفهرست، ص ٣٠٣، ٣٠٤، ٣٣٣، ٣٣٤؛ القلقشندى : صبح الاعشى فى صناعة الانشا، جـ١، ص ٤٦٦، ٤٦٧؛ المقرى : نفح الطيب فى غصن الاندلس الرطيب، جـ١، ص ٣٦١، ٣٦٢، ٣٧١؛ وراجع أيضا محمد ماهر حمادة : المكتبات فى الاسلام (صفحات متفرقة)؛ خوليان ريبرا: المكتبات وهواة الكتب فى اسبانيا الاسلامية، ترجمة جمال محمد محرز، مجلة معهد المخطوطات العربية، مج ٤ (مايو ١٩٥٨)، ص ٧٧ - ٩٧، مج ٥، (مايو ١٩٥٩) ص ٦٩ - ١٠١؛ السيد النشار : مكتبات بنى عمار فى طرابلس الشام، مجلة المكتبات والمعلومات العربية، مج ١١، (١٩٩٠)، ص ٣٨ - ٦٥؛ محمد مجاهد هلالى : خزائن الكتب العباسية (صفحات متفرقة).

والكتب والمكتبات مخلوق كسائر المخلوقات، تخضع لسنة الهناء والشقاء، أو قصر العمر أو طول البقاء، وقد يقابلها الصديق الوفى الذى يحافظ عليها ويعمل على منفعتها، وكذلك العدو اللدود الذى يسعى لايقاع الأذى بها. وإذا كانت المكتبات المملوكية قد نالت حظها من العناية والإكرام، ومن التعظيم والتشجيع، فإن هناك صفحة مظلمة من تاريخها، قد شوهت معالم الصورة، وقلبت فكرتنا عنها رأسا على عقب، وهو ما نالته المكتبات من تشريد وحرق واتلاف سواء فى عصر المماليك نفسه أو فى العصور التالية له.

ونحاول فى هذا الفصل التعرف على المصير الذى آلت إليه المكتبات المملوكية وتتبع أسباب، ومظاهر تدهور أوضاعها والتفريط فى محتوياتها حتى زالت من الوجود وحلت محلها المكتبات العثمانية لتبدأ مرحلة جديدة من تاريخ المكتبات فى مصر.

١ - تدهور أوضاع المكتبات والتفريط فى محتوياتها :

ويبدو أن ازدهار المكتبات المملوكية وكثرة عددها وتنوع فئاتها وتضخم أوقافها وندرة موجودها، قد حمل فى طياته عوامل الانهيار والتدهور، وذلك بتخريبها وتدميرها والسطو عليها، وسوء إدارتها والتفريط فى تحمل أمانتها. ذلك أن أغلب ما حل بها من رزايا ومصائب كان مصدره إما أفراد أو جماعات استفادت هى أو استفاد أسلافها من موجودها، فضلا عما حل بها من نكبات بفعل الكوارث الطبيعية والفتن الداخلية.

ويأتى حرق الكتب فى مقدمة هذه الكوارث. ومن المكتبات التى صارت كتبها طعماً للنيران، مكتبة الشيخ جلال الدين القونوى الخاصة، فقد ذكر صاحب «عقد الجمان» أن كتبه قد أحرقت إثر حريق أصاب بيته فى عام ٦٧٢هـ/١٢٧٣م[(١)]. ومن ذلك أيضا المكتبة السلطانية بالقلعة، فيذكر المقريزى أنه قد «وقع بها الحريق يوم الخميس رابع صفر سنة إحدى وتسعين وستمائة (١٢٩١م)، فتلف بها من الكتب فى الفقه والحديث والتاريخ وعامة العلوم شيئا كثيرا»[(٢)]. وإذا كنا نشعر من هذين النصين اللذين أوردهما العينى والمقريزى بأن ما وقع لتلك المكتبات من حريق كان قضاء وقدرا فى جزء كبير منه فإن

---

(١) العينى : عقد الجمان، جـ٢، ص ١٢٩.

(٢) المقريزى : الخطط، جـ٢، ص ؛ راجع أيضا : العينى : عقد الجمان، جـ٣، ص ١١٠؛ ابن كثير : البداية والنهاية، جـ١٣، ص ٣٢٦؛ ابن الفرات : التاريخ، جـ٨، ص ١٣٥؛ القلقشندى : صبح الأعشى، جـ١، ص ٤٦٧.

هناك العديد من الكتب والمكتبات لتى تعرضت عمدا للحرق والنهب والاتلاف. من ذلك ما ذكره السخاوى عن تغرى برمش بن يوسف (ت٨٢٣هـ/١٤٢٩م) أنه كان متعصبا لأهل السنة مكثرا من الحد على ابن عربى[١] ونحوه من متصوفى الفلاسفة، ومبالغته فى ذلك بحيث صار يحرق ما يقدر عليه من كتبهم[٢].

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى تعرضت بعض المكتبات التى لم يكن لها القدر الكافى من الصيانة، لعوامل التعرية كالرطوبة والحرارة والعفن والندى والغبار والأتربة والضوء الزائد والحشرات، وسوء الاستعمال وتقادم الكتب، وكثرة استخدامها، وغير ذلك من أسباب التلف الطبيعى أو الناتج عن الاهمال. ويعد الحافظ عماد الدين السلفى (ت٦٧٥هـ/ ١٢٧٦م) من الذين أتلفت مكتباتهم الخاصة نتيجة لعوامل الجو الطبيعية. فقد ذكر الذهبى عنه أنه كان من أعظم أهل عصره علما وحفظا، وكان ينفق دخله كله على جمع الكتب، وقد تلفت لأنه لم يتيسر له التفرغ للنظر فيها فأصابها العفن والتصقت أوراقها بسبب النداوة فكانوا يخلصونها بالفأس فتلف أكثرها[٣]. ومن ذلك أيضا مكتبة محمد بن محمد المراغى (ت٨١١هـ/١٤٠٨م) الذى كان جماعا للكتب دائم الاشتغال بها. وطبقا لرواية السخاوى فإنه خلف كتبا كثيرة جدا، تلف أكثرها بالأرضة وغيرها[٤].

ومن الكوارث التى أتت على السواد الأعظم من مقتنيات بعض المكتبات المملوكية، ذلك الزلزال الذى وقع بأرض مصر عام ٧٠٢هـ/١٣٠٢. ومن وصف المؤرخين لهذا الزلزال وما أعقبه من فيضانات نستنتج ما حل بأرض مصر من خراب ودمار للمنازل

---

(١) هو الشيخ أبو بكر محمد بن على الملقب بمحيى الدين بن عربى الأندلسى (ت٦٣٨هـ/١٢٤٠م) وهو شيخ علماء الصوفية، ويعتبر من أكبر علماء العرب وأغزرهم علما، له ما يزيد عن ثلاثمائة ورسالة لعل أشهرها «موسوعة الفتوحات المكتبية» التى جمع فيها أشتاتا من المعارف الإسلامية السائدة فى عصره. راجع أبو العلا عفيفى: فهرست مؤلفات ابن عربى، مجلة كلية الآداب - جامعة الاسكندرية مج ٨، (١٩٥٤) ص ١٩٣ - ٢٠٧؛ الشعرانى: الطبقات الكبرى جـ١، ص ١٣١.

(٢) السخاوى: الضوء اللامع، جـ٣، ص ٣١.

(٣) الذهبى: تذكرة لحفاظ، جـ٤، ص ١٣٠٣.

(٤) السخاوى: الضوء اللامع، جـ٩، ص ٢٩.

والمساجد والمدارس وغيرها من المؤسسات بما فيها من المكتبات. ومن ذلك الجامع الحاكم والجامع الأزهر، لكن هذه المساجد وغيرها ما لبثت بعد الخراب أن عُمرت ووقفت عليها مكتبات جليلة عيل حد رواية المقريزى[١].

وكان لموقع بعض المؤسسات التعليمية المملوكية فى مواجهة القلعة، أن تعرضت تلك المؤسسات بما فيها مكتباتها للتدمير والنهب والتخريب إبان الفتن والمنازعات التى كانت كثيرا ما تنشب بين المماليك من أجل الاستيلاء على السلطة مثلما حدث لمدرستى السلطان حسن والسلطان شعبان إبان الصراع الذى دار بين مماليك الأمير منطاش، ومماليك برقوق من أجل السلطة بعد أن استولوا على هاتين المدرستين فتمكنوا بذلك من القضاء على الفتنة[٢]. كذلك إبان فتنة الأمراء بقيادة أقبرد فى عام ٩٠٢هـ/١٤٩٦م حيثما استخدم المتمردون مدرسة السلطان حسن لضرب القلعة فقام المماليك السلطانية بالرد عليهم، فرموا بالمكحلة[٣] على من فى المدرسة، ثم زحفوا عليهم وهجموا على كل من كان بالمدرسة وأحرقوا ما بداخلها[٤]، وفى أعقاب هذه الفتن كانت المدارس تتعرض للنهب والسطو من قبل المماليك المنتصرين، ومن قبل العوام أيضا، وقد شمل هذا السطو كل ما فى المدارس من بسط وقناديل وشبابيك ورخام وكتب وغير ذلك[٥].

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن الأزمات الاقتصادية التى كانت تشهدها

---

(١) المقريزى : الخطط، جـ٢، ص ٢٧٨؛ راجع أيضا : الحسن بن عمر بن حبيب : تذكرة التنبيه فى أيام المنصور وبنيه، جـ١، ص ٢٥٣؛ المقريزى : نهاية الأرب، جـ٣٠، ق ١، سنه ٧٠٢هـ؛ السيوطى : حسن المحاضرة، جـ٢، ص ١٨٤؛ ابن اياس : بدائع الزهور، جـ١، ص ١٤٦ ـ ١٤٧.

(٢) انظر تفاصيل تلك الصراع فى : المقريزى : السلوك، جـ٣، ص١٠، ص ٣٨١ ـ ٣٨٢؛ الخطط، جـ٢، ص ٣١٥؛ ابن الفرات : تاريخ ابن الفرات، جـ٣، ص ١١٨ ـ ١٩٤.

(٣) المكحلة هى مدفع البارود. راجع : القلقشندى : صبح الاعشى، جـ٢، ص ١٤٤.

(٤) ابن اياس : بدائع الزهور، جـ٣، ص ٣٦٧ ـ ٣٦٨.

(٥) راجع على سبيل المثال : ابن اياس : المصدر السابق، جـ٢، ص ٢١٨، ٢٢٨ ـ ٢٣٠؛ المقريزى : السلوك، جـ٣، ق٣، ص ٩٨٧ ـ ٩٨٨؛ ابن حجر العسقلانى : ابناء الغمر، جـ٢، ص ٤٩٦؛ ابو المحاسن : حوادث الدهور، جـ٢، ص ٢٧١.

البلاد من حين لآخر[١]، كانت تلقى بتبعاتها على المكتبات كغيرها من مرافق الدولة. من ذلك المكتبة السلطانية بالقلعة. فقد ذكر المقريزى أنه لما وقع الغلاء بأرض مصر فى عام ٦٩٤هـ/١٢٩٤م إبان حكم كتبغا المنصورى، مس طلاب العلم الضر، فنهبوا كتبها، وصاروا يبيعون كل مجلد برغيف خبز حتى ذهب معظم ما فيها من كتب[٢] لقاء لقمة العيش. ولم تكن هذه المكتبة السلطانية هى المكتبة المملوكية الوحيدة التى كان مصيرها بيع موجودها من الكتب والمؤلفات، إذ تضم المصادر التاريخية التى ترجع إلى العصر المملوكى، أخبار كثيرة عن أناس باعوا مكتباتهم الخاصة بسبب ضيق العيش، أو تسديداً لديونهم أو لمواجهة حالة الإعصار التى وقعوا فيها لسبب من الأسباب، كما جرت العادة أن تباع محتويات مكتبة العالم الخاصة أو مالك الكتب الذى يموت ولم يخلف ذرية يحبون العلم أو كانوا أناثا، أو لغيره من الأسباب، وقد ذكرنا من قبل نماذج عديدة لذلك[٣].

واذا كانت الكوارث الطبيعية، قد أودت بحياة بعض المكتبات، ودمرت محتوياتها تدميرا، فإن بيع محتويات بعضها الآخر كان أقل وطأة منها حيث كانت النتيجة الطبيعية لبيع مكتبة ما أن تكون نواه لمكتبة تنشأ حديثا أو لتدعم بها مجموعة مكتبة موجودة بالفعل. فلم نسمع عن أحد فى العصر المملوكى اقتنى كتبا لغرض غير القراءة أو تأسيس مكتبة أو وقفها على طلبة العلم فى احد المؤسسات التعليمية، إلا فيما ندر، لاسيما وأن ثمن الكتب فى ذلك الوقت مرتفعا إلى حد ما. ومن هذه المكتبات التى انتقلت مجموعاتها بيعا إلى مكتبات أخرى: مكتبة المدرسة الأشرفية شعبان بن حسين، فقد اشترى جمال الدين يوسف الاستادار الكثير من محتوياتها، بعد هدمها، وجعلها نواه لمكتبة مدرسته التى أطلق عليها الجمالية الاستادارية[٤]. وكذلك مكتبة القاضى برهان الدين بن جماعة الخاصة، فقد اشتراها الأمير جمال الدين محمود الاستادار من ورثته، وجعلها نواة لمكتبة المدرسة المحمودية التى أنشأها خارج باب زويلة سنة ٧٩٧هـ/١٣٩٤م[٥].

---

(١) راجع ص ٥٢ من هذه الرسالة.

(٢) المقريزى: الخطط، جـ٢ ص ٣٦٦.

(٣) راجع، ص ١٦٣ ـ ١٦٤ من الفصل الثالث من الرسالة وما بها من مصادر.

(٤) وثيقة جمال الدين يوسف الاستادار، رقم ١٠٦، محفظة ١٧، دار الوثائق؛ المقريزى: الخطط، جـ٢، ص ٤٠١.

(٥) المقريزى: الخطط، جـ٢، ص ٣٩٥؛ راجع ايضا: فؤاد سيد: نصان قديمان فى الاعارة، ص ١٢٧ ـ ١٢٨.

وانتقلت العديد من كتب خزانة الأمير يشبك بن مهدى الداودار التى أوقفها على تربته إلى خزانة كتب محمود الغزى الشافعى الخاصة[١]. وإن كنا لا نعرف بالضبط كيف انتقلت هذه الكتب إلى خزانة الأخير، إلا أنه من المرجح أن يكون محمود الغزى قد اشتراها من بعض العوام الذين سطوا على التربة ونهبوها إبان أحداث عام ٨٨٥هـ/ ١٤٨٠م عقب مقتل الأمير يشبك الداودار[٢].

وبالاضافة إلى الحرائق قضاء وقدرا والحرائق العمد والكوارث الطبيعية التى أدت إلى تدمير بعض المكتبات المملوكية وبيع موجود بعضها الآخر، فإن هناك أسبابا أخرى ساهمت فى تدهور بعض المكتبات المملوكية، مثل **استغلال بعض العلماء والقضاة للمكتبات**، ووضع اليد على موجودها للاستئثار بها لأنفسهم وحجبها على عامة القراء والتى وقفت من أجلهم. ومن هؤلاء العلماء: عمر بن على بن أحمد ابن السراج الملقب بابن الملقن (ت٨٠٤هـ/١٤٠١م). فقد كان عنده من الكتب مالا يدخل تحت الحصر منها ما هو من ممتلكاته، ومنها ما هو من أوقاف المدارس لاسيما الفاضلية[٣]، وكذلك صالح بن عمر الكنانى العسقلانى البلقينى (ت٨٤٨هـ/١٤٤٤م) الذى وصف بأنه كان عالما فاضلا، درس الحديث والفقه والتفسير فى مدارس عدة بالقاهرة، وقد شارك هو الآخر فى نهب المساجد والمدارس المملوكية. ويذكر السخاوى أن الشيخ صالح هذا، على الرغم من علو مكانته وفضله، إلا أنه خلف بعد موته ثروة طائلة، وكتبا جمة من أوقاف المدارس ما يزيد على ألف مجلد[٤]، ومنهم أيضا قاضى القضاة بالديار المصرية احمد بن بدر الدين ابن شعبان، فقد ذكر صاحب «الطبقات السنية فى تراجم الحنفية» أنه كان لدى القاضى بن شعبان من الكتب النفسية ما ينوف عن أربعين ألف مجلد، وأكثرهما من كتب الأوقاف

---

(١) انظر: ابن ايبك الصفدى: الوافى بالوفيات، جـ١، ص ب؛ راجع: الملحق الأول، لوحة رقم ١٠ بآخر الرسالة.

(٢) للوقوف على هذه الأحداث. راجع: ابن اياس: بدائع الزهور، جـ٣، ص ١٧١ ـ ١٧٨.

(٣) السخاوى: الضوء اللامع، جـ٦، ص ١٠٠، الشوكانى: البدر الطالع جـ١، ص٥١٠.

(٤) السخاوى: الزيل على رفع الأصر، ص١٨١.

وضع يده عليها، ومنع أهل العلم من النظر إليها، وطالت الأيام ومضى عليها أعوام، ونسيت عنده وغير شروطها[١]، وشارك جملة من العلماء والفقهاء فى تقوويض بنية المكتبة الفاضلة، فساهموا فى نكبها عندما تداولت أيديهم عليها بالعارية حتى تفرقت، طبقا لرواية المقريزى[٢].

ومن أسوأ تلك النماذج التى ساهمت فى تدمير بنية بعض المكتبات المملوكية القاضى الحنفى محب الدين أبو الفضل محمد الشهاب بن الشحنة (ت ٨٩٠هـ/١٤٨٥م) الذى وصفه السخاوى بأنه كان مستغلا لمنصبه فى القضاء فكان يستنزل من يشاء فى الوظائف بالمؤسسات المملوكية، ويعزل من يشاء، وقد استبد بالأشرفية والصرغتمشية والمحمودية، وحُمل له من كتبها ما ينيف على مائة مجلد[٣]. وذكر السخاوى فى موضع آخر أن ابن الشحنة كان «عظيم العناية فى تحصيل كتب العلوم بحيث اجتمع عنده من نفائس كل فن ما قل أن يجتمع لغيره، وربما اغتصبها ممن هى عنده، ونُسب إليه أخذ تفسير الفخر الرازى وهو فى مجلد من أوقاف المؤيدية[٤]. وقد ذكرنا من قبل كيف كان القاضى علم الدين يتوسل بالسخاوى عند القاضى ابن الشحنة لرد الكتب التى استعارها منه.ولكن دون جدوى[٥].

ولنا أن نعجب من حقيقة هذا السلوك المتسم بالإثرة والأنانية الذى انتهجه هؤلاء العلماء والقضاة والفقهاء، وكيف أنهم ساعدوا على تدمير أهم ركن من أركان العلم والثقافة العربية إبان العصر المماليكى. ففى الوقت الذى كان فيه معظم المجتمع المصرى

---

(١) التيمى، تقى الدين عبد القادر الغزى : الطبقات السنية فى تراجم الحنفية، تحقيق عبد الفتاح الحلو، الرياض، دار الرفاعى، ١٩٨٣، جـ١، ص ٣١٩؛ وراجع ايضا: يحيى ساعاتى : الوقف وبنية المكتبة العربية، ص ١٧٨.

(٢) المقريزى : الخطط، جـ٢، ص ٣٦٦.

(٣) السخاوى : الذيل على رفع الأصر، ص ٣٨٢ ـ ٣٨٣.

(٤) السخاوى : الذيل على رفع الاصر، ص ٣٨٤ ـ وتفسير الفخر الرازى هو : «مفاتيح الغيب» للامام فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين الرازى (ت٦٠٦ هـ/١٢١٩م) وقد طبع هذا الكتاب عام ١٩٣٢ بتحقيق محمد محى الدين عبد الحميد.

(٥) السخاوى : الضوء اللامع، جـ٩، ص ٢٤٨ ـ ٢٥٠.

حكاما ومحكومين، يتنافسون ويتبارون فى اقامه المكتبات ووقف الأوقاف عليها وإغداق العطايا والمنح على من يقومون على أمرها، بهدف إشاعة العلم وتمكين كافة أفراد المجتمع المصرى من الاستفادة منه، كان بعض رجال العلم والقضاء يخرون فى هذا البناء. شأنهم شأن أولئك الذين كانوا يستغلون تضعضع الأمن لينقضوا على المكتبات وغيرها من المؤسسات العامرة لنهبها وسلبها وإحراقها، ومن ثم حرمان الجماهير العريضة من المجتمع من الاستفادة من نفائسها وذخائرها.

وأما المشرفون على المكتبات فكما كان لهم الدور الكبير فى تطور وازدهار الخدمة المكتبية، كان لبعضهم دور مباشر فى تدهور بعض المكتبات[1] وخلخلة بنيتها والعمل على تقويضها، وذلك إما عن طريق سوء إدارتهم للمكتبات والتهاون فى أداء الرسالة المنوطة بهم، أو المشاركة فى استغلال موجودها من الكتب عن طريق تسهيل سطوها ونهبها أو إعارتها دون ضمان لبعض أكابر الدولة ووجهائها رغبة فى الوصول عن طريقهم لأغراض دنيوية ومادية. وقد سبق أن ذكرنا ما وقع من أمر خازنى مكتبة المدرسة المحمودية : السراج عمر، والفخر عثمان البكرى التلاوى، اذ فرط الأول فى مجموعتها وأساء فى إدارتها فنقصت نحو مائة وثلاثين مجلدا، وعندما اكتشفت أمره، عُزل، واستقر بعده الثانى، وكان منضبطا ولكنه كان مجاملاً فيما يبدو، إذ فُقد من المكتبة أثناء إشرافه عليها ما يقرب أربعمائه مجلد، فعُزل أيضا وغُرم قيمة المفقود من الكتب[2]. ويصف السخاوى سالم العبادى الذى استقر فى خزن المكتبة المحمودية بعد أحمد بن محمد الجلالى بأنه «فسد أمرها»[3]، وهو وصف يوحى بالتفريط وسوء الإدارة.

ومن هؤلاء المشرفين الذين تهاونوا فى آداء الرسالة الموكلة اليهم من نظار الوقف أو خازنى الكتب، محمد بن عمر بن عبد الله بن محمد بن غازى (ت٨٤٥هـ/ ١٤٨م) الذى عمل خازنا غى إحدى المكتبات المدرسية المملوكية، وقد وصف بأنه كان «خفيف ذات

---

(١) راجع ص ١٣٥ - ١٤٣ من هذه الرسالة.

(٢) السخاوى : الضوء اللامع، جـ٥، ص١٤٣ - ١٤٤، راجع ايضا، ص ١٤٢ من الفصل الثانى من الكتاب.

(٣) المصدر السابق، جـ٢، ص ١٥٤.

اليد،[١]، وهو ما يوحي بأنه قد أساء التصرف في محتويات تلك المكتبة. كما فرط محمد بن ابراهيم بن خلف القاهرى (ت٨٨٣هـ/١٤٤٠) خازن مكتبة المدرسة المؤيدية فى بعض كتبها فطلبه الداودار الكبير[٢] قبل موته وعزره[٣]. وفرط كذلك الملك الصالح المنصور حاجى بن الأشراف شعبان فى أمر المكتبة التى أوقفها والده السلطان شعبان بن حسين على مدرسته الأشرفية عندما باعها لجمال الدين يوسف الاستادار بمبلغ ستمائة دينار على الرغم من أنها كانت وقفا، وكان هذا الأخير حفيا بها لأن قيمتها كانت تعد بعشرات أمثال ذلك[٤]

وهكذا كان سوء إدارة بعض المكتبات المملوكية والتفريط فى تحمل أمانتها من قبل المشرفين عليها عاملا يضاف إلى العوامل السابقة أدى إلى تدهور تلك المكتبات، ولعل هذا كان أحد أسباب تشدد بعض الواقفين فى منع إعارة الكتب أعارة خارجية منعا باتا على نحو ما ذكرنا سلفا[٥].

وهناك سبب آخر ساعد على تدهور المكتبات فى أواخر العصر المملوكى، وهو تدهور الأوقاف واغتصاب ريعها ومحاولة حلها أو استبدالها. ذلك أن المكتبات المملوكية قامت أساسا على الوقف وكان ريع الاوقاف هو المصدر المالى الرئيسى لبعض المكتبات، بل المصدر المالى الوحيد لمعظم المكتبات ومؤسساتها[٦]. فمن المنطقى إذا منع المصدر المالى أو عطل أو نهب أن تتوقف المؤسسة بما فيها مكتبتها عن آداء مهامها. وإذا

---

(١) السخاوى : التبر المسبوك، ص ٢٣.

(٢) الداودار هو أحد امراء المماليك المكلف بحمل الدواة السلطانية وتولى امرها وما يتبع ذلك من تبليغ الرسائل عن السلطان وتقديم الرسائل والقصص إليه. راجع : القلقشندى : صبح الاعشى، جـ٥، ص ٤٦٢؛ السبكى : معيد النعم، ص ٢٥؛ وراجع ايضا : حسن الباشا : الفنون الاسلامية والوظائف، ص ٥٢٢.

(٣) السخاوى : الضوء اللامع، جـ٦، ص ٢٥٢. عزره أى منعه ورده وأدبه وعاقبه بما هو دون الحد الشرعى، والتعزير شرعا هو التأديب. راجع : مجمع اللغة العربية : المعجم الوسيط، جـ٢، ص ٦٢٠.

(٤) المقريزى : الخطط، جـ٢، ص ٤٠١.

(٥) راجع ص ٢٠٥ من الفصل الرابع من الكتاب.

(٦) راجع ما كتبناه عن الموارد المالية للمكتبات المملوكية ص١٢٦ - ١٣٠ من الفصل الثانى من الكتاب.

كان عصر سلاطين المماليك قد شهد بصفة عامة ازدهارا كبيرا فى الأوقاف حتى تغلغلت فى معظم الأنشطة، وأصبحت معظم دور مصر وحوانيتها ورباعها موقوفه، وكانت المؤسسات التعليمية والتربوية والصوفية تفوز بالنصيب الأوفر من تلك الأوقاف، إلا أن هذه الأوقاف كثيرا ما تعرضت إلى الحل والاقطاع والاستبدال لاسيما فى عصر المماليك الجراكسة. وقد عبر المقريزى عن ذلك بقوله «أنها - أى الأوقاف - قد اختلت وتلاشت فى زماننا هذا، وعما قليل أن دام ما نحن فيه لم يبق لها أثر البتة»[١]، ويرجع السبب فى ذلك إلى جشع بعض السلاطين والأمراء واستيلائهم على الأوقاف عن طريق الاستبدال[٢]، وإلى ضعف نفوس جماعة من العلماء والقضاة والمباشرين على الأوقاف الذين تطلعوا إلى اغتصابها واستغلالها. هذا من جهة، ومن جهة أخرى أفتوا للحكام والأمراء بجواز حل أوقاف السلاطين والأمراء السابقين طمعا فى الجاه والسلطان. من ذلك القاضى ابن العديم[٣] الذى مكن جمال الدين الاستادار من الاستيلاء على كثير من الأوقاف الخاصة بالمؤسسات، فتعطلت تلك المؤسسات، وتوقف نشاطها، وأغلقت مكتباتها. ومن الغريب أن يعود جمال الدين ليوقف تلك الأوقاف المنهوبة مرة أخرى على مدرسته ومكتبتها المسماة بالجمالية. ولكن ما أن يستتب الأمر فى البلاد لفرج ابن برقوق حتى يقبض على جمال

---

(١) المقريزى : الخطط، جـ٢، ص ٢٩٦.

(٢) الاستبدال : هو شراء عين أخرى تكون وقفا بدلها، والابدال هو اخراج العين الموقوفة عن جهة وقفها ببيعها، والابدال والاستبدال متلازمين حيث لا يتم الثانى بدون الأول. للمزيد عن الاستبدال وموقف العلماء منه راجع : محمد أبو زهرة : محاضرات فى الوقف، القاهرة، ١٩٥٩، ص ١٧٢، ١٧٣، ١٨٣ - ١٩٠. ولعل من أشهر السلاطين الذين استولوا على كثير من الأوقاف عن طريق الاستبدال السلطان الأشرف برسباى والسلطان الغورى. راجع : المقريزى : السلوك، جـ٤، ص ٦٣٦ - ٧٦٥، ٧٨٠؛ ابن اياس : بدائع الزهور، جـ٤، ص ٤٥٣ وراجع أيضا : محمد محمد أمين : الأوقاف والحياة الاجتماعية فى مصر، ص ٣٥٢ - ٣٥٤.

(٣) هو كمال الدين عمر بن جمال الدين ابراهيم بن العديم، تولى قضاء قضاة الحنفية بمصر فى عام ٨٠٥هـ/١٤٠٢م، وتوفى فى عام ٨١١هـ/١٤٠٨م المقريزى : السلوك، جـ٣، ق٣، ص ١١٠١. ويقول عنه السخاوى «جمع المال من غير حله وتظاهر بالربا وافراط فى استبدال الاوقاف» راجع : السخاوى : الضوء اللامع، جـ٦، ص ٦٦.

الدين الاستادار ويقتله فى عام ٨١٢ هـ/١٤٠٩م[1] ويضع يده على أوقافه ويستولى على بعضها ويعيد المغتصب منها إلى أهله، ثم جعل مكتبة المدرسة الجمالية الاستادارية نواة لمكتبة مدرسته الناصرية البرقوقة[2]. وهناك العديد من القضاة الذين ساروا على نهج ابن العديم، منهم علم الدين البلقينى الشافعى[3]، وولى الدين السفطى[4]، وعبد البر بن الشحنة[5]، وغيرهم ممن ساعدوا على تدهور الأوقاف وخرابها، ومن ثم تعطيل وتدهور المؤسسات الموقوفه عليها ومنها المؤسسات التعليمية والتربوية بما فيها المكتبات الملحقة بها.

وهكذا ساعدت عوامل عدة على تدهور بعض المكتبات المملوكية، فبعضها دمر بفعل

---

(١) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة، جـ١٣، ص٩٥.

(٢) المقريزى : الخطط، جـ٢، ص ٢٩٦ - ٤٠٢.

(٣) تولى علم الدين البلقينى قضاء الشافعية ثلاث مرات : فى عام ٨٢٦هـ/١٤٢٣م ثم عزل بعد عام ثم أعيد فى عام ٨٣٣هـ/١٤٣٠م ثم صرف عنه بعد سنة وثلاثة أشهر، ثم أعيد فى عام ٨٤١هـ/ ١٤٣٨م وكان قد استغل فرصة انتشار وباء الطاعون فى ولايتهالثانية، وتسلط فى تحصيل الأموال من التركات والاوقاف. راجع : ابن حجر العسقلانى : رفع الاصر جـ٢ ص ٢٥٦ - ٢٥٩.

(٤) تولى ولى الدين السفطى القضاء فى عهد السلطان جقمق فى عام ٨٥١ هـ/ ١٤٤٨م وعزل بعد عام. راجع ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ٧ ص ١٥٠ - ١٦٠.

(٥) قاض قضاة الحنفية بمصر إبان حكم السلطان الغورى (٩٠٦هـ - ٩٢٢هـ/١٥٠١ - ١٥١٦م) وقد عرف عنه استغلاله لمنصبه وتحريمه للحلال وتمكين أعوانه من الاستيلاء على الأوقاف فضلا عن نهبه هو لكثير منها، الأمر الذى آثار العامة عليه حتى هجاه أحدهم بقصيدة جاء فيها:

فشا الزور فى مصر وفى جنباتها	ولما لا وعبد البرقاض قضاتها
أجـازأ أمـورا لا تحـل بملـة	بحل وبرم مظهـرا منكراتـها
الست ترى الاوقاف كيف تبدلت	وكانت على تقديرها وثباتهـا
ولابد من بيـع الجوامـع، تارك	الجماعات منها مبطل جمعاتها
ولـو امكنـته كعبة الله باعـها	وأبطل منها الحج مع عمراتهـا
فان كان فى الأوقاف ثمة بقية	تكذبنـى فيمـا أقـول فهاتهـا

راجع : ابن اياس : المرجع السابق، جـ٤، ص ١١٣.

وجدير بالذكر أن عبد البر بن الشحنة غير الشهاب بن الشحنة الذى سبق ذكره فى ص ٢٣٥، من هذا الفصل.

الكوارث الطبيعية من حرف وزلزال، وبعضها الآخر تلف نتيجة عدم الصيانة وعوامل الجو الطبيعية، وشاركت الظروف الاقتصادية الصعبة التى كثيرا ما كانت تمر بها البلاد فى تقويض بنية بعض المكتبات، ومانجا منها من هذا وذاك، تعرض لاستغلال بعض العلماء، والقضاء لها ونهب موجودها، وذلك فضلا عن سوء إدارة المشرفين على بعض المكتبات وتهاونهم فى اداء رسالتهم، فنتج عن ذلك تقويض لأهم ركن من أركان الثقافة والحضارة العربية فى مصر إبان عصر سلاطين المماليك. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى كان لتدهور الأوقاف ونظامها فى أواخر العصر المملوكى أثره الواضح فى تدهور بعض المكتبات نتيجة لفقدها مصدر تمويلها الأساسى وهو ريع الوقف.

٢ـ الفتح العثماني لمصر وتأثيره علي المكتبات المملوكية :

وعلى الرغم من هذه العوامل التى أدت إلى تدهور بعض المكتبات المملوكية إلا أنها ـ بصفة عامة ـ ظلت تؤدى دورها إلى أن دهم الأتراك العثمانيون أرض مصر فى عام ٩٢٣هـ/١٥١٧م وقضوا بذلك على دولة سلاطين المماليك، وأصبحت مصر ولاية عثمانية بعد أن كانت دولة مستقلة ذات سيادة. وعقيب ذلك الغزو استولى الأمراء والولاة الأتراك على كثير من موجودات المكتبات المملوكية، بخلاف ما أخذه السلطان سليم الأول معه عند عودته إلى استانبول. إذ يذكر المؤرخ ابن اياس آن «الوزراء استدرجوا لأخذ الكتب النفسية التى فى مدارس المحمودية والمؤيدية والصرغتمشية، وغير ذلك من المدارس التى فيها الكتب، فنقلوها عندهم ووضعوا ايديهم عليها ولم يعرفوا الحرام من الحلال فى ذلك»[١].

والحقيقة أن ابن اياس (ت٩٣٠هـ/١٢٣م) هو المؤرخ الوحيد المعاصر للفتح العثمانى[٢] الذى ذكرحادثة السطو على المكتبات المملوكية، ونقل عنه كل من أتى بعده

---

(١) ابن اياس الحنفى : بدائع الزهور فى وقائع الدهور، جـ٥، ص ١٧٩.

(٢) من هؤلاء المؤرخين الذين اطلع الباحث على مؤلفاتهم ولم يذكروا شيئا عن سطو العثمانيين للمكتبات المملوكية : أحمد بن زنبل الرمال: تاريخ غزوة السلطان سليم خان ابن السلطان بايزيد خان مع قانصوه الغورى سلطان مصر، مخطوط رقم ٤٤ المكتبة التيمورية، دار الكتب المصرية، الاسحاقى : لطائف أخبار الدول فيمن تعرف فى مصر من أرباب الدول، القاهرة ١٨٩٤م.

المؤرخين[١] أخبار هذه الحادثة. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن من المؤرخين الحديثين من يذكر أن حاشية السلطان سليم الأول كان فى عدادها نخبة من أرباب العلم الذين دهشوا بما شاهدوه من نفائس الكتب والمخطوطات فى المكتبات المملوكية وما لمسوه من دقة التنظيم وسهولة ومرونة الخدمة؛ فلما أخبروه بذلك أمرهم بجمع خيارها وانتقاء نفائسها ونقلها إلى عاصمة الخلافة استانبول، وقد اقتضى ذلك ألف جمل لنقل تلك الكتب[٢].

وسواء أمرهم السلطان العثمانى بذلك أم فعلوه من تلقاء أنفسهم، فإن النتيجة واحدة وهى انتقال الآلاف من المخطوطات العربية الموقوفه بالمكتبات المملوكية المصرية إلى استانبول، ويعد وجود حوالى مائة ألف مخطوط عربى فى اثنتين وأربعين مكتبة فى تركيا[٣] الآن دليلا على أن هذه الرواية تجنح إلى الصدق.

يضاف إلى ذلك أن الكثير من المكتبات المملوكية قد تعرض للنهب والسلب والدمار والتفريق إبان حوادث عام ٩٢٣هـ/١٥١٧م، وذلك قبيل هزيمة طومان باى حيث كان القتال بين مماليكه والجنود العثمانيين. من ذلك مكتبة مدرسة السلطان حسن التى نهبت عن آخرها، ومكتبة جامع الأمير شيخو التى أحرقت عن بكرة أبيها وغيرها من المكتبات[٤] كما هاجم العثمانيون الجامع الأزهر وجامع الحاكم وجامع ابن طولون وغير

---

(١) من هؤلاء المؤرخين الذين اطلع الباحث على أعمالهم : الجبرتى : عجائب الآثار فى التراجم والأخبار، القاهرة، مطبعة بولاق، ١٨٨٠م، ٤ مجلد؛ راجع أيضا جورجى زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية القاهرة، دار الهلال، ١٩١٢، جـ٤، ص ١١٣.

(٢) فيليب دى طرازى : خزائن الكتب العربية فى الخافقين، بيروت، وزارة التربية الوطنية، ١٩٤٨، ص ١٨٨؛ شعبان عبد العزيز خليفة : دار الكتب القومية فى رحلة النشوء والارتقاء والتدهور، القاهرة، العربى للنشر والتوزيع، ١٩٩١، ص ١١٤.

(٣) راجع : كوركيس عواد : فهارس المخطوطات العربية فى العالم، الكويت، معهد المخطوطات العربية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ١٩٨٤، جـ١ ص ٢٨١، ٣٤٤؛ أحمد آتش : المخطوطات العربية فى الأناضول، مجلة معهد المخطوطات العربية، مج ٤، ١٩٥٨، ص ٣ ـ ٤٢؛ نورى حمودى القيس : المخطوطات العربية فى مكتبات استانبول، مجلة المكتبة، مج٣٩، ع١٩٦٦، ص ٢٩ ـ ٣٠.

(٤) ابن اياس : بدائع الزهور، جـ٥، ص ١٥٥.

ذلك من الجوامع والمدارس بحجة البحث عن المماليك، وكانت الكتب خير غنيمة ظفروا بها من الهجوم[١]. وذلك فضلا عما تعرضت له المنازل والبيوت للنهب والهجوم من قبل العثمانيين والعوام الذين انتهزوا الفرصة للسرقة والسطو، وكان من جملة ما نهب الأموال والملابس وخزائن الطعام والمكتبات الخاصة[٢].

ومع كل هذا، فقد بقى لمصر الشيء الكثير من موجود المكتبات المملوكية التى نجت من سطر العثمانين ونهب العوام لتواصل به مسيرتها المكتبية فى ظل الحكم العثمانى. وبذلك تنتهى صفحة من تاريخ المكتبة المصرية عبر عصورها التاريخية، لكى تبدأ صفحة أخرى جديدة. إذ شهدت مصر إبان الحكم العثمانى (١٥١٧ - ١٧٩٨م)، على الرغم من أصابها من خمول وضعف فى مختلف نواحى المجتمع وبخاصة الحياة العلمية والفكرية، شهدت إنشاء العديد من المدارس الجديدة والمساجد[٣] والتكايا[٤] والحاق المكتبات بها،

---

(١) المصدر السابق، والجزء والصفحة.

(٢) المصدر السابق، والجزء، ص ١٤٧ - ١٤٨.

(٣) من المدارس التى انشئت فى العصر العثمانى فى مصر وكانت بها خزائن كتب: مدرسة خير بك الذى أنشاها ملك الأمراء خيربك سنة ٩٢٧هـ/١٥٢٢م، ومدرسة داود باشا التى أنشئت سنة ٩٤٥هـ/ ١٥٤٠م والمدرسة الجوهرية، ومدرسة اسكندر باشا، والمدرسة الجنبلاطية، والمدرسة الأشرفية: راجع على التوالى، على مبارك: الخطط التوفيقية، جـ٦، ص ١٦، جـ٤، ص ١٦٢؛ ابن اياس: بدائع الزهور، جـ٥، ص ٣٢١؛ الإسحاقى: لطائف الاخبار، ص ٣٨، ٤٥، ١٧٨؛ وثيقة وقف داود باشا، رقم ٣٠١٨ أوقاف، وثيقة اسكندر باشا رقم ٣١٦٣ أوقاف؛ وثيقة محمد الجوهرى، رقم ٣٤٤١ أوقاف؛ الجبرتى: عجائب الاثار: جـ١، ص ١٦٢، ٢٢٠، ١٧٥، ١٨٦، ٢٢٠.

(٤) التكية مصطلح ظهر فى العصر العثمانى للدلالة على مؤسسات الصوفية وكبديل لمصطلحات خانقاه ورباط وزواية. وقد كثرت التكايا فى العصر العثمانى، وكان من عادة المنشيء أن يلحق بها خزانة كتب. هذا ويحتفظ أرشيف وزارة الأوقاف بالقاهرة بعدد غير قليل من الوثائق الخاصة بالتكايا فى العصر العثمانى وتزخر فيما تزخر به من معلومات عن مكتبات التكايا وتزويدها وتنظيمها وخدماتها وشروط القائم على أمرها. من ذلك وثيقة رقم ١٩١٩ أوقاف، و٢٨١٦ أوقاف. وجدير بالذكر أن الدكتورة ناهد حمدى أحمد قد قامت عام ١٩٨٤م بدراسة وتحقيق لبعض وثائق التكايا فى العصر العثمانى. راجع: ناهد حمد أحمد: وثائق التكايا فى العصر العثمانى، رسالة دكتوراه غير منشورة - كلية الاداب - جامعة القاهرة، ١٩٨٤.

فضلا عن المكتبات الخاصة التى وجدت فى بيوت العلماء والقضاه والتجار وشيوخ البلد والعسكريين من رجال الحامية العثمانية وغيرهم[١].

ومما يذكر أن المكتبات العثمانية ورثت المكتبات المملوكية فى نظمها واجراءاتها الفنية والادارية، ولم تكن هناك سمات خاصة عرفت بها المكتبات العثمانية فى مصر، اللهم إلا انتشار بعض المصطلحات التى ظهرت فى ذلك العصر بديلا للمصطلحات المملوكية، نتيجة لاختلاط اللسانين التركى والعربى. من ذلك «الكتب خانة» للدلالة على خزانة الكتب، و«المغير» للدلالة على خازن الكتب، و«التغيير» للدلالة عيل الخدمة المكتبية من اعارة وغيرها، و«الدفتر المكتتب» للدلالة على السجل الخاص بتسجيل رصيد الكتب[٢].

وتعد مكتبة محمد بك أبو الدهب (ت١١٨٩هـ/١٧٧٥م) نموذجا للمكتبات المصرية إبان الحكم العثمانى، من حيث إدارتها وتنظيمها واجراءاتها الفنية والإدارية وخدماتها المكتبية، وهى المكتبة التى وقفها أبو الدهب بمسجده على طلاب العلم، وجمع لها النادر وحديث التآليف من الكتب والمعاجم والنفائس فى عصره. وبلغ من اهتمامه بها، شراؤه لكتاب «تاج العروس»[٣] بمبلغ مائه الف درهم، ووضعه فى مكتبته ليكمل نظامها وتنفرد بذلك دون غيرها. على حد قول الجبرتى[٤].

---

(١) تعد وثائق التركات بمحكمة القسمة العثمانية بمثابة مادة خصبه لدراسة المكتبات الخاصة بشيوخ البلد والعسكريين فى العصر العثمانى، حيث جرت العادة أن تجرد تركة احدهم بعد موته وتسجيل ذلك فى حجة جرد، وكان من جملة ما يتم تسجيلة المكتبة الخاصة ومحتوياتها من الكتب. راجع سجلات القسمة العربية بالشهر العقارى بالقاهرة، أرقام ٢، ٧، ٩، ١٩.

(٢) راجع وثائق : وثيقة وقف محمد بك أبو الدهب، رقم ٩٠٠ أوقاف، وثيقة وقف مصطفى بن عبد الله، رقم ٣٠٨١ أوقاف، وثيقة وقف يحيى أغا رقم ١٦٦٢ أوقاف، وجدير بالذكر أن المصطلحات «كتبخانة. المغير. التغيير» ظلت تستعمل إلى وقت ليس ببعيد بنفس مفهومها فى العصر العثمانى. راجع شعبان خليفة : أول لائحة لدار الكتب المصرية، فى كتابه : دار الكتب القومية، ص ١٦٨ ـ ١٧١.

(٣) هو موسوعة لغوية شرح فيها المرتضى الزبيدى، كتاب «القاموس المحيط» للفيروزابادى وأسماها تاج العروس فى شرح القاموس. وقد طبع هذا الكتاب عدة طبعات منها طبعة ببيروت عن دار صادر فى عام ١٩٨٩، فى أربعة عشرة مجلد.

(٤) الجبرتى : عجائب الاثار، جـ١، ص ٤٠٩، جـ٢، ص ١٩٦ ـ ٢١٩؛ راجع أيضا وثيقة محمد بك ابو الدهب، رقم ٩٠٠ أوقاف، ص ٩٥ وما بعدها ؛ على مبارك، الخطط التوفيقية، جـ٥، ص ١٠٧.

وحددت وثيقة وقف أبو الدهب الشروط الواجب توافرها فى المغير أو خازن الكتب ومهامه ومسئولياته ومرتبه حيث ذكرت الوثيقة ما نصه «رجل أمين من أهل الدين والصلاح يكون خازنا للكتب الشريفة الآتى ذكرها فيه الموضوعة بخزانة الكتب المعدة لذلك... نظير تقيده بخدمة الكتب المذكورة بالتغيير منها للتدريس والقراءة والمراجعة والكتابة والمقابلة حكم المعتاد فى ذلك فى كل يوم ستون نصفا فضة، وفى كل سنة ستون أردبا قمح حنطة»[١]. وكان على أمين المكتبة «اذا ضاع شيء من الكتب الموقوفه المذكورة القيام بنظيره من ماله وليس على جهة الوقف المذكور القيام بشيء من ذلك»[٢]. ويلاحظ أن هذه الشروط تتشابهه إلى حد كبير مع الشروط التى حددتها الوثائق المملوكية لخازن الكتب فى المكتبات إبان العصر المماليكى[٣]، مما يدل على استمرارية العمل بها فى العصر العثمانى.

وقد اشترطت وثيقة ابو الدهب أن تكون جميع موجودات المكتبة معدة للاستخدام وتقديمها لمن يريدها للاطلاع والدراسة والمراجعة، وغير ذلك من سبل الاشتغال، والانتفاع بها. فقد ذكرت الوثيقة ما نصه «على أن تكون كامل الكتب الموقوفه المذكورة أعلاه معدة للقراءة والتدريس والمطالعة والكتابة والمقابلة، حكم المعتاد فى ذلك أبد الآبدين»[٤]. وهذا أيضا يتفق مع ما كان ساريا فى المكتبات المصرية فى عصر سلاطين المماليك.

---

(١) وثيقة أبو الدهب رقم ٩٠٠ أوقاف، ص ٦٠، على مبارك : الخطط التوفيقية، جـ٥، ص ١٠٨.

(٢) وثيقة أبو الدهب، رقم ٩٠٠ أوقاف، ص ١٠١ ـ ١٠٢.

(٣) راجع ص ١٣٧ ـ ١٤١ من الفصل الثانى من الكتاب.

(٤) وثيقة ابو الدهب رقم ٩٠٠ أوقاف، ص ١٠٠، وانظر ايضا : وثيقة الحاج مصطفى بن عبد الله، رقم ٣٨١ أوقاف. وثيقة يحيى أغا، رقم ١٦٦٢ أوقاف. وقد أورد الجبرتى ذكر مكتبتين خاصتين، كانتا تتيحان إعارة كتبهما لأهل العلم وحواريه رغبة منهما فى نشر العلم هما : مكتبة آل الشرايبى، ومكتبة الجبرتى الكبير، راجع الجبرتى : عجائب الآثار، جـ١، ص ٢٠٨ ـ ٢٠٩، ص ٤٠١.

وعلى هذا المنوال صارت معظم المكتبات العثمانية تنسج خيوطها(١)، حتى دهم الفرنسيون مصر عام ١٧٩٨م، فتعرضت المكتبات المصرية من جديد للنهب والسرقة والتدمير، ومثال ذلك ما حدث لأروقة الجامع الأزهر وحاراته(٢) أثناء محاولة الفرنسيين اخماد ثورة القاهرة الأولى فى نفس العام، ويزودنا الجبرتى بصورة حية نابضة عن ذلك، وخاصة ما لحق بالمخطوطات والكتب من سلب ونهب(٣) واستغلال اليهود الفرصة للاستيلاء على المصاحف النفيسة والكتب الثمينة(٤). وما حدث لمكتبة الجامع الأزهر على أيدى رجال الحملة حدث أيضا لمختلف مكتبات المدارس(٥).

وعند خروج الحملة الفرنسية من مصر عام ١٨٠١م نقلت معظم الكتب والمخطوطات المتبقية إلى فرنسا حيث استقر معظمها فى المكتبة الأهلية بباريس، وقد بلغت حوالى ألفا

---

(١) من ذلك مكتبة عبد الرحمن كتخدا التى وقفها على رواق الصعايدة بالجامع الأزهر وبلغ عدد كتبها حوالى ألفى مجلد. راجع وثيقة وقف عبد الرحمن كتخدا رقم ١٠٩٣ أوقاف. الجبرتى : عجائب الاثار، جـ٢، ص ٥ ـ ٤٦ على مبارك الخطط التوفيقية، جـ٥، ص ٢٦٦ ـ ٢٧٤؛ راجع ايضا : عبد العزيز الشناوى : الازهر جامعا وجامعة، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٨٧م، جـ٢، ص ٢٦٨ ـ ٢٦٩.

من الجدير بالذكر أن حركة الكتب والمكتبات فى مصر العثمانية (١٥١٧ ـ ١٧٩٨م) لا تزال تنتظر من يكشف عن مختلف جوانبها ويسلط الضوء على خباياها وخواصها، لاسيما وأن أرشيف وزارة الأوقاف بالقاهرة والشهر العقارى، يحتفظان بمئات الوثائق والسجلات والحجج العثمانية التى تعج بالمعلومات الخاصة بالنواحى الإدارية والتنظيمية للمكتبات المصرية العثمانية.

(٢) حارات الأزهر هى الممرات والأماكن التى كانت توضع فيها الدواليب والخزائن الخاصة بطلبة الأروقة وتحتوى على ملابسهم وسائر امتعتهم، وتعتبر امتدادا مكانيا للاروقة، لكنها تختلف عن الاروقة فى انها لم تستخدم فى نوم الطلبة أو استذكار دروسهم فيها. راجع عبد العزيز الشناوى : الأزهر جامعا وجامعة، ص ٢٨٧ ـ ٢٨٨، وعن أروقة الأزهر ومكتباتها، راجع المصدر السابق والصفحات، على مبارك: الخطط التوفيقية، جـ٤، ص٢٩ ـ ٥٨.

(٣) الجبرتى: عجائب الآثار فى التراجم والاخبار، جـ٩، ص٢١.

(٤) عبد الله الشرقاوى : تحفة الناظرين فيمن ولى مصر من الولاة والسلاطين القاهرة، مطبعة بولاق، ١٢٨٦هـ، ص٥٥.

(٥) الجبرتى : المرجع السابق، جـ٣، ص٣٤؛ راجع ايضا : جلال يحيى : مصر الحديثة، الاسكندرية، منشأة المعارف، ١٩٦٩، ص ٥٤٤ ـ وما بعدها.

وخمسمائة مخطوطة عربية[١]، فضلا عما استولى عليه العلماء الفرنسيون والعسكريون من مكتبات المدارس والتكايا والمساجد وغيرها. وهكذا كان الخط البيانى للمكتبة المصرية فى عصورها المختلفة يرتفع وينخفض، ويزدهر ويتقلص وفقا لمقتضيات الظروف والأحوال التى مرت بها البلاد من سياسية واقتصادية واجتماعية وغيرها[٢].

هكذا تسربت الآلاف من المخطوطات العربية النفيسة التى كانت تشكل بنية المكتبات فى مصر فى العصر المماليكى إلى الخارج، تارة على أيدى العثمانيين وتارة أخرى على أيدى الأجانب وتجار الكتب، وذلك من جراء الجشع والطمع من ناحية، والاهمال من ناحية أخرى، وتفشى الجهل بين بعض المشرفين على المكتبات من نظار الوقف والخدام[٣] من ناحية ثالثة.

ومع كل ما تقدم ذكره من مصائب منيت بها المكتبات المملوكية، فقد وصل إلينا بعض ما سلم من مقتنياتها. ويرجع ذلك عدة أسباب منها:

أولا : كثرة عدد مقتنيات المكتبات المملوكية، نتيجة التنافس بين الواقفين من الأمراء والسلاطين وغيرهم فى مجال انشاء المكتبات على اختلاف أنواعها وبناء مجموعات فى مختلف العلوم والفنون[٤]، وكثرة عدد النسخ من المكتبات الواحد فى المكتبة الواحدة، ووجود الكتاب فى أكثر من مكتبة.

---

(١) محمد حميد الله : المخطوطات العربية فى باريس، مجلة معهد المخطوطات العربية، مج ٢، جـ٢ (١٩٥٦)، ص ٢٤٤؛ وراجع أيضا : محمد زهير البابا : التراث العربى فى المكتبة الوطنية بباريس، مجلة معهد المخطوطات العربية، مج ٦، ج ٢ (١٩٨٢) ص ٦٤٥ـ٦٦٣.

(٢) راجع : شعبان عبد العزيز خليفة : دار الكتب القومية، ص ١١٤؛ فيليب دى طرازى : خزائن الكتب العربية فى الخافقين، ص ١٩٠.

(٣) من ذلك ما ذكره فيليب دى طرازى أنه فى مطلع ولاية عباس الاول سنة ١٨٤٨م تم حصر مكتبات القاهرة وضمها لديوان الأوقاف المصرية ليتولى إدارتها ورعايتها وقد عين الديوان لها مشرفين يباشرونها ويعيرون الكتب لمن يرغب فى المطالعة والبحث. ولكن هؤلاء المشرفين كانوا أجهل الناس وأفقرهم، فقد عهد على سبيل المثال إلى رجل يدعى «ابن السليمانى» كان يحترف مهنة بيع القصب، بالاشراف على مكتبة مدرسة السلطان حسن، ومكتبة مدرسة ازبك من ططخ، ومكتبة مدرسة خوند بركة، ومكتبة مدرسة قايتباى، ورتب له الديوان راتبا شهريا قدره خمسة وعشرين قرشا. فسار هذا الخازن الفقير والجاهل يبيع المخطوطات للكتبيين والاجانب ليسد بها جوعه وجشعه : راجع : فيليب دى طرازى : المرجع السابق، ص ١٩٠.

(٤) راجع الفصل الأول من الكتاب من ص ٧٠ـ١٠٧.

ثانيا : نجاة معظم المكتبات الخاصة ومكتبات بعض المساجد من التخريب والتدمير والتفريط فى محتوياتها والذى تعرضت له معظم مكتبات المؤسسات التعليمية والصوفية .

ثالثا ـ لم شتات المخطوطات العربية . ذلك أن عددا من علماء مصر[١] فى نهاية القرن التاسع عشر هالهم ضياع الكتب وتسربها إلى الخارج واستشراء العبث والاهمال إلى بدية ما تبقى من مقتنيات المكتبات التى بددها الجشع والطمع والجهل، فكان أن عملوا على لم شتات ما بقى من مقتنيات مكتبات المدارس والمساجد والتكايا التى يرجع عدد غير قليل منها إلى العصر المماليكى فى مكتبات مركزية حديثة تُحفظ فيها المخطوطات بعد أن تعالج مما يكون قد أصابها من أمراض وتلف، وتخزن فى أماكن مناسبة، وتتاح للاستخدام العام بما يعيد روح الهدف الأصلى الذى وقفت من أجله وهو تيسير العلم والمعرفة .

وتضج بعض المكتبات العامة والجامعية فى مصر[٢] بالآلاف من تلك المخطوطات العربية، والتى تقدر بحوالى مائة وخمسين ألف مخطوطا منها ما يرجع إلى العصر المملوكى والعصور السابقة عليه، ومنها ما نسخ بعد ذلك . ومن الصعوبة بمكان معرفة أيا

---

(١) تذكر منهم على سبيل المثال : على باشا مبارك الإمام محمد عبده، فقد تنبه الأول إلى خطورة ما تعرضت له المخطوطات من إهمال وسطو وتهريب فعرض على الخديوى عباس جمع تلك الكتب من المدارس والمساجد والاضرحه فى مكتبة واحدة تكون وطنية لمصر على غرار المكتبة الأهلية فى باريس، فوافق الخديوى وأسست المكتبة فى ٢٣ مارس عام ١٨٧٠م. أما الامام محمد عبده مجدد الأزهر فى العصر الحديث فقد عمل على انشاء مكتبة عامة للأزهر جمع فيها شتات الكتب المتفرقة فى الأروقة و قد اختيرت المدرسة الاقبغاوية مقرا لهذه المكتبة، وذلك فى عام ١٨٩٦م. للمزيد عن هاتين المكتبتين وظروف تأسيسها ومراحل تطورهما. راجع : شعبان عبد العزيز خليفة : المرجع السابق، ص ١١٤ ـ ١٢٠ ؛ عبد العزيز الشناوى : الأزهر جامعا وجامعة ص ٣٠١ـ ٣٠٥.

(٢) تذكر من هذه المكتبات على سبيل المثال :

(أ) دار الكتب القومية بالقاهرة ويوجد بها حوالى ٧٠ ألف مخطوط عربى.

(ب) معهد المخطوطات العربية ويضم صور ميكروفيلمية لحوالى ٢٠ ألف مخطوط.

(جـ) المكتبة الأزهرية بالقاهرة وتضم حوالى ٣٥ ألف مخطوط.

(د) مكتبة بلدية الإسكندرية وتضم حوالى أربعة آلاف مخطوط.

(هـ) مكتبة مسجد أبو العباس المرسى بالاسكندرية وتضم حوالى ألف مخطوط.

(و) المكتبة العامة لجامعة الاسكندرية وتضم حوالى ألف مخطوط.

منها كان ضمن موجودات المكتبات المملوكية. بهدف دراستها والتعرف على حالتها العامة. وتتمثل هذه الصعوبة فى أن معظم هذه المكتبات لم تعد لمقتنياتها فهارس تحليلية[١] تعطى صورة كاملة لكل كتاب من ناحيتى الشكل والموضوع، الأمر الذى يعيننا على تكوين صورة واضحة عن هذه المخطوطات. فأغلبها لم يذكر تاريخ نسخ المخطوط أو بيان التمليكات والسماعات المثبتة عليه وغير ذلك من البيانات الضرورية التى يمكن عن طريقها التحقق من نسبة المخطوط إلى عصر معين[٢].

= (ز) مكتبة بلدية سوهاج (رفاعة الطهطاوى) وتضم حوالى ألف مخطوط.

(ح) المكتبة الاحمدية فى طنطا وتضم حوالى الف وخمسمائة مخطوط.

(ط) دار الكتب بالمنصورة وبها حوالى اربعمائة مخطوط.

(ى) ومكتبة بلدية دمنهور وبها حوالى مائتى مخطوط.

وغيرها من المكتبات. وللمزيد راجع: عزت ياسين أبو هيبة: المخطوطات العربية، فهارسها وفهرستها ومواطنها فى جمهورية مصر العربية، القاهرة الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٩، ص ٢١٣ - ٢٨١؛ كوركيس عواد: فهارس المخطوطات العربية فى العالم جـ٢ ص ٢٠٣ - ٢٣٦.

(١) جدير بالذكر أن المكتبة المصرية الوحيدة التى أعدت فهارس تحليلية لمخطوطاتها هى مكتبة دير سانت كاترين فى سيناء حيث قام الدكتور عزيز سوريال عطية باعداد هذه الفهارس باللغة الانجليزية عام ١٩٥٠ ولكنها لم تنشر وقام استاذنا الدكتور جوزيف نسيم يوسف بنقل الجزء الأول منها إلى اللغة العربية بعد الرجوع إلى النسخة الانجليزية ومضاهاتها بالمخطوطات الموجودة بمكتبة الدير ونشرت عام ١٩٧١ عن منشأة المعارف بالاسكندرية.

(٢) وإذا أضفنا إلى ذلك الإجراءات الإدارية والتعقيدات الروتينية التى تفرضها هذه المكتبات على الباحثين للاطلاع على المخطوطات إلى جانب عامل الزمن فانه يصبح من المتعذر بل من المستحيل القيام بالاطلاع عليها فى الوقت الحاضر وفرزها لمعرفة ما كان موجود منها فى مكتبات العصر المملوكى سواء ما نسخ فى هذا العصر أو ما يرجع إلى العصرين الأيوبى والفاطمى.

الخاتمـــة

إستعرضنا على امتداد فصول الرسالة الخمسة الحركة المكتبية فى مصر إبان عصر سلاطين المماليك، وطرحنا العديد من التساؤلات التى فرضت نفسها على بساط البحث ملحة فى طلب الإجابة عنها فى ضوء ماورد فى مصادر البحث وأصوله. وثبت أن المكتبة وجدت فى مصر المملوكية داخل كل منشأة كبيرة كانت أم صغيرة، لتلبية احتياجات مجتمعها حتى ولو كان محدودا. فكانت هناك المكتبات الخاصة، ومكتبات المساجد، ومكتبات المدارس، ومكتبات البيمارستانات، ومكتبات مؤسسات الصوفية من خوانق وربط وزوايا وخلاوى، ومكتبات الترب والمدافن والقباب. وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على أن الكتاب والمكتبة كانا جزءا لا يتجزأ من حياة الإنسان فى مصر المملوكية.

وأوضح الفصل الثانى أن المكتبات المملوكية لم يكن لها مبان مستقلة، لأنها كانت ملحقة بمؤسسات أخرى، ولكن المقتنيات كانت توضع فى أبنية ملحقة بالمنشأة التى تتبعها، وكانت المكتبة تحتل مكانا متوسطا ومناسبا من البناء كله، يسهل الوصول إليه ويتوافر فيه الهدوء والبعد عن الضوضاء الأمر الذى يسمح للمستفيدين بالتركيز فى القراءة والبحث. هذا من ناحية ومن ناحية أخرى زودت المكتبات المملوكية بوسائل التهوية والاضاءة الطبيعية، بهدف توفير جو صحى يتيح للمستفيد استخدام المكتبة والاستفادة فيها دون تعب أو مضايقات. كذلك أوضح الفصل الثانى أن المكتبة المملوكية استخدمت العديد من التجهيزات مثل الأثاث والأدوات الخاصة بحفظ المجموعات من كتبيات وصناديق الكتب ورفوفها، وكراسى الكتب، وأدوات الكتابة، وأدوات إعداد الكتب وتسجيلها وصيانتها. وفيما يتعلق بالموارد المالية ووجوه الإنفاق، فقد تبين أن المكتبات المملوكية اعتمدت بصفة أساسية ورئيسية على الوقف، فضلا عن بعض الهبات، والتبرعات. ومن هذه الموارد كان ينفق على مرتبات العاملين بالمكتبة، وصيانة وترميم المبنى والمجموعات والتجهيزات

والأدوات. ومن بين القضايا التي عرضت في هذا الفصل أيضا قضية الموارد البشرية في المكتبات المملوكية. فقد تبين أنه كان هناك فئات للعاملين، هم أمناء المكتبات، والمناولون، والوراقون، وكان لكل فئة صفاتها وآدابها وواجباتها. ومن بين النتائج العامة في هذا الفصل أيضا أن حجم الكتب في المكتبة المملوكية وموضوعاتها كان يتناسب تناسباً طرديا مع عدد المستفيدين ومقررات الدراسة في المؤسسة الأم.

وإذا كان الفصل الثاني قد ناقش القضايا المتعلقة بالاستفسارات من الثاني حتى السادس، والتي طرحناها في مقدمة الرسالة، فإن الفصل الثالث قد حمل إجابة السؤالين السابع والثامن. إذ تبين أن المكتبة المملوكية عرفت ما يشبه سياسة التزويد متمثلة في وثائق الوقف، التي كانت بمثابة لوائح تنظيمية للمكتبات ومؤسساتها. وتعددت مصادر التزويد ما بين شراء ووقف وإهداء ونسخ، ومن بين النتائج الهامة في هذا الفصل أن اختيار الكتب كان يتم بالتشاور بين أمين المكتبة والمدرسين بالمدرسة أو الأطباء بالبيمارستان، وهكذا في كل المؤسسات. كما عرفت المكتبات المملوكية نظم التسليم والتسلم، والتسجيل والسجلات، والجرد والفهرسة والفهارس والتصنيف والتجليد والترميم والصيانة.

وأما الفصل الرابع فقد حاولنا الإجابة فيه على الأسئلة من التاسع حتى الثالث عشر، والتي تدور حول الخدمات والأنشطة المكتبية. وقد تبين أن مواعيد فتح المكتبة للمترددين عليها وعدد ساعات العمل بها كان يختلف من مؤسسة لأخرى حسب لائحة كل منها وشروط الواقف. وكذلك الحال بالنسبة لأعداد المستفيدين وفئاتهم. وقد تعددت أنماط الإفادة. من المكتبة المملوكية بين خدمات الاطلاع الداخلي والنسخ، وخدمة الإعارة الخارجية، وارشاد القراء، والخدمات الببليوجرافية والتعليمية. وقد تناولنا في هذا الفصل، أيضا، تقييم الدور التربوي للمكتبة المملوكية. كذلك أثبتنا وجود أوجه شبه عديدة بين المكتبات المملوكية ومكتبات أوروبا في أخريات العصور الوسطى، وإن كانت المصادر التي تحت أيدينا لم تمدنا بأدلة تثبت أنه كان هناك اتصال بينهما.

وفي الفصل الخامس والأخير حاولنا تتبع أسباب ومظاهر تدهور أوضاع المكتبات

المملوكية والتفريط فى محتوياتها حتى زالت من الوجود خاصة فى الفترة الأخيرة من عصر دولة المماليك الثانية. وكان ذلك نتيجة سوء إدارة بعض المشرفين على المكتبات واستغلال بعض العلماء والقضاة لها ونهب موجودها. هذا، فضلا عن تدهور بعض المكتبات إما نتيجة لفقدها مصدر تمويلها وهو ريع الوقف لسبب من الأسباب، أو بفعل عوامل الجو الطبيعية. كما أبرزنا مدى تأثير الفتح العثمانى لمصر على المكتبات المملوكية وما تعرضت له من سلب ونهب من قبل الولاة الاتراك والعوام.

ولعل من أهم النتائج التى خرجنا بها على امتداد فصول الرسالة هى العلاقة الطردية بين أحوال المجتمع والمكتبات. فقد تبين أن الاستقرار السياسى والازدهار الاقتصادى، والنشاط الاجتماعى، والتقدم العلمى، الذى عاشته مصر إبان العصر المملوكى، كان له انعكاساته الطيبة وتأثيره الإيجابى على تقدم النهضة المكتبية والعكس صحيح أثناء فترة انتقال الحكم من المماليك إلى العثمانيين. فقد عانت الحركة المكتبية كثيرا بسبب تدهور الأحوال.

وعلى الرغم من أن منهج البحث التاريخى لا يستلزم تقديم مقترحات وحلول لمعالجة المشكلات والقضايا التى تمت مناقشتها، إلا أن هذا البحث - بحكم صلته بتاريخنا وتراثنا من ناحية، وبحكم ارتباطه العضوى والوثيق بالحركة المكتبية بمفهومها الدقيق للمعنيين بعلم المكتبات من ناحية أخرى - فيه ما يمكن تقديمه كتوصيات نرى إمكانية الاستفادة منها فى حياتنا المكتبية المعاصرة نجملها فيما يلى:

١ - إذا كانت الحركة المكتبية قد غزت جميع مرافق الحياة فى العصر المملوكى، وذلك إيمانا من رجال ذلك العصر بأهمية المكتبات كأداة تعليمية تربوية، فوفروا لها جميع عناصر تقديم الخدمة اعتمادا على الوقف كمورد مالى رئيسى للإنفاق على المبنى والتجهيزات والقوى البشرية والإجراءات الفنية والخدمات وغيرها، وإذا كانت مكتباتنا اليوم تعانى من تدهور الخدمات بسبب ضعف الميزانيات التى لم تعد تفى بتحقيق الحد الأدنى من الخدمات الأساسية للمكتبة، لذلك نرى ضرورة العودة إلى نظام الوقف

الخيرى كمورد مالى أبدى يكون سبيلا نحو بناء حركة مكتبية نشطة، كما كانت عليه فى العصر المملوكى، وهو ما يتطلب نشر الوعى لدى القاعدة العريضة من أبناء الشعب وخاصة الأثرياء منهم والعلماء بأهمية مشاركتهم فى دعم وتمويل المكتبات، وأن تتحمل نصيبها فى خدمة المجتمع.

٢ - تعميق الوعى لدى الدراسين والباحثين المعاصرين بالتجربة العربية فى مجال المكتبات بصفة عامة، والتجربة المملوكية بصفة خاصة، والتأكيد على الدور الحضارى لها والذى نعتبره القاعدة التى انطلقت منها الحضارة العربية الإسلامية والتى نفخر بها حتى اليوم والتى أسهمت فى الحقبة الوسيطة من التاريخ فى خروج أوروبا من عصر الظلمات إلى عصر النور. وإذا كان لنا من سبيل لبعث نهضتنا الحضارية فلنبدأ من المكتبة وعاء العلم والمعرفة كما فعل أسلافنا.

٣ - إذا كانت هذه الدراسة قد انصبت على حركة المكتبات فى عصر دولة المماليك فى مصر فقد كانت هناك نهضة مكتبية رائعة فى بلاد الشام فى العصر المملوكى أيضاً، تستحق الدراسة. كما أن فترة الحكم العثمانى لمصر عقب هزيمة المماليك حتى بداية الحملة الفرنسية لم تدرس بعد رغم وفرة المصادر التى تعج بالنصوص الخاصة بتاريخ المكتبات وقتذاك[1] هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، فإن تاريخ المكتبات فى المغرب العربى يمثل حقلا خصيبا للبحث لاسيما «التجربة الأندلسية»، وهى فى رأينا أخطر من التجربة الشرقية، ذلك لأنها دورة تاريخية متكاملة مرت بالأندلس بفتحها، ثم سقوطها. ومن ثم فالدرس المستخلص من التجربة فى ضوء ما ذكرنا يمكن أن يكون أغنى وأثمن. وعموماً، فإن مثل هذه الدراسات وغيرها مما يتناول تاريخ المكتبات فى العالم العربى إبان عصوره المختلفة، سوف يكون محصلتها فى النهاية مجموعة من التجارب والخبرات فى مجال المكتبات، ويمكن أن نفيد منها فى حياتنا المعاصرة، كما أنها تعتبر الأساس الذى يركز عليه علم المكتبات والمعلومات العربية.

---

(١) راجع ص ٢٤٢ - ٢٤٥ من الكتاب وما بها من مصادر.

الملاحــــق

الملحق الأول : ١٢ لوحة مصورة لنصوص وقفية من العصر المملوكى.

الملحق الثانى : جدول بمرتبات أمناء المكتبات فى العصر المملوكى.

الملحق الثالث : نص السخاوى عن خزانة الكتب بالمدرسة المحمودية وتولى ابن حجر العسقلانى أمانتها وإعداده فهارس لها، وموقفه من قضية إعارة الكتب. نقلا عن السخاوى : الجواهر والدرر فى ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر، ص ٧٨٢ - ٧٨٣، ١٣٧٦، ١٣٧٨ - ١٣٧٩.

تتصل هذه الملاحق الثلاثة اتصالا وثيقا بموضوع البحث، وتلقى الأضواء على العديد من مغاليقه وخباياه، وتكشف الغموض عن بعض قضاياه بمزيد من التفاصيل. والملحق الأول عبارة عن مجموعة من اللوحات المصورة لنصوص وقفية من العصر المملوكي. وتبدو أهمية هذه اللوحات في أنها تحمل نصوصا متباينة لوقف الكتب على المكتبات المملوكية، كما تحمل تمليكات المكتبات لها، وأختام التمليكات. والملحق الثاني جدول يوضح المرتبات الشهرية، والمستحقات الإضافية التى كان يتقاضاها أمناء المكتبات فى العصر المملوكي، استخرجناه من بطون الوثائق. ويبرز هذا الجدول التفاوت فى هذا المرتبات. وقد عالجنا ذلك تفصيلا فى الفصل الثانى من الكتاب.

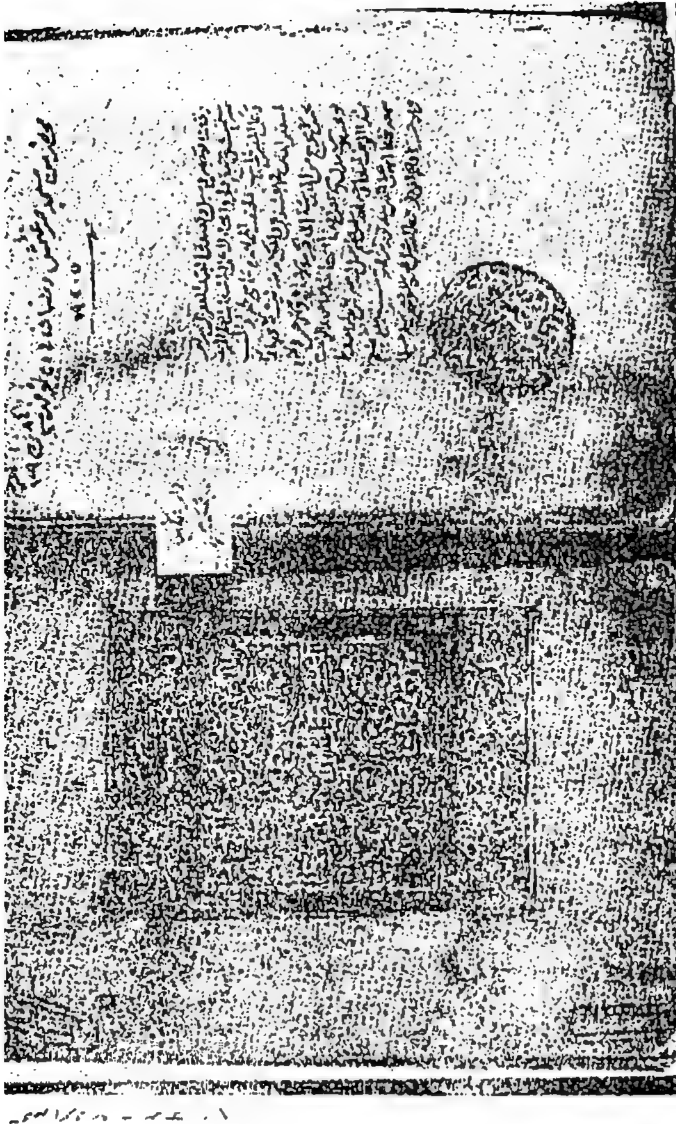
أما الملحق الثالث والأخير فهو نص السخاوى عن خزانة الكتب بالمدرسة المحمودية. وهو ينشر لأول مرة من مخطوطة «الجواهر والدرر فى ترجمة شيخ الاسلام ابن حجر»، وقد أضفنا إليه بعض التفسيرات فى الحواشي ويتناول هذا الملحق تولى ابن حجر العسقلانى خزانة الكتب بعد عزل خازنها الفخر عثمان، وإعداده فهارس لها. ويستفاد من النص أيضا تفريط بعض المشرفين على المكتبات فيما تحت أيديهم، كما يلقى الضوء على قضية الإعارة فى المكتبات المملوكية. وقد سبق مناقشة هذه الأمور فى مواضعها المناسبة من الكتاب.

الملحـــق الأول

١٢ لوحة

مصورة لنصوص وقفية من العصر المملوكى

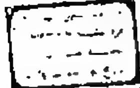
لوحة رقم ١



صفحتان من ربعة شريفة وقفها الأمير صرغتمش بمدرسته، رقم ١٥٠ الكتب. ويظهر على إحدى الصفحتين نص الوقفية وختم التمليكة.

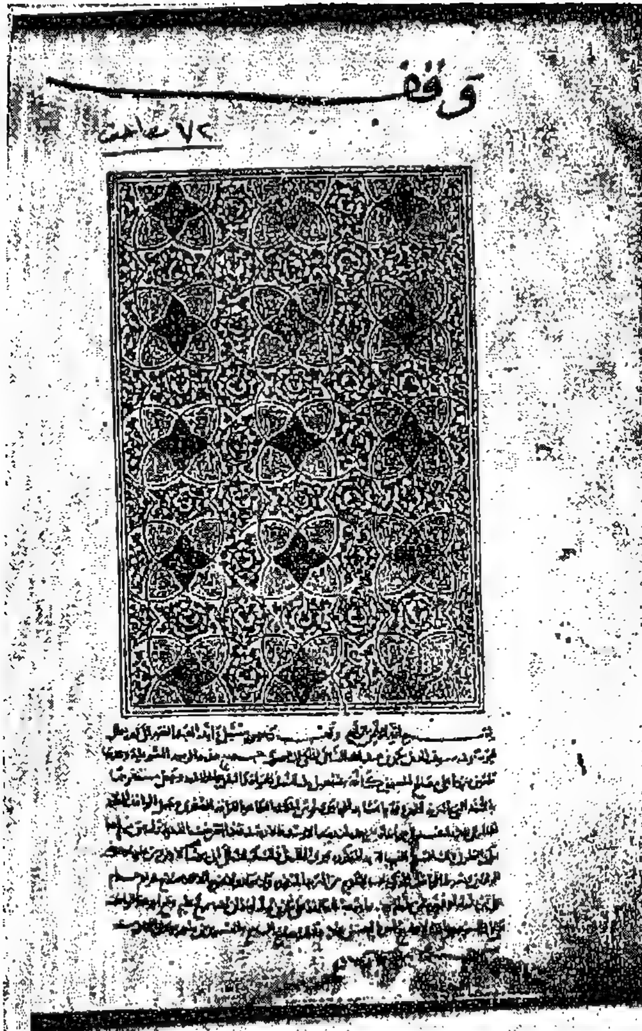
لوحة رقم ٢





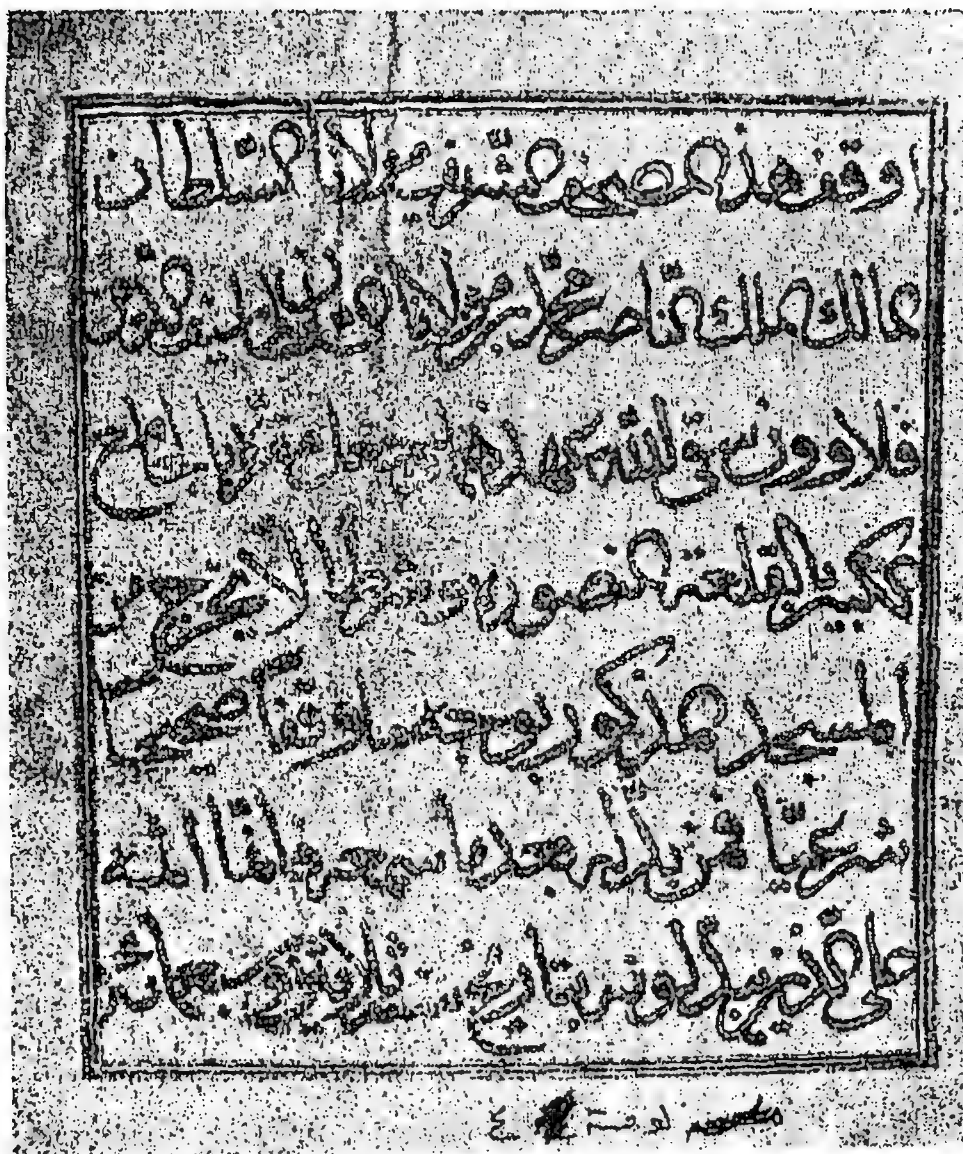
صفحة عنوان «الأول من كتاب التكملة والذيل والصلة لكتاب تاج اللغة وصحاح العربية تأليف الحسن بن محمد الصغانى (ت ٦٥٠ هـ/١٢٥٢م) من نسخة كتبت سنة ٦٤١هـ، برسم خزانه المدرسة الصرغتمشية (سيف الدين صرغتمش)، دار الكتب ٣ لغة.

لوحة رقم ٣



صفحة مزخرفة من ربعة الامير بكتمر الساقى، وبأسفلها نص الوقفية بتاريخ ٢٧ جمادى الآخر سنة ٧٢٦هـ، دار الكتب ٧٢ مصاحف.

لوحة رقم ٤



نص الوقفية الوارده على مصحف السلطان محمد قلاوون الذى وقفه على جامع بالقلعة سنة ٧٣٠هـ، مصحف رقم ٤ مصاحف دار الكتب.

لوحة رقم ٥

المجلد الحادي عشر من كتاب

تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام

صفحة عنوان المجلد الحادى عشر من كتاب «تاريخ الإسلام للحافظ الذهبى» (ت ٧٤٨هـ/١٣٤٧م) من نسخة بخط المؤلف وعليها قراءة على المؤلف للصفدى سنة ٧٣٥هـ. وفى زيل الصفحة وقفية النسخة المخطوطة على المدرسة المحمودية بالقاهرة (معهد المخطوطات العربية، مكتبة أيا صوفيا ٣٠٠٥).

لوحة رقم ٦

صفحة عنوان الجزء الثالث من تاريخ «كنز الدرر وجامع الغرر» تأليف أبى بكر من عبد الله بن أيبك من نسخة كتبها بخطه سنة ٧٣٦هـ، وعلى هامش الصفحة وقفية للكتاب وقد آلت هذه النسخة مع غيرها كثير إلى مكتبة أحمد الثالث بعد الفتح العثمانى (رقم ٩٣٢ أحمد الثالث، معهد المخطوطات).

لوحة رقم ٧



الصفحة الاولى من مصحف السلطان شعبان بن حسين وعليها نص الوقفية بتاريخ ١٥ شعبان سنة ٧٧٠هـ على مدرسته، (دار الكتب، ٩ مصاحف).

لوحة رقم ٨

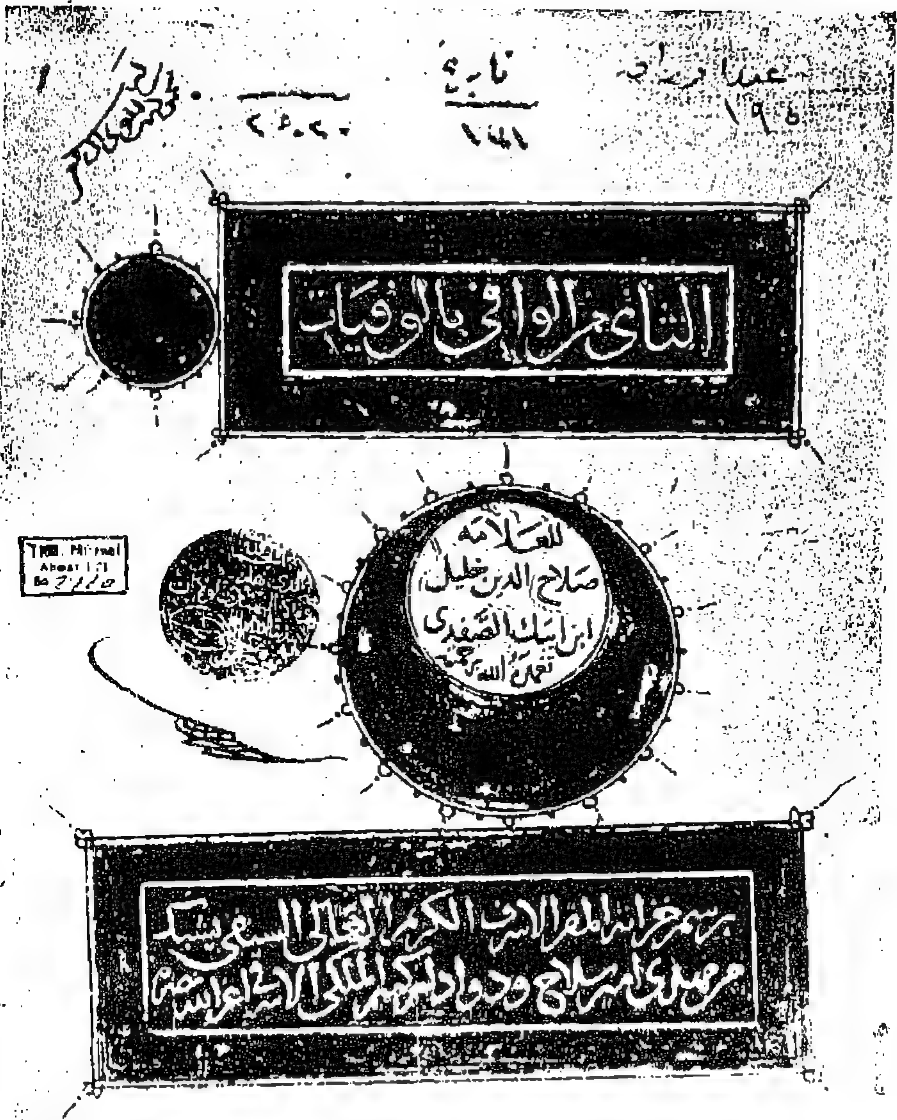
الصفحة الأولى من مشيخة محمد بن الحسين المراغي (ت٨١٦هـ/١٤١٣م) من نسخة كتبت سنة ٨١٥هـ في حياة المؤلف، وعلى الصفحة وقفية الكتاب على المدرسة الباسطية بالقاهرة سنة ٨٢٨هـ وختم التمليكة. (دار الكتب، ٩٧ مصطلح الحديث).

لوحة رقم ٩



نص الوقفية على مصحف السلطان برسباى بتاريخ يوم الجمعة ٢٥ ربيع الآخر سنة ٨٢٨ هـ على مدرسته بالقاهرة بخط الحريرين، وعليها تمليكة المكتبة، (دار الكتب، ٩٦ مصاحف).

لوحة رقم ١٠



صفحة عنوان الجزء الثانى من كتاب «الوافى بالوفيات» للصفدى نسخة كتبت برسم خزانه الأمير يشبك من مهدى الداودار وعليها تمليكة المكتبة.

وقد آلت هذه النسخة مع شقيقاتها إلى مكتبة أحمد الثالث بعد الغزو العثمانى لمصر (أحمد الثالث ـ ٢٩٢٠، مصدر المخطوطات العربية).

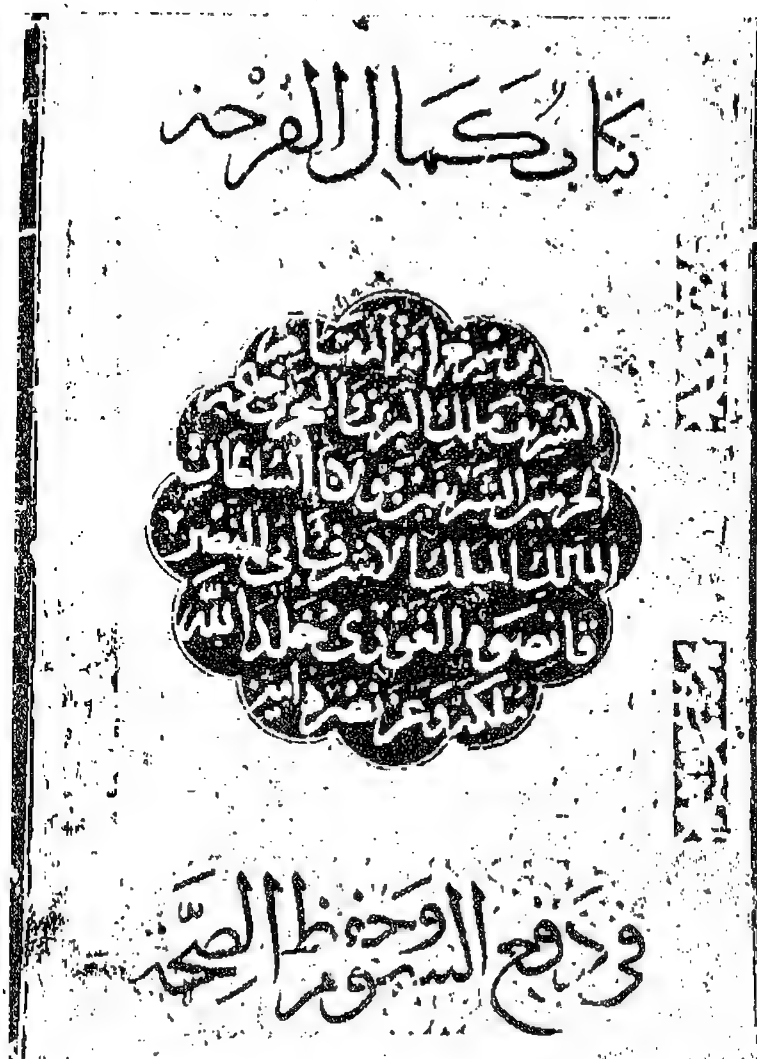
لوحة رقم ١١

١٢٦

وقف هذا المصحف الشريف مولانا
ومالك رقنا المقام الشريف السلطان المالك
الملك الأشرف أبو النصر قايتباي نصره الله تعالى
وتقبل منه ليقرأ فيه ويهدي ثواب القراءة للنبي
محمد عليه أفضل الصلاة والسلام ثم في صحيفة
مولانا الواقف نصره الله ثم في صحيفة ذريته
وأموات المسلمين وجعل مقره بجامعه الأشرفي
الكائن بخط الكشك [illegible] شرعيا [illegible] بشرط أن لا يخرج
من الجامع المذكور برهن ولا بغيره فمن بدله بعد ما سمعه
فإنما إثمه على الذين يبدلونه [illegible] سميع عليم
بتاريخ التاسع عشر من شهر الله المحرم الحرام
سنة تسعين وثمانمائة وحسبنا الله ونعم الوكيل

نص الوقفية وشهادة كل من محمد الأسيوطي وابن بكر بن أحمد الزعيفري محرم سنة ٨٩٠هـ على مصحف السلطان قايتباى الذى وقفه على مكتبة الكتب، ١٢٦ مصاحف).

لوحة رقم ١٢



صفحة عنوان «كمال الفرحة فى دفع السموم وحفظ الصحة» لمحمد بن محمد القوصونى، من نسخة كتبت سنة ٩١٢ هـ برسم خزانة قانصوه الغورى. (دار الكتب، ٧٧٩ طب)

الملحـــق الثانى

جداول بمرتبات أمناء المكتبات في العصر المملوكي.

الملحق الثاني

جدول يوضح المرتبات الشهرية والمستحقات الإضافية التي كان يتقاضاها أمين المكتبة المملوكية.

م	بيان المكتبة	سنة الإنشاء	المرتب الشهري	المستحقات الإضافية	مصدر المعلومات
١	أمين مكتبة المدرسة المنصورية (قلاوون)	٦٨٣ ـ ٦٨٤هـ/ ١٢٧٦ ـ ١٢٧٧م	٤٠ درهماً		المقريزي : السلوك، جـ١، ص ١٠٠١؛ النويري : نهاية الأرب (مخط)، جـ٢٩، ورقة ٨٣ ب.
٢	أمين مكتبة المدرسة الناصرية (محمد بن قلاوون)	٧٠٣هـ/١٣٠٣م	٣٠ درهماً		وثيقة الناصر محمد بن قلاوون، محكمة ٢٥، محفظة ٤.
٣	أمين مكتبة المدرسة الصرغتمشية	٧٥٢هـ/١٣٥٦م	٥٠ درهماً		وثيقة صرغتمش، ٣١٩٥ أوقاف.
٤	أمين مكتبة مدرسة السلطان حسن بن قلاوون	٧٥٨ ـ ٧٦٤هـ/ ١٣٥٧م ـ ١٣٦٣م	١٠٠ درهم	عشر دراهم في العشر الأواخر من رمضان ثمن ٣ رطل من السكر وسدس رطل من زيت الزيتون.	وثيقة السلطان حسن ٨٨١ أوقاف.

تابع الملحق الثاني

جدول يوضح المرتبات الشهرية والمستحقات الإضافية التي كان يتقاضاها أمين المكتبة المملوكية.

م	بيان المكتبة	سنة الإنشاء	المرتب الشهري	المستحقات الإضافية	مصدر المعلومات
٥	أمين مدرسة السلطان برقوق	٧٨٦-٧٨٨هـ/ ١٣٨٤-١٣٨٦م	١٥ درهماً	عشرين درهما شهريا نظير وظيفة الصوفية التي كان يشغلها نفس الامين.	وثيقة وقف برقوق، محكمة ٥١، محفظة ٩.
٦	أمين مكتبة مدرسة سودون من زاده.	٨٠٤هـ/١٤٠١م	٢٠ درهماً		وثيقة سودون من زاده، محكمة ٥٨، محفظة ١٠.
٧	أمين مكتبة المدرسة الإستدارية (جمال الدين يوسف الاستادار)	٨١٠-٨١١هـ/ ١٤٠٧-١٤٠٨م	١٠ دراهم		وثيقة جمال الاستادار، محكمة ١٠٦، محفظة ١٧.
٨	أمين مكتبة جامع فرج بن برقوق (الجامع الأبيض بالحوش السلطاني)	٨١٢هـ/١٤٠٩م	٢٠ درهماً		وثيقة فرج بن برقوق، محكمة ٦٦، محفظة ١١.

تابع الملحق الثاني

جدول يوضح المرتبات الشهرية والمستحقات الإضافية التي كان يتقاضاها أمين المكتبة المملوكية.

م	بيان المكتبة	سنة الإنشاء	المرتب الشهري	المستحقات الإضافية	مصدر المعلومات
٩	أمين مكتبة جامع المؤيد شيخ	٨١٨-٨١٩هـ/١٤١٥-١٤١٦م	٤٠ نصف فضة		وثيقة المؤيد شيخ، ٩٣٨ أوقاف.
١٠	أمين مكتبة المدرسة الاشرفية برسباى	٨٢٦-٨٢٩هـ/١٤٢٣-١٤٢٦م	٣٠٠ درهماً	ثلاثة أرطال من الخبز فى اليوم	وثيقة برسباى، رقم ٨٨٠ أوقاف.
١١	أمين مكتبة مدرسة قايتباى	٨٧٧-٩٠٦هـ/ ١٤٧٢-١٥٠١م	٢٠٠ درهماً	رطلان من الخبز فى اليوم	وثيقة قايتباى، رقم ٨٨٦ أوقاف.
١٢	أمين مكتبة مدرسة الأمير أزبك من ططخ	٨٨٠هـ/١٤٧٥م	٣٠٠ درهماً		وثيقة ازبك من ططخ، محكمة ١٩٨، محفظة ٣١.
١٣	أمين مكتبة المدرسة الغورية	٩٠٨-٩٠٩هـ/٩٥٠٣هـ/١٥٠٣	١٥٠٠ درهماً	هذا مرتب أمين المكتبة والفراش	وثيقة الغورى، ٨٨٣ أوقاف.
١٤	أمين مكتبة مدرسة قانى باى الرماح	٩٠٨هـ/١٥٠٣م	١٦ درهماً		وثيقة قانى باى الرماح، ١٠١٩ أوقاف
١٥	أمين مكتبة الإبشادى بالجامع الازهر	٩١٩هـ/١٥١٣م	٥أنصاف فضة		وثيقة الإبشادى، محكمة ٢٧٨، محفظة ٤٣.

الملحـــق الثالث

نص السخاوي المؤرخ عن خزانة الكتب بالمدرسة المحمودية عن كتاب

«الجوهر والدرر في ترجمة شيخ الاسلام ابن حجر»

ص ٧٨٢ - ٧٨٣. ١٣٧٦ - ١٣٧٩م.

«وأما خزن الكتب فإنه كا بيده خزانة الكتب بالمدرسة المحمودية الكائنة بالموازين، وكان قد عزل عنها خازنها الفخر عثمان المعروف بالطاغي في سنة ست وعشرين وثماني مائة لكونها نقصت بتفريطه العشر وهو أربعمائة مجلدة . وهذه الكتب من أنفس الكتب الموجودة الآن بالقاهرة، جمعها القاضي برهان الدين بن جماعة طوال عمره، ولما مات اشتراها محمود من تركة ولده، ووقفها، وشرط أن لا يخرج منها شيء من المدرسة . ولنفاسة كتبها رغب شيخنا[1] في مباشرتها بنفسه، وعمل لها فهرستا على الحروف غي أسماء[2] التصانيف ونحوها، وآخر على الفنون. وقد انتفع بذلك ونفع الله به، فإنه كان يقيم بها في الإسبوع غالبا يوما، وفي مدة الإسبوع يكتب في قائمة[3] . ما يحتاج لمراجعتها منها (نسبته)[4] في تصانيفه وغيرها ليتذكره في يوم حلوله بها كما شاهدته بخطه وتيسر على يدى عود[5] أشياء مما كان ضاع قبله . واستمرت بيده حتى مات»[6].

«وأما عاريته[7] للكتب فأمر انفرد به عن سائر أهل عصره حتى لا أعلم نظيره في ذلك بل كان يعيرها لمن يسافر بها، وربما افتدى كتب المحمودية التي تحت نظره بها حتى كان رحمه الله يقول لي لا تأخذ من كتب الخزانة إلا ما ليس في كتبي بل أقسم بالله

---

(١) المقصود بالشيخ هنا الإمام المؤرخ ابن حجر العسقلاني صاحب الترجمه.

(٢) في الأصل اسما بدون همزة.

(٣) في الأصل قايمة

(٤) هكذا في الأصل ويبدو ان المقصود هنا هي «إضافة».

(٥) أي إعادته.

(٦) السخاوي : الجواهر والدرر، ورقة ٧٨٢ ـ ٧٨٣ . وجدير بالذكر أنه إبن حجر توفي في عام ٨٥٢هـ/١٤٤٩م.

(٧) أي إعارته.

أنه نهاني عن الإستعارة من غيره . ورأيت معه في رمضان من السنة التي توفي فيها مجلدا كنت أحب الوقوف عليه، فالتمست منه عاريته بعد فراغ أريه من مطالعته، فقال نعم ومضى بقية الشهر وشوال وذو القعدة، واتفق دخولي مع الجماعة لعيادته في ذي الحجة فأشار إليّ فأخذته من بين كتبه...»[١].

«وسالته في فهرست الكتاب بخطه ففعل. ولو شرحت ما اتفق لي معه من ذلك لقضي العجب فكيف بغيري من جماعته، بل كان شديد الإنكار على من بخل بعارية الكتب بحيث سمعته مرة يقول أرسل إلى القاضي بدر الدين ابن السبتي المالكي يطلب السنن لأبي داود ليحدث به، فأعلمته بأن النسخة التي عندي بخطي وتعسر القراءة منه غالبا على من لم يكن من أهل الحديث، لكنه كان عند الأمير تغري برمشي[٢] الفقيه نسخة موقوفه بخط المحدث أبي العباس احمد الملقب بالملك المحسن بن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب[٣]، وهو إن كان الآن في بيت المقدس فهي عند فلان وسمى له بعض اصحابنا المحدثين، وقال له انه يطلبها منه فأرسل اليه، فانكروا وجودها وقال انها عند الامير مع كون سبطي[٤]، استكتب منها في هذه الأيام نسخة نسخة وفرغت أمس وأعادها إليه ، وصار يقضي العجب من ذلك ويقول هذا وهي وقف، فلو كانت ملكا ماذا كان يفعل...»[٥].

---

(١) السخاوي : الجواهر والدرر، ورقة ١٣٧٦ .

(٢) تغري برمش الناصري سيف الدين الجلالي نائب القلعة بالقاهرة، توفي في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي. راجع ترجمته في : السخاوي : الضوء اللامع، جـ٣، ص ٣٣ ـ ٣٤.

(٣) هو : صلاح الدين الأيوبي مؤسس الدولة الأيوبية.

(٤) السبط : هو ولد الإبن أو الإبنة، راجع : المعجم الوسيط جـ١ ص ٤٢٩.

(٥) السخاوي : المصدر السابق، ورقة ١٣٧٨ ـ ١٣٧٩ .

استقر فيها ابو الخير النحاس وهى الآن
بيد فقيه الشافعية الشرف المناوي.
واما خزن الكتب فانه كان بيده خزانة
الكتب بالمدرسة المحمودية الكاينة بالموازيين
وكان قد عزل عنها خازنها الفخر عثمان
المعروف بالطاهر في سنة [illegible] وتسعين
وثمانمايه لكونها نقصت نقيصة [illegible]
وهو اربعماية مجلدة لان كتبها كانت
اربعة آلاف مجلدة وهذه الكتب من انفس
الكتب الموجودة الآن باتفاق [illegible]
[illegible] برهان الدين ابن جماعة [illegible]
ولما مات [illegible] محمود [illegible]
[illegible] وشرط ان لا يخرج منها شي من
المدرسة [illegible]
[illegible]
على [illegible] التهذيب [illegible]
[illegible] على الفنون [illegible] بذلك [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

عملوا له [illegible] كما شاهدته بخطه وتيسر على
يديه عود اشياء مما كان ضاع قبله.
واستمرت بيده حتى مات فاخذها ابو [illegible]

١٣٧٦

وصفه حتى انه مكث في مرض موته
وهو مدة لا يعلم من يقرا عليه ليلا
بذلك مراعاة لخاطره وهو يتحمل المشقة
في ذلك الى ان اعيى فاعلمه بلطف .
واما عاريته للكتب فامر انفرد به
عن ساير اهل مصره حتى لا اعلم نظيره
في ذلك بل كان يعيرها لمن يسافر بها
وربما افتدى كتب المحمودية التي تحت
نظره بها حتى كان رحمه الله يقول
لي لا تاخذ من كتب الخزانة الا ما ليس في
كتبي بل اقسم بالله انه نهاني عن الاستعارة
من غيره ورايت معه في رمضان من السنة
التي توفي فيها مجلدا كنت احب الوقوف
عليه فالتمست منه عاريته بعد فراغ
اربه من مطالعته فقال نعم ومضى
بقية الشهر وشوال وذو القعدة واتفق
دخولي مع الجماعة لعيادته في ذي الحجة
فاشار الي فاخذته من بين كتبه هذا
وهو متعب وقد مضى من سؤالي له
نحو ثلاثة اشهر ولم ينس ذلك وبالله
قد رايت بعض اصحابنا انفر من ذلك فانا
لله

الظنها اربعة وجيتة به تقضى العجب
من ذلك وسالته فى فهرست الكتاب
بخطه ففعل ولو شرحت ما اتفق لى معه
من ذلك لقضى العجب فكيف بغيرى من
جماعته بل كان شديد الانكار على من
يبخل بعارية الكتب بحيث سمعته مرة
يقول ارسل الى القاضى بدر الدين ابن
السنى المالكى يطلب السنن لابى داود
ليجود به فاعلمته بان النسخة التى
عندى بخطى وتعسر القراءة منه غالبا
على من لم يكن من اهل الحديث لكنه كان
عند الامير تغرى برمش الفقيه نسخة
موقوفة بخط المحدث ابى العباس احمد
الملقب بالملك المحسن ابن السلطان صلاح الدين
يوسف بن ايوب وهو وان كان الان
فى بيت المقدس فهى عند فلان وسمى له
بعض اصحابنا المحدثين وقال له انه
يطلبها منه فارسل اليه فانكر وجودها
وقال انها عند الامير مع كون سبطى
استكتب منها فى هذه الايام نسخة
نسخة وفرغت امس واعادها اليه وصار
يقضى العجب من ذلك ويقول هذا وهى
وقف فلو كانت ملكا ماذا كان يفعل

قائمة المصادر والمراجع

أولا - الوثائق .

ثانيا - المصادر العربية المخطوطة والمصورة.

ثالثا - المصادر العربية المنشورة.

رابعا - المراجع العربية والمعربة (الكتب) .

خامسا - رسائل الماجستير والدكتوراه.

سادسا - مقالات الدوريات وابحاث الندوات والمؤتمرات.

سابعا - المراجع الأجنبية.

أولا ـ الوثائق [١]

(أ) أرشيف وزارة الأوقاف بالقاهرة:

اسم الوثيقة	الرقم	المحفظة	سنة الوقف
١ ـ وثيقة وقف الأمير قراقجا الحسنى	٩٢		٨٤٥هـ/١٤٤١م
٢ ـ وثيقة الزينى خشقدم	١٨٨		٨٣٧هـ/١٤٣٤م
٣ ـ وثيقة قجماش الاسحاقى	٦٧٩		٨٦٩هـ/١٤٦٤م
٤ ـ وثيقة السلطان قلاوون	٧٠٦		٦٨٤هـ/١٢٨٥م
٥ ـ وثيقة السلطان برسباى	٨٨٠		٨٢٧هـ/١٤٢٤م
٦ ـ وثيقة السلطان حسن بن قلاوون	٨٨١		٧٦٠هـ/١٣٥٨م
٧ ـ وثيقة السلطان قانصوه الغورى	٨٨٣		٩٢٢هـ/١٥١٦م
٨ ـ وثيقة السلطان قايتباى	٨٨٦		٩١٢هـ/١٥٠٧م
٩ـ وثيقة السلطان المؤيد شيخ المحمودى	٩٣٨		٨٢٣هـ/١٤٢٠م
١٠ ـ وثيقة السلطان قلاوون	١٠١٠		٦٨٥هـ/١٢٨٦م
١١ ـ وثيقة الأمير قانى باى قرا الرماح	١٠١٩		٩٠٨هـ/١٥٠٢م
١٢ وثيقة الصفوى جوهر اللالا	١٠٢١		٨٣١هـ/١٤٢٧م
١٣ وثيقة مغلطاى الجمالى	١٦٦٦		٧٢٩هـ/١٣٢٩م
١٤ ـ وثيقة الأمير صرغتمش	٣١٩٥		٧٥٧هـ/١٣٥٦م

(ب) وثائق المحكمة الشرعية (دار الوثائق القومية)

اسم الوثيقة	الرقم	المحفظة	سنة الوقف
١٥ ـ وثيقة السلطان قلاوون	١٥	٢	٦٨٥هـ/١٢٨٦م
١٦ ـ وثيقة السلطان حسام الدين لاجين	١٧	٣	٦٩٧هـ/١٢٩٧م

---

(١) جدير بالذكر أننا أطلعنا على جميع الوثائق المملوكية التى أورد د./محمد محمد أمين بياناتها فى «فهرست وثائق القاهرة» لكن نكتفى فى هذه القائمة بذكر الوثائق التى تحتوى على معلومات مباشرة أو غير مباشرة عن الكتب والمكتبات.

اسم الوثيقة	الرقم	المحفظة	سنة الوقف
١٧ ـ وثيقة السلطان الدين لاجين	١٨	٣	٦٩٧هـ/١٢٩٧م
١٨ ـ وثيقة السلطان بيبرس الجاشنكير	٢٢	٤	٧٠٧هـ/١٣٠٧م
١٩ ـ وثيقة السلطان محمد بن قلاوون	٢٥	٤	٧٢٥هـ/١٣٢٥م
٢٠ ـ وثيقة جمال الدين محسن الاخميمي	٣٢	٥	٧٤٤هـ/١٣٤٣م
٢١ ـ وثيقة السلطان حسن بن قلاوون	٣٧	٦	٧٥٩هـ/١٣٥٨م
٢٢ ـ وثيقة محمد بن بدر العباس	٤٣	٧	٧٦٥هـ/١٣٦٣م
٢٣ ـ وثيقة الجمالى عبد الله	٤٦	٧	٧٦٧هـ/١٣٦٥م
٢٤ ـ وثيقة خوند بركة	٤٧	٧	٧٧١هـ/١٣٦٩م
٢٥ ـ وثيقة السيفى سودون من زادة	٥٨	١٠	٨٠٤هـ/١٤٠١م
٢٦ ـ وثيقة مقبل الرومى الزمام	٦١	١٠	٨٠٧هـ/١٤٠٤م
٢٧ ـ وثيقة السلطان فرج بن قلاوون	٦٦	١١	٨١٢هـ/١٤٠٨م
٢٨ ـ وثيقة شمس الدين الواسطى	٧٠	١١	٨١٥هـ/١٤١٢م
٢٩ ـ وثيقة الصفوى جوهر اللالا	٨٥	١٤	٨٣٤هـ/١٤٣١م
٣٠ ـ وثيقة الصفوى جوهر اللالا	٨٦	١٤	٨٣٤هـ/١٤٣١م
٣١ ـ وثيقة السلطان جقمق	٩٧	١٥	٨٥٤هـ/١٤٣٩م
٣٢ ـ وثيقة الأمير تغرى بردى	٩٨	١٦	٨٤٤هـ/١٤٤٠م
٣٣ ـ وثيقة الجمالى يوسف ناظر الخواص	١٠٥	١٦	٨٤٩هـ/١٤٤٥م
٣٤ ـ وثيقة جمال الدين يوسف الإستادار	١٠٦	١٧	٨٥٢هـ/١٤٤٨م
٣٥ ـ وثيقة القاضى يحيى بن زين الدين	١١٠	١٧	٨٥٥هـ/١٤٥١م
٣٦ ـ وثيقة يشبك بن عبد الله	١٢١	٢٠	٨٦٤هـ/١٤٥٩م
٣٧ ـ وثيقة أبو المحاسن بن تغرى بردى	١٤٧	٢٣	٨٧٠هـ/١٤٦٥م
٣٨ ـ وثيقة أبو زكريا يحيى	١٥٤	٢٤	٨٧١هـ/١٤٦٦م

٣٩ ـ وثيقة برسباى الدقماقى	١٧٣	٢٧	٨٢٧هـ/١٤٢٤م
٤٠ ـ وثيقة عيسى الزواوى	١٨٦	٢٨	٨٧٨هـ/١٤٧٣م
٤١ ـ وثيقة السلطان قايتباى	٢١٠	٣٣	٨٩٥هـ/١٤٩٠م
٤٢ ـ وثيقة بدر الدين الوفائى	٢٢١	٣٥	٩٠٢هـ/١٤٩٧م
٤٣ ـ وثيقة الزينى عبد اللطيف أنسباى	٢٢٢	٣٥	٩٠٣هـ/١٤٩٨م
٤٤ ـ وثيقة عبد الرحمن المغربى	٢٥٣	٤٠	٩١١هـ/١٥٠٦م
٤٥ ـ وثيقة على بن سليمان الإبشادى	٢٧٨	٤٣	٩١٩هـ/١٥١٣م

ثانيا ـ المخطوطات والمصورات والميكروفيلم

١ ـ **ابن أبى السرور**، محمد بن السيد (ت١٠٢٨هـ/١٦١٩م):

(أ) **عيون الأخبار ونزهة الإبصار**، دار الكتب المصرية ـ القاهرة رقم ٧٢ تاريخ.

(ب) **النزهة الذاهية فى ذكر ولاة مصر والقاهرة المعزية**، دار الكتب المصرية ـ القاهرة، رقم ٢٢٦٦ تاريخ.

٢ ـ **ابن أيبك**، أبو بكر بن عبد الله (ت٧٣٢هـ/١٣٣١م):

(أ) **درر التيجان وغرر تواريخ الزمان**، دار الكتب المصرية ـ رقم ٤٤٩ تاريخ.

(ب) **كنز الدرر وجامع الغرر**، ٩ أجزاء، دار الكتب المصرية، رقم ٤٦٤٣ تاريخ.

٣ ـ **ابن بهادر**، محمد بن محمد (ت ق ٩هـ/١٥م):

فتوح النصر فى تاريخ ملوك مصر، جزآن، دار الكتب المصرية، رقم ٢٣٩٩ تاريخ، تصوير شمس.

٤ـ ابن تغرى بردى، جمال الدين ابو المحاسن يوسف (ت٨٧٤هـ/١٤٦٩م):

المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى، دار الكتب المصرية، ٢٠٩ تيمور.

٥ـ ابن حبيب، الحسن بن عمر بن الحسن بن عمر (ت ٧٧٩هـ/ ١٣٧٧م):

درة الأسلاك فى دولة الأتراك، دار الكتب المصرية، رقم ٦١٧٠، تصوير شمس.

٦- **ابن حجر العسقلانى**، شهاب الدين احمد بن على بن محمد (ت٨٥٢هـ/١٤٤٨م):

تاريخ المائة التاسعة، دار الكتب المصرية، رقم ٤٧٦٧ تاريخ، تصوير شمس.

٧- ابن دقماق، صارم الدين ابراهيم بن محمد (ت٨٠٩هـ/١٤٠٧م):

(أ) **الجوهر الثمين فى سير الملوك والسلاطين**، دار الكتب المصرية رقم١٥٢٢ تاريخ.

(ب) **نزهة الأنام فى تاريخ الإسلام**، دار الكتب المصرية، رقم ١٧٤٠ تاريخ.

٨- **ابن زنبل الرمال**، أحمد بن على بن أحمد المحلى (ت٩٦٠هـ/١٥٥٥م):

تاريخ السلطان سليم مع قانصوه الغورى، دار الكتب، رقم ٤٤ تاريخ.

٩- **ابن الفرات**، ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم بن عبد الرحيم بن على (ت٩٠٧هـ/١٥٠١م):

تاريخ الدول والملوك، ١٨ مجلد، دار الكتب المصرية، رقم٣١٩٧ تاريخ، تصوير شمس.

١٠- **بامخرمه**، أبو محمد بن عبد الله (ت ق ١٠هـ/١٦م):

قلادة الفخر فى وفيات أعيان الدهر، ٦ مجلد، مصور بدار الكتب المصرية رقم ١٦٧ تاريخ.

١١- **البيضاوى**، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله عمر (ت ٦٨٥هـ/١٢٨٦م):

تعريفات العلوم وموضوعاتها، معهد المخطوطات العربية، بالقاهرة، رقم ٤ معارف عامة.

١٢ ـ **البكرى**، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبن السرور (ت١٠٨٧هـ/١٦٧٦م):

قطف الأزهار من الخطط والآثار، دار الكتب المصرية، رقم٤٠٧ جغرافيا.

١٣ ـ السخاوى، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن (٩٢٠هـ/١٥١٤م):

الجواهر والدرر فى سيرة شيخ الإسلام ابن حجر، دار الكتب المصرية رقم ١١٤٧٠ح.

١٤ـ السيوطى، جلال الدين عبد الرحمن (ت٩١١هـ/١٥٠٥م):

تاريخ السلطان الأشرف قايتباى. دار الكتب المصرية، رقم ٦١ تاريخ.

١٥ـ الشيلى اليمنى، جمال الدين أبو علوى محمد بن أبى بكر (ت١٠٩٣هـ/١٦٨٢م):

السنا الباهر بتكميل النور السافر فى أخبار القرن العاشر، دار الكتب المصرية، رقم ١٥٨٦ تاريخ.

١٦ـ الصفدى، صلاح الدين خليل (ت ٧٦٤هـ/١٣٦٣م):

(أ) **أعيان العصر وأعوان النصر**، ٦ مجلد، دار الكتب المصرية، رقم ١٠٩١ تاريخ.

(ب) الوافى بالوفيات، ١٧ مجلد، دار الكتب المصرية، رقم ٢١٩ تاريخ تصوير شمس.

١٧ـ العمرى، فضل الله (ت ٧٤٨هـ/١٣٤٨م):

مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار، ٤ مجلد، دار الكتب المصرية رقم ٥٦ معارف عامة (تصوير شمسى).

١٨ ـ العينى، بدر الدين محمود (ت ٨٥٥هـ/١٤٥١م):

عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان، ٦٩ مجلد، دار الكتب المصرية رقم ١٥٨٤ تاريخ، ، تصوير شمس.

١٩ـ الفيومى، أحمد بن محمد بن على (ت ٧٧٠هـ/١٣٦٨م):

نشر الجمان فى تاريخ أهل الأعيان، ٢ مجلد، دار الكتب المصرية، رقم ١٧٤٦ تاريخ.

٢٠ـ القرمانى، أبو العباس أحمد حلب بن يوسف بن أحمد (ت ١٠١٩هـ/١٥٥٧م):

أخبار الدول وآثار الأول، دار الكتب المصرية، رقم ١٩٢١ تاريخ.

٢١ـ الكتبى، محمد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن فخر الدين (ت ٧٦٤هـ/١٣٦٣م):

عيون التواريخ، ١٦ مجلد، دار الكتب المصرية، رقم ١٤٩٧ تاريخ تصوير شمس.

٢٢ـ المقدسى، مرعى بن يوسف (ت ١٠٣٣هـ/١٦٢٢م):

نزهة الناظرين فى تاريخ من ولى مصر من الخلفاء والسلاطين، دار الكتب المصرية، رقم ٢٥٧٦ تاريخ.

٢٣ـ النويرى، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب بن محمد (ت ٧٣٢هـ/١٣٢٢م):

نهاية الأرب فى فنون الأدب، ٥٥ مجلدا، دار الكتب المصرية، رقم ٥٤٩ معارف عامة، تصوير شمس.

ثالثا ـ المصادر العربية المطبوعة

١ـ ابن أبى أصيبعة، موفق الدين أبو العباس أحمد القاسم (ت ٦٦٨هـ/ ١٢٧٠):

عيون الأنباء فى طبقات الأطباء، تحقيق نزار رضا، بيروت، دار مكتبة الحياة ١٩٦٥ .

٢ـ ابن أبى الوفاء القرشى، محى الدين عبد القاهر بن محمد (ت٧٧٥هـ/١٣٧٣م) :

الجواهر المضية فى طبقات الحنفية، تحقيق عبد الفتاح الحلو، الرياض دار العلوم، ١٩٧٨ .

٣ـ ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن على بن محمد بن أبى الكرم (ت ٦٣٠هـ/١٢٣٣م) :

الكامل فى التاريخ، ١٢ جزء، القاهرة، ١٩٨٢ .

٤ـ ابن أسعد اليافعى، أبو محمد عبد الله (ت٦٧٨هـ/١٣٦٦م) :

مرآة الجنان وعبرة اليقظان فى معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، الهند، ١٩١٨ ـ ١٩٢٠ .

٥ـ ابن الاكفانى، شمس بن ابراهيم بن ساعد الأنصارى السنجارى(ت٧٤٩هـ/١٣٤٨) :

ارشاد القاصد إلى أسنى المقاصد، تحقيق محمد العبد، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٨ .

٦ـ ابن اياس، محمد بن أحمد الحنفى (ت٩٣٠هـ/١٥٢٤م) :

بدائع الزهور فى وقائع الدهور، ٥ جزء، تحقيق محمد مصطفى، القاهرة الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٣ ـ ١٩٨٤ .

٧ـ ابن أيبك الدوادارى، أبو بكر بن عبد الله (ت بعد ٧٣٦هـ/١٣٣٥م) :

كنز الدرر وجامع الغرر:

(أ) الجزء الثامن : **الدرة الذكية فى أخبار الدولة التركية**، تحقيق أولريخ هارمان، القاهرة، ١٩٧١ .

(أ) الجـزء التـاسع: **الدرر الفـاخر فى سيـرة الملك الناصـر**، تحقيق هانس روبرت دويمر، القاهرة، ١٩٦٠م.

٨ ـ ابن أيبك الصفدى، صلاح الدين خليل (ت ٧٦٤هـ/١٣٦٢م):

الوافى بالوفيات:

الجزء الأول، تحقيق هـ ، ريتر، استانبول، ١٩٣١م.

الجزء الثانى، تحقيق س.د بدرينغ، استبانبول ١٩٤٩ .

الجـزء الثـالث والرابع والخـامس والسـادس، تحـقـيق س، ويدرينـغ، دمـشق ١٩٥٢، ١٩٥٩، ١٩٦٧، ١٩٧٢م.

الجزء السابع، تحقيق احسان عباس، بيروت، ١٩٥٩ .

٩ـ **ابن بطوطة:** أبو عبد الله محمد بن عبد الله الصنجى (ت ٧٧٩هـ/١٧٧٧م):

تحـفـه الأنظار فى غـرائب الأمـصـار وعـجـائب الأسـفـار، جزء، القاهرة ١٩٥٨م:

١٠ـ ابن تغرى بردى، جمال الدين أبو المحاسن يوسف (ت٨٧٤هـ/١٤٦٩م):

(أ) **الدليل الشافى على المنهل الصافى**. تحقيق فهيم شلتوت، جزءان مكة المكومة، مركز البحث العلمى، ١٩٧٤م.

(ب) **المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى.**

جـ١ ,٢ تحقيق محمد محمد أمين، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٤م.

جـ٣، تحقيق نبيل محمد عبد العزيز، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٥م.

جـ٤، تحقيق محمد محمد أمين، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٦م.

جـ٥، تحقيق نبيل محمد عبد العزيز، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٨م.

جـ٦، تحقيق نبيل محمد عبد العزيز، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٩م.

(جـ) **النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة**، ١٢ جزء، القاهرة، ١٩٢٩-١٩٥٦م.

١١- ابن جماعة، بدر الدين ابراهيم سعد الله، (ت ٧٣٣هـ/١٣٣٢م) :

تذكرة السامع والمتكلم فى أدب العالم والمتعلم، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، بيروت، ١٩٦٧م.

١٢- ابن الجوزى، ابو الفتوح عبد الرحمن بن على، (ت ٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م) :

المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم، ١٠ أجزاء، الهند، ١٣٥٨هـ/ .

١٣- ابن الجيعان، شرف الدين ابو البقاء يحى علم الدين شاكر (ت ٨٨٥هـ/ ١٤٨٠) :

التحفة السنية بأسماء البلاد المصرية، نشر موريتز، القاهرة، ١٨٩٦.

١٤- ابن الحاج، أبو عبد الله محمد بن محمد العبدرى (ت ٨٣٧هـ/١٤٣٣م) :

المدخل : **مدخل الشرع الشريف على المذهب**، أربعة أجزاء، القاهرة ١٩٢٩.

١٥- ابن حبيب، حسن بن عمر بن الحسن بن عمر (ت ٧٧٩هـ/١٣٧٧م) :

تذكرة النبية فى أيام المنصور وبنيه، ثلاث أجزاء، تحقيق محمد محمد أمين مراجعة سعيد عبد الفتاح عاشور، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٦-١٩٨٦.

١٦- ابن حجر العسقلانى، احمد بن على (ت ٨٥٢هـ/١٤٤٨م):

١ - **انباء الغمر بأنباء العمر**، ٣ أجزاء، تحقيق حسن جبشى، القاهرة ١٩٦٩.

٢- **الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة**، ٤ أجزاء، الهند، ١٩٢٩م.

٣- **رفع الاصر عن قضاة مصر**، جزءان، تحقيق حامد عبد الموجود وآخرون، القاهرة، ١٩٥٧م.

١٧- ابن الحسن الحسينى، شمس الدين أبو المحاسن (ت ٧٦٥هـ/١٣٦٤م):

زيل تذكرة الحفاظ، بيروت، دار إحياء التراث، ١٩٨٦م.

١٨- ابن خلدون، عبد العزيز بن محمد (ت ٨٠٨هـ/١٤٠٥م):

(أ) **العبر وديوان المبتدأ والخبر...**، ٤ جزء القاهرة، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م.

(ب) المقدمة، القاهرة، مطبعة بولاق، ١٣٢١هـ/١٩٠٣م.

١٩- ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين احمد بن محمد (ت ٦٨١هـ/١٢٨٢م):

وفيات الأعيان وأبناء أبناء الزمان، تحقيق احسان عباس، بيروت، دار صادر،١٩٧٧.

٢٠- ابن دقماق، صارم الدين ابراهيم بن محمد بن ايدمر (ت٨٠٩هـ/ ١٤٠٦م):

الانتصار لواسطة عقد الأمصار، جـزء ٤-٥، القـاهرة، مطبـعـة بولاق ١٣٠٩هـ/١٨٩٠م.

٢١- ابن الزيات، شمس الدين محمد (ت ق ٩هـ/١٥م):

الكواكب السيارة فى ترتيب الزيارة فى القرافتين الصغرى والكبرى، القاهرة ١٩٠٧م.

٢٢- ابن سعيد، على بن موسى بن محمد عبد الملك (ت ٦٨٥هـ/ ١٢٨٦) المغرب فى حلى المغرب:

(أ) **الاغتباط فى حلى حضرة الفسطاط**، تحقيق زكى محمد حسن وآخرون القاهرة، ١٩٥٣م.

(ب) **النجوم الزاهرة فى حلى حضرة القاهرة**، تحقيق حسين نصار، القاهرة، ١٩٧٠م.

٢٣- ابن شاكر الكتبى، محمد بن شاكر بن احمد (ت ٧٦٤هـ/١٣٦٢م):

(أ) **فوات الوفيات**، ٢ جزء، تحقيق احسان عباس، بيروت، دار صادر ١٩٧٣م.

(ب) **عيون التواريخ**، جـ٢٠، تحقيق نبيله عبد المنعم داود وفيصل السامر بغداد، وزارة الثقافة، ١٩٨٤م.

٢٤- ابن شاهين الظاهرى، غرس الدين بن خليل (ت٨٧٢هـ/ ١٤٦٧م):

كتاب زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك، نشر بولس روايس، باريس١٨٩٤م.

٢٥- ابن شداد، بهاء الدين يوسف بن رافع (ت٦٣٢هـ/١٢٣٤م):

النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، تحقيق جمال الدين الشيال، القاهرة، ١٩٦٤م.

٢٦- ابن الصيرفى، على بن داود الجوهرى (ت ٩٠٠هـ/١٤٩٤م):

(أ) **أنباء المصر بأبناء العصر**، القاهرة، دار الفكر العربى، ١٩٢٠م.

(ب) **نزهة النفوس والأبدان فى تواريخ الزمان**، ٣ جزء، القاهرة، دار الفكر العربى، ١٩٦٩م.

٢٧- ابن طولون، شمس الدين محمد (ت ٩٥٣هـ/١٥٤٦م):

مفاكهة الخلان فى حوادث الزمان: تاريخ مصر والشام، تحقيق محمد مصطفى القاهرة، ١٩٦٩م.

٢٨- ابن ظهيرة، جمال الدين محمد بن ابى بكر (ت ق ٩هـ/١٥م):

الفضائل الباهرة فى محاسن مصر والقاهرة، تحقيق مصطفى السقا وكامل المهندس، القاهرة، ١٩٦٩م.

٢٩- ابن عبد الظاهر، محى الدين بن عبد الظاهر (ت ٦٩٢هـ/١٢٩٢م):

١ - **تشريف الأيام والعصور فى سيرة الملك المنصور**، تحقيق مراد كامل القاهرة ١٩٦١م.

٢- **الروض الزاهر فى سيرة الملك الظاهر**، تحقيق عبد العزيز الخويطر، الرياض، ١٩٧٦م.

٣٠- ابن العماد : أبو الفلاح عبد الحى بن العماد الحنبلى (ت ١٠٨٩هـ/١٦٧٨م):

شذرات الذهب فى أخبار من ذهب، ٨ أجزاء، بيروت، دار صادر ١٩٨١.

٣١- ابن الفرات: ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم (ت ٨٠٧هـ/١٤٠٤م):

تاريخ الدول والملوك المعروف بتاريخ ابن الفرات.

(أ) جزء ٤، تحقيق حسين محمد الشماع، البصرة، ١٩٦٩م.

(ب) جزء ٧، ٨، ٩، نشر قسطنطين زريق ونجلاء عز الدين، بيروت ١٩٤٢م.

٣٢- ابن فرحون: برهان الدين ابراهيم بن على بن محمد بن فرحون اليعمرى (ت٧٧٩هـ/١٣٧٧م):

الديباج المذهب فى معرفة علماء المذهب، القاهرة، ١٣٢٩هـ/١٩٠٩م.

٣٣- ابن فضل الله العمرى: شهاب الدين احمد (ت ٧٤٢هـ/١٣٤١م):

التعريف بالمصطلح الشريف، القاهرة، ١٩٦٩م.

٣٤- ابن الفوطى، عبد الرازق أحمد (ت ٧٢٣هـ/١٣٢٣م):

(أ) **تلخيص مجمع الآداب فى معجم الألقاب**، دمشق وزارة الثقافة والارشاد القومى، دون تاريخ.

(ب) **الحوادث الجامعة والتجارب النافعة فى المائة السابعة**، بغداد المكتبة العربية، ١٩٣٢م.

٣٥- ابن القاضى: ابو العباس أحمد بن محمد المكناسى (١٠٢٥هـ/١٦١٥م):

درة الجمال فى أسماء الرجال، تحقيق محمد الأحمدى أبو النور، ٤ أجزاء القاهرة، ١٩٧٠م.

٣٦- ابن كثير، عماد الدين اسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤هـ/٢٣٧٢م):

البداية والنهاية، ٤ أجزاء، بيروت، مكتبة المعارف، ١٩٦٦ ـ ١٩٧٧م.

٣٧ـ ابن المبرد، جمال الدين الحنبلى (ت ٩٠٩هـ/ ١٥٠٢م):

معجم الكتب: أتمه عبد الله بن داود الزبيرى الحنبلى، تحقيق ودراسة يسرى عبد الغنى البشرى، القاهرة، مكتبة ابن سيناء ١٩٨٩م.

٣٨ـ ابن منظور، محمد بن مكرم (ت ٧١١هـ/١٣١١م):

لسان العرب، ٢٠ جزء، القاهرة، دار المعارف، ١٩٨٠م.

٣٩ـ ابن ميسر، محمد بن على بن يوسف بن حلب (٦٧٧هـ/١٢٧٨م):

أخبار مصر، اعتنى بنشره هنرى ماسيه، ٢ جزء، القاهرة ١٩١٩م.

٤٠ـ ابن الوردى، زين الدين عمر الوردى (ت ٧٥٠هـ/١٣٤٩م):

تتمة المختصر فى أخبار البشر، القاهرة ١٨٦٨م.

٤١ـ أبو شامة، شهاب الدين عبد الرحمن بن اسماعيل (ت ٦٦٥هـ/١٢١٧م):

(أ) **الروضتين فى أخبار الدولتين**، جزءان، القاهرة، ١٢٨٦م.

(ب) **تراجم رجال القرنين السادس والسابع المعروف بالزيل على الروضتين**، نشر السيد عزت العطار الحسينى، ط٢، بيروت ١٩٧٤م.

٤٢ـ أبو الفدا: عماد الدين اسماعيل بن على (ت ٧٣٢هـ/٣٣١م):

المختصر فى تاريخ البشر ويعرف بتاريخ أبى الفدا، ٤ أجزاء القاهرة ١٩٠٦م.

٤٣ـ الإدفوى، كمال الدين أبو الفضل جعفر بن ثعلب (ت ٧٤٨هـ/١٣٤٧م):

الطالع السعيد الجامع لأسماء نجباء الصعيد، تحقيق سعد محمد حسن، القاهرة، ١٩٦٦م.

٤٤ـ الاسحاقى، محمد بن عبد المعطى أبى الفتح بن أحمد بن عبد المغنى (ت ق ١١هـ/ ١٧م):

لطائف أخبار الأول فيمن تصرف فى مصر من أرباب الدول، القاهرة، المطبعة الشرقية، ١٣٠٠هـ/ ١٩٠٠م.

٤٥ـ الإسنوى، جمال الدين عبد الرحيم (ت ٧٧٢هـ/ ١٣٧٠م):

طبقات الشافعية، تحقيق عبد الجبورى، الرياض، دار العلوم، ١٩٨١.

٤٦ـ الأشرف الغسانى، عماد الدين أبو العباس اسماعيل بن العباس (ت ٨٠٣هـ/ ١٤٠٠م):

المسجد المسبوك والجوهر المحكوم فى طبقات الخلفاء والملوك، تحقيق شاكر محمود عبد المنعم، بيروت، دار التراث العربى، ١٩٧٥م.

٤٧ـ البورينى، الحسن بن محمد (ت ٩٦٣هـ/١٥٥٣م):

تراجم الأعيان من أبناء الزمان، تحقيق صلاح الدين المنجد، دمشق المجمع العلمى العربى، ١٩٧٣م.

٤٨ـ بيبرس الداودار، ركن الدين بيبرس المنصورى (٧٢٥هـ/١٣٢٥م):

التحفة الملوكية فى الدولة التركية، تحقيق عبد الحميد صالح حمدان القاهرة، ١٩٨٧.

٤٩ ـ التميمى الدارى، تقى الدين بن عبد القادر المغرى (ت ١٠٠٥هـ/ ١٥٩٩م):

الطبقات السنية فى تراجم الحنفية، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو الرياض، دار الرفاعى، ١٩٨٣م.

٥٠- الجبرتي، عبد الرحمن بن حسن (ت ١٢٣٧هـ/١٨٢٢م):

عجائب الآثار فى التراجم والأخبار، ٤ مجلد، القاهرة، مطبعة بولاق ١٣٠١هـ/١٨٨٣م.

٥١- حاجى خليفة، مصطفى بن عبد الله كاتب جلبى (ت١٠٦٧هـ/١٦٥٦م):

كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون، استانبول، ١٩٤١.

٥٢- الذهبى، أبو عبد الله شمس الدين محمد (ت ٧٤٨هـ/١٣٤٧م):

١- **سير أعلام النبلاء**، تحقيق شعيب الارنؤوطى وآخرون، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٣م.

٢- **كتاب تذكرة الحفاظ**، ط٤، بيروت، دار احياء التراث العربى ١٩٥٧م

٥٣- الزبيدى، محمد مرتضى الحسينى، (١٢٠٥هـ/ ١٧٩٠م):

تاج العروس فى جواهر القاموس، عشرة أجزاء، القاهرة، ١٨٨٩م.

٥٤- الزركشى، محمد بن عبد الله (ت ٧٩٤هـ/ ١٣٩٠م):

أعلام الساجد بأحكام المساجد، القاهرة، ١٣٨٤هـ/١٩٦٩م.

٥٥- سبط ابن الجوزى، شمس أبى المظفر يوسف التركى (ت ٦٥٤هـ/١٢٥٧م):

مرآة الزمان فى تاريخ الأعيان، ٤ أجزاء، حيدر أباد الركن، دائرة المعارف العثمانية، ١٩٥٢م.

٥٦- السبكى، تاج الدين أبو النصر عبد الوهاب (ت ٧٧١هـ/١٣٦٩م):

(أ) **طبقات الشافعية الكبرى**، ٨ أجزاء القاهرة، ١٩٦٨.

(ب) **معيد النعم ومبيد النقم**، تحقيق محمد محمد على النجار وآخرون،

القاهرة مكتبة الخانجى، ١٩٤٨م.

٥٧ـ السخاوى، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن (ت ٩٠٢هـ/١٤٩٦م):

(أ) **التبر المسبوك فى زيل السلوك**، القاهرة، مكتبة الكليات الأزهرية، ١٩٦٨م.

(ب) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ١٢ جزء، بيروت: دار التراث، ١٩٨١م.

٥٨ـ السلامى، تقى الدين أبو المعالى محمد بن رافع (ت ٧٧٤هـ/١٣٧٢م):

الوفيات، تحقيق صالح مهدى عباس، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٢.

٥٩ـ السيوطى، جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر (ت ٩١١هـ/١٥٠٥م):

١ـ **بذل المجهول فى خزانة محمود**، تحقيق فؤاد سيد، مجلة معهد المخطوطات العربية، مج ٤، جـ٤، جـ١، القاهرة، ١٩٥٨م. ص ١٧٤ـ ١٣٦.

٢ـ **بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة**، القاهرة، مطبعة السعادة ١٩١٤م.

٣ـ **حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة**، جزءان، بيروت، دار التراث، ١٩٧٨م.

٤ـ **تاريخ الخلفاء**، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، القاهرة، دار النهضة بمصر، ١٩٧٥م.

٦٠ـ الشجاعى، شمس الدين (ت ق ٩هـ/١٥م):

تاريخ الملك الناصر محمد بن قلاوون الصالحى وأولاده حققه وترجمه إلى

الالمانية بريارة سيفر، القاهرة، المعهد الالمانى للاثار، ١٩٧٨م

٦١- الشعرانى، عبد الوهاب (ت ٩٧٣هـ/١٥٦٥م) :

الطبقات الكبرى: لواقع الأنوار فى طبقات الأخبار، جزءان، القاهرة دار الفكر العربى، ١٩٨٦م.

٦٢- الشوكانى، شمس الاسلام محمد بن على الشوكانى (ت ١٢٥٠م/١٨٣٤م) :

البدر الطالع بمن بعد القرن السابع، جزءان، القاهرة، ١٩٦١م.

٦٣- طاشبكرى زادة، أحمد بن مصطفى بن خليل (ت ٩٦٨هـ/ ١٥٦٠م) :

مفتاح السعادة ومصباح السيادة فى موضوعات العلوم، ٣ مجلد، تحقيق عبد الوهاب عبد السلام أبو النور وكامل كامل بكرى، القاهرة، المكتبة التجارية الحديثة، ١٩٧٠م.

٦٤- العلائى، ابراهيم بن محمد بن أيدمر (ت ٨٠٩هـ/١٤٠٦م) :

الجوهر الثمنين فى سير الخلفاء والملوك والسلاطين، تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور، مكة المكرمة، مركز البحث العلمى لاحياء التراث الاسلامى، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

٦٥- العلموى، عبد الباسط بن موسى (ت ٩٨٠هـ/١٥٧٣م) :

المعيد فى أدب المفيد والمستفيد، حيدر أباد الدكن، مطبعة المعارف العثمانية، ١٣٤٩هـ/١٩٢٩م.

٦٦- العيدروسى، محى الدين عبد القادر بن شيخ بن عبد الله (ت ٩٩٠هـ/١٥٨٢م) :

النور السافر عن أخبار القرن العاشر، بغداد، مكتبة المثنى، ٩٦١.

٦٥ـ العلموى، عبد الباسط بن موسى (ت ٩٨٠هـ/١٥٧٣م) :

٦٧ـ العينى، بدر الدين محمود (ت ٨٥٢هـ/١٤٥١م) :

١ـ **السيف المهند في سيرة الملك المؤيد شيخ المحمودى**، تحقيق فهيم شلتوت، مراجعة مصطفى زيادة، القاهر، دار الكتاب العربى، ١٩٦٩م.

٢ـ **عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان:**

ـ **حوادث وتراجم ٦٤٨ـ٦٩٨**، ٣ جـزء، تحقيـق محمد محمد أمين، القاهرة، الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٨٧ـ ١٩٩٠م.

ـ **حوادث وتراجم ٨١٥ـ ٨٢٤هـ** تحقيق عبد الرازق الطنطاوى القاهرة، ١٩٨٥ .

٦٨ـ الغزى، نجم الدين بن محمد بن احمد القرشى الشافعى (ت ١٠٦١هـ/١٦٤٩م) :

الكواكب السائرة فى أعيان المائة العاشرة، ٣ أجـزاء، بيـروت ـ دار التراث، ١٩٥٩م.

٦٩ـ الفيروز أبادى، محمد بن يعقوب الشيراوى (ت ٨٠٣هـ/ ١٤٠٠م) :

القاموس المحيط، أجزاء، القاهرة، ١٩٥٢م.

٧٠ـ القلقشندى، شهاب الدين احمد بن على (ت ٨٢١هـ/١٤١٨م) :

صبح الأعشى فى صناعة الانشا، ١٤ جزءا، القاهرة، دار الكتب، ١٩٣٨ .

٧١ـ المقريزى : تقى الدين أحمد بن على (ت ٨٤٥/١٤٤٢م):

(أ) السلوك، لمعرفة دول الملوك.

الجزء الأول والثانى مطبوع فى ستة أقسام، تحقيق محمد مصطفى زيادة،

القاهرة ١٩٣٤-١٩٥٨م.

الجزء الثالث والرابع مطبوع فى ستة أقسام، تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور، القاهرة، ١٩٧٠م- ١٩٧٣م.

(ب) **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار**، ٢ مجلد، بيروت، دار صادر، ١٩٨٣م.

٧٢- مبارك، على (ت١٣١٢هـ/١٨٩٣م) :

الخطط التوفيقية، ٢٠ جزء، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٣م.

٧٣- مجهول، (من القرن ٨هـ/١٤م) :

تاريخ سلاطين المماليك، ينسب الى ابراهيم مغطاى، نشر زيتر ستين ليدن، ١٩١٩ .

٧٤- المحبى، محمد أمين (ت ١١١١هـ/١٦٩٧م) :

خلاصة الأثر فى أعيان القرن الحادى عشر، بيروت، دار صادر، بدون تاريخ.

٧٥- المقرى: احمد بن محمد (ت ١٠٤١هـ/١٦٣٤م) :

نفح الطيب فى غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، بيروت، دار صادر، ١٩٦٨م.

٧٦- النعيمى الدمشقى، عبد القادر بن محمد (ت ٩٢٧هـ/١٥٢١م) :

الدارس فى تاريخ المدارس، تحقيق جعفر الحسينى، دمشق، المجمع العلمى العربى، ١٩٤٨م.

٧٧ـ ياقوت الحموى، ياقوت بن عبد الله الرومى (ت ٦٢٦هـ/١٢٢٩م) :

معجم الأدباء، القاهرة، دار الكتب، ١٩٣٨م.

٧٨ـ اليونينى، قطب الدين أبى الفتح موسى بن أحمد بن قطب الدين اليونينى (ت ٧٢٦هـ/١٣٢٤م) :

ذيل مرآة الزمان، أربعة مجلدات، حيدر أباد الدكن، مطبعة المعارف العثمانية، ١٣٧٤هـ/١٩٥٣م.

رابعا ـ المراجع العربية والمعربة

١ ـ ابراهيم على طرخان:

مصر فى عصر دولة المماليك الجراكسة، القاهرة، دار النهضة العربية ١٩٦٠.

٢ـ أحمد أحمد بدوى:

الحياة العقلية فى عصر الحروب الصليبية بمصر والشام، القاهرة، دار نهضة مصر للطبع والنشر، ١٩٧٢م.

٣ـ أحمد أنور عمر:

المكتبات العامة بين التخطيط والتنفيذ، القاهرة، دار النهضة العربية ١٩٨٣م.

٤ـ أحمد دراج :

(أ) **حجة وقف الأشرف برسباى**؛ نشر وتحقيق، القاهرة، مطبعة المعهد العلمى الفرنسى للآثار الشرقية، ١٩٦٣م.

(ب) **المماليك والفرنج فى القرن التاسع الهجرى ـ الخامس عشر الميلادى**، القاهرة، دار الفكر العربى، ١٩٦١م.

٥ـ أحمد عيسى :

تاريخ البيمارستانات فى الإسلام، دمشق، جمعية التمدن الإسلامى. ١٩٣٩م.

٦ـ أحمد شلبى :

تاريخ التربية الإسلامية، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٧٣م.

٧ـ أحمد فكرى :

مساجد القاهرة ومدارسها :

(أ) المدخل، القاهرة، دار المعارف، ١٩٦١م.

(ب) الجزء الثانى، القاهرة ـ دار المعارف، ١٩٦٩م.

٨ ـ أحمد فؤاد الأهوانى:

التربية فى الإسلام، القاهرة، دار المعارف، ١٩٦٨م.

٩ـ أحمد محمد الشامى وسيد حسب الله :

المعجم الموسوعى لمصطلحات المكتبات والمعلومات، الرياض، دار المريخ،١٩٨٨م.

١٠ـ أحمد محمد عوف :

الأزهر فى ألف عام، القاهرة، مجمع البحوث الاسلامية، ١٩٧٠م.

١١ـ أحمد مختار العبادى :

قيام دولة المماليك الأولى فى مصر والشام، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، ١٩٨٨م.

١٢- السيد عبد العزيز سالم :

(أ) تاريخ الإسكندرية وحضارتها فى العصر الاسلامى، الإسكندرية مؤسسة شباب الجامعة، ١٩٦١م.

(ب) التاريخ والمؤرخون العرب، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة ١٩٨٣م.

١٣- أنور زقلمة :

المماليك فى مصر، القاهرة، مطبعة المجلة الجديدة، (دون تاريخ).

١٤- توفيق الطويل :

التصوف فى مصر إبان العصر العثمانى. القاهرة، الهيئة الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٨.

١٥- جورجى زيدان :

(أ) تاريخ آداب اللغة العربية، ٤جزء، القاهرة، دار الهلال ١٩٠٣م.

(ب) تاريخ التمدن الاسلامى، ٥جزء، القاهرة، دار الهلال ١٩٠٢- ١٩٠٦م.

١٦- جوزيف نسيم يوسف :

(أ) تاريخ العصور الوسطى الأوروبية وحضارتها، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، ١٩٨٤م.

(ب) دراسات فى تاريخ العصور، الاسكندرية، دار المعرفة الجامعية ١٩٨٨م.

(جـ) علاقات مصر بالممالك التجارية الايطالية فى ضوء وثائق صبح الأعشى، فى: كتاب أبو العباس القلقشندى وكتابه صبح الاعشى ١٩٧٣م.

(د) نشأة الجامعات فى العصور الوسطى، الاسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، ١٩٨٤م.

١٧ ـ جومار:

وصف مدينة القاهرة وقلعة الجبل مع مقدمة عن التطور العمرانى لمدينة القاهرة منذ إنشائها وحتى سنة ١٨٠٠م، نقله عن الفرنسية أيمن فؤاد سيد، القاهرة، مكتبة الخانجى، ١٩٨٨م.

١٨ـ حبيب الزيات:

خزائن الكتب فى دمشق وضواحيها، القاهرة، ١٩٠٢م.

١٩ـ حسن ابراهيم حسن:

تاريخ الإسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى، القاهرة، ١٩٦٧م.

٢٠ـ حسن ابراهيم حسن وعلى ابراهيم حسن:

النظم الإسلامية، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٦٢م.

٢١ـ حسن الباشا:

(أ) الألقاب الاسلامية فى التاريخ والوثائق والآثار، القاهرة، دار النهضة العربية، ١٩٥٨م.

(ب) **مدخل إلى الأثار الاسلامية**، القاهرة، دار النهضة العربية ١٩٧٩م.

(جـ) **الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية**، ٣ جزء، القاهرة دار النهضة العربية، ١٩٦١م.

٢٢- حسن عبد الوهاب :

تاريخ المساجد الأثرية، القاهرة، مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٤٦م.

٢٣- حسنى نويصر :

مدرسة جركسية على نمط المساجد الجامعة، مدرسة الأمير سودون من زادة بسوق السلاح، القاهرة، مكتبة نهضة الشرق، ١٩٨٥.

٢٤- خطاب عطية :

التعليم فى مصر فى العصر الفاطمى، القاهرة، ١٩٤٧م.

٢٥- خليل طوطح :

التربية عند العرب، القدس، المطبعة التجارية، ١٩٥٩م.

٢٦- خير الدين الزركلى :

الأعلام، ١٠ أجزاء، القاهرة، ١٩٥٤م- ١٩٥٩م.

٢٧- **دائرة المعارف الاسلامية.**

أصدرها نخبة من المستشرقين، ترجمة واعداد وتحرير ابراهيم زكى خورشيد وآخرين، القاهرة، دار الشعب، ١٩٦٩، مج٣.

٢٨- دال، سفلد:

تاريخ الكتاب منذ أقدم العصور إلى الوقت الحاضر، ترجمة محمد صلاح

الدين حلمى، القاهرة، المؤسسة القومية للنشر والتوزيع، ١٩٥٨م.

٢٩ـ دى جروليه، اريك:

تاريخ الكتاب، ترجمة خليل صابات، القاهرة، مكتبة نهضة مصر، ١٩٥٩م.

٣٠ـ ديورانت، ول:

قصة الحضارة، ترجمة محمد بدران، القاهرة، لجنة التأليف والنشر ١٩٤٩م.

٣١ـ رالف، ر.ج :

المكتبة ودورها فى التربية، ترجمة مصطفى الصاوى الجوينى، القاهرة مؤسسة المطبوعات الحديثة، ١٩٧٨م.

٣٢ـ زكى محمد حسن:

فنون الإسلام القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٤٨م.

٣٣ـ سعيد الجوزى الشرنوبى:

معجم أقرب الموارد فى فصح العربية والشوارد، بيروت، مطبعة مرسلى اليسوعية، ١٨٩٣.

٣٤ـ سعيد عبد الفتاح عاشور:

(أ) **أوروبا فى العصور الوسطى**، جزأن، القاهرة، ١٩٥٩م.

(ب) الأيوبيون والمماليك فى مصر والشام، القاهرة، دار النهضة العربية، ١٩٨٨م.

(جـ) **الجامعات الأوروبية فى العصور الوسطى**، القاهرة، دار النهضة العربية، ١٩٥٩م.

(د) **الظاهر بيبرس**، القاهرة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر،١٩٦٣م.

(هـ) **العصر المماليكى فى مصر والشام**، القاهرة، دار النهضة العربية، ١٩٦٥م.

(و) **المجتمع المصرى فى عصر سلاطين المماليك**، القاهرة، دار النهضة العربية،١٩٦٢م.

(ز) **المدنية الاسلامية وأثرها فى الحضارة الأوروبية**،القاهرة، ١٩٦٣م.

(ح) **مصر فى عصر دولة المماليك البحرية**،القاهرة، مكتبة النهضة المصرية،١٩٥٩م.

٣٥- سيده اسماعيل كاشف:

أحمد بن طولون، الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر، ١٩٦٦م.

٣٦- شعبان عبد العزيز خليفة:

دار الكتب القومية فى مرحلة النشوء والارتقاء والتدهور، القاهرة، العربى للنشر والتوزيع، ١٩٩١م.

٣٧- شعبان عبد العزيز خليفة ومحمد عوض العايدى:

القهرسة الوصفية للمكتبات، المطبوعات والمخطوطات، القاهرة، دار الثقافة للنشر والتوزيع،١٩٧٩م.

٣٨- صالح لمعى مصطفى:

الوثائق والعمارة، دراسة فى العمارة الاسلامية فى العصر المملوكى الجركسى

بيروت، دار النهضة العربية، بدون تاريخ.

٣٩ـ صلاح الدين المنجد:

الكتاب العربى المخطوط، القاهرة، ١٩٦٠م.

٤٠ـ عبد ربه محمود وعبد الجليل حسن:

المكتبة والتربية، القاهرة، دار الفكر العربى، ١٩٦٨م.

٤١ـ عبد الرحمن زكى:

(أ) **الأزهر وما حوله من الآثار**، القاهرة، الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر، ١٩٧٠م.

(ب) **تراث القاهرة العلمى والفنى فى العصر الإسلامى**، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٦٩م

(جـ) **القاهرة، تاريخها وآثارها**، القاهرة، الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر، ١٩٦٦م.

٤٢ـ عبد الستار عبد الحق الحلوجى:

(أ) **دراسات فى الكتب والمكتبات**، جده، مكتبة مصباح، ١٩٨٧.

(ب) **لمحات من تاريخ الكتب والمكتبات**، القاهرة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ١٩٨٢م.

(جـ) **المخطوط العربى**، جده، مكتبة مصباح، ١٩٨٧م.

٤٣ـ عبد العزيز الشناوى:

الأزهر جامعاً وجامعة، القاهرة، مكتبة الانجلو المصرى، ١٩٨٧م.

٤٤- عبد الغنى عبود:

فى التربية الاسلامية، القاهرة، دار الفكر العربى، ١٩٧٧م.

٤٥- عبد الغنى محمود عبد العاطى:

التعليم فى مصر زمن الأيوبيين والمماليك، القاهرة، دار المعارف ١٩٨٤م.

٤٦- عبد اللطيف ابراهيم على:

دراسات فى الكتب والمكتبات الاسلامية، من الوثائق العربية، القاهرة مطابع الشعب، ١٩٦٢م.

٤٧- عبد اللطيف حمزة:

الحركة الفكرية فى مصر فى العصرين الأيوبى والمملوكى الأول، القاهرة دار الفكر العربى، ١٩٦٨م.

٤٨- عبد المنعم ماجد :

(أ) **تاريخ الحضارة الاسلامية فى العصور الوسطى**، القاهرة، مكتبة الانجلو المصرية، ١٩٧٨م.

(ب) **نظم دولة سلاطين المماليك ورسومهم فى مصر**، القاهرة، مكتبة الانجلو المصرية، ١٩٦٤م.

٤٩- عبد الوهاب حمودة :

صفحات من تاريخ مصر فى عصر السيوطى، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٦٥م.

٥٠- عبد الوهاب عزام :

مجالس السلطان الغورى، القاهرة، لجنة التأليف والنشر، ١٩٤١م.

٥١- على ابراهيم حسن :

(أ) استخدام المصادر وطرق البحث فى التاريخ الإسلامى العام وفى التاريخ الوسيط، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٧٨م.

(ب) تاريخ المماليك البحرية، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٦٧م.

٥٢- على سالم النباهين :

نظام التربية الاسلامية فى عصر دولة المماليك فى مصر، تقديم عبد الغنى عبود، القاهرة، دار الفكر العربى، ١٩٨١.

٥٣- عمر طوسون :

وادى النطرون ورهبانه وأديرته ومختصر تاريخ البطاركة، الإسكندرية ١٩٣٥م.

٥٤- فوزى محمد أمين :

المجتمع المصرى فى أدب العصر المملوكى الأول (٦٤٨ - ٧٨٤هـ)، الإسكندرية، دار المعارف، ١٩٨٢م.

٥٥- فيليب دى طرازى :

خزائن الكتب العربية فى الخافقين، بيروت، وزارة التربية الوطنية والفنون الجميلة، ١٩٥١م.

٥٦ - قاسم عبده قاسم :

النيل والمجتمع المصرى فى عصر سلاطين المماليك، القاهرة، دار

المعارف،١٩٧٨م.

٥٧ـ الكرملى، انستاس مارى :

النقود العربية وعلم النميات، القاهرة، ١٩٣٩م.

٥٨ـ مدحت كاظم وحسن عبد الشافى :

الخدمة المكتبية المدرسية: مقوماتها وتنظيمها وأنشطتها، ط٢، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية،١٩٨٧م.

٥٩ـ محمد جلال كشك :

ودخلت الخيل الأزهر، القاهرة، دار المعارف، ١٩٧٨م.

٦٠ـ محمد جمال الدين سرور :

دولة الظاهر بيبرس فى مصر، القاهرة، دار الفكر العربى، ١٩٦٠م.

٦١ـ محمد رمزى :

القاموس الجغرافى للبلاد المصرية، ٦جزء، القاهرة، دار الكتب المصرية، ١٩٥٤م.

٦٢ـ محمد زغلول سلام :

الأدب فى العصر المملوكى، ٢ جزء، دار المعارف، ١٩٧٠م.

٦٣ـ محمد الصادق حسين:

البيت السبكى بيت علم فى دولتى المماليك، القاهرة، دار الكتب المصرى،١٩٤٨م.

٦٤ـ محمد عبد الرحمن غنيمة:

تاريخ الجامعات الإسلامية الكبرى، المغرب، تطوان، ١٩٥٣م.

٦٥ـ محمد عبد الستار عثمان:

وثيقة وقف جمال الدين يوسف الاستادار: دراسة تاريخية أثرية ووثائقية الإسكندرية، دار المعارف، ١٩٨٣م.

٦٦ـ محمد عبد العزيز مرزوق:

الناصر محمد بن قلاوون، القاهرة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر، ١٩٦٤م.

٦٧ـ محمد عبد الله عنان:

(أ) **تاريخ الجامع الأزهر**، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٩٥٨م.

(ب) **مصر الإسلامية وتاريخ الخطط المصرية**، القاهرة ـ مطبعة دار الكتب المصرية، ١٩٣١م.

(جـ) **مؤرخو مصر الاسلامية ومصادر التاريخ المصرى**، القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٦٩م.

(د) **أبو العباس القلقشندى وكتابه صبح الأعشى**: فى أبو العباس القلقشندى تأليف نخبة من الأساتذة، تقديم أحمد عزت عبد الكريم، القاهرة الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧١م، ص ٢٣ ـ ٧٠.

٦٨ـ محمد عطية الإبراشى:

التربية الاسلامية وفلسفتها. القاهرة، مكتبة عيسى البابى الحلبى، ١٩٦٩م

٦٩ـ محمد كامل الفقى:

الأدب فى العصر المملوكى، القاهرة، الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٧٦م.

٧٠ـ محمد ماهر حمادة:

(أ) **المكتبات فى العالم**؛ تاريخها وتطورها حتى مطلع القرن العشرين، الرياض ـ دار العلم، ١٩٨١م.

(ب) **المكتبات فى الإسلام**؛ نشأتها وتطورها ومصائرها، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٦م.

٧١ـ محمد محمد أمين:

(أ) **فهرست وثائق القاهرة حتى نهاية عصر سلاطين المماليك** مع نشر وتحقيق تسعة نماذج. القاهرة، المعهد العلمى الفرنسى للآثار الشرقية، ١٩٨١م.

(ب) **الأوقاف والحياة الاجتماعية فى مصر فى عصر سلاطين المماليك**، القاهرة دار النهضة العربية، ١٩٨٠م.

٧٢ـ محمد مختار:

التوفيقات الإلهامية فى مقارنة التواريخ الهجرية بالسنين الأمريكية والقبطية، القاهرة، ١٣١١م.

٧٣ـ محمود أحمد :

جامع عمرو بن العاصى بالفسطاط من الناحيتين التاريخية والأثرية، القاهرة، المطبعة الأميرية، دون تاريخ.

٧٤ـ محمود مرزوق سليم :

(أ) **الأشراف قنصوه الغورى**، القاهرة، الدار المصرية للتأليف والنشر ١٩٦٥م.

(ب) **عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي**، ٥ مجلد القاهرة، مكتبة الأداب، ١٩٦٥م.

٧٥ ـ مجلد عبد الرزاق شفشق :

التعليم فى عهد المماليك والإحتلال العثمانى فى : تاريخ ونظام التعليم والجمهورية العربية المتحدة، وتأليف منير عطالله وآخرين مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٦٨م.

٧٦ـ مصطفى حسين السباعى :

من روائع حضارتنا، دمشق، مكتبة دار السلام، ١٩٥٩م.

٧٧ـ مصطفى العبادى :

مكتبة الإسكندرية القديمة، القاهرة، مكتبة الانجلو المصرية، ١٩٧٧م.

٧٨ـ متز، آدم :

الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى، ترجمة محمد عبد الهادى أبو ريدة، القاهرة، مكتبة الخانجى، ١٩٦٧م.

٧٩ـ ناجى معروف :

إنشاء المدارس المستقلة فى الاسلام، بغداد، ١٩٦٦م.

٨٠ ـ وزارة الأوقاف وشئون الأزهر:

الأزهر تاريخه وتطوره، القاهرة، مجمع البحوث الاسلامية، ١٩٦٤م .

٨١ ـ هيسيل، الفرد :

تاريخ المكتبات، ترجمة شعبان عبد العزيز خليفة، دار المريخ الرياض، ١٩٨١م.

٨٢ - يحيى محمود ساعاتى :

الوقف وبنية المكتبة العربية؛ استبطان للموروث الثقافى، الرياض مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الاسلامى، ١٩٨٨م

٨٣ - يوسف أحمد :

جامع أحمد بن طولون. القاهرة، مطبعة الترقى ١٩١٧م.

٨٤ - يوسف كرم :

تاريخ الفلسفة الأوروبية فى العصر الوسيط، القاهرة، ١٩٥٧م.

خامسا - الرسائل الجامعية

١ - أحمد نشاطى العقباوى:

الحياة العمرانية فى القاهرة الكبرى فى عصر سلاطين المماليك (٦٤٨ - ٩٢٣هـ / ١٢٥٠ - ١٥١٧م)، رسالة دكتوراه، كلية الآداب جامعة الإسكندرية، ١٩٨٦م.

٢- أسامة أحمد حماد:

الإسكندرية فى عصر دولتى المماليك (٦٤٨ - ٩٢٣هـ / ١٢٥٠ - ١٥١٧م) رسالة ماجستير. كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، ١٩٨٧.

٣- جرجس فام ميخائيل:

السلطان جقمق وحالة مصر فى عصره، رسالة ماجستير ، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٩٧٤م

٤ـ حسن سيد جودة القصاص:

المدرسة الصرغتمشية، دراسة أثرية معمارية، رسالة ماجستير ، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ١٩٧٣م.

٥ـ حسنى محمد حسن نويصر:

منشأة السلطان قايتباى الدينية بمدينة القاهرة، رسالة دكتوراه ، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ١٩٧٥م.

٦ـ دولت عبد الله عبد الكريم:

الخوانق فى مصر فى العصريين الأيوبى والمملوكى، رسالة دكتوراه ، كلية الآداب، جامعة القاهر، ١٩٧٣م.

٧ـ رأفت النبراوى:

مسكوكات المماليك الجراكسة فى مصر، نظمها، وقيمتها النقدية، دراسة أثرية، رسالة دكتوراه، كلية الآثار، جامعة القاهر، ١٩٨١ .

٨ ـ زينب محمد محفوظ هنا:

وثائق البيع فى مصر خلال العصر الملوكى، رسالة دكتوراه كلية الآداب ـ جامعة القاهرة، ١٩٧٧م.

٩ـ سامى أحمد حسين:

السلطان أينال وآثاره المعمارية فى القاهرة، رسالة دكتوراه ـ كلية الآثار ـ جامعة القاهرة، ١٩٧٦م.

١٠- سامى أحمد عبد الحليم امام:

آثار الأمير قانى باى قرا الرماح بالقاهرة، دراسة أثرية معمارية، رسالة دكتوراه، كلية الآثار- جامعة القاهرة، ١٩٧٥م.

١١- سهام محمد المهدى:

تجليد الكتب في العصر المملوكى، رسالة ماجيستير كلية الاداب، جامعة القاهرة، ١٩٧٤م.

١٢- سوسن سليمان يحيى سليمان:

منشأة الأمير الاسحاقى، دراسة أثرية معمارسة، رسالة ماجستير، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ١٩٨٥م.

١٣- شاهنده كريم:

جوامع ومساجد أمراء السلطان الناصر محمد بن قلاوون، رسالة دكتوراه، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ١٩٨٦م.

١٤- عبد اللطيف إبراهيم على:

دراسات تاريخية وأثرية فى وثائق من عصر السلطان الغورى، رسالة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٩٥٦م.

١٥- على حسن زغلول:

مدرسة السلطان حسن، دراسة معمارية أثرية، رسالة ماجستير كلية الآثار، جامعة القاهرة، ١٩٧٧م.

١٦- فايزة الوكيل :

(أ) **جامع السلطان المؤيد شيخ، بحث أثرى معمارى،** رسالة ماجستير،كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٩٧٥م.

(ب) **العمائر الاسلامية بمصر فى عصر السلطان المؤيد شيخ،** رسالة دكتوراه، كلية الآثار، جامعة القاهرة ١٩٨٦.

١٨ـ ليلى كامل محمد الشافعى :

منشآت القاضى يحى زين الدين بالقاهرة، دراسة آثرية معمارية، رسالة دكتوراه، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ١٩٨٣م.

١٩ـ متولى محمد متولى :

المكتبة ودورها التربوى فى مصر الفاطمية، رسالة ماجستير ، كلية التربية، جامعة المنوفية، شبين الكوم، ١٩٨٣م.

٢٠ـ محمد فتحى الشاعر :

إقليم الشرقية فى عصر الأيوبيين والمماليك، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٩٧٦م.

٢١ـ محمد مجاهد الهلالى:

خزائن الكتب العباسية، دراسة فى الموارد والنظم والخدمات، رسالة دكتوراه، كلية الآداب ـ جامعة القاهرة، ١٩٨٧م.

٢٢ـ محمد محمد مرسى الكحلاوى:

مدرسة الأمير عبد الغنى الفخرى، دراسة أثرية معمارية فنية، رسالة ماجيستير، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٩٨١م.

٢٣ـ محمد مصطفى نجيب:

١ـ **مدرسة الأمير كبير قرقماس وملحقاتها، دراسة آثرية معمارية،** رسالة دكتوراه ، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ١٩٧٥م.

٢ـ **مدرسة خايربك بباب الوزير،** رسالة ماجستير كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٩٦٨م.

٢٤- مختار الكسبانى:

جامع الأمير تمراز الاحمدى. دراسة أثرية معمارية، رسالة ماجستير، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ١٩٨٦م.

٢٥- يسرى مصطفى عنانى:

دراسة عن مبانى المكتبات الجامعية، رسالة ماجستير كلية الهندسة، جامعة الاسكندرية ١٩٨٨م.

سادسا - مقالات الدوريات وابحاث المؤتمرات والندوات

١ - أحمد آتشى:

المخطوطات العربية فى مكتبات الأناضول، «مجلة معهد المخطوطات العربية مج ٤، جـ٢، مايو ١٩٥٨م.

٢- أحمد أمين سليم:

المكتبات فى مصر فيما قبل مكتبة الاسكندرية، «مجلة كلية الآداب- جامعة الاسكندرية»، مج ٣٨، جـ٢، ١٩٩٠م.

٣- حسن الباشا:

(أ) **كرسى المصحف فى الفن الإسلامى**، «مجلة منبر الاسلام»، س ٢٥، ع٦، سبتمبر ١٩٦٧م.

(ب) **الدواه فى الفن الإسلامى**، «مجلة منبر الإسلام»، س ٢٥، ع ٧، أكتوبر ١٩٦٧م.

(جـ) **جامع عمرو فى عصر الأيوبيين والمماليك**، س٢٧، ع٦، يونية ١٩٦٩م.

٤- حسن عبد الوهاب:

خانقاه فرج بن برقوق، كتاب المؤتمر الثالث للآثار فى البلاد العربية ١٩٥٩م.

٥- حسين أمين:

المسجد المعهد الأول للتعليم عند المسلمين، مجلة كلية الآداب، ،جامعة الاسكندرية، مج٢٢، ١٩٦٨م.

٦- حسين سليمان فوده:

المكتبات المدرسية ضرورة تربوية، صحيفة المكتبة، مج ١، ع ٢، أكتوبر- ديسمبر١٩٦٩م.

٧- جمال الدين الشيال:

أول أستاذ لأول مدرسة فى الاسكندرية، مجلة كلية الآداب جامعة الاسكندرية، مج ١١، ١٩٧٧م.

٨- رومر، هـ. ر:

المخطوطات العربية فى ألمانيا، ،مجلة معهد المخطوطات العربية، مج٥، جـ٢، نوفمبر ١٩٥٩م.

٩- زكى محمد حسين:

الكتاب فى الفنون الإسلامية، ،مجلة الكتاب،، س ١، جـ ٨، يونيو ١٩٤٦م.

١٠- عبد العزيز محمود عبد الدايم:

الرعاية الطبية فى عصر دولة المماليك ،مجلة كلية الآثار، جامعةالقاهرة، ع٢، ١٩٧٧م.

١١- عبد اللطيف إبراهيم على:

(أ) **وثيقة الأمير يشبك من مهدى**، مجلة جامعة القاهرة بالخرطوم، ع٢ ١٩٧١م.

(ب) **وثيقة الأمير آخور كبير قراقجا الحسنى**، دراسة وتحقيق، مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة، مج ١٨، جـ٢، ١٩٥٦م.

(جـ) **وثيقة السلطان قايتباى على الجامع والمدرسة بغزة**، كتاب المؤتمرالثالث للآثار فى البلاد العربية، ١٩٥٩م.

(د) **نصان من وثيقة الأمير صرغتمش**، دراسة وتحقيق، مجلة كلية الآداب،

جامعة القاهرة، مج ٢٧، ١٩٦٥، مج ٢٨، ١٩٦٦م.

(هـ) **الوثائق فى خدمة الآثار**، كتاب المؤتمر الثانى للآثار فى البلاد العربية ١٩٥٧م.

١٢ـ فؤاد سيد:

نصان قديمان فى إعارة الكتب، مجلة معهد المخطوطات العربية مج ٤، مايو١٩٥٨م.

١٣ـ فوزية مصطفى عثمان:

من تاريخ الببليوجرافيا، مجلة المكتبات والمعلومات العربية، س٢٩، ع١ يناير ١٩٨٩م، ص٦٧ـ ١٠٠.

١٤ـ محمد الحبيب بن خرجه:

الحياة الثقافية بمصر والقاهرة والاسكندرية فى سنة ٦٨٤هـ، ٦٨٥هـ من خلال رحلة ابن رشد، أبحاث «الندوة الدولية لتاريخ القاهرة مارس ـ ابريل ١٩٦٩م»، القاهرة، مطبعة دار الكتب، ١٩٧١م.

١٥ـ محمد حميد الله:

المخطوطات العربية فى باريس، «مجلة معهد المخطوطات العربية مج ٢، جـ٢، ن،فمبر١٩٥٦م.

١٦ـ محمد رستم ديوان :

المكتبات فى العالمين العربى والإسلامى فى العصر الوسيط، ترجمة يوسف داود عبد القادر، «مجلة المورد»، مج ٩، ع٤، ١٩٨١م.

١٧ـ محمد زهير البابا :

التراث العربى فى المكتبة الوطنية بباريس، «مجلة معهد المخطوطات العربية، مج٢٦، ع٢، ١٩٨٢م.

١٨ـ محمد كامل حسن :

التشيع فى الشعر المصرى فى عصر الأيوبيين والمماليك، مجلة كلية

الآداب، جامعة القاهرة مج ١٥ ، جـ١ ، ١٩٥٣م.

١٩ـ محمد محمد أمين :

(أ) **وثيقة وقف السلطان قايتباى على المدرسة الأشرفية وقاعة السلاح بدمياط**، المجلة التاريخية المصرية، مج ٢٢ ، ١٩٧٥م.

(ب) **الأوقاف ونظام التعليم فى مصر فى العصور الوسطى**، بحث مقدم لندوة الحضارة الاسلامية، عمان، مؤسسة آل البيت، ١٩٨٦م.

٢٠ـ محمد مصطفى زيادة :

بعض ملاحظات جديدة فى تاريخ دولة المماليك بمصر، «مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة»، مج ٤ ، جـ١ ، مايو ١٩٣٦م.

٢١ـ نورى حمودى القيسى :

المخطوطات العربية فى مكتبات استانبول، «مجلة المكتبة»، ع٣٩، ١٩٦٤م.

سابعا : المراجع الأجنبية

1- Creswell A.C.

The Muslim Architecture of Egypt, Oxford, 1952.

2- Dodge, Bayaed.

Muslim Education in Medieval Times, Washington, 1962.

3- Encyclopedia **of Lslam, London, 1936, Vol. 3.**

4 -**Encyclopedia** of library and Information Science, (ed .) by Allen Kent and Harold Lancour, New York, 1968.

5 - Hassanein Rabie.

Some Financial Aspects of The Wagf System in Medieval Egypt .Egyptinan Historical Review" Vol . 18, 1971.

6 -Irwin, Raymond

The Origins of the English Library, London, 1958.

7 - Johnson, E.D, and Harris, M . H .

History of Libraries in the Western World, Newy ork, 1976.

8 - Kabir Ahmed Khan,

I - Library Movement in The Muslim World, "Islamic Culture, VOL . LVI. No . 4., October 1982, PP. 304 - 316 .

II- Organization and Administration of Libraries in Islamic World, "Islamic World" Vol. LV, No .2, April 1981, pp. 123 - 129.

9 - Ker, M . R . (e . d)

Medieval Libraries in Great Britain, London, 1964.

10 - Lane - Poole, Stanlly.

A History of Egypt in the Middle Ages, London, 1925.

11 - Matchlf, K. D.

Planning Academic and Research Library Building, New York, 1984.

12 - Mohamed Makki Sibai

Mosque Libraries : An Historical study, London, 1987.

13 - Moskensen, Ruth Stallhorn.

Background of the History of Moslem Libraries."The American Journal of semitic Languages and Literatures", Vol. 51, January 1935, pp. 114 - 125.

14 - **Norris, D.M.**

A History of Cataloguing and Catalaguing Methods 1100-1800, London, 1939.

15 - **Olle, J . G.**

Library History, London, Clive Bingley, 1971.

16 - **Persons, E . A .,**

The Alexandrian Library: Glory of the Hellentic World, London, The Elsevier Press, 1952.

17. **Rider, A.D.**

A History of Books and Libraries, Metuchen, 1976.

18. **S.M Emaad EL- Din.**

Arabic Writing & Arabic Libraries, London, Ta Ha Publishers, 1983.

19. **Savage, E.**

Old English Libraries: The Making Collection and Use of books during the middle ages, London, 1911.

20. **The ALA Glossary** of Library and Information Science, Chicago, ALA, 1983.

21. **Thompson, James westfell.**

The Medieval Library, New York, Hafner Publishing Company, 1967.

22. **Youssef Eche.**

Les Bibliotheques Arabes Publiques et semi- Publiques en Mesopotamie, en Syrie et en Egypt au Moyon Age, Damas, Institute Francaise de Damas, 1967.

رقم الإيداع ١٦٩٨ لسنة ١٩٩٣
الترقيم الدولى
I.S.B.N
977 — 270 — 053 — 0



التجهيزات الفنية : آرـ تك / ٣٢٩ش السودان ـ ت ٣٤٧٢٥٥٥

تاريخ المكتبات في مصر
العصر المملوكي

إذا كانت دراسة التاريخ بالنسبة لأى علم هى بمثابة الأساس الذى يُبنى عليه هذا العلم ، فإننا نستطيع أن نؤكد أن « علم المكتبات والمعلومات العربية » يعتبر فى حاجة ماسة لهذا الأساس ، لاسيما وأن تاريخ المكتبات فى العالم العربى بصفة عامة وفى مصر بصفة خاصة ، يقدم لنا معيناً لا ينضب من التجارب والخبرات التى تعيننا على فهم الحاضر ، وتفسير ظواهره ، بل والتنبؤ بالمستقبل كذلك .

ويتناول هذا الكتاب تاريخ المكتبات فى مصر فى العصر المملوكى والذى يُعد من أنشط عصور التاريخ المصرى فيما يتعلق بحركة الكتب والمكتبات ، وذلك من حيث أنواع هذه المكتبات ، ومواردها المادية ، والبشرّية ، والمالية ، وإجراءاتها الفنية ، والأنشطة والخدمات . اعتماداً على الوثائق والمصادر الأولية الموثقة .

ويتوجه المؤلف بهذا الكتاب إلى الطلاب والباحثين فى مجال المكتبات والمعلومات ، كما يتوجه به أيضاً إلى الباحثين فى التاريخ الإسلامى الوسيط ، وتاريخ التربية الإسلامية ، فضلاً عن أعضاء هيئة التدريس والعاملين فى هذه المجالات .

الناشر


الدار المصرية اللبنانية طباعة • نشر • توزيع
١٦ شارع عبدالخالق ثروت – تليفون ٣٩٢٣٥٢٥ – ٣٩٣٦٧٤٣ – فاكس: ٣٩٠٩٦١٨ – برقياً: دار شادو – ص ب: ٢٠٢٢ – القاهرة
AL-DAR AL-MASRIAH AL-LUBNANIAH PRINTING — PUBLISHING — DISTRIBUTION
16 ABD EL KHALEK SARWAT St. P.O.Box 2022-Cairo-Egypt PHONE: 3936743-3923525 FAX: 3909618 CABLE DARSHADO